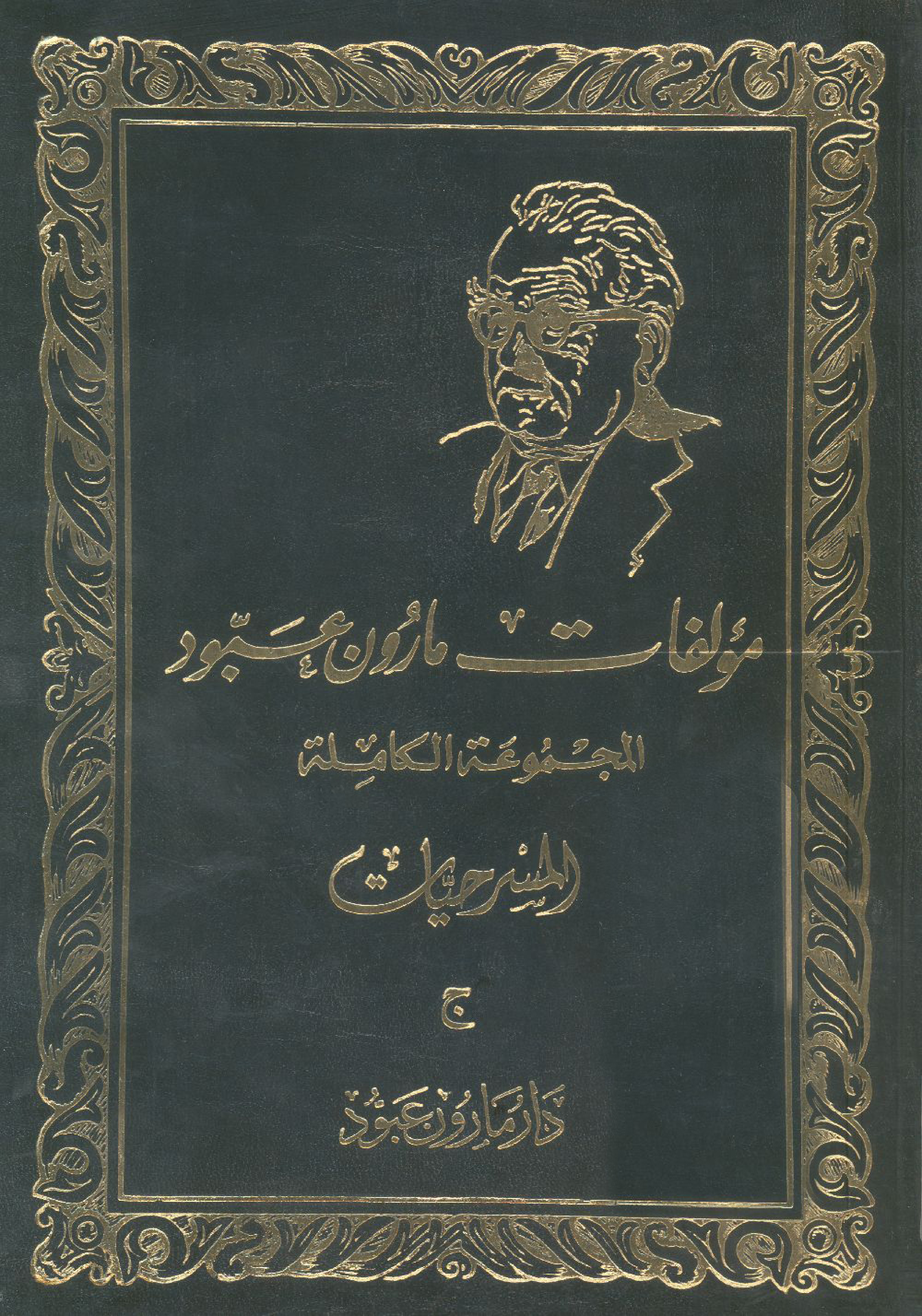

مؤلفات مارون عبّود
المجموعة الكاملة
المسرحيات
ج
دار مارون عبّود

مؤلفات مارون عبود

المجموعة الكاملة



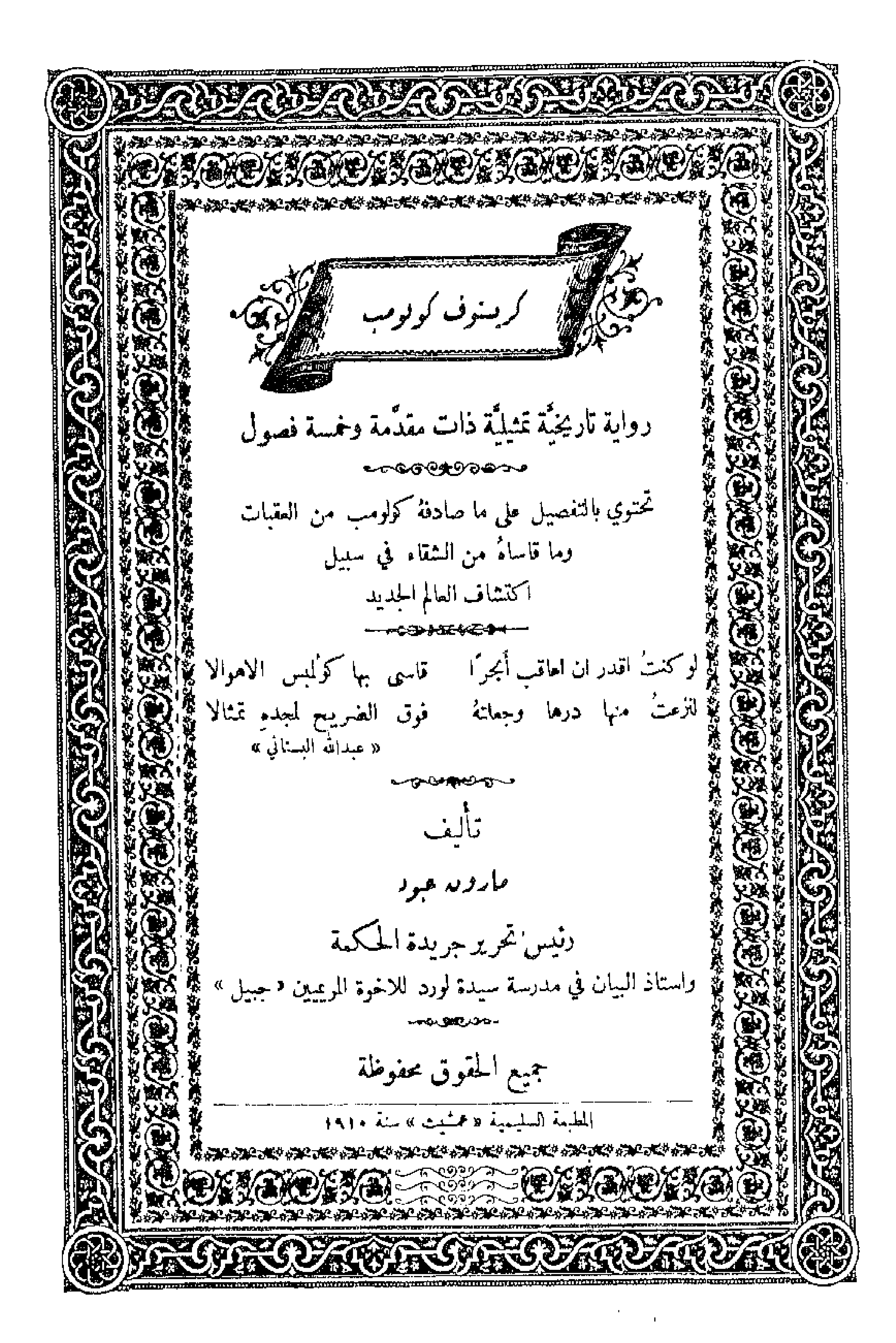
يحتوي هذا المجلد على :

ج

دار مارون عبود

ص. ب. ٨٠٨٦ — ١١

تلفون : ٩٣٦٧٧٢



كريستوف كولومب

رواية تاريخيّة تمثيليّة ذات مقدّمة وخمسة فصول

تحتوي بالتفصيل على ما صادفهُ كولومب من العقبات
وما قاساهُ من الشقاء في سبيل
اكتشاف العالم الجديد

لو كنتُ اقدر ان اعاقب أبحرًا   قاسى بها كولُمبس الاهوالا
لنزعتُ منها درها وجمانهُ   فوق الضريح لمجدهِ تمثالا
«عبدالله البستاني»

تأليف

مارون عبود

رئيس تحرير جريدة الحكمة
واستاذ البيان في مدرسة سيدة لورد للاخوة المريميين «جبيل»

المطبعة السليمية «عمشيت» سنة ١٩١٠

كريستوف كولومب

رواية تاريخيَّة تمثيليَّة ذات مقدّمة وخمسة فصول

تحتوي بالتفصيل على ما صادفهُ كولومب من العقبات
وما قاساهُ من الشقاء في سبيل
اكتشاف العالم الجديد

لو كنتُ أقدر أن اعاقب أبحراً — قاسى بها كولمبس الأهوالا
لنزعتُ منها درها وجعلتهُ — فوق الضريح لمجدِهِ تمثالا

« عبدالله البستاني »

١٩٨٧

بسم الله السرمدي

اسماء الممثلين

الأميرال كريستوف كولومب	(مكتشف العالم الجديد)
فرديناند	(ملك اسبانيا)
ايزابل	(الملكة)
بطرس غونزالز	(كردينال اسبانيا)
المطران فرنندو تالافارا	(مرشد الملكة)
لويس دي ستنجل	(وزير)
الونزو كانتانيلا	(وزير)
الأب جوان بيريز	(راهب دير رابيدا)
مرتين الونزو	(غني ورئيس سفينة البانتا)
دياكو كريستوف	(ابن كريستوف كولومب)
برتلماوس كولومب	(شقيق كريستوف كولومب)
دياكو	(» » »)
انتوان	(فلكي وسمير الملك)
فرنسوى	(قندلفت الدير)
سيباستيان	(رسول)

الفونس	(بحري)
فينشنته بينزون	(بحري رئيس النينيا)
فيراندو	(بحري)
لويس	(بحري)
بينزون	(بحري)
غوانا غراي	(ملك الهنود)
رودريغز	(خطيب الشعب)
فينسان	(شعبي)
دومينيك	(شعبي)
الونزو دي اجيدا	(بحري)
بويال	(عدو كولومب)
فرنسيس بوفاديليا	(معتمد الملك)
فرنان	(رفيق المعتمد)
جوزف	(صديق المعتمد)
الونزو دي فيليجو	(ضابط)
اوفاندو	(حاكم اسبانيولا)
مرتين	(خادم كولومب)

ثلاثة أشباح «احدها الملكة» هنود، جنود، شعب، ٦ مسجونين، ٦ أسبان.

* * *

الى الراغبين في تمثيل هذه الرواية

لا ريب ان كثرة اسماء الممثلين تلقي الرعب في قلوبكم ولكن لا فيمكن لشخص واحد أن يمثّل دورين وثلاثة من غير الأدوار المهمّة. وعشرة أشخاص ونيّف يقومون بمهام الجنود والهنود والبحارة والمسجونين والأسبان والشعب والأشباح وغيرهم.

كلمة للمؤلف

لا أذمُّ القصبة التي اتخذتُها رفيقةً لي وعقدنا الخناصر على أن لا يفرِّقنا سوى الموت ، فهي عشيقتي ولا أحبَّ سواها وان جار علينا الزّمان وقضى أن نعيش بعيدين عن رياض الثروة الخصيبة ، فأنا أحبّ أن أحيا بروحي ويكفيني ما يحفظ بقاء هذه الروح.

أجل إنّنا في بلاد ما زال فيها الالمعي غريباً. بيد أنهُ قد يجد الغريب في مطرحهِ لذة لا تقل عن لذة الموسرين الغارقين بين حشايا الحرير والديباج ، ولولا ذلك لانتحر البؤساء الذين هم السواد الأعظم ، لانتحر المساكين وتقوضت أركان راحة الأغنياء وأصبحت القصور الشّاهقة قاعاً[1] صفصفاً.

وكما يطمع النّاسك المتقشّف بسعادة دائمة بعد عيشته الخشنة هكذا يطمع الأديب بحياة ثانية وهي حياة الذكر والروح. وعلى هذا الأمل يكتب هذا المنكود الطالع رواية أتعس التعساء «كريستوف كولومب»[2] لنفكّر بمصائب هذا الرجل فتصغر مصائبنا وبضدها تتميّز الأشياء.

---

(١) القاع الصفصف : المستوى المطمئن من الأرض. والمعنى بانت القصور بعد خرابها كأنها أرض مستوية لا عمران فيها.

(٢) كريستوف كولومب (١٤٥١ — ١٥٠٦) رحالة إيطالي ، مكتشف أرض أميركا ، جهّز ثلاث سفن بحرية بمساعدة ملك اسبانيا ، فرديناند ، وزوجته الملكة ايزبيلّا ، بعد تعب في اقناعها بالسماح له وبمساعدته في تحقيق حلمه المغامرة هذا. وأقلع من بالوس في ٣ آب ١٤٩٢ ، ووجهته بلاد الهند عن طريق الغرب ، فوصل بعد عناء ويأس إلى شواطىء سان سلفادور ١٢ تشرين الأول ١٤٩٢. وهكذا اكتشف عن غير قصد منه ، العالم الجديد.

كتبت هذه الرواية وفكري ميّال الى الروايات الوطنية كما صرّحت بذلك مراراً ولكن اعتباري كولومب رجلاً وطنهُ الانسانية جمعاء حملني على تأليف روايته لأنهُ لم تبقَ أمة ولم تمتزج بالشعوب التي هي غرس اجتهاد كولومب وبلادها وطنهُ الحقيقي.

فليقرأ كل ناطق بالضاد هذه الرواية ويحيّي عظام كولومب العظام ويذكر القلم الذي كتب تاريخ حياتهِ بالدعاء.

(جبيل) غرة أذار سنة ١٩١٠

مارون عبّود

المقدمة

يظهر الملعب بهيئة دير رابيدا وكولومب وولده في فنائه

كولومب . دياكو . (ولده) . الأب جوان .
مرتين الونزو . فرنسوي . «قندلفت» خادم

كريستوف كولومب

خداعٌ كلهُ هذا الوجودُ وغير الكذب فيهِ لا يسودُ
وليل المطل ممتدٌّ ظليلٌ يضلُّ بدجنِه الرأي السديد
وتلك عقول أهل الأرض طرًّا تكبّلها السلاسل والقيود
فوالهفي على من كبّلتهم سلاسل دون قسوتها الحديد
هو التقليد سبّكها فجاءت وفيها يزدهي عنق وجيد
عجيبٌ؟ كيف لم يسمع ندائي مليكٌ أو غنيٌّ أو عميد
أجنتهمُ ترى بخزعبلاتٍ وأوهامٍ بها عبثَ الوليد
لقد حدَّثتُ نفسي باكتشافٍ فمن بالمال لي منهم يجود
متى تمتدُّ نحوي كفُّ يسرٍ فيبدو ذلك القطر الجديد
لقد قضَّيتها عشرين عاماً وعني قد تحجَّبت السعود

ونار الشيب قد لعبت برأسي وأيـــام المنى والحظ سود
وقد ضاقت يدي بل ضاق صدري
فكيف تبددت تلك الوعود
لقد أصبحتُ جوعاناً شريداً وعـريـانـاً فيـا أقوامُ جودوا
حيـاتي كلهـا تعبٌ وكـدٌّ وأحـزانٌ يمازجـهـا الجحـود
إذا عُرضت على الموتى حياتي بعيشٍ مثل عيشي لم يريدوا

يركع وينظر الى السماء :

إلهي لم يعد لي قط ملجأً سواك ففيك لم تخب العبيد
أنا لا اختشي موتي ولكن وليدي بائسٌ مضنًى شريد
أموت ولست أورثهُ نضاراً ولـكن يتمهُ الارث الوحيد
إلهي ! (وينتحب)

دياكو : (الابن)

يـا أبي صبراً فـليس الـ ـبكـاءُ بمثل مـوقـفـنا يفيد
أبي بـالله لا تجرح فـؤادي

كولومب : بني يحقُّ لي النوح المديد
فقد أنفقت ما جمَّعتُ قدماً وهـا اني من الدنيا طريد
أنا لا ابتغي مالاً وجاهاً ولـكـن ما يتمُّ بهِ الوجود
فـإن نُـوّلتُ مـا أبغي فإني أنا هو ذلك الرجل السعيد

دياكو : أبي قـــــد جـــــعتُ.
كولومب : يـــا ولـــدي اصـــطـــبـــاراً
دياكو :

فما صبري وبي جوع شديد

كولومب :

تجلَّد يا بنيَّ فعين ربي تـراك وفي تجلُّدنـا نسـود
ومـن كان الزمان لهُ عدوٌّ فـإن الصبر معقله الوطيد
ولكن لا ففوزي ليس يُرجى فشطر غدٍ به الفشل العتيد

آه ما هذه التعاسة وما هذا الشقاء يا كولومب. كاد يقتلني الجوع ويخنقني الظمأ.

فيا ساكني دير الفرنسيس رحمةً بكولومب من يرحم أخا الرب يُرحم
أعندكم ما يقتل الجوع في الحشا وما يطفيء النيران في كبد الظمي

ما هذه الأطمار البالية. إني لأخجل أن أظهر فيها:

فصاحة سحبان[1] وخط ابن مقلةٍ[2] وحكمة لقمان[3] وزهد ابن ادهمِ[4]

---

(١) سحبان: هو سحبان وائل من بني باهلة من أفصح خطباء العرب، ضرب بفصاحته المثل، تكلم امام معاوية بن أبي سفيان ساعات ولم يُسف، أو يلحن، فقال له معاوية أنت أخطب العرب فقال سحبان، والعجم، والجن والأنس وخطب في صلح بين حَيَّين شَطْرَ يومٍ فما أعاد كلمة، وهو القائل:

لـقـد عـلم الحي اليمانون أنني اذا قلت أمّا بعد اني خطيبها

توفي ٦٧٤ م.

(٢) ابن مقلة. أبو علي محمد بن مقلة، ولد ببغداد ٨٨٦ م/ ٢٧٢ هـ، وزر للخليفة المقتدر عامين ثم صرف، ونفي الى فارس، ثم اعاده الخليفة القاهر الى منصبه فاشترك بدسائس عزل على اثرها ولي الوزارة للمرة الرابعة... وحاول أن يكيد للأمير محمد بن رائق، فقبض عليه وتوفي في السجن بعد أن قطعت يده ٩٤٠م/ ٣٢٨هـ. اشتهر بالعلم كما اشتهر بأنه أحد مبتدعي الخط العربي.

(٣) لقمان الحكيم. من حكماء الجاهلية المشهورين في سداد الرأي وإصابة المفصل. اشتهر بالطب... كما اشتهر بالعرافة. لقب بالمعمر لطول عمره، ويذهب بعضهم الى أن شخصية لقمان شخصية خرافية لا وجود لها بالفعل!

(٤) ابن ادهم هو ابراهيم بن أدهم بن منصور التيمي العجلي، وكنيته أبو اسحق من الزهاد المشهورين من كورة بلخ في خراسان وفاته بين ١٦٠ و١٦٦ هـ/ ٧٧٦ و٧٨٣ م. تؤكد الروايات انه هاجر من خراسان الى الشام بعد أن تصوّف وزهد. كما تذهب الى أن وفاته كانت أثناء اشتراكه في حملة ضد البيزنطيين. والحكايات التي تدور حول زهده والأحداث التي دفعت به الى طريق الزهد تجعله شيئاً ببوذا.

اذا اجتمعت بالمرء والمرءُ مفلسٌ   ونادوا عليه لا يباع بدرهمِ

(يتنهد) ويلاه ما العمل؟ أي ولدي الصغير تقدم واقرع باب هذا الدير فقد عهدت الرهبان الأتقياء يحبون الفقير ويعطفون على البائس المسكين.

دياكو : (يتقدم متلفتاً تارة الى أبيهِ وتارة الى الباب).

كولومب : تقدم ولا تخف هذا الباب الحديدي فصوت المسكين يخرق الحديد.

دياكو : (يقرع الباب مراراً وينتصت) اسمع أصواتاً رخيمة يا أبي.

كولومب : انها لترانيم سماوية يا ولدي تصعد على أجنحة الملائكة وترتمي على أقدام العرش الالهي تستغفر الله عن جرائم الإنسانية وفظائع البشرية. ما أجمل هذه الحياة الهادئة وأقرب سكان هذا المكان من باب الملكوت! أركع يا بنيّ لنصلي ونشارك الرهبان في صلاتهم. ما أعذب الصلاة فهي خير تعزية للمرء في ضيقتِه! ومهما أظلمت الدنيا بوجهِ الإنسان فعند ارتفاع بصره الى السماء يلوح لهُ نور مقدس يمزق هذه الدياجي.

(يركعان)

(بعد صمت قليل) يسمع صوت داخلي يقول: من يقرع الباب؟

كولومب : فقير. مسكين. طرحتهُ الفاقة على أبوابكم أيها الأتقياء فافتحوها له فتح الله بوجهكم باب ملكوته.

«يفتح الباب ويخرج منهُ الأب جوان وفرنسوى ومرتين الونزو فينهض مسلِّماً ثم يأمر ولده قائلاً: حَيِّ يا ابني اباءنا الرهبان فقد طفنا البلاد ولم يرثِ لحالنا أحد ولم يقابلنا بشر بهذه البشاشة.

فرنسوى : من تكون أيها البائس ومن أي بلد أنت.

كولومب : أنا كريستوف كولومب مجنون القرن الرابع عشر.

جوان : (على حدة) قد سمعت قبل الآن بهذا الاسم.

كولومب : أنا الرجل الذي فرَّ من سريرهِ الى فم المخاطر فركب البحار وذلل

الأمواج وطاف الأقطار والأمصار مدفوعاً بشقائه وتعاستِه وما زال يتقلب من حال الى حال حتى أصبح كما تراه يلتمس الكسر ليقتات بها ويبسط يده على الطرق مستعطفاً ابناء السبيل.

فرنسوى : يظهر أيها الرجل ان في حياتك سرًّا من الأسرار.

كولومب : نعم وأي سرّ لم يكن في حياتي! تعاسة. فقر. يأس. مخاطر. كل هذا رأيتهُ في حياتي ولكنني لم أزل «أعلل النفس بالآمال أرقبها»[1].

جوان : من يصبر الى المنتهى يخلص[2].

كولومب : آه يا أبتِ الفاضل لو بسطت لك تاريخ حياتي لرأيت أنني ذقت من البلايا ما لم يذقهُ الشهداء بيدَ أنَّ عزمي لم يخر وهمتي البعيدة لم تشبع من معاركة الأيام وقد شاب شعري من كثر ما رأيت من الأهوال ولكن عزمتي لم تزل شديدة المراس وقناة همتي لا تلين للغامزين.

فرنسوى : واذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الكرَّ وحدهُ والنزالا[3]

انك مهذار ايها الرجل وحديثك يدل على اختلال في دماغك أملكٌ

---

(١) أعلل النفس بالآمال ... هذا صدر بيت للشاعر الخطاط مؤيد الدين الأصفهاني الطغرائي ولد ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١ م في أصفهان. حكم عليه بالموت بتهمة الزندقة فقتل سنة ٥١٥ هـ/ ١١٢١ — ١١٢٢ م. وهذا الصدر من قصيدة له مشهورة «بلاميّة العجم» ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العَطَلِ
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرعٌ والشمس رأد الضحى كالشمس في الطَفَلِ

وفيها يقول:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيقَ العيش لولا فسحة الأملِ

(٢) «من يصبر الى المنتهى يخلص» قول انجيلي متى (١٠ : ٢٣).

(٣) هذا البيت للمتنبي من قصيدة له يمدح سيف الدولة امير حلب مشيداً بانتصاره على البيزنطيين:

ذي المعالي فَلْيَعْلُوَن من تعالى هكذا هكذا وإلّا فلا فلا

وفي الشطر الثاني من هذا البيت لفظة محرّفة. في الديوان:

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

أنت أسقطك الزمان عن عرشك وحطّم على أقدامك تيجانك حتى تدّعي هذه الدعوى وتفتخر كل هذا الافتخار أم حسبتنا قوماً بعيدين عن ضوضاء العالم نصدق كل ما ينسج لنا على منوال الخديعة والهذيان.

كولومب : أفي كل مكان يقوم بوجهي أخصام؟! هوذا عدو جديد تحت سماء الدير النقيّة. آه ما أشقاك يا كولومب!.

فرنسوى : نحن لا نعادي ولا نكره أحداً ففادينا علّمنا محبة الاعداء ولكننا نكره الرذيلة لا الإنسان فقل الصدق ولك منا فوق ما ترجو.

جوان : مالك وماله يا فرنسوى دعهُ يقص علينا تاريخ حياتِه.

فرنسوى : واي عبرة وذكرى في تاريخ حياة شريد طريد مجنون فقير يتوهم أنّه علّامة عصره وفيلسوف دهره.

جوان : أبسط يا كولومب قضيتك مع الزمان فكلنا على الدهر انصار واعوان.

كولومب : يعزُّ عليّ يا أبتِ أن أعيد نظري في الصفحات المنطوية من سجل حياتي فهي تستنزف عبراتي وتؤثر في عواطفك الشريفة فدعنا فالحديث شجون.

فرنسوى : ابتدأ الخلاط يهيء الأذهان لسماع أكاذيبه آه ما أقدر هذا الصنف من البشر على استمالة القلوب.

جوان : هات الحديث فلعل عندي باب فرج افتحهُ بوجهك.

كولومب : أبتِ ولدت سنة ١٤٣٦ في مدينة جانوا[1] من أعمال ايطاليا ومن بزوغ فجر صباي ملت الى فن الجغرافية والرياضيات وعشقت الملاحة مهنة والدي ولم أكن أكره غير البطالة التي تفسد الشبيبة وتقودها الى حضيض الفقر والهوان. وإذ كان أبي دومينيك كولومب مشهوراً

---

(١) مرفأ في شمالي إيطاليا، شهير بمقبرته «الحقل المقدّس» Campo Santo وبما تحتويه من التماثيل الجميلة.

بركوب الابحار أخذ يدربني ويعلمني مهنتهُ. ثم أرسلني الى كلية بافيا[1] حيث اتقنت علم الفلك والجغرافية والهندسة فخضت البحار في عمر البدر ليلة تمامه وكان اعجاب الناس فيّ شديداً والثناء ينهال عليّ من كل جانب. جلت أول الأمر في البحر وأخذت أسعى بتوسيع دائرة السفر فاستخدمت في سفينة نسيب لي كانت مسافرة في الأوقيانوس الشمالي وكنت أطارد السفن الفينيسانية[2] حتى وقعت في لجج الاخطار مرات عديدة وقد اشتد القتال مرة بيني وبين اصحاب تلك السفن فاضطرمت النار في سفينتي وسفينة أخرى من سفنهم فارتبكوا في أمرهم أما أنا فتمسكت بجذع من الخشب حتى قادتني يد العناية الى شواطىء مملكة البرتوغال وهناك في تلك الاقطار بقيت في حالة الخطر من جراء التعب أياماً عديدة ولما عوفيت سرت الى ليزبونه عاصمة تلك المملكة وهناك عرفت بحارتها أحذق بحارة العالم والساعين في اكتشاف طريق جديدة تؤدي الى الهند الغربي وعرفت أيضاً في ليزبونه سيدة شريفة كريمة الشيفاليه برتولماوس واقترنت بها فرزقني الله منها هذا الولد الذي تراه امامك في جزيرة بورتوسانتو.[3]

(هنا يتنهد ويلتفت بولده التفاتة مملوءة حناناً وشفقة ويتوقف عن الحديث).

جوان : لا تقطع الحديث يا كولومب بالله عليك.

كولومب : وبقيت في تلك الجزيرة سنوات عديدة اتجول على شطوط افريقيا وفي جزر كاناريس وكنت دائماً ابحث وافكر في طريق بحرية يدار بها حول

---

(١) كلية بافيا : إحدى الكليات الجامعية المشهورة في مدينة بافيا ، في لومبارديا شمالي ايطاليا ، تقع على مسافة ٣٢ كلم جنوبي ميلانو. وقد تأسست هذه الكلية في القرن الرابع عشر الميلادي.

(٢) الفينيسانية : نسبة الى مدينة فينيسيا في شمالي شرقي إيطاليا ، وهي مدينة البندقية ، المرفأ الإيطالي المشهور.

(٣) جزيرة بورتو سانتو : إحدى الجزر الصغرى التابعة لجزر ماديرا. تقع في المحيط الأطلسي على مسافة ٦٤٥ كلم تقريباً الى الغرب من كازابلانكا.

افريقيا. وأقول في نفسي أليست الأرض كالكرة المستديرة أيعقل أن تكون الجهة الثانية من الأرض كلها مياه. لا. اذن فلا بدّ من اكتشاف شيء جديد. وقد وطّد عزيمتي ما قصّهُ عليَّ أحد بحارة البرتوغال وهو أنهُ رأى على وجهِ المياه أخشاباً صنع يد بشرية قذفتها الرياح في الأوقيانوس الأتلانتيك[1]. ووجدوا أيضاً في جزائر اسورس[2] «ما بين أوربا واميركا» في البحر الاتلانتيكي جثتين غريبتي البنية. كل هذا يا أبتِ حملني على الجزم بوجود عالم جديد فحدثت نفسي باكتشافه.

جوان : (إلى فرنسوى) يا لهُ من ذكي متوقد الذهن سيكون من اعظم خدام الإنسانية وأكبر نصراء الصليب.

فرنسوى : ولله درك من ساذج مثله تعتقد ما يعتقده ولا بدع فشبيه الشكل منجذب اليه. (الى كولومب) دعنا يا رجل من هذه الأضاليل.

كولومب : يلتفت بفرنسوى متمرمراً.

جوان : (إلى فرنسوى) اخرج من هنا أيها الجاهل.

فرنسوى : وابقَ أنت هنا وابن مع أخيك في الجنون القصور في اسبانيا. (يقول هذا ويخرج ضاحكاً).

مرتين : قد استرحنا من فلسفته تمم حديثك يا كولومب.

كولومب : عزمت عزماً وطيداً على اكتشاف العالم الجديد ولكن ضيق ذات يدي كبّلني بقيود ثقيلة فعزمت على مفاتحة دولتي بذلك وعرضت مشروعي

---

(١) الأتلانتيك : المحيط الأطلسي ثاني أكبر محيط في العالم بعد الباسيفيكي، يفصل بين افريقيا وأوروبا من الشرق بالولايات المتحدة من الغرب ويتصل بكل من المحيط الهندي عند جنوب افريقيا، والمحيط الهادي عند جنوب القارة الأميركية كما يتصل بالمحيطين المتجمد الشمالي والجنوبي. يغطي ٢٠٪ من مساحة الأرض الكليّة أي ١٠٦ مليون كلم².

(٢) جزر أزورس : مجموعة من الجزر الى الشمال الغربي من جزر ماديرا، في المحيط الأطلسي، تقع بين خطي عرض ٣٦ْ و٣٩ْ شمالي خط الاستواء. وخطي طول ٢٤ و٣١ غرب غرينوتش. وهي مكونة من تسع جزر صغيرة رئيسة وبعض الجزر المتناثرة على طول ٦٨٢ كلم من المحيط.

على مجلس جانوا فرفض الطلب ساخراً بي سخرية هذا الراهب. فتركت بلادي قائلاً لا يكرّم نبيٌّ في مدينته وعدت الى ليزبونه وعرضت على ملك البرتوغال افكاري وطلبت أن يمد لي يد المساعدة فلم يرفض وبعد قليل ألّف لجنة علمية طرحت على مائدتها آرائي فقررت أنها آراء فاسدة مزيفة فلم يقنع بذلك وعين لجنة ثانية فأيدت رأي الأولى واذ رأت الملك معتقداً اعتقادي طلبت منهُ أن يرسل قبطاناً من قبله لاكتشاف ذلك العالم الجديد فأرسل سفينتين تحت رئاسة احذق البحارة فبعدما سافروا مدة قليلة عادوا يقولون ان مشروعي وهم ومحال فتركت تلك البلاد قاصداً فينيسيا [1] الجمهورية طالباً منها المدد فلم أظفر بغير الخيبة والآن أنا كما تراني قد أنفقت كل شيء ولم أعد أملك شروى نقير ولو لم تأووني هذه الليلة لكنت هلكت جوعاً.

جوان : مسكين أنت يا كولومب. اسأل الله أن يفرّج أزمتك ويريك جزاء اتعابك سعادة الدارين.

كولومب : أنا لا أطلب يا أبي غير التوصل الى العالم الجديد فاما أن نزداد مدنية أو نمدن أولئك الناس التائهين في بيداء الهمجية. طفت كالبؤساء من بلاد الى بلاد حتى وصلت اسبانيا هذه المملكة الواسعة المتراخية الأطراف كما أنني أرسلت أخي برتلماوس ورفيقي في هذا الجهاد الى جلالة هنري السابع [2] ملك انكلترة فعسى الله أن يقيّض لنا يداً كريمة تجري منها أنهار الكرم والجود وتساعدنا على هذا المشروع العظيم.

جوان : أنا من رأيك يا كولومب ولو لم أكن راهباً لكنت أطلب الانتظام في

---

(١) فينيسيا : مدينة إيطالية في شمالي الادرياتيك وهي المعروفة بالبندقية ، تقع على مسافة ١٦٢ ميلاً شرقي مدينة ميلانو ، وهي مرفأ تجاري مشهور.

(٢) هنري السابع : أحد ملوك بريطانيا (١٤٥٧ـــ ١٥٠٩) ، كان ميالاً الى المغامرات العسكرية وبخاصة ضد فرنسا ، وقد غزاها سنة ١٤٩٢ ، وانتهى الغزو الى معاهدة صلح عرفت بمعاهدة ايتابل ١٤٩٢.

سلك بحريّتك الذين يركبون ذلك المركب الخشن في سبيل خدمة الإنسانية. آه يا ليتني أملك شيئاً من المال لأضحيه في سبيل هذه الخدمة الجلّى ولكن

لا خيل عندك تهديها ولا مالُ　　فليسعد النطق ان لم تسعد الحالُ[1]

سأكتب لك الى مرشد الملكة ايزابلا فهو صديقي الحميم وسيكون لك أكبر مساعد أمامها. إن ملكتنا يا كولومب تحب العلماء وتعتبر الأدمغة الكبيرة فأسرع اليها بجرأة ولا تخف. فلنشرع الآن بالكتابة.

مرتين　: ما أجمل هذا الاجتماع بعلّامة مثلك يا كولومب ان خدمتك ستكون باهرة للبشريّة وسيذكرها التاريخ بالاعجاب والتعظيم اذا خدمك الحظ. ولكن يا للأسف فالفلاسفة والأدباء والعلماء والشعراء أشقياء في كل زمان ومكان. طالع التاريخ فتجد لك أعظم تعزية على فقرك وشقائك. أفلاطون[2] وسقراط[3] وديوجين[4] عاشوا في الفاقة وماتوا في الفقر. ولكن أملي وطيد بالعناية الالهية فهي تمهّد سبيلك وتعدّ طريقك فلا تعثر بحجر رجلك. سأرافقك يا كولومب اذا توفقت الى السفر واضحّي ما تملكهُ يدي في سبيل هذه الخدمة الأدبية. ان الاغنياء يعشقون المال اما أنا فلا. هاك يا كولمب هذه الدراهم فهي تقضي حاجات سفرك.

---

(١) البيت للمتنبي وهو مطلع قصيدة مشهورة قالها في مصر مادحاً أمير الفيّوم الأمير فاتك، المكنّى بأبي شجاع.

(٢) أفلاطون: (٤٣٠ — ٣٤٧ق. م). أحد كبار الفلاسفة اليونان تلميذ سقراط ومعلم أرسطوطاليس، وهو مؤلف «الجمهورية» و«السياسة» و«المحاورات».

(٣) سقراط (٤٦٨ — ٣٩٩ ق. م.) من كبار الفلاسفة اليونان علّم في أثينا، كان يلقي دروسه في الشوارع ويعلم بالطريقة الحوارية، حكم عليه بتجرع السم. من تلاميذه: كسنيوفنتس، وأفلاطون.

(٤) ديوجين: (٤١٣ — ٣٢٣ق. م.) فيلسوف يوناني اشتهر بمعارضته التقاليد والعادات فحاربها وازدراها فلاقى من الناس ازوراراً واحتقاراً، لقبوه بالكلبي. (Cynique)

كولومب : شكراً لك أيها المولى على هذا الجود وأراني الله مثلك قوماً عديدين يعتبرون الآداب والأدباء ويجلّون العلم والعلماء.

جوان : واليك الكتاب يا كولومب. عجّل بالسفر الى مدينة كردو حيث تقابل هذا السيد العلّامة مرشد الملكة وتدفع الرسالة اليهِ. أما والدك دياكو فابقهِ هنا ما بيننا وثق انهُ سيصادف من اخوتي الرهبان ومني حنان الأم وشفقة الأب.

كولومب : (يتناول الرسالة ويلتفت الى ولده قائلاً:) تعال يا مهجتي اطبع على صفحات وجهك قبلات الحنان والمحبة الوالدية. سأتركك هنا ولكن إلى أجل غير بعيد لأن الأمل بالنجاح يلوح لي كخيط من نور في احشاء ظلمة مدلهمّة.

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرجُ

اقترب مني يا حبيبي فأضمك الى صدري ونقتبل كلينا بركة الأب جوان

(كولمب راكع وابنهُ واقف قربهُ يقبّلهُ والأب جوان رافع)

(يده يباركهما ومرتين ينظر اليهما متأثراً)

(وهكذا يطبق الستار)

الفصل الأول

القسم الأول

(يظهر الملعب بهيئة قصر الملك فردينان)

المشهد الأول

(الأسقف مرشد الملكة . جنود ذاهبة الى الحرب)

مرشد الملكة

ظلمتنا سيوفنا اليمنيَّهْ   واستبدّت رماحنا الخطيَّهْ
ومشى الناس للحروب الوفاً   بابتهاج لمجزر البشريّه
فكأنّ المسيح قد قال حبُّوا الـ   ـحرب واصلوا الاعداء نار المنيه
ليت عيني تعمى ولم أرَ فيها   كل يوم شقا نعاجي البريه
من زمان صاح الملاك على الا   رض سلام وراحة ابديه
في أورشليم قد علا الأمس صوت   ذاك صوت المسيح في الناصريّه
قال عيشوا براحة وسلام   واتركوا الحرب فهي شر بليّه
لعن الله ساحة الحرب كم فيها م   شقاء الملوك ثم الرعيه
رافع السماوات دون عمادٍ   رأفةً في جبلتكم التربيه
يطمع المالكون في شبر أرضٍ   يشتري بدماء شعب زكيه
ويقولون بالعدالة نبغي   حقنا فاعدوا ملوك البريَّه

(يسير عدة خطوات متفكراً والحزن بادٍ على وجههِ وفي حركاته). ثم تعزف الموسيقى من الداخل بنشيد الدعاء الملكي ثلاث مرات ويهتف الجنود بآخر كل مرة: «فليحيَ الملك» ثم يصرخ الجنود: الى الحرب الى الأندلس.

المرشد :

وإلى الشر ان صدقتم قولوا ليس في الحرب غير شر رزيّهْ
أمدى الدهر يشتكي السيف جوعاً
أمَا ترتوي القنا السمهرية[1]
يا صليب المسيح يا علم السلـ ـم ومحيي الرجاء في البشرية
أرمِ صلحاً بين الملوك ليلقى شعبك اليوم أطيب الأمنيه

(يسمع ضجيج داخلي فيسكت المرشد ويقف مبهوتاً إذ تدخل الجنود مارة في الملعب ازواجاً بخطى عسكرية تتقدمهم الموسيقى وهم ينشدون هذا النشيد الموقع على لحن الجزائر[2] المشهور):

نشيد

* بشرى لنا * ولّى العنا * نلنا المنى * في بطشنا * يوم الطعانِ *
* أسيافنا * لا تنثني * وقت التفاني * بحب الأوطانِ *
* صاح المدد * خصم ألدّ * حتى ارتعد * منا الجلد *
* ما أحلى الحروب * اذ تنني الكروب * والاعدا تذوب *
* فاشحذوا البيض الرقاق * واسرجوا الخيل العتاق * واهتفوا :
(فليحيَ فرديناند)

---

(١) السمهرية: صفة للرماح المنسوبة الى سمهر وهو زوج ردينة المشهورة كذلك بصنع الرماح. ومنهم من يقول ان سمهر اسم بلدة في الحبشة وتعني الرماح القوية الصلبة المستقيمة.

(٢) «لحن الجزائر» لحن موسيقي حماسي سريع الإيقاعات شاع عند الجوقات المحلية عندنا وعرف بهذا الاسم، ويرجّح أن التسمية انما جاءته من استخدامه لحناً للنشيد الجزائري...

تنبيه : إذا لم تكن موسيقى فيكتفي بهذا النشيد.
وإذا لم يكن غير عشرين جندياً فيمكن اظهارهم عدداً وافراً اذ يدخلون ثانيةً وثالثةً بدورانهم من وراء الستار الداخلي ودخولهم من حيث دخلوا أولاً ولكن بشرط أن يظلوا متصلين ببعضهم.

المرشد : (بعد ذهاب كل الجنود وسكوت الموسيقى يقف ناظراً الى الباب الذي خرجوا منهُ ثم يقول) :

يا جنود الاسبان للنصر سيري واحمدي الله بكرة وعشيَّهْ
واذا ما قضيتِ في الحرب قولي قـتـلـتـنـا المحبة الـوطـنـيَّـهْ

فظائع وآثام بلايا ورزايا ترافق الإنسانية من المهد. ما زال جوّ السلام مكفهرًّا مظلماً ونهار القناعة تغشيهِ غيوم المطامع. ملوك وسلاطين يقتتلون على حطام الدنيا اقتتال الآساد في الغابات. يجلسون على الأسرّة والعروش ويجنّدون من رعيّتهم جنوداً جرّارة يطرحونها في مهاوي الشقاء في البلاد البعيدة فيعكرون صفاء العيال الصغيرة ويقتلون راحة المساكين بأيديهم القاسية. أي اشعيا[1] النبي متى تأتي الساعة التي تنبأت عنها الساعة التي تصبّ فيها السيوف وآلات الحرب سككاً ومعاول لحراثة الأرض. أيها السيد الناصري يا رسول السلام ومنقذ آدم من رق عبودية الشيطان متى تنقذ الشعوب من هذه الشرور والويلات الدائمة. منذ أربعة عشر جيلاً نودي على الأرض السلام والى الآن لم تزل الحروب مشمّرة عن ساقها لم يزل ذلك الغول[2] الهائل يبتلع الشبيبة ويطحن عظامها بأنيابهِ الزرق. متى تنطفىء نار المطامع

(١) إشعيا : أحد أنبياء اسرائيل الأربعة ، قاوم آحاز ملك اسرائيل وكان من مستشاري حزقيا اثناء حصار سنحريب أورشليم ، مات شهيداً له نبوءة مشهورة امتازت بشدّة لهجتها وقوة شاعريتها.

(٢) الغول : حيوان نعرف اسمه ولا نعرف شكله ، وهو من الحيوانات الخرافية التي تناقلتها الحكايات الشعبية والخرافات. قيل ان العرب رأوها وان تأبط شراً الشاعر الصعلوك نازلها وقتلها. وهي كالعنقاء لا حقيقة لها.

في الصدور فيقف كل ملك عند حده ولا تكون للقوة هذه السيادة الحاضرة. آه ان ذلك لبعيد.

سيري بأمان أيتها الجنود الاسبانية الى بلاد الأندلس الى الموت تحت العلم الأسباني القاهر فأنا أسأل الله أن يرقق قلب الملكين المتحاربين فيروا أن في السكون خير بقاء لعروشها وتيجانها. ماذا تفيدنا الأندلس اذا خسرنا من رجالنا عدداً غفيراً وماذا تفيد سلطان غرناطة[1] مطامعهُ الغريبة وعناده الشديد اذا هلك جيشهُ وذهب من رعيتهِ الوف في ألوف. ان الأزمة شديدة فانقذ يا رباه المملكة الاسبانية. تولّى الملك فرديناند بنفسهِ قيادة الجيش فمن يضمن لهُ العود بالسلامة اكلأه يا رب بعين رحمتك واسكب على قلب الملكة الملتهب ماء العزاء والصبر. أي ايزابلا ابنتي الروحية اني اصلي لأجلكِ ولأجل مملكتكِ ليصونها الله من يد العدو ويجعل اسوارها من حديد فلا تزعزعها أيدي الطامعين وترتد الأبصار عنها كليلة.

يتمشى بسكون وتأمل.

المشهد الثاني

(المرشد وكولومب)

كولومب : (يدخل) تحية وسلام أيها السيد الجليل (يركع ويقبّل يده).

المرشد : (على حدة) ربّاه ماذا جرى؟! ماذا يريد هذا الغريب؟!

كولومب : سيدي احمل اليك هذا الكتاب من الأب جوان راهب دير رابيدا صديقك الحميم.

المرشد : الآن ارتاح خاطري. هات الكتاب أيها الرسول لنرى ماذا يريد صديقنا

---

(١) غرناطة : عاصمة المملكة العربية في الأندلس سقطت في ايدي الأسبان سنة ١٤٩٢ ، أشهر آثارها ، قصر الحمراء. ما زال شاهداً على الحضارة العربية في الأندلس.

الفاضل (يدفع اليه الكتاب فيقرأهُ وكولومب ينظر اليهِ واذ ينتهي يقول) : آه ما أعذب راحتك يا صديقي جوان. انك بعيد عن ضوضاء العالم لا تقلق خاطرك مشاغل البشر التي تلقي على منكبيّ احمالاً ثقيلة. أنت تحت سماء الدير بمعزل عن معترك السياسة ولذلك تحسب كل شيء سهل المنال. لا تعلم ان الظروف تجعل المرء عبداً لها. ليتك تحضر وتشاهد بأُمّ عينك قلق هذه المملكة لما كنت ترسل الينا مثل هذا الرجل الذي تحدثهُ نفسه باكتشاف عالم جديد.

كولومب : مولاي لا بل أنا متأكد ذلك وكأنني أرى الآن أمامي من وراء البحار الهائلة اخوتنا في الإنسانية الذين وقف بيننا وبينهم كرور الأيام والأعوام.

المرشد : حقق الله آمالك يا ولدي ولكن الأجدر بنا أن ندع أولئك الناس في وحدتهم فخير لنا أن لا نعرفهم لئلّا نعلّمهم من ضروب الشقاء ما ليس عندهم.

كولومب : انجهل يا سيدي ان هذا العالم الجديد ممّا يزيد مملكة اسبانيا قوة وبطشاً وغنًى وافراً وجاهاً طويلاً عريضاً.

المرشد : دعنا يا بني من هذه التعللات والأماني فما يتفيأ ظلال العلم الأسباني يكفيه. دعنا من العالم الجديد لئلّا يزيد شراهة الملوك ويدفعهم الى الحرب فلا تكسب الانسانية غير ويل وشقاء ألا ترى كيف أن الحرب مشمرة عن ساقها في بلاد الأندلس حتى جبلت تراب تلك الأرض بدماء البشر وكم ذهب من النفوس في تلك الجزرة الهائلة التي سد انينها مسامع الفضاء وعلا صراخ الضحايا الى السبع الطباق[1].

كولومب : سمعت بذلك وقد مسّ قلبي منظر الجنود الذاهبين الى الحرب

---

(١) السبع الطباق: السموات السبع، وقيل لها الطباق لمطابقة بعضها بعضاً.

والابتسامة على أفواههم وهم ينادون: فليحيَ الوطن! فليعش الملك!

المرشد : إذن لا تعلل نفسك بمقابلة الملكة فهي مشتغلة عن كل شيء بإعداد المهات والذخائر اللّازمة. هي تنظر الى ما وراء الغيب نظرة الأمل ممزوجة بالخوف تنظر الى جيوش الأعداء الواثبة كالاساد في مرابضها وهي تود أن تقبض على ناصية المملكة الاسبانية لو قدرت. آه من الطمع.

كولومب : حقق الله آمال هذه الملكة العظيمة. ولكن أملي وطيد بأنها تتنازل الى مقابلتي رغماً عما يشغلها في الأحوال الحاضرة فقد سمعت عنها أنها تحب العلماء وتصبو الى الأفكار الجديدة.

المرشد : انها لكذلك أيها الرجل وأنا أيضاً أحب العلم الذي يقرب الناس من الدين ولكن أفكارها في أشد الاضطراب ومن العبث يا ولدي أن نباحثها في هذا الشأن فلربما تغضب وعلى الفور ترفض.

كولومب : ان أملي لكبير فيك أيها السيد النبيل بعدما عرفت من صفاتك العالية من صديقك جوان راهب دير رابيدا ولهذا أراني اتجاسر وأسألك أن تستأذن لي بالدخول عليها.

المرشد : ان هذا لا يكون في هذه الأزمة الحرجة فلا تعلل نفسك بالمحال ولا ريب عندي انك اذا حظوت بمقابلتها لا تفلح وذلك بدخولك الأمور من غير ابوابها فاصبر يا ابني فالأمور مرهونة بأوقاتها.

كولومب : ساعدني أيها السيد الخطير والله من وراء أعمالك. مهّد سبيلي ليحفظ لك التاريخ اعظم ذكر وأطيب ثناء. اعضدني ناشدتك الله.

المرشد : سأساعدك انما عليك بالصبر.

كولومب : مولاي خير البر عاجلهُ.

المرشد : قد ازعجتني أيها الرجل.

كولومب : ازعاج الابن لأبيهِ.

المرشد : اتطمع باكتشاف عالم جديد وقد سبقك قوم كثيرون علماء فلاسفة جغرافيون مهندسون ولم يحلموا بهذا الحلم الجديد. حقيقة ان آراء الانسان ومطامعهُ لبعيدة غريبة. ولكننا إذا سلّمنا بما تقول لا نرضى ان تقابل الملكة الآن لئلا تعود بالفشل فعد من حيث اتيت وادعُ للملكة بالنصر وأنا أسأل الله أن يوفقك الى ما بهِ الخير.

كولومب : سيدي! طفت العالم ولم يسمع ندائي أحد ناشدتك الله خذ بيدي.

المرشد : لو تنسم أحد في كلامك الصدق لسمعهُ ووعاه فاذهب عنا الآن وعدّ عن هذا الالحاح انهُ لضرب من الجنون.

كولومب : جنون. جنون كلمة لم أزل أسمعها منذ ثماني عشرة سنة آه ما أصعب ولادة الحقائق الجديدة فانها لا تبصر النور ما لم تتمخض بها الأجيال والدهور.

المرشد : لا تقل الحقائق يا رجل بل قل الأماني والأحلام.

كولومب : حقائق يا سيدي حقائق.

المرشد : قد ضاق صدري. حقائق ولا بأس. وثق أنها لو كانت الجواهر ملقاة على مسافة يومين أو ثلاثة وقيل للملكة ان تعيرها جانباً من اهتماماتها لما قبلت في الحالة الحاضرة فإن الأهم ادعى للاهتمام منهُ من المهم. أفهمت ما أقول لك؟

كولومب : (يهمُّ بالخروج) زودني بركتك وادعُ لي بالتوفيق.

المرشد : أسأل الله ان يوفقك يا بني.

* * *

المشهد الثالث

(الكردينال ، المرشد ، الونزو)

المرشد : يزعم المسكين كولومب أنهُ سيخدم الإنسانية وسينقذ عالماً جديداً من رق الهمجية وقد ذهب هذا المذهب غيره من الجغرافيين والملاحين كما يزعم المتفلسفون بوجود عالم ثانٍ في المريخ. آه ما أوسع أفكار هذه الجبلة الترابية منذ البدء وهم راكبون سفينتهم المحطمة يمخرون بها بحر الفلسفة الهائج والى الآن لم يهتدوا الى ميناء الخلاص والسلام. أرض جديدة؟ هذا فكر غريب واني لأخجل أن افاتح الناس بهذا الفكر. خرج كولومب ولا أدري الى أين ذهب لا ريب أنهُ سيفاتح بهذا الرأي غيري من البلاط الملوكي بيد أنني سأجتهد في البحث في هذه المسألة المهمة التي لم تخطر لي ببال مع كل خبرتي الواسعة بفن الجغرافية وعلم الفلك ولا يبعد أن تكون أعمال الله عجيبة. اسمع وقع أقدام. من القادم يا ترى؟ ذلك كولومب؟ لا هذا نيافة الكردينال وصديقنا الونزو (يدخل الكردينال) سلام أيها السيد الجليل (يركع ويقبل يده).

الكردينال : كيف حالك أيها الأخ المحترم.

المرشد : اطلب بركة سيدي ودعاءهُ.

الكردينال : هل سمعت بآراء الرجل الإيطالي وقوله بوجود عالم جديد.

المرشد : وهل بلغت مسامع نيافتكم وكيف رأيتها؟

الكردينال : نعم وقد رأيتها قريبة التصديق.

المرشد : (على حدة) عجباً الكردينال من هذا الرأي. أنت تصدق يا سيدي؟ ان المسألة خطيرة ولا تظهر بغير البحث المدقق وسنرى رأي العلماء بها ولكنني استبعد أن تكون

الكردينال : ولماذا تعجب يا أخي ألم تكن كل الأفكار الجديدة مثلها عرضة للهزء والسخرية ومع ذلك فإننا اليوم نسخر بمن لم يصدقها.

الونزو : نعم وأين الغرابة في رأي كولومب الا يحتمل ان وراء هذا البحر الطويل العريض بلاد مثل هذه البلاد. ما زلنا نرى الجزائر التي تكتنفها البحار من كل جهة فكيف نرفض رأي كولومب يا ترى.

المرشد : أنا لا أصدق ما تصدقون ولا استطيع أن أسلِّم بذلك أبداً ما لم يؤيد بالبراهين فاعذروني على قصر معرفتي.

الكردينال : اننا نعذرك ولكننا لا نسألك عما اخطأْت بهِ ضد كولومب.

المرشد : وبماذا أخطأْت اليه.

الكردينال : لم تدعهُ يقابل الملكة.

المرشد : فإذاً أخبركم كل ما جرى بيني وبينهُ؟؟

الكردينال : نعم. وهو يتذمر كثيراً من سيادتك ولم يكن ينتظر أن يصادف لديك ما صادفهُ لأن شهرتك العلمية جرأتهُ على الطمع بحلمك.

المرشد : وأنا شفقة على آمالهِ ان تتبدد كالهباء المنثور لم أسمح لهُ بمقابلتها في هذه الأزمة الحرجة لأنني واثق بأنهُ لا يعود بغير الخيبة والفشل.

الونزو : سيدي! ها الملك والملكة مقبلان.

* * *

المشهد الرابع

(الملك. الكردينال. المرشد. الونزو. انتوان. حاجبان)

الملك : بماذا تتحدثان؟ فإنني أرى فرنندو بارتباك.

المرشد : نعم يا سيدي فإن آراء الإيطالي الجديدة غريبة.

الملك : ومن هو هذا الايطالي.

الكردينال : هو كريستوف كولومب يا سيدي.

الملك : وبأي آراء جديدة أتى.

الكردينال : يقول ان قسماً من الأرض لم يزل مجهولاً.

الونزو : وبأن تلك الأرض إذا اكتشفت ستزيد اسبانيا رفعة ومجداً وعلاء

الملك : ما رأيك يا انتوان

انتوان : حديث خرافة يا أمّ عمر.[1] اسمع يا مولاي واضحك.

الملك : ان هذا الكلام المجرّد لا يُعوّل عليهِ أما إذا أسنده بالبرهان نستطيع أن نحكم بصحته أو فساده.

انتوان : إن الرجل مجنون يا مولاي اذا سمعت حديثهُ تظنهُ يكلمك بالهندية واذا تنازلت لمقابلتِهِ سترى.

الكردينال : وهو قد طلب مني مراراً أن أمهد لهُ سبيل التشرف بالمثول امام جلالتكم. أفيأمر بذلك مولاي.

الملك : نعم نأمر لا بأس من مقابلتهِ فني الزوايا خبايا. اذهب أيها الحاجب وادعُ كولومب الى مقابلة مولاك.

الحاجب : سمعاً وطاعة يا مولاي....

الملك : سنرى هذا الرجل ونسمع ما عندهُ من الأفكار ولا يبعد أن يكون صاحب مقدرة عقلية وقد تصدق مزاعمهُ. فا «ينبت النرجس إلّا من بصل» ! ».[2]

---

(١) هذا القول عجز بيتٍ يبدي فيه صاحبه شكّه في ما جاءت به الأديان عن القيامة والحياة الأخرى والبيت :

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

(٢) هذا عجز بيتٍ لزين الدين عمر بن الوردي، لغوي وفقيه وأديب وشاعر ولد في معرة النعمان ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م ومات بالطاعون في حلب ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م. والبيت كاملاً :

انما الورد من الشوك وهل ينبت النرجس الا من بصل

وهو من قصيدة معروفة بـ «وصيّة الاخوان ومرشدة الخلّان» وهي منظومة اخلاقية حكميّة في سبعة وسبعين بيتاً، لا تخلو من تكلّف الصياغة، وسطحية الأفكار والصور. مطلعها :

المرشد : ما الأخبار الجديدة.
الملك : أخبار لا تسرك. اخبار الحرب يا فرننلو.
المرشد : (يهزُّ رأسهُ) ما أفظع شرَّ الحرب.

المشهد الخامس

(المذكورون وكولومب)

الحاجب : مولاي. بالباب كريستوف كولومب أتأمر بدخوله الآن.
الملك : قل لهُ يدخل.
انتوان : ستسمع من مضحكاتِه ما يجعلك تأسف عليهِ.
كولمب : سلام عليك أيها الملك العظيم.
الملك : أأنت تزعم أن في الدنيا عالماً مجهولاً وتقدر على اكتشافهِ.
كولمب : نعم مولاي وقد عرضت أفكاري على عدة ممالك ولم يسمع أحد طلبي واذا أمرت جلالتك فبراهيني عديدة وحجتي قوية دامغة.
انتوان : (يهز رأسهُ) آه ما أشد عناد هذا الرجل.
الملك : قد كنت أحب سماع براهينك ولكن الوقت لا يساعدني الآن فسأجتمع فيك مرة أخرى في غرفتي الخاصة وندرس المسألة درساً مدققاً (إلى المرشد) اجمع يا فرننلو علماء الفلك في مملكتي وتباحثوا مع كولمب في هذه المسألة فالحقيقة بنت البحث.
المرشد : امرك يا مولاي وفي أي مكان ترخص باجتماعهم.

أعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكرى لأيام الصبا فلأيام الصبا نجم أفل

الملك : في دير مار اسطفانوس للرهبان الدومينيكان. وأنت يا كولومب سأمدّ لك يد المساعدة عن قريب كيف كان الأمر.

كولومب : شكراً لك يا مولاي (ويذهب).

* * *

المشهد السادس

(الملك ـ الكردينال ـ الونزو ـ ستنجل ـ حاجب)

الكردينال : ان هذا الفكر يا سيدي الملك لمن أسمى الأفكار. آه ما أجلّ هذا الفخر الذي ستكتسبهُ مملكتنا اذا تمّ نجاح هذا المشروع الخطير فسيزداد عدد المسيحيين ان شاء الله. اننا لا نجهل خطر هذا العمل، وها أنا متصور أمام عيني العقبات التي تقف في سبيلهِ كالجبال الشمَّاء فخزينة المملكة مهزولة بداعي حرب الاندلس ولا أدري ما يكون من عاقبة هذه الحرب الطاحنة التي افقدتنا اموالنا ورجالنا.

الونزو : ستنتهي والنصر بجانب العلم الاسباني ان شاء الله.

ستنجل : ولكن كيف كان الأمر يجب أن لا نهمل كريستوف كولومب بل يجب أن يرى جلالة مولاي بآرائِه وافكاره التي ادهشت العلماء وأصحاب الأفكار.

الملك : سنرى بعدما يبسط لنا سيادة المرشد خلاصة الجلسة التي يعقدونها الآن. ولا يبعد ان اعضد هذا الرجل اذا لم يتطلب مشروعهُ مالاً وافراً ومعدات جزيلة.

الكردينال : ولكنني أرى انتوان سمير جلالتكم يعارض أشد معارضة هذا الفكر ويعدُّهُ من الخرافات والبدع الحديثة.

الونزو : ويصف مصدقيهِ بالحماقة والجهل. وقد كان المرشد يزعم زعمهُ اما الآن فلا يثبت ولا ينفي.

الملك : هكذا يصنع الحكيم في مثل هذه الأمور . وإذا رفض المرشد فذلك لأنهُ يخاف أن تهلك نفس واحدة من رعيتهِ في سبيل هذا العمل وهو مسيحي صادق ضنينٌ بالنفوس يحب خير المملكة وسعادة الشعب وقد اخبر الملكة بأنهُ لم يسمح لكولومب بالدخول لعلمهِ بأنهُ لا يصادف التفاتاً لديها نظراً لارتباك افكارها .

الونزو : ما أصدق هذا السيد الجليل وأشد اخلاصهُ ! .

الكردينال : انهُ يفعل واجباتهُ .

الملك : ولهذا يستحق الشكر الجزيل لأننا في زمان قلّ من يلتفت الى واجباتِه .

حاجب : « يلتفت الى الخارج حيث يسمع وقع اقدام ويقول) مولاي . قد أقبل المرشد ومعهُ انتوان وكولومب يطلبون المثول امام جلالتكم .

الملك : فليدخلوا (يخرج الحاجب) يقال ان ملكي فرنسا وانكلترا اعارا هذه المسألة الخطيرة التفاتهما . (يدخل المرشد وانتوان وكولومب) .

المرشد : مولاي عرضت افكار كولومب على لجنة العلماء والفلكيين وجمعتهُ بهم وبعد البحث الطويل والجدال العنيف كذبوا كلهم زعمهُ ولم يعتدّ بقولهِ غير رهبان الدير .

انتوان : انهُ لضلال مبين فلو كان يوجد عالم جديد لمابقي الى الآن في زوايا المجهول .

كولومب : قد أوردت لهم يا مولاي البراهين الحسية ولكنهم مع ذلك بقوا مصرين مكابرين ولا حجة لهم غير قولهم هذا محال .

الملك : (الى انتوان) أهذه كل براهينكم وحججكم ؟؟

انتوان : مولاي ان هذا الرجل بوم خرّاب ونذير بالدمار . فان ملك الترانسفال قد بحث بمسألتِه وأرسل بحارة فعادوا بعد اسابيع يهزأون بهِ .

الملك : وما رأيك أيها المرشد الفاضل فأنت فلكي ماهر علّامة كبير فقل لنا وكن مرشد الدين والدنيا .

المرشد : ان الحكم في مسألة كهذه يستوجب اعنات[1] الروية ولكن افكار كولومب ليست ببعيدة التصديق.

انتوان : انها لكفر وبهتان وهي تناقض الكتاب المقدس.

المرشد : ان البحث في أمور الدين لا يعنيك يا نديم الملك ولكنكم جماعة علماء هذا الزمان تتخذون الدين ترساً تحتمون به لقضاء غاياتكم. ان العلم والدين اخوان وان حاولتم التفريق بينهما. الدين لا يخالف هذا المشروع. أليس الله هو خالق كل شيء. أيمكن أن تكون أنت خالق ذلك العالم يا حضرة النديم الفلكي إذا اكتشفه كربستوف كولمب؟ فلا تتذرع بالدين لقضاء مآربك وتأييد رأيك. فالرأي لا يؤيد بغير الحجة والبرهان.

الملك : (الى المرشد) نطقت بالصواب يا سيادة المرشد.

حاجب : مولاي بالباب رسول.

الملك : قل لهُ يدخل. لا شك انهُ آتٍ من غرناطة فماذا جرى؟

الرسول : مولاي ان موقفنا خطر في بلاد الاندلس والحامية في احتياج الى الذخائر.

الملك : (يهمُّ بالخروج) الى كولومب! سأساعدك بعد انقضاء الحرب فقرّ عيناً.

كولومب : أطال الله بقاءك أيها الملك الأجلّ.

الكردينال : الونزو. ستنجل. ندعو لجلالتكم بالنصر.

(يرخى الستار)

---

(١) أعنت الفكر: اعمل الفكر في ما يشقه ويتعبه. والإعنات المصدر: إعمال الروية في ما يتعبها ويجهدها.

الفصل الأول

القسم الثاني

المشهد السابع

(يبقى المرسح كما كان)

كولومب (وحدهُ)

وعود عرقوبية[1] وآمال خائبة ما زلت في انتظارها في هذه المملكة. ما زلت يا فردينناد تعدني بمدّ يد المساعدة فتبرد نار اشتياقي الى اكتشاف العالم الجديد ولكن نار مطلك تحرق قلبي وتذيبهُ. يقولون ان وعد الحرّ دين فكيف وعد الملوك العظام يا ترى؟ آه لقد صح ما قالهُ الطغرائي :[2].

غاض الوفاءُ وفاض المطل وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل

---

(١) المواعيد العرقوبية : المواعيد الكاذبة. وعرقوب رجل من العمالقة من ساكني يثرب كان كذوباً يعد ولا يفي يضرب به المثل في الإخلاف بالوعود. كان ذا نخيل فجاءه أخوه يسأله شيئاً فقال إذا أطلع نخلي، فلمّا أطلع قال إذا أبلح فلما أبلح قال إذا أزهى فلما أزهى قال إذا أرطب فلما أرطب قال إذا أتمر فلمّا أتمر جزّه ليلاً ولم يعط أخاه شيئاً. فضرب المثل به في الخلف بالوعد فقيل «أخلف من عرقوب». وقال كعب بن زهير يصف إخلاف حبيبته سعاد في مواعيدها :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلّا الأكاذيب

(٢) الطغرائي ورد التعريف به في هامش ص ١٢ والبيت هنا من قصيدته الشهيرة «لاميّة العجم».

أهكذا يظل كولومب كقصبة في مهب الريح. لقد اجتمع علماء الأسبان وقرروا أن آرائي لا يليق بالملوك أن يكترثوا لها فأنا لا أقول الآن شيئاً بل أدع التاريخ يكذبهم اذا قدّرت لي المساعدة. دعاني الملك والملكة اليهما وبعدما قضيت السنين في انتظار وعدهما قالا لي بأن الحالة الحاضرة لا تمكنهما من مساعدتي وعند انتهاء الحرب سيكون ما أتمناه ولكن هذا الجواب لا يفي بالغرض المقصود والضالة المنشودة بل ليس غير جواب احتيالي للتخلص من لجاجتي آه ما أتعس حظي ! أنا أحبك يا مملكة اسبانيا ولهذا أتيت اليكِ ويعزُّ علي أن أعود منكِ خائباً. اليوم في هذا الصباح تلقيت رسالةً من ملك فرنسا وكتاباً من ملك انكلترة وتحريراً من ملك البرتوغال وهذا الأخير يطلب أن أعود اليه ولكنني لا أعود كوني أحب اسبانيا. أحب اسبانيا وحبذا لو بادلتني الحب فلا أكون محباً غير محبوب.

يا مليكة اسبانيا ويا مليكها ستندمان يوماً ما على كولومب. ستذكران أن الرجل غير مجنون بل هو يتكلم عن معرفة أكيدة ولا يهرف بما لا يعرف. قبحكم الله أيها العلماء الجهلاء وجوزيتم عني خيراً يا نيافة الكردينال ويا رهبان الدير. فقد كنتم أكبر عضد لي. انكم تمثلون الدين الذي يصافح العلم. والعلماء هم الذين يضطهدونهُ حتى نسبوا إليَّ الكفر والضلال لو لم يكذبهم المرشد.

طفت البلاد وما ظفرت بحاجتي فكأنها العنقاءُ[1] والخلُّ الوفي
ربّاهُ رفقاً انني لا ابتغي مجداً وغير رضاك لست بمصطفِ
فلأنت مسؤول بتوفيقي وما التوفيق الا بالعليّ الأشرفِ

قد جاهدت في سبيل امالي وسرت اليها على رغم أنف الأقدار ولكن الدهر أبى الاّ معاندتي فلا حول ولا . انما.

(١) العنقاء طائر نعرف اسمه ولا نعرف جسمه وهو طائر اسطوري خرافي قيل انه كلّما حضره الموت احترق وخرج من النار حياً من جديد. وهو لا حقيقة له. ولاستحالة العثور عليه قيل فيه وفي الغول: المستحيل ثلاثة: الغول والعنقاء والخلُّ الوفي.

على المرء أن يسعى الى الخير جهدهُ وليس عليهِ أن تتمّ الرغائب

الآن سأغادر اسبانيا كما جئت اليها وسألحد افكاري في ضريح السكوت منتظراً الساعة التي ينفخ لها ببوق الحياة فتنهض والاّ ستموت كما مات غيرها من ذي قبل.

غداً سأجتمع بك أيها الأب جوان وأقص عليك ما رأيت وسمعت. غداً سأجتمع بولدي الصغير دياكو الذي تركتهُ في دير رابيدا ثم آخذهُ وأغادر هذه البلاد منقاداً بأزمة الاقدار. فالوداع يا مملكة اسبانيا الوداع.

(يذهب وتدخل الملكة والمرشد والكردينال).

المشهد الثامن

(الملكة. الكردينال. المرشد. رسول. خادم)

الكردينال: اليوم تلقيت رسالة من كولومب يعلمنا بها عزمهُ على مغادرة اسبانيا وربما يكون غادرها الآن.

الملكة: يعزُّ على ايزابيلا ملكة اسبانيا ان تكون يدها قاصرة عن مساعدة كولومب آه ما أشأم الحرب فهي ويل على الظافر والمنكسر. فلولاها لاستطعت أن أمد كولومب بكل ما يشاء من المال ولكن ما العمل ومطاليب الحرب أكثر من مطاليب النساء. في كل يوم وساعة تطلب منا الذخائر واذ كنا نعجز عن القيام بالفروض فكيف نقوم بالنوافل[١]. فليذهب كولومب الى حيث شاء ومتى قدرت على مساعدتِه ساعدتهُ ولا أظنهُ يبخل بالعود الينا.

الكردينال: تاعس هذا الرجل! ورغماً عن مناهضة علمائنا لآرائِه فانا أعتقد بصحتها.

---

(١) النوافل جمع نافلة. والنافلة ما زاد في الصلوات أو في سواها عن الفَرْض الواجب. وهي شرعاً اسم لما شرّع زيادة على الفرائض والواجبات.

المرشد : قد يكون ذلك يا نيافة الكردينال ولكن العلماء قاطبة سفّهوا هذه الآراء وهزأوا بها ولم يصدقها غير بعض الرهبان. وقد كانت جلسة العلماء الثانية ضربة قاضية على مزاعم كولومب فقوّضت أركانها وهدمت بنيانها.

الملكة : تأكد يا أبي اننا اذا لم نساعد كولومب فما ذاك لأننا استهزأنا بآرائِهِ بل ذاك صادر عن عجزنا. هكذا يجب أن تعلم.

المرشد : كيف كان الأمر فحسناً فعلت.

الكردينال : اراك أيها الأخ مقاوماً لكولومب بكل قواك.

المرشد : أنا لا أقاومهُ ولكن أرى مسألتهُ ذات شأن.

خادم : سيدتي بالباب رسول يحمل الى جلالتكِ هذا الكتاب «يدفعهُ اليها».

الملكة : (تقرأ الكتاب ثم تقول) قل للرسول أن يدخل. (ثم تطرق مفكرة) (يذهب الخادم ويعود بالرسول) (الى الكردينال والمرشد) هذا رسول بعث به الينا الأب جوان راهب دير رابيدا وبه يخبرنا عن عود كولومب الى الدير وعزمه على الذهاب الى بلاد الانكليز. فما رأيكما الآن؟

الكردينال : ان سيدتي صاحبة الرأي الصائب.

الملكة : اذاً عُد يا رسول الى الدير وقل للأب جوان يحضر عاجلاً لنرى ما سيكون من أمر كولومب. ان هذه المسألة اشغلت بالي.

المرشد : فلتكن مشيئتك يا رب لا تسمح بضر هذه المملكة المحبوبة وهلاك الشعب. أرشدنا الى الخير يا الله. (يدخل الونزو وستنجل).

* * *

المشهد التاسع

(الونزو . ستنجل . الكردينال . المرشد . الملكة . جوان)

الونزو : سيدتي. تناولت رسالة من صديقي القائد العام في الأندلس.

الملكة : بربّك ما بها.

الونزو : اهوال يا سيدتي تشيب لها رؤوس الأطفال. العرب تهاجم الاسبان كالليوث الكاسرة. يقتحمون الموت كأنهم يهاجمون جباناً رعديداً.

الكردينال : آه ما اشد بأس العرب. ما أشجع هذه السلالة النبيلة.

المرشد : بل ما أشد جنون البشر. وويل لمن تهرق بسببهِ نقطة دم بشريّة.

الونزو : اليوم يا سيدتي يحاصرون غرناطة والعرب يدافعون عنها دفاع الليث عن اشباله.

ستنجل : وقد بلغني أن قد ذهب من رجالنا عدد غفير وان شوكة بأس العرب لا تزال قوية.

الملكة : سنشتري غرناطة بثمن غالٍ. ما أشد عذابي يا الله!

ستنجل : لا تجزعي يا سيدتي فالله من وراء أعمالكِ.

الكردينال : يظهر ان النصر بجانب العلم الاسباني.

الملكة : حقق الله الآمال.

جوان : (يدخل) سيدتي حسب امركِ السامي أتيت (يركع).

الملكة : انهض أيها الأب انهض.

جوان : أتيت يا سيدتي لأعرض على أعتابكِ مسألة كولومب التي اشغلت نوادي ملوك هذا العصر. فما رأي جلالتك؟

الملكة : ان شواغل السياسة تلهيني عن المسألة ولكن ما العمل وجوان يريد أن نهتم بها.

جوان : نعم أريد ذلك لأن بهِ أجلّ فخر للمملكة التي أحبها وأتمنى أن تكون سيدة البر والبحر.

الملكة : وماذا تعتقد برأي كولومب.

جوان : بصحته يا سيدتي وأكفل نجاح المشروع.

المرشد : الله وحده يعلم وهو الكفيل بالنجاح فلنتكل عليه هكذا يجب أن تقول.

الملكة : دعهُ يتمم.

جوان : فبراهين كولومب ساطعة كنور الشمس لا ينكرها غير كليل البصر. وقد بلغني أن سيدتي قد ارتاحت اليها أعظم ارتياح.

الملكة : نعم ان أفكارهُ الفتت انظاري.

جوان : فما المانع إذاً من رجوعهِ الى نادي جلالتكِ والاتفاق معهُ.

الملكة : لا مانع غير مشاغل الحرب الحاضرة.

جوان : انها أزمة ستنقضي بعد حين فإذا امرتِ عقد الاتفاق معهُ الآن وبعد انتهاء الحرب يبدأ بالعمل.

الملكة : إذاً عُدْ من حيث أتيت وقل لهُ يرجع.

جوان : استودعكِ الله يا سيدتي (ويخرج).

الملكة : رافقتك السلامة.

المشهد العاشر

(الملك ـ الملكة ـ الكردينال ـ انتوان ـ الونزو ـ ستنجل ـ كولومب)

الملكة : ما أصعب سياسة الممالك وما أضيق طريقها! فإنها مكسوة بقتاد[1]

(١) القتاد: شجر صلب له شوك كالابر. وفي المثل: من دونه خرط القتاد، أي ان خرط القتاد أسهل منه، أو أنه لا ينال الا بمشقة عظيمة كخرط القتاد.

المصاعب. فإنني لا أبيت ليلة مرتاحة الفكر. أريد أن أرتاح ولا أقدر لأن اسبانيا تطلب كل يوم مجداً جديداً.

المرشد : ما أقبح الطمع فقد أضرّ وما أنفع.

الكردينال : نعم ان النفوس العالية لا تشبع من المجد. (يسمع وقد اقدام) هوذا جلالة الملك مقبل. إنني أرى جبينهُ مشرقاً فماذا جرى؟ (يدخل الملك).

الملكة : سيدي ما أخبار الحرب.

الملك : لا شيء جديد غير جهاد وعذاب في سبيل غرناطة.

الكردينال : ستجتني ثمرة لذيذة من عذابها ان شاء الله.

الملكة : دعونا من حديث الحرب فهو مؤثر محزن. (الى الملك) قد كلفت الأب جوان أن يأمر كولومب بالرجوع.

الملك : وأي حاجة لنا بذلك الرجل؟

الملكة : اكتشاف العالم الجديد.

الملك : (يهزُّ رأسهُ) وهل مضى زمن على ذهابه؟

الملكة : أظن كولومب يصل عن قريب.

الملك : قد كنت أفضِّل تأجيل هذا الأمر ولكن ما كتب قد كتب ولا يليق بالملوك أن تعود إلّا عن الغلط.

الونزو : لا محل للندم يا سيدي.

ستنجل : نعم وملوك عديدون يحبون أن يعضدوا كولومب.

الملك : وأنا أحب أن أعضدهُ ولكن بغير الأزمة الحرجة.

انتوان : نطقت بالصواب يا سيدي ولا بأس من تأجيله.

الملك : لا أيها السمير فنحن لسنا كصبيان الأزقّة قد دعوناهُ فيجب أن نقوم بما دعوناهُ لأجلهِ فكلام الملوك ملوك الكلام.

المشهد الحادي عشر

(المذكورون وكولومب)

خادم : سيدي قد عاد الايطالي أتأمر بدخوله؟

الملك : نعم (إلى الملكة) أنتِ قد دعوتهِ فحدثيهِ بما تأمرين.

كولومب : (يدخل ويحيي).

الملكة : قد عزمنا يا كولومب على مساعدتك وفي هذه الساعة سنرى في شروط الاتفاق ما بيننا. خذ يا ستنجل ورقة وقلماً واكتب مطاليب كولومب ومطالبينا (ستنجل يتناول ورقة وقلماً).

كولومب : (بعد الافتكار) أولاً أُلقَّب بالقائد الأكبر على البحور التي اكتشفها وبنائب الملك على البلدان التي افتتحها وأُعطى كل حقوق هذين اللقبين وامتيازاتهما. ثانياً لي عشر ارباح تجارة تلك البلدان. ثالثاً تقدمون لي اللوازم من سفن ورجال وذخائر وغير هذا لا أطلب.

أنتوان : غير هذا لا تطلب؟ هذا قليل قليل يا حضرة القائد ويا نائب الملك. آه ما أعظم مطامعك. واذا خسرت المملكة فأنت ماذا تدفع؟

المرشد : ماذا تريد أن يدفع وهو لا يملك شروى نقير.

انتوان : إذاً فليدعنا وشأننا فنحن في غنى عن مشترى الأسماك في الأبحار.

الملك : إذا كانت هذه مطاليبك فلا أمل لك عندنا في المساعدة فدعنا واقصد سوانا.

الملكة : (تتأثر) آه ما أتعس حظ هذا الرجل.

الكردينال : وما أنكد طالعهُ.

كولومب : (يخرج والكدر ظاهر على جبينهِ).

الملك : هذا الرجل مطماع جسور فاحذروا أن يحدثني أحد في شأنهِ فيما بعد واسدلوا على مطاليبهِ الستار. (يخرج الملك ويتبعهُ انتوان).

المشهد الثاني عشر

(الملكة . الونزو . ستنجل . الكردينال)

ستنجل : انني اترامى على أقدامكِ واسألكِ ألّا تحرمي مملكة اسبانيا من شرف أبدي. ان كريستوف كولومب رجل نابغة نادر الذكاء وافكاره سامية. ولا عبرة بفقره فقد يوجد الدر في الاقذار. ان مشروعهُ يعود على المملكة بالخير فساعديهِ ناشدتكِ الله. عجباً كيف ترددين امام مسألة ربحها وافر والرجل لا يطلب غير سفينتين وثلاثين ألف ليرة. وما أعظم الأسف الذي يشملنا إذا اكتشف كولومب تلك البلدان بمساعدة مملكة غير مملكتنا.

الونزو : نعم يا سيدتي قد طلبهُ بعض الملوك وأنا اطلعت على كتاباتهم الى هذا العلّامة الكبير.

ستنجل : فساعديهِ يا سيدتي فبمساعدتهِ مرضاة الحق سبحانهُ وتعالى.

الملكة : انني أخشى أن لا يرضى بذلك. وما رأيك يا مرشدي الجليل.

المرشد : يفعل الله ما يشاء ويصعب عليّ الحكم على المستقبل المجهول.

ستنجل : اذاً لا أمل بذلك يا جلالة الملكة.

الملكة : بلى أنا أقول بذلك على اسم مملكة كستيليا وها اني عزمت منذ الآن على رهن مجوهرات تاجي الملوكي. فإذا نجحت كان سروري عظيماً وان خسرت فلا أسف على تلك الخسارة وفي كل الأحوال سيحفظ لي التاريخ ذكراً جميلاً وذلك حسبي وكفى (تأخذ ورقة وتكتب).

الونزو : ما أكرم هذه الملكة فإنها رجل في صورة امرأة وملاك في صورة إنسان.

ستنجل : انها العذراء الثانية التي ستنقذ عالماً جديداً بأسره من رق عبودية الهمجية.

الملكة : خذ أيها الجندي هذه الرسالة وابحث عن كولومب حتى تجدهُ ثم ادفعها اليه (الجندي يأخذ الرسالة).

ستنجل : أنا ذاهب يا سيدتي لأجهز المعدات.

المرشد : وأنا أصلّي الى الله ليكلل سعيك بالنجاح.

الونزو : أننا سنضحّي كل غال ورخيص في سبيل هذه الخدمة الوطنية (يخرجون جميعهم).

* * *

المشهد الثالث عشر

(الملكة وحدها)

تاجي ومجدي والمقام السامي سيظل رهناً كي أنال مرامي
إني وعدت بأن أمدّ يدي إلى كولومب هل استرجعنّ كلامي
اني عشقت العلم والعلماء من صغري فقدّسْ يا إله غرامي
يا رب لا أبغي بأعمالي سوى تمجيد اسمك باريء الآنام
ربّاهُ قرّب ساعةً فيها أرى الدنيا الجديدة قبل وقع حمامي
واجعل فؤاد الملك منعطفاً على كولومب كي أحيا بلا آلامِ
ستردد الاعصار: ايزابل قد ضحّت شعار المجد والاكرامِ
جعلت ضحيّتها شعار الملك كي تقضي لبانة عالم الاعلامِ

نعم هكذا سيقال. ولكنني لا أبالي باحكام المؤرخين ان نسبوا إليّ الطيش وجعلوا في تاريخي نقطة سوداء إذا لم ينجح مشروع كولومب. ماذا يقول الملك يا ترى اذا درى بعزمي على رهن تاج ملكي؟ والله لا أدري. انهُ سيغضب ولكنني أجيء

اليه بذلّ وخضوع فيرقّ فؤاده كما رقّ فؤاد احشورش[1] على مليكتهِ استير[2]. تلك قد سعت في خلاص شعبها وأنا أسعى الآن في خلاص شعب لا أعرفهُ ولا يعرفني وبهذا أتمم وصية سيدي يسوع المسيح. ربّاه خذ بيدي فأنت وحدك خير مسؤول.

(تتكي على كرسي بسكوت).

* * *

المشهد الرابع عشر

(الملك . الونزو . ستنجل . الكردينال . المرشد . كولومب)

الونزو : سيدتي! قد اتصل بمسامع مولاي الملك عزمكِ الوطيد على مساعدة كولومب وعن قريب سيأتي ليراك.

الملكة : ربّاه! احملهُ على مساعدتي وخلصني من غيظهِ. وهل ظهرت على وجههِ علائم استنكار فعليّ؟

ستنجل : لا يخلو الأمر من ذلك ولكن المرأة الفاضلة تستطيع أن تتصرف بقلب زوجها واميالهِ كما تشاء.

الونزو : ولو كان ملكاً فسلطان الحب الصحيح فوق كل سلطان.

الملكة : حقق الله أقوالكم (يدخل الملك) (تركع) عفواً يا سيدي اذا كنت فعلت امراً خطيراً قبل استمداد رأيك. قد كتبت الى كولومب وعن قريب يصل الى هذا المكان.

الملك : هذه هي المرة الثانية التي تأتين بها مثل هذا الفعل (يهزُّ رأسهُ).

الملكة : عفوك سيدي واذا شئت تفضل بوضع الشروط.

---

(١) أحشورش ملك الفرس ملك من ٤٨٦ — ٤٦٥ ق. م. توفي ٤٦٥ ق. م. ابن داريوس الأول. اخضع مصر واجتاح بلاد اليونان ثم غلب في سلامين ٤٨٠ ق. م. وانهزم الى آسيا. قتل هامان المنافق عدو اليهود، تزوج من أستير وهي من بنات اسرائيل فنالت منه العفو لأبناء شعبها الذين اضهدهم هامان الوزير.

الملك : الشروط حبر على ورق ولكن أين المال؟

الملكة : أنا اتعهد بتقديمهِ وقد عزمت على رهن مجوهرات تاجي.

الملك : رهن تاج الملك؟ أمر غريب! هذا لا يكون.

الونزو : ونحن لا نرضى بذلك أيضاً.

ستنجل : أنا اجمع المال بل قد جمعت أكثر من نصفهِ.

الملكة : ربّاهُ ما خاب من يدعوك.

الملك : وكيف جمعتهُ أيها الوزير؟

ستنجل : أقمت قرضاً على الرعايا وضربت الضرائب على الشعب.

الملك : آه ما أقسى الضرائب انها مقوّضة أركان العروش وزارعة بذور بغض الملك في قلوب الشعب. أنا لا أرضى بالضرائب أيها الوزير. الشعب فقير فلا تحرجوه. الشعب نائم فلا توقظوه. وليكن لنا قدوة بمرقس أوراليس[1] الذي باع أثاث قصره ولم يطلب بارة واحدة من رعيتهِ. ارجع المال الى الشعب فقد كفاه ما قاساه من الضيق في هذه الحرب الأخيرة.

ستنجل : لقد دفعوا يا مولاي عن طيبة خاطر.

الملك : آه ما أكرم شعب اسبانيا. لا بأس ولكن لا تجمع شيئاً فيما بعد. خذ أيها المرشد واكتب الشروط لتدفع الى كولومب فور دخوله فإذا قبل بها كان بهِ وإلّا أخرجوه من أمامي واطردوه من أرض اسبانيا فقد ازعجنا هذا الرجل.

* *

(١) مرقس أوريليوس: امبراطور روماني (١٢١-١٨٠ م) من اعظم الأباطرة الرومان من السلالة الأنطونية، التي حكمت روما في القرن الثاني. اشتهر بفضيلته وبحكمته، جال في مصر وسوريا ثم عاد الى روما سنة ١٧٦. حيث توفي بعد أربع سنوات.

صك الاتفاق

(١ً) لكولومب وسليلتهِ لقب الأميرال الأكبر في البحور والبلدان والأراضي التي يكتشفها مع حقوق هذا اللقب وانعاماتِه.

(٢ً) يُلقَّب كولومب بنائب ملك على الأراضي والبلدان التي يكتشفها. وأمر تولي المناصب في الجزائر والأقاليم منوط بالملك. إنما لكولومب حق الانهاء بثلاثة يختار الملك واحداً منهم.

(٣ً) لكولومب عشر الارباح الشرعية التي تنتج عن تجارة البلدان التي يكتشفها.

(٤ً) لكولومب أو وكيله حق فصل الخلاف الذي يقع في اسبانيا بالأمور التجارية في البلدان المار ذكرها.

(٥ً) يُقدّم لكولومب ثمن المصارفات المقتضية عن المستقبل والحاضر للسفر إلى البلدان المراد كشفها ولهُ الحق بثمن الأرباح الناتجة من تلك البلدان.

(في ٧ نيسان سنة ١٤٩٢)

كولومب : (يدخل مسلِّماً)

الملك : أعرض على كولومب الشروط أيها المرشد فإننا نريد أن نضع حداً لهذه المسألة.

المرشد : هذه هي الشروط يا كولومب فاقرأها واشكر انعام الملك.

كولومب : (يقرأها) قد قبلت بها (يضحك من شدة الفرح).

الملك : إذاً اخرجوا أيها الوزراء وأعدّوا السفن والبحارة الذين سيرافقون كولومب وعاملوا الشعب بالرفق واللين. وأنت أيها المرشد أكتب لكولومب امراً بهِ نقضي على سائر بلدان المملكة بتقديم كل ما يلزم لهُ.

كولومب : الآن قد أدركت ضالّتي المنشودة. الآن نفسي فرحت. شكراً لك أيها الملك وأنتِ أيتها الملكة لا أشكركِ بل أدع شكركِ للتاريخ واذا سكت تنطق الحجارة (يخرج ومعهُ المرشد والوزيران).

المشهد الخامس عشر

(الملك ـ الملكة ـ الكردينال ـ الونزو ـ مرتين ـ المرشد ـ الشعب ـ انتوان)

الكردينال : ما رأيك مولاي وهل تظن أحداً من الشعب يخاطر بنفسه ويرافق كولومب؟ فأنا لا أظن ذلك.

الملك : وأنا لا أظن. ولكن القوة لازمة في بعض الأحيان.

الملكة : وكيف ذلك؟

الملك : اذا لم يقنع الشعب يجب أن نخضعهُ بالقوة.

الكردينال : مولاي لا تعامل شعبك بالقسوة فما لاقاه من شقاء الحرب يكفيهِ.

الملكة : لا أمل بانقياد الشعب عن طيبة خاطر.

الملك : ربّاه إنّ الأمر لشديد ألهمني أصنع مشيئتك (يسمع ضجيج).

الونزو : (يدخل) قد هاج الشعب وثارت الخواطر وكاد الناس يضربوننا بالعصي فماذا تأمر أن نجري؟ ـ الملك (يطرق برأسهِ).

الملكة : ما هذا الضجيج؟

الونزو : جمهور من الشعب يحدثون مظاهرة.

الملك : احذروا أن يشتمهم احد فأنا أنا أخاطبهم.

انتوان : ان كولومب لا يغادر اسبانيا قبل أن يهدم الملكية قبحهُ الله من عذاب سوء وبوم دمار (ضجيج عظيم وهتاف).

الشعب : لا نسافر لا نسافر ما هذا الجور ما هذا الظلم. (يدخلون على الملك).

الونزو : اسمعوا أيها الشعب فالملك يريد أن يخاطبكم.

الشعب : لا نريد لا نرضى

الملك : اسمعوا أنا لا أريد غير شرف اسبانيا ومجدها ولهذا أدعوكم الى مناصرة كولومب.

زعيم : ما هذا الشرف ما هذا الوهم اذا كنت تريد أن تميتنا فر بقتلنا بين أهلنا

وأصحابنا ولا تطرحنا في أعماق اللجج فنحن لا نغادر وطننا بل نفضِّل الموت فيهِ.

الشعب : نعم، نعم.

الملكة : انصتوا يا أبنائي انا ملكتكم ايزابيلا اخاطبكم.

الشعب : أنتِ أمنا فاشفقي علينا.

الملك : اذا لم تخضعوا أمرت الجنود باجباركم.

الشعب : حبذا الموت في الوطن.

مرتين : اخواني اسمعوا: تعلمون أنني رجل منكم وحياتي عزيزة لدي فثروتي واسعة وشهرتي عظيمة ولا أطمع بشيء من هذه الدنيا. أنا ملّاح مشهور وأريد أن أرافق كولومب فما قولكم؟ (الى الملك) مولاي أنا أول المتطوعين في خدمة كولومب واقدم مالي اذا لزم الأمر (يسكت الجمهور).

الكردينال : هوذا مرتين الونزو يتقدم الى مرافقة كولومب ولو كان في الأمر خطر لما تقدم. فما رأيكم ألا تسلِّمون بالذهاب؟

البحارة : سلّمنا اطعنا.

الملك : انفخوا الأبواق وانشدوا نشيد الحرب وسيروا الى افتتاح العالم الجديد.

(تنفخ الأبواق) (نشيد).

يا حبذا فتحٌ قريب	ألبابنا فيهِ تطيب
يا قوم سيروا واقدموا	والى البحار تقدّموا
فلكم وراها مغنمُ	وهنالك الأمر العجيب
سيروا ولا تخشوا الخطر	حتى تفوزوا بالوطر
لا ترهبوا بطش القدر	ان كان ترسكم الصليب

وعند الانتهاء يركع جميع المسافرين ويباركهم الكردينال.

(يرخي الستار)

الفصل الثاني
القسم الأول

(يمثل الملعب سفينة السانتا ماريّا في البحر)

المشهد الأول
كولومب

أنا ملقًّى بأفواهِ المخاطرْ ... وما لي في البلاء سواك ناصر
عليك بنيتُ آمالي فجدْ لي ... بصبرٍ لم يخب في الناس صابرْ
إلهي لا أرى إلّا شقاءً ... وغير وعيد قومي لست ناظر
كأنّ يمين هذا الدهر خطَّت ... بلائي آه انَّ الدهر غادر
بقيت وراء آمالي مجداً ... بعزمٍ لم يروهُ قط خائر
وقد ادركتها من بعد ذلٍّ ... عظيم فطِّرت منهُ المرائر
وها اني على الابحار اسعى ... الى قصدي وما ليَ من مسامر
رجالي كلهم في اليأس غرقى ... وان اليأس للابطال قاهر
وقد هاجوا عليّ الآن حتى ... ظننت بأنني باغٍ مكابر
وما فعل الضعيف ازاء قومٍ ... على اعدامِهِ عقدوا الخناصر
فيا ربّاهُ كن في البحر عوني ... كما قد كنت لي في البر ناصر

(يسكت) (نواح في الداخل)

ان هـذا الـنـواح قطّع قلبي   قـطّع الله قلب هذا النواحِ
ان قـلبي كـقـلبهـم جرّحوهُ   فاشفِ ربي جراحهم وجراحي

مرٌّ هو فراق الأوطان فابكوا على أوطانكم أيها الرجال. أنا لا أبكي مثلكم لأنني لا أعرف وطني. وطني العالم واخوتي الناس. وطني العالم الجديد اذا توفقت الى اكتشافهِ. يا رب شدّد عزيمة هؤلاء الرجال واخمد نار ثورتهم عليّ. ما بالهم يضجون. ما بالهم يعولون. قد اقتربوا مني فلأبعد عنهم (يدخلون).

* * *

المشهد الثاني

(ألفونس. مرتين. فيراندو. فينشنته. لويس. بينزون)

ألفونس : هنا بعيداً عن الأوطان سأموت. هنا في هذه اللجج الهائجة سيكون ضريحي. سأذهب ضحية مطامع الملك والملكة وذاك المجنون كولومب. آه أين أنتِ أيتها الأوطان؟ أيتها الأرض التي ابصرت فوقكِ النور واكتسبت من هوائكِ ومائكِ القوة والنشاط. أين أنتِ يا أمّي الحنون؟ هنيئاً لكَ يا أبي فلقد متَّ قبل ما رأيت ابنكَ يشقى ويُعذّب في قلب الأوقيانوس الهائج. ما أسعد حظكِ أيتها الأسماك فقد ساقنا إليكِ الجنون قوتاً وغذاءً لم تذوقيها قبل الآن! يا لها من مصيبة عمياء! واشوافي إليكِ يا سماء اسبانيا النقية ويا أرضها الجميلة. واأسفاه أين نحن؟! بين سماء وماء وهيهات أن نرى الأرض فيما بعد.

مرتين : الأرض حلم غريب لا أمل بمرآها أيها الصديق. فمن فوق البحار أمدُّ يدي لأعانقكم يا أولادي. آه ما أمرّ الفراق! ما أمرّ تلك الساعة التي ذرفتم بها دمعة الوداع وطوّقتم عنق والدكم بأذرعكم اللطيفة. أي ابناء وطني الاسباني نوحوا على الونزو واندبوهُ فهيهات أن تروا الونزو فيما بعد!.

فارقتكم اذ ظننت الله يجمعنا ... واليوم أصبحت لا أرجو تدانينا
بنتم وبنّا فما ابتلّت جوانحنا ... يوم الوداع ولا جفّت مآقينا
يا أيها البحر رفقاً ان صبيتنا ... بالذل والويل ترثينا وتبكينا
يا بحر كن مشفقاً وارحم صباءهم ... أأنت كالملك فردينان تشقينا
بالله أيتها الأمواج مرحمةً ... تأملي وانظري فعل الجفا فينا
ما عدت أرجو لقاءً فيك يا وطني ... في موقف الحشر قد أضحى تلاقينا

(ويبكي)

فيراندو ما أمرّ الموت في غير الوطن. ولكن ما العمل وسهم القضاء قطّع أكبادنا ومزّق قلوبنا. ساق لنا القدر كولومب المجنون حتى استاقنا الى هذا البحر كما تساق النعاج البريئة الى المجزر! ولكن سيلاقي عقابهُ ان شاء الله. فاذرفي الدمع يا عيوني وزيدي مياه البحر امواهاً ويا حر انفاسي احرقي اخشاب هذا المركب واريحينا من هذا العذاب وهذا الشقاء.

فارقت أوطاني وقلبي ذائب ... أيرى الهنا في فارق الأوطانا
فارقت اخواني وكان أحب لي ... موتي ولست أفارق الاخوانا
كانوا المياه واني متعطش ... أيعيش مرءٌ ظامئاً عطشانا
نادى بفرقتنا غراب اسود ... يبليه ربي مثلما ابلانا

فينشنته

تغربت عن أهلي ويا طول غربتي ... ويا أسفي اني أموت غريبا
ويصبح في أعماق ذا البحر مسكني ... فطوبى لمن يقضي هنالك طوبى
تكفّنهُ ايدي المحبين بالبكا ... ويقضون أياماً عليهِ نحيبا
ألا يا ترى الأوطان جادتك مزنة ... فقد كنت للقلب الجريح طبيبا

الآن يا اخوان يجب أن نقيم مأتماً ونحن احياء لأن بعد موتنا ليس من يصنعهُ لنا. تعالَ يا لويس واسمعنا صوتك الشجي ودعهُ يمتزج مع أنين الأمواج أسفاً علينا.

لويس

في قعر ذا البحر يمسي اليوم مضجعنا فيا لها ضجعة في موطن العدم
رحنا ضحية ملكٍ لا فؤاد لهُ وجاهل ككولومب الفاقد الشمم
اسبانيا ألبسي من بعد ميتتنا ثوب الحداد وسحّي الدمع كالعنم[1]
قد ارسلتنا «ازابلا» لنكشف ما قد بات في عالم النسيان والوهم
وسربلت برداء الويل صبيتنا فويلها من دعا المظلوم في الظلم
يا ليتها شعرت فيما نكابده فذا عقاب لها من اعظم الألم
ابناءنا رددوا دهراً ولا تخفوا آباؤُنا جُعلوا لحماً على وضم[2]
فقطّعتهم ايادي الظالمين كما شاءت وشاء الهوى يا رب فاحتكم
أصحابنا ودعوا وابكوا حياتكم فلا نجاة لكم من منبع الديم[3]
نوحوا اندبوا اهلكم وابكوا مواطنكم فلا رجوع اليها آه واندمي

(١) العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبّه بها البنان المخضوب. كما يشبه به كل أحمر اللون.

(٢) لحم على وضم: الوَضم: خشبة الجزّار يقطع عليها اللحم. والمثل تركهم لحماً على وضم أي ضعافاً أذلّاء ضائعين.

(٣) الديم: جمع ديمة. والديمة الغيمة الممطرة، والمطر يدوم بهدوء بلا رعدٍ ولا برق، خمسة أيام، أو سبعة، وبعضهم يقول ثلاثة...

المشهد الثالث

(بينزون . لويس . مرتين . فيراندو . ألفونس . فينشنته . كولومب)

بينزون بلى سنعود الى الأوطان ونعانق فيها الأهل والخلّان. أتريدون الرجوع أيها الشجعان؟

الجميع : الرجوع الرجوع.

بينزون : إذاً يجب أن تصنعوا كما أقول لكم. فلنقدم كولومب المجنون لقمة للأسماك. فلنطرحهُ في أعماق هذه اللجج ونريح العالم من أفكاره وجنونهِ فهو يقودنا الى الموت من حيث لا يدري فليذهب فدًى عنا كما ذهب يونان [1] ولكن هيهات أن يلفظهُ الموت الذي يبتلعهُ.

لويس : لقد أصبت فهذا هو باب النجاة والخلاص ولكن إذا سُئلنا عن الرجل ماذا نجيب؟

بينزون : الأمر بسيط جداً. كان يرصد النجوم ليلاً فهوى في البحر ولم ندرِ بسقوطهِ. هكذا نجيب وهذا هو فصل الخطاب. ما رأيك يا الونزو؟

الونزو : الرجوع واجب رضي كولومب أم لم يرضَ.

فيراندو : ان قتلهُ عين الصواب فإذا رجع بنا يكدر حياتنا ويغضب الملك علينا.

الفونس : إذاً استعدوا فلا بدّ ان يكون طرق مسامعهُ نواحنا وعن قريب يأتي ليموّه علينا ويرينا العالم الجديد أمامنا حسب عادتِه. هذه هي المرة الثالثة التي نثور بها عليهِ ويخمد بدهائهِ نار ثورتنا. أما الآن فينبغي أن تلتهمهُ نار هذه الثورة ولا ينجيه منها أحد.

فينشنته : اطرحوهُ اطرحوهُ بعد أن تمزقوهُ إرباً إرباً ولا تخشوا أن يطالبكم بهِ أحد فيما بعد. فهو مجنون كان ولم يزل اضحوكة وموضوع الهزء والسخرية لا

---

(١) يونان: أحد أنبياء التوراة روت التوراة أنه طرح في البحر وابتلعه الحوت وقذفه بعد ثلاثة أيام الى البر حيًّا. دعا أهل نينوى إلى التوبة.

يُعرف لهُ مضرب عسلة[1] ولا منبت أسلة[2]. غرقوهُ وأنا الكفيل بنجاتكم الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين.
(كولومب وبرتلماوس يدخلان).

المشهد الرابع

(المذكورون ، كولومب ، برتلماوس)

كولومب : أتيت لأبشركم بالفوز القريب.

فيراندو : قد صمَّت آذاننا عن سماع مثل هذه الأكاذيب وهاجت بنا الأشواق الى الأوطان وقد قطعنا مسافة ٢٧٠٠ ميل في البحر فأي أمل لنا بعد فعد بنا اليها وإلّا...

ألفونس : تركناك مدفوناً في هذه البحار وعدنا الى أهلنا.

كولومب : سمعت بأذني ما دار بينكم أيها الرفاق ولكن لا أظن أن عقولكم تسلِّم بما تطلبهُ قلوبكم. لقد قضينا زمناً طويلاً في هذا السبيل أعلى يوم أو يومين نترك الثمرة التي أوشكنا أن نجتنيها أجيبوني بربكم.

بينزون : نعم نتركها إذ لا أمل باجتنائها.

كولومب : الأمل قريب أيها الرفاق فاصبروا قليلاً.

فينشنته : منذ زمان وأنت تعدنا حتى أصبحنا اذا رأينا الأرض الجديدة بأعيننا لا نصدق. آه ما أشد احتيالك يا رجلُ عُد بنا الآن وإلّا كملت بك مشيئتنا.

---

(١) العَسَلة : القطعة من العسَل. ويقال لا أعرف لفلان مضرب عسلة ، أي لا أعرف له أصلاً أو نسباً.

(٢) الأَسَلة : كل عود لا عوج فيه ، والسنبلة ، وشجرة من الأَسَل ، شجرة لها أغصان دقاق لا ورق لها. والأسلة كذلك القلم ، وشوكة النحلة ، وطرف اللسان. ويقال لا أعرف لفلان منبت أسلة أي لا أعرف منبته... أو أصله.

كولومب : ماذا تفعلون وما هي مشيئتكم؟

ألفونس : نطرحك في هذا البحر ونعود من حيث اتينا.

برتلماوس : يا للجسارة يا للوقاحة!

كولومب : أيها الرفاق لا بأس أن تنتهي سلسلة حياتي كما تريدون. اقطعوها أيها البرابرة فكل حلقاتها ويل وشقاء ولكن كولومب لم يحد عن عزمهِ بعد وهيهات أن يعود. أقنعت بعد صبر وجهاد مملكة اسبانيا وحملتها على مساعدتي. فسلّمني ملكها وملكتها زمام أموركم وأنا مستعد لمقاومتكم ولو على فراش الموت. لا أعود بكم قبل أن أبلغ امنيتي. أسمعتم؟ أنا آمركم باسم الملك فرديناند وباسم الملكة ايزابل أن تقوموا بواجباتكم حق قيام لأكافئكم خيراً وإلّا فإني سأعاقب كلاً منكم على عملهِ وينال جزاء ما فعلت يده الأثيمة.

بينزون : سنعاقبك قبل ان تعاقبنا أيها المجنون. لقد صدق انتوان بكل ما قالهُ عنك أيها الجاهل.

برتلماوس : (يستل سيفهُ ويهجم على اوفاندو) اسكت يا لئيم.

كولومب : اغمد سيفك يا أخي. أيها الاخوان عودوا الى أعمالكم واشكروا الله فالريح جارية كما نشتهي. ساعدنا يا رب واكلأنا بعين رحمتك.

الجميع : الى الوراء الى الوراء.

كولومب : ما أشد عنادهم. مجانين أنتم أيها الرجال قلت لكم لا أعود لا أرجع فلا تطمعوا بالمحال.

فيراندو : يا لك من وقح جبان. مجنون وتعيرنا بالجنون. عُد بنا وإلّا قتلتك الآن شر قتلة.

كولومب : جنودي. آه لا قائد ولا جنود ازاء إرادة الجمهور.

ألفونس : من أنت حتى تدعو جنودك يا لك من احمق سفيه (يلطمهُ على رأسه).

الجميع : اقتلوهُ غرّقوهُ وعودوا بنا.

مرتين : اسمعوا لأخاطبهُ. ابعدوا قليلاً. (إلى كولومب) قد رأيت هذه الثورة فلا تقدر أنت وأخوك أن تقاوم جمهوراً غفيراً. الجنود أصبحوا من أنصار البحارة وكلهم في العمل يد واحدة.

كولومب : وأنت وأنت يا مرتين.

مرتين : أنا لا أستطيع وحدي أن أقاوم هذا الجمع فيجب أن نصنع لهم ما يهدىء غضبهم ولو إلى حين.

كولومب : (الى البحارة) إذاً افعلوا ما اقول لكم واطيعوني ثلاثة أيام فقط.

فينشنته : لا. ولا دقيقة واحدة لا بد من قتلك فاستعد للموت.

الجميع : الرجوع الرجوع.

مرتين : لا بأس أيها الرفاق من مجاهدة ثلاثة أيام أخرى.

فيراندو : كولومب كذاب مماطل فهو يعللنا بالرجوع ولم يصدق. قال انهُ رأى الأرض وكل ذلك كذب وخداع.

الفونس : تطلب منا ثلاثة أيام فلا بأس ولكن اكتب على نفسك شرطاً ليكون بيدنا حجة عليك نطالبك به في اليوم الثالث.

كولومب : (الى أخيه) إذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون. خذ يا مرتين ورقة واكتب: صح تعهدنا الى بحارتنا بالرجوع بهم بعد ثلاثة أيام من تاريخهِ إذا لم نكتشف أرضاً أم ما يدل دلالة لا ريب فيها على قرب وجود الأرض ونشترط عليهم أن يطيعوا الطاعة الكلية لأوامرنا.

حرر نهار الاثنين في ١١ آب سنة ١٤٩٢. ثم يأخذها ويوقعها.

كولومب : اسرّتكم هذه الشروط خذوها وارجعوا الى أعمالكم.

الجميع : (وهم خارجون) الرجوع بعد ثلاثة أيام.

كولومب : اذهب يا برتلماوس وترقب ما يفعل هؤلاء العصاة.

المشهد الخامس

(كولومب وحدهُ)

ربَّاهُ عينك في الدجى ترعاني	ولأنت عوني ان طغا اعواني
ثاروا عليَّ كأنهم لم يعلموا	اني فعلتُ مشيئة الرحمان
أصليب ربي انت ترسي اتقي	بك عاديات الدهر والازمان
فإذا رموني في البحار فأنت لي	فوق الغمار سفينة الطوفان
أو يطرحوني في الحريق فإنني	أنا رابع [1] الاطفال بالنيران
وإذا اتوني بالسيوف فانت لي	سيف صقيل الشفرتين يماني
أو عذبوني جائرين فأسوتي	فيما لقيتهُ من ضروب هوان
ربَّاهُ اعواني عصوا وتمردوا	يا ربي احفظني من العصيان

إن أملي بالنجاح كبير ولكني أخاف ثورة هؤلاء البحارة الجبناء. قد اشتاقوا الى أوطانهم وما أمرَّ فراق الأوطان. أما أنا فأعلل النفس باكتشاف وطن جديد. هوذا الأدلة ظاهرة فعمق البحر قد أصبح قليلاً والطين ظهر على رأس المقياس. والبحارة قد عثروا على عصا مصنوعة بيد بشرية كل هذا دليل كاف على اقترابنا من اليبس ولكن إذا طال الأجل عليَّ ثلاثة أيام فماذا أصنع بهم يا ترى. لا شك انهم يقتلونني. ربّاه منك الفرج في اليوم الثالث إذا لم يكن قبل. هوذا الريح تختلف في كل ساعة وهذا دليل جديد.

(١) إشارة إلى قصة نبوخذ نصّر والثلاثة الذين عاقبهم برميهم في أتون النار عندما عصوا أوامره ورفضوا السجود لتمثال الذهب الذي نصبه. فقد أكلت النار الرجال الذين أوثقوهم ورموهم في النار اما الثلاثة فقد سلموا دون أذى! وعندما رأى الملك ذلك ثار غضبه، ونظر إلى وسط النار التي أمر ثانية بتأجيجها ومضاعفة ألسنة اللهب فيها، فرأى أربعة لا ثلاثة فقط. وكان الرابع ملاك الربِّ الذي كان الثلاثة يعبلونه ورفضوا السجود لغيره. (راجع: دانيال، ٣: ١٠ — ٣٠).

المشهد السادس

(كولومب ــ البحارة كلهم) (يقرع الجرس يدخل البحارة)

كولومب : أيها الإخوان : ابشركم بأننا سنبلغ الأمنية هذه الليلة وننال ما نتمناه فاشكروا الحق سبحانهُ وتعالى لأنهُ رافقنا في مسيرنا ولم تعكر كأس راحتنا التقلبات الجوية. تأكدوا ما أقولهُ لكم ولا يخامركم ادنى ريب في كلامي. غداً متى عدتم الى أوطانكم سيرونكم ويقولون هؤلاء قد افتتحوا العالم الجديد وبهذا تخلدون لكم ذكراً لا يمحى.

الجميع : (يهزون رؤوسهم ويضحكون). تمليق. خداع.

كولومب : سترون أيها الرفاق عمّا قريب فاذهبوا الى أعمالكم وتذكروا أن الملكة وعدت من يرى الأرض أولاً بجائزة ٣٠٠ ليرة وأنا أعد أيضاً بطاقم من المخمل الحريري (يخرجون ضاحكين).
خرجوا ضاحكين مستهزئين ربّاهُ كذّبهم. فلندعهم وشأنهم ونرصد الحركات. آه اني أرى النور. نوراً يختفي ويظهر. آه ما أجمل النور. غداً ان شاء الله سأرى العالم الجديد (يُطلق مدفع) ما هذا الصوت؟ صوت مدفع. أثار القوم؟ اسمع أصواتاً ماذا يرددون؟؟ (مدافع تدوي وأصوات تردد) الأرض. الأرض.

كولومب : ربّاهُ! قد رأوا ما رأيت اذا لم يخطىء ظني (ينطرح على الكرسي) فيسمع انغاماً موسيقية واصواتاً تردد هذا النشيد:

هبُّوا ها قد لاح الفجرُ وأتى من فادينا النصر
قابلنا بالعزم الاخطارا وركبنا للفتح الابحارا
وبلغنا بالجد الأوطارا يا مولى الأكوان لك الشكر

الفونس : يدخل ويركع أمام كولومب قائلاً: مولاي قد رأينا الأرض اسمع رفاقي يغنون ويترنمون.

كولومب : (يسقط راكعاً على ركبتيهِ وبعدما يقبّل الأرض ينظر الى السماء ويقول) : «قد رأيتها يا كولومب كما رأى موسى أرض الميعاد[1] . سأدخلها باذنك يا الله . آه لم تعد حاجة في نفس يعقوب»[2] (يسدل الستار) .

---

(١) أرض الميعاد : فلسطين ، وتزعم طائفة ان الله وعد بها موسى وشعبه وهداهم إليها . فسميت أرض الميعاد .

(٢) لغاية في نفس يعقوب : مثل سائر يضرب عندما تبدو بادرة ولا تكون خالصة لذاتها ، إنما لغاية دفعت إليها . ولعلّ فيه تعريضاً بمن لا يبذل المعروف إلّا لمنفعة أو غاية يريدها . وربما كان المثل مأخوذاً من قصة يعقوب بن ابرهيم عندما ظهر الله له في الحلم ، وقد توسّد الأرض في طريقه من بئر سبع الى حاران ، ودعاه الى الإيمان ، واعداً أن يعطيه الأرض التي هو عليها ويورثها نسله المتكاثر من بعده كتراب الأرض وأن يحميه حيثما يذهب ويردّه الى هذه الأرض التي هو عليها . وعندما استيقظ يعقوب من نومه نذر نذره : «إن كان الله معي ، وحفظني في هذا الطريق... واعطاني خبزاً لآكل وثياباً لألبس ورجعت بسلام الى بيت أبي عبدته وصار لي الهاً» . وهكذا كان إيمان يعقوب بربه إيماناً غير خالص ، ومشروطاً بتحقيق غاية كانت في نفس يعقوب !

الفصل الثاني

القسم الثاني

(يمثل الملعب جزيرة سان سلفادر والهنود متفرقة فيها وكل منهم يعمل عملاً)

المشهد السابع

(كولومب واتباعهُ)

تعزف الموسيقى من الخارج وتدوي المدافع فتظهر على الهنود علامات الجزع) ويتساءلون بالحركات . ثم يهتف البحارة من الداخل) :

هُبُّوا ها قد لاح الفجرُ وأتى من ربكم النصرُ
نجحت بالصبر مساعينا وزهت كالبدر امانينا
وبواترنا ومواضينا ان سُلَّت يلتفت الدهرُ

ولا ينتهون من هذا حتى يدخلوا يتقدمهم كولومب في يده اليمنى سيفهُ مشهراً وفي اليسرى الراية المنشورة على رمح طويل فيتفرق الهنود مذعورين اذ ينظرونهُ. أما هو فلا يكاد يظهر على الملعب حتى يهتف :

هذي هي الدنيا الجديدة فادخلوا فلقد بلغنا الفوز والآمالا

(ثم يضع سيفهُ امامهُ على الأرض ويغرس الراية في الأرض بسرعة ويركع مستنداً عليها ويقول : (سيطلق على هذه الجزيرة منذ الآن اسم المخلص الفادي)

يركع الجميع حولهُ ويغرس مرتين راية الصليب وبعد قليل ينهضون ويرددون النشيد على الموسيقى :

هبوا ها قد لاح الفجرُ　　وأتى من فادينا النصرُ
فليسلم قائدنا الأكبر　　كولومب وطالعهُ الأنور
ستظل مآثرهُ تشكر　　وبها للاسبان الفخرُ

بعد الانتهاء من النشيد يقف كولومب شاهراً سيفهُ بيده ويقول :

فباسم فردينان تصبح ملكنا　　هذي البلاد وباسم ايزابلا
ستحدث الأدهار عنّا بعضها　　بعضاً ويفخر جيلنا الاجيالا
طفنا البلاد بهمَّةٍ نهَّاضةٍ　　تستصغر الارزاء والاهوالا
ومشى على هام الغمار سفيننا　　يا من رأى فوق الغمار جبالا
لعب المشيب بمفرقي من كثر ما　　لاقيت اهوالاً وذقت مطالا
كولومب هزء جميع ابناء الورى　　وغدا الى أقصى الجنون مثالا
لكن أتاني من لدن رب العلى　　نصرٌ مبينٌ يفحم الجهّالا
سيُرى على الأيام ذكري خالدٌ　　وسينحني التاريخ لي اجلالا
سيعظّم المتنوّرون مآثري　　وسينصبون لهمّتي تمثالا
قد جئتُ ما لم يأتِ فيهِ فاتحٌ　　وفعلت فعلاً يعجز الابطالا
هذا الصليب لقد غدا لي منقذاً　　من شدتي سبحانهُ وتعالى
ولذاك ارفعهُ على هام الربى　　وهو الذي يولي البلاد كمالا

(يرفع الصليب على رابية تُعدُّ لذلك قبل كشف الستار ثم ينقل الراية من موضعها في أرض الملعب ويرفعها قرب الصليب المقدس ويقول) :

يا راية الاسبان رقي واحرسي　　الكون الجديد ونولّيه جمالا
فجميعنا بظلال مجدكِ نحتمي　　ونفاخر الامراء والاقيالا

هـذي بلادٌ طالما حنَّت الى الحظوى بها عيني وذقت نكالا
فظفرت في ما أشتهي بعد العنا وملأْتُ تاريخي اسًى وفعالا

فيراندو :

مولاي عفواً عن تمردنا فقد كنا حيارى نختشي الآجالا
فالخوف أفقدنا الرشاد ودهرنا قد شكَّ ما بين الضلوع نصالا

ألفونس :

فاغفر لمن اخطأ اليك فربنا في ذاك يقضي فاذكر الاقوالا

مرتين :

وأنا على قدميك ذلاًّ انحني مستغفراً عمَّا أتيتُ ضلالا

الجميع :

وجميعنا مستغفرون

فينشنته :

وطالبون الصفح فاصفح واذكر الامثالا

كولومب :

لا تجزعوا أنا صافحٌ عمّا مضى انّ الكريم بصفحهِ يتعالى
فادعوا الى الملك الأجل فذاك قد أحيا البلاد عدالةً ونوالا
وتذكروا ابداً مليكتكم على كرّ الدهور فمجدها ما زالا
لولا حميَّتها وفيض سخائها لم نكتشف فلتحيَ (ايزابلا)

الجميع : فلتحيَ ايزابلا

مرتين : بل قولوا أيها الاخوان : فليحيَ الأميرال فليعش نائب الملك فليعش كولومب.

الجميع : فليحيَ الاميرال فليعش نائب الملك فليعش كولومب.

فينشنته : اركعوا أيها الرفاق امام قائدكم الاعظم واقسموا لهُ يمين الصدق والأمانة والطاعة.

الجميع : (يركعون ويقولون) نحن الاسبانيين نقسم امام الله في هذه البلاد الجديدة ايمان الصدق والأمانة والطاعة للقائد الأكبر ونائب الملك كريستوف كولومب.

كولومب : انهضوا أيها الاخوان بارك الله فيكم واشكروه على جوده علينا بالتوفيق والسلامة (ينهضون).

* * *

المشهد الثامن

(المذكورون)

الآن قد أصبح من أقدس واجباتنا أن نلاطف هؤلاء البشر التائهين في بيداء الهمجية الغارقين في بحار من التوحش. علينا أن نلاطفهم لنطلع منهم على أسرار هذه البلاد الخصيبة. الغنية بمعادنها وتربتها الذهبية (تظهر رؤوس الهنود من بين الكواليس). تقدموا أيها الاخوان تعالوا نتعارف فقد طال الزمان على تفرقنا تعالوا تعالوا (يشير بيديه ببشاشة) يدخل الهنود بجزع وخوف مندهشين معجبين بهيئة الاسبانيول ويقتربون منهم وخصوصاً من كولومب ويلعبون بلحاهم.

كولومب : آه ما أجمل هذه السذاجة ما أطيب هذه القلوب !.

الفونس : إذا ارتقى هؤلاء القوم فإنما هم غرس افضالك.

كولومب : ان هذه الأرض أقرب الى الرقي من سواها نظراً لوفرة ثروتها وستظهر لك الأيام ما أقول.

مرتين : لا ريب في كلامك يا مولاي (الهنود يظهرون حركات مضحكة).

فينشنته : فلنطلق مدفعاً يا مولاي لنرى ماذا يصنعون.

كولومب : لا بأس اطلقوا المدافع (يطلق مدفع في الخارج) فترتعد مفاصل الهنود ويخرون على الأرض راكعين.

كولومب : لا تخافوا لا تخافوا (يصنع اشارة اطمئنان بيديهِ ببشاشة فينهض الهنود) لا أراكم الله ايها الاخوان مثل هذه الآلات. آلات الدمار والبوار. (عند هذا ترجع الحركات المضحكة فيهديهم الاسبان مرايات وابر وملابس واشياء زجاجية ويهديهم الهنود من الاقراط التي في آذانهم وسبائك الذهب والاثمار وغير ذلك. ثم يأخذ كولومب يسألهم عن محال وجود تلك الاشياء الذهبية فيشيرون اليه انها توجد في الجهة الجنوبية».

كولومب : سنسافر إلى تلك البلاد ان شاء الله ونعود الى الملك ومعنا هدايا كثيرة من مال ورجال وحيوانات. اذهب يا مرتين ويا فينشنته وانصبا شراع السفن واستعدا للذهاب فقد اتينا للعمل لا للتواني والكسل (يسدل الستار).

* * *

الفصل الثاني

القسم الثالث

(يمثل الملعب جزيرة هايتي[1] التي سمّاها كولومب اسبانيولا)

* * *

المشهد التاسع

(كولومب ـ فينشنته ـ ألفونس ـ غوانا غراي ـ لفيف البحارة ـ سبعة هنود)

فينشنته : مولاي قد جلنا واكتشفنا بلاداً كثيرة فماذا تريد أن نصنع فقد حان للغريب أن يعود الى بلاده.

كولومب : تعلم أيها الصديق وتعلمون جميعكم كم اكتشفنا من الجزائر وكم كان سرورنا عظيماً باكتشاف الجزيرة رسمياً وكيف رأيتم من بساطة رجالها ودماثة أخلاقهم وحضور ملكها ونجله الينا واستقبالنا لهم واستعلامنا عن محل الذهب وهؤلاء هم الذين اتخذناهم من رجالها (يشير الى

(١) جزيرة هايتي : من جزر الأنتيل تقع شرقي كوبا ، تقسم اليوم الى جمهورية هايتي وجمهورية سان دومنغو اكتشفها كولومبس سنة ١٤٩٢.

الهنود) لنذهب بهم الى اسبانيا وكيف تركنا صديقنا مرتين وذهب وحده ولا ندري ماذا يقصد. وكيف وصلنا الى هذه الجزيرة هايتي ورأيتم بأم عينكم خصبها وجمالها. وكم أثرت بكم انغام بلابلها وتسميتنا لها باسبانيولا لأنها قريبة الشبه لبلادنا. وكيف نفر منا رجالها ولم نتمكن من استمالة قلوبهم الينا إلّا بواسطة تلك الابنة التي وجدناها فاكرمناها واعدناها الى وطنها فحدثت بما سمعت ورأت من الطافنا. وكيف وصلنا الى ميناء سان توما وكيف استقبلنا الملك غوانا غراي واهدانا الهدايا الجزيلة وقد رأيتموه أيضاً ومعهُ رجال حاشيتهِ وكيف زار سفننا وكان شديد الاعجاب بها ويحترمنا كالهة سمويين.

واذكر أيضاً وتذكرون غرق سفينتنا العظمى (سنتا ماريا) وكيف تمكنا بمعاضدة ملك الهنود من حفظ الأشياء التي بها وكيف جمع ذلك الملك لنا كثيراً من سبائك الذهب. آه ان غرق «السنتا ماريا» اذاب قلبي.

فينشنته : نعم إن تلك مصيبة عظيمة.

كولومب : ولو كنت فعلت فعل مرتين لكنت الآن وحدي اعجز عن الرجوع الى اسبانيا فشكراً لك على امانتك.

بينزون : لا شكر على الواجب يا مولاي.

كولومب : والآن فأنا سأعود الى اسبانيا واغادر بعضكم هنا أيها الرفاق ونفسي في أشدّ الحزن لمبارحتكم (يدخل ملك الهنود).

كولومب : (يبدي اشارة عزمهِ على الذهاب وبقاء بعض الاسبان فيسر الملك بهم سروراً ويخاطب رفاقهِ بالأمر فيسرون ويفرحون والملك يطلب من الاميرال ان يساعده على قهر بعض الهنود فيجيبه الأميرال ويظهر لهُ قوة المدفع فيشكره الملك ويرفع تاجهُ عن رأسهِ ويضعهُ على رأس كولومب فيقدم لهُ كولومب عقداً ثميناً وخاتم فضة وبدلة حمراء ثم يقول لرفاقهِ).

كولومب : أيها الرفاق افارقكم الى حين الى اسبانيا واشرح لأهلكم عن سروركم واعرض للملك شفاهاً عما رأينا وأعود اليكم بعد حين ان وفق الله فاتحدوا واخضعوا لرئيسكم دياكورانا واذا مات لا سمح الله يقوم مقامهُ بيانرو غونا ثم رودريغو فكونوا منتبهين الى واجباتكم واتحدوا فانتم بين قوم متوحشين كونوا كالاخوة ولا يفرقكم الطمع ولا تغادروا بعضكم كما غادرني مرتين. وانتم أيها الرؤساء احتملوا مرؤوسيكم وليكن لكم شبه بي انا وتذكروا ما لقيتهُ منكم في عرض البحر.

الفونس : مولاي لا تذكر الماضي.

كولومب : ربما نفعت الذكرى يا ألفونس وفي الختام أوصيكم بتعظيم الملك غوانا ولا تنكروا جميلهُ (يشير اليه بابتسام) وأنت أيها الملك تعالَ فاودعك (يقترب من ملك الهنود ويصافحهُ والباقون يصافحون بعضهم بالعويل والنحيب).

(وهكذا يرخى الستار)

* * *

الفصل الثالث

القسم الأول

(يمثل الملعب قصر الملك فردينان في برسلونه[1])

المشهد الأول

(الشعب ، رودريغز «خطيب الشعب» ، دومينيك ، ڤينسان)

(ينكشف الستار عن شعب يضج وخطيب يعلو منبراً)

رودريغز : أيها الناس : ان جراحكم لم تندمل بعد. قد لقيتم في الاندلس ما تنحني تحت اثقالهِ الجبابرة. اموالكم جُمعت لتنفق على الحرب ونفوسكم أُزهقت في تلك الهيجاء. من لم تصبهُ هذه الحرب باسهم فليرشقني بسهم. لا أحد يجرأ على ذلك لأن كلاً منا مصاب. الصغير والحقير والسيد الخطير. إذاً لماذا تصبرون على جور ملككم وتنامون على الضيم. قلِّبوا صفحات تاريخ الرومان وانظروا كيف سقطت رؤوس الملوك الظالمين. أما رأيتم رأس يوليوس قيصر[2] كأنهُ أكرة تدحرج على

---

(١) برسلونة : عاصمة اقليم كتلونيا في اسبانيا وهي مرفأ على البحر المتوسط فتحها العرب ٧١٣م واستعادها منهم الاسبان ١١٣٧م.

(٢) يوليوس قيصر (١٠١ — ٤٤ ق.م.) من كبار القوّاد في روما. عشق كليوباترا ملكة مصر وأنجب منها ولداً ، أعاد تنظيم الإدارة الرومانية قتل في مجلس الندوة على أيدي قوّاده ونصحائه ، ومنهم انطونيوس ، وبروتس.

تراب الأرض التي جبلها بالدماء. ان يوليوس قيصر ليس باظلم من ملككم فرديناند. فليسقط ذلك الطاغية لتكفي البلاد شره.

الشعب : فليسقط.

رودريغز : أي ملك جنّ جنون هذا الملك. يحاول أن يكشف عالماً جديداً. يا لهُ من حلم مزعج. إذا كان عاهلاً فليحمِ ملكهُ. قد استأسد لمّا انتصر على العرب واشتدّ الطمع بقلبهِ فتاق الى اكتشاف العالم الجديد. آه ان الطعام يقوّي شهوة النهم. ولكنني اخاف أن يبلغ بهِ الجوع أقصاه فيفترس الرعية. فتعاضدوا اذاً واجتهدوا ان تطرحوه في مهاوي العدم. أيها الشجعان اني اخاف أن اهيج عواطفكم بهذا النبأ الهائل. قد كنت من زمان ابيّن لكم شطط الملك وخصوصاً عند سفر كولومب ولكنكم لم تثبتوا في المقاومة والآن أقول لكم ان السفن الاسبانية قد ذهبت فريسة الامواج واللجج واصبح اخوانكم مضغة في افواه حيتان البحر واسماكها.

الشعب : (صياح وصراخ وضجيج).

رودريغز : لا تعولوا ولا تنوحوا فنحن رجال خلقنا للتجلد والصبر والنساء للبكاء والنوح. خلُّوا الندب الى غير هذا الحين واما الآن فابدأوا بأخذ الثأر. فلنكل لمليكنا بالكيل الذي كال لنا بهِ ليعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون. ان إرادة الشعب سور لا يدكُّ إذا كان مؤسساً على صخور الاتحاد. فاتحدوا ومهما طلبتم تحصلون عليه ولو كان تاج الملك. ان الشعب قوي وانتم ذلك فكونوا اقوياء. أتريدون الفوز والنصر؟

الشعب : نعم نعم.

رودريغز : فاصرخوا إذاً من أعماق قلوبكم. نريد الملك. أين الملك.

الشعب : نريد الملك أين الملك (يشير الخطيب بيده ليعيدوا).

الخطيب : طالما كان وقع هذا الصوت أشد من وقع المدافع على أركان العروش.

طالما زعزع أركانها وتركها قاعاً صفصفاً وترك التيجان محطّمة تحت أرجل الثائرين. أفهمتم؟ اذا أتوا لمقاومتكم برؤوس الحراب فقولوا لهم ما أحلى الموت في سبيل مقاومة الظلّام وان يوم المظلوم أشد هولاً من يوم الظالم على المظلوم. إلى الآن لم يجبنا أحد. فاهتفوا نريد الملك نريد الملك.

الشعب : نريد الملك نريد الملك (ويسكتون).

رودريغز : لا تسكتوا حتى يأتي لمخاطبتكم أو يرسل من يسألكم عمّا تطلبون (يرددون) (عند هذا يظهر الحاجب ويدخل ما بين الشعب).

المشهد الثاني

(الحاجب والمذكورون)

الحاجب : ما هذا الصراخ وماذا تريدون.

الشعب : نريد الملك نريد الملك.

الحاجب : ان الملك نائم فلا تقلقوه بصراخكم أيها الناس. اسكتوا لئلّا يغضب وويل لكم إذا غضب.

فينسان : نحن لا نبالي بغضبه وقد اتينا لنطالبهُ بدمائنا. برجالنا التي طرحها في البحر فريسة للمخاطر. أفهمت ماذا نريد؟

الحاجب : الملك نائم الآن.

رودريغز : نامت عيونك والمظلوم منتبهٌ؟ يدعو عليك وعين الله لم تنمِ. اذهب ايها الحاجب ونبِّه مولاك. قُلْ لهُ أن ينتبه لصراخ الشعب ويسمع مطاليبهم فالشعب اسد كاسر والويل لمن يثير هذا الأسد. قُلْ لهُ ان يخرج من فراشهِ الناعم قبل ان يزحف عليهِ هذا الجمع فيظل راقداً فيهِ رقاداً ابدياً.

الحاجب : لقد تجاوزتم حدود الآداب فاسكتوا وإلّا دعوت الجنود لتفريقكم في الحال. هكذا أمرني الملك.

دومينيك : ويحك يا خائن نحن لا نخاف الوعيد قد اجتمعنا هنا بارادة الشعب ولا نتفرّق إلّا على رؤوس الحراب[1] فاسكت وإلّا قطعتك شطرين بحد هذا المهند. أيها الشعب دونكم هذا الوغد واخرجوه بالقوة. (الشعب يهجم).

رودريغز : مهلاً أيها الاخوان. لا تشتموا الحاجب فما هو إلّا رسول جاء يبلغنا مشيئة الملك وما على الرسول إلّا البلاغ. اتركوا الرسول ولا تلطخوا يدكم بدمهِ. عُدْ أيها الرسول وقُلْ لمولاك ان الشعب لا يعود ما لم يَرَهُ. الملك أبٌ وعار على الأب أن يضع حاجباً بينهُ وبين بنيهِ. (الحاجب يخرج).

الشعب : أب قاسٍ. أبٌ ظالم.

رودريغز : أيها الاخوان احذروا ان تشتموا الملك قبل ان يبدأ بشتمكم. دعوني اخاطبهُ وحدي وحيوهُ عند دخولهِ التحية المعتادة. أفهمتم ما أقول؟.

الشعب : فهمنا فهمنا.

فينسان : هوذا الملك اقبل (يدخل الملك).

---

(١) كلمة مشهورة ردّ بها أحد قادة الثورة الفرنسية وهو ميرابو عندما اجتمع نوّاب الشعب الفرنسي منفردين دون نوّاب طبقتَي الأشراف والاكليروس. وأطلقوا على أنفسهم اسم «المجلس الوطني» وقد أتى مدير التشريفات يذكرهم بضرورة الانصياع لأوامر الملك لويس السادس عشر (١٧٥٤ — ١٧٩٣) وفض الاجتماع. فأجابه رئيس المجلس «إن الأمة مجتمعة ولا تقبل أن تتلقى الأوامر» وانبرى نائب الشعب عن مدينة ايكس. وهو ميرابو وقال لرسول الملك بعد عبارة طويلة «نحن هنا بإرادة الشعب، وإن كنت قد كلفت بإخراجنا فيجب أن تطلب استعمال القوّة، لأننا لن نخرج إلّا على أسنّة الحراب».

المشهد الثالث

(المذكورون . الملك . رسول)

الملك : ما بالكم تضجون وما هذه الثورة؟.

رودريغز : مولاي ان المصائب التي احدقت بنا هي التي تثور في داخلنا . ان موت أهلنا في الحرب يشب في صدورنا حرباً داخلية. الحرب سبب شقائنا.

الملك : الحرب عادلة أيها الرجل. مَن منكم يسكت عن رجل يعتدي عليهِ وينقب بيتهُ امام عينيهِ. ان من يدافع عن نفسهِ لا يُعدُّ مفترياً ولا ظالماً.

رودريغز : قد كانت الحرب ضربة قاضية على سعادة هذا الشعب وجاء ضغث[1] على أبّالة اكتشاف العالم الجديد. ثار هؤلاء الناس عندما سمعوا بهلاك ذويهم وغرق السفن ومن لا يتأثر لمصاب ذويهِ. ان الوحوش تتأثر لبعضها فكيف الانسان.

الملك : لا أيها الناس ان السفن لم تغرق.

فينسان : بلى غرقت يا مولاي.

الملك : وهب انها غرقت فماذا تطلبون مني؟

رودريغز : نطلب اغاثة العيال المنكوبة فلكل بحري قوم عيال[2] عليهِ.

الملك : ما هذه الجسارة والوقاحة شعبي يأمر عليّ كأني المملوك وهو الملك. لا

---

(١) الضغث : قبضة حشيش اختلط فيها الرطب باليابس. وكِسْرة القش المزيلة، أو فُتات التبن، والزهيد الخسيس من كل شيء. والجمع أضغاث، وأضغاث أحلام : البقية المتداخلة من الأحلام التي شوّشها التداخل فلا يحسن تفسيرها.

الإبالة : الحزمة من حطب، أو حشيش. وقولهم ضغث على ابالة مثل يضرب عند تكرار البليّة ومعناه بليَة فوق بليَة.

(٢) عال فلان عياله : كفاهم مؤونتهم ومعاشهم. والصغار عيال على آبائهم. وعيال عليه : يعتمدون عليه في معيشتهم. فهو يعيلهم ويكفيهم حاجاتهم.

غرامة عندي فافعلوا ما تريدون. جنودي اخرجوا هؤلاء الناس من باحة القصر (يظهر الجنود حركة).

رودريغز : الجنود اخوتنا أيها الملك وهيهات أن يقتل الأخ أخاه المظلوم (تطلق المدافع).

الملك : (الشعب يضج خائفاً) ماذا جرى ما هذه المدافع اثار القوم على العسكر. ربّاه انقذ عرشي من الخطر. (يدخل الرسول).

رسول : مولاي لك البشرى وصل كولومب الى ميناء بالوس[1].

الملك : ربّاه الآن حلّ الفرج.

الشعب : لا نصدق. حيلة. خداع.

دومينيك : انت كاذب أيها الرسول وبشارتك خديعة لنا.

الرسول : ألم تسمع اطلاق المدافع فهي ترحب بكولومب.

رودريغز : اذاً اتبعوني ايها الاخوان ولا يصعب علينا أن نعود (يخرجون).

المشهد الرابع

(الملك * الملكة * الكردينال * ستنجل * الونزو * المرشد)

الملك : (يجلس على كرسي) ما أقوى الشعب ان سلطتهُ قوية قاهرة. أصحيح عاد كولومب. لا ريب في ذلك ومن يكذب على الملك؟ ولكن كيف كان الأمر فمسألة كولومب سببت لي اعظم القلاقل. فإذا عاد ظافراً بما قال عقبت علقم الاهوال شهد الفوز بالغنيمة. وإذا كان هلك من معهُ فمن ينجيني من ثورة الشعب. آه ان المركز حرج.

(١) بالوس: ميناء في اسبانيا الجنوبية الغربية عند مصب نهر تينتو منها أبحر كولومبس لاكتشاف أميركا، واليها عاد بعد اكتشافه يخبر الملك بما شاهد وسمع.

(تدخل الملكة والكردينال وستنجل والونزو والمرشد والحجاب).

الملكة : قد عاد كولومب.

الملك : إذاً الخبر صحيح. ما أشد كرمك يا الله (رسول يدفع للحاجب رسالة).

حاجب : مولاي هذه الرسالة دفعها إليّ رسول جاء من قبل كولومب.

الملك : (يقرأ الرسالة). (الى الملكة) قد عاد كولومب ظافراً فرحاً بهِ قد اكتشف العالم الجديد وما اعظم هذا الاكتشاف. وإليكِ رسالته.

الكردينال : انهُ غرس يديك يا مولاي.

ستنجل : وثمرة اهتمامكِ واجتهادكِ يا سيدتي.

المرشد : الآن فرحت نفسي بنجاة شعبي. ألا تسمح لي مولاتي لأبشر في تلك البلاد.

الملك : أعدُّوا ضروب الاحتفال لنقابل هذا الفاتح العظيم. فقد اكتشف البلاد دون أن يسفك نقطة دم. انهُ لأعظم من الملوك واقوى من الفاتحين. اخرجوا أيها الأمراء الى ملاقاتهِ الى ظاهر المدينة فهو جدير بكل احترام ووقار. عظِّموهُ وكرِّموهُ فهو سيخدم الدين والإنسانية اعظم خدمة.

الملكة : (من بعد ما يخرج الجميع) أيسمح لي مولاي ان اخرج معهم الى استقبالهِ.

الملك : لا أيتها الملكة وان كان هذا ممّا يستحقهُ فالمقام لا يسمح لنا بذلك ولكننا لا نبخسهُ حقهُ في هذا المقام. سنكرمهُ ولكن بدون أن نخرق حرمة تقاليد الملوك وعاداتهم (يرخى الستار).

الفصل الثالث

القسم الثاني

(قاعة الاستقبال في قصر الملك «ثلاثة عروش»).

المشهد الخامس

(الملك . الملكة . كولومب . الونزو . ستنجل . الكردينال . المرشد . انتوان . دياكو الابن)

جندي : قد اقبل الجماعة ومعهم كولومب.

(تعزف الموسيقى وتدوي المدافع ثم يدخل كولومب).

كولومب : سلام أيها الملك (يهمُّ بالركوع فيأخذه الملك بيده ويقول) : اجلس عن يميني يا كولومب يا اميرال البحر والبر فأنت جدير بمقام الملوك. ان مآتيك تعجز عنها سطوة السيف وتنحني امامها أبّهة الملك. ان الرجل بدماغهِ لا بمالهِ ومجدهِ. وعلى الملوك أن يعظِّموا أصحاب الأدمغة الكبيرة فهؤُلاء ركن المملكة وزينتها كما أن الجيش سياجها. لقد عدت يا كولومب وعلى رأسك اكليل غار الظفر[1] فأهلاً وسهلاً بك أيها المكتشف بل الفاتح الأعظم.

---

(١) الغار : شجر دائم الخضرة، لأوراقه وثماره رائحة عطرية محبّبة. درجت الامبراطورية الرومانية على أن تضفر من أغصانه أكاليل النصر، تتوّج بها قادتها المظفرين في استعراضات النصر في روما. فباتت أكاليل الغار رمزاً للظفر في كل مجال، عسكرياً كان أم غير عسكري.

كولومب : لقد كنت يا مولاي سبب هذا الاكتشاف ولولا عنايتك لم يكن شيء ممّا كان فعلى الأجيال والدهور ان لا تنسى نعمتك عليّ. وعلى الاحقاب ان تطوّب جلالة الملكة اذ لها في تلك المساعدة اليد الطولى.

الملكة : ان ثمرة الاكتشاف تعزينا على اتعابنا وتكفينا سخرية الاجيال الآتية فشكراً لثباتك العظيم يا كولومب.

الملك : هات حدثنا بما نظرت وسمعت أيها القائد.

كولومب : قد بسطت لجلالتكم في الرسالة تفاصيل رحلتي من اسبانيا الى حين الاكتشاف وما صادفتهُ في البحر من المخاطر. وهذه الجريدة [1] ادفعها إلى جلالتك تطالعها على مهل. والآن ابسط على مسامع جلالتك ما اعترضني من المخاطر في رجوعي من العالم الجديد الى اسبانيا فان الخطر كان أشد واعظم. في اليوم الرابع من شهر كانون الثاني سنة ١٤٩٣ غادرت العالم الجديد بعد وداع رفاقي وحضهم على الاتحاد ولم يبقَ معي غير سفينة ذريّة لأن السنتا ماريا قد غرقت وسفينة البانتا قد سافر بها مرتين الونزو وغادرني وحدي. وبينما نحن نخترق العباب إذا بسفينة تلوح عن بعد ولم تكن غير سفينة مرتين فاعتذر بأن الريح حملتهُ على مغادرتنا وكان قد احضر معهُ ستة هنود قصد التجارة بهم فاطلقت سراحهم لأنهُ من العار ان يتاجر الأخ بأخيهِ فاغتاظ مني غير أني لم أبالِ بذلك. فسرنا حتى بلغنا جبال السيفاي وكان قوم تلك الجبال متوحشين فحاربناهم لأنهم لم يسلّموا فخضعوا أخيراً للقوّة. وفي الثاني عشر من شباط اشتدت الانواء فتقطعت الحبال وأوشكت السفن أن

---

(١) الجريدة: واحدة الجريد، والجريد سعف النخل بعد أن يُجرّد عنه الخوص (ورق النخل) وقد استخدمت الجرائد هذه ألواحاً للكتابة عندما لم يكن الورق متيسّراً. فأطلق فيما بعد اسم جريدة على كل صحيفة مكتوبة، ومن هنا أتت تسمية الصحيفة عندنا اليوم جريدة. ولعب الجريد: استعراض رياضي يتبارى فيه الفرسان بضرب الجريد أي العصي وهم في الميادين على صهوات الجياد.

تغرق فاخذنا نصلّي ونبتهل وكأن الله لم يستجب. ولم يكن حزني على حياتي بل لأني أموت ورفاقي ولا تعلم اسبانيا باكتشافاتي. فانفردت بمخدعي واخذت قلماً وقرطاساً وكتبت باختصار ما اكتشفتهُ من البلدان وخططت الطريق ثم وضعت تلك الورقة في نسيج ومسحتهُ بالشمع وعنونتهُ باسم جلالتك وجلالة الملكة وعيّنت الى من يوصلهُ الى جلالتكما جائزة ألف ليرة ثم وضعتهُ في برميل وطرحتهُ في البحر. وما زلنا على تلك الحال حتى الصباح ففتشت على البانتا فلم اجدها فحسبت ان الامواج قد افترستها. وبعد ثلاثة أيام كلها خطر ومخاوف وصلنا جزيرة من جزائر مملكة البرتغال تدعى سانتماري [1]. ولما عرفت أن كنيسة تلك الجزيرة على اسم العذراء امرت رفاقي بالذهاب لزيارتها فذهبوا ولكن طالت مدة غيابهم. ومنعني ألم في جنبي عن الذهاب معهم. وبعد يومين بلغني ان رفاقي في السجن بأمر حاكم الجزيرة فكتبت اليهِ أسألهُ اطلاق جماعتي باسم جلالتكما وإذا لم يفعل هدمت اسوار المدينة فخاف الحاكم اذ ذاك وأرسل معتمدين من قبلهِ ليطلع إذا كنا اسبانيين فعرف ذلك من أوراقي واطلق الأسرى. وما غادرنا تلك الجزيرة حتى هاجت الرياح ثانية وأخذت البروق والرعود تتعاظم حتى رأينا الموت أمامنا وتهيأنا لمبارحة هذا العالم ولكننا صباح النهار الرابع من اذار رسونا قرب مدينة دوستيلو [2] فاقبل سكانها يهنئوننا بالسلامة لأنهم كانوا رأوا الخطر الذي احدق بنا. ثم أرسلت التمس من ملك البرتغال ان يسمح لي بترميم سفينتي في ليسبونا [3] فسمح لي بذلك

---

(١) جزر سانتماري: مجموعة جزر تشكل الجزء الجنوبي الشرقي من مجموعة جزر آزورس، وتبعد ١٤٠٠كلم غربي لشبونة. وهي تابعة للبرتغال.

(٢) دوستيلو:

(٣) لسبونة: عاصمة البرتغال على مصب نهر تاجة في الأطلسي دخلها العرب (٧١١م) وأخذها ألفونس الأول البرتغالي (١١٤٧).

وقابلني بكل هشاشة وبشاشة وسرّ جداً بهذا الاكتشاف وتندم لأنهُ لم يساعدني وعرض عليّ أن أسافر برًّا على نفقتِهِ فرفضت ذلك. ثم برحت المدينة في الثالث عشر من اذار حتى وصلت الى ميناء بالوس في الخامس عشر منهُ بعدما غبت عن وطني أيها الملك سبعة أشهر ونصف شهر قضيتها بالاخطار والمخاوف.

«مرتين الونزو قادتهُ الأنواء الى ميناء «بيسكاي»[1] في فرنسا واذ حسب ان كولومب غرق أرسل الى الملك يخبره عن الاكتشافات ولما وصل الى ميناء بالوس شاهد سفينة كولومب فتكدر كثيراً وخرج سراً الى بيتهِ وأخذ ينتظر جواب الملك فأجابهُ يحظر عليهِ التوجه نظراً لسوء سلوكهِ فساءهُ جداً هذا الجواب وأصيب بمرض عضال فقضى نحبهُ».

الملك : ان مرتين وصل اليوم وكتب اليّ يطلب مواجهتي فرفضت وذاك لأنهُ خانك.

الكردينال : طوباك يا كولومب ما أعظم جهادك.

ستنجل : لقد حققت آمالنا أيها الأميرال فلك منا جزيل الشكر.

المرشد : إن العلماء سُرج الأزمنة فهنيئاً لاسبانيا بك يا سراجها الوهّاج (يدخل دياكو).

دياكو : أبي انت هنا آه ما أحب لقياك يا أبي!

كولومب : وما أطيب مرآك يا ولدي تعالَ اضمك الى صدري فقد كنت رفيقي في شقائي وتعاستي وستظل شاهداً على أعمال أبيك مدى الحياة.

انتوان : كولومب انا لا أصدق انك اكتشفت عالماً جديداً فأين هي العلامات التي تؤيد كلامك اظهرها للعيان ان كنت صادقاً.

---

(١) ميناء بسكاي: ميناء في خليج بسكاي الى الجنوب الغربي من فرنسا، يفصل بين فرنسا من الشمال واسبانيا من الجنوب. وعلى الشاطىء الجنوبي الشرقي من الخليج مقاطعة الباسك.

الملك : يقول المثل «إذا قدمت من سفر فاهدِ اهلك ولو حجر» ان سميرنا يحب المجون ويريد ان يرى محتويات العالم الجديد. فماذا احضرت معك؟؟.

كولومب : معي اربعة من الهنود وسبائك كثيرة من الذهب.

المرشد : وأين هم الآن يا كولومب.

كولومب : الهنود خارج القصر. أتأمر باحضارهم يا مولاي.

الملك : احضرهم أمامي (يخرج جنديان) والذهب أين هو.

كولومب : في ميناء بالوس ضمن مئتي صندوق (يدخل الهنود ويندهشون من منظر القصر والملك ويظهرون حركات الاستغراب).

الملك : يا لك من رجل عظيم. لا بد أن تكون تعبت فاذهب للاستراحة فقد أمرت ان يعدّوا لك غرفة ضمن قصري ايها الأميرال وستقابلك ثانيةً بعد المداولة مع الوزراء (كولومب يخرج).

المشهد السادس

(المذكورون الا الهنود وكولومب وولده)

الملك : ما رأيك أيتها الملكة. ما رأيكم أيها الوزراء في مسألة كولومب؟

الملكة : علينا أن نحمد الله فهو ولي التوفيق.

الملك : ذلك لا حاجة الى تذكيرنا به ايتها الملكة. ماذا تظنون ان نصنع وما هي الخطة التي نسير عليها بعد الآن.

ستنجل : رأيك يا مولاي هو الرأي الموفق.

الونزو : وهل بقي ريب يا مولاي في نجاح كولومب. يجب أن يرجع عاجلاً الى حيث كان ليوطد دعائم سطوتنا هناك إذ لا يبعد ان يزاحمنا غيرنا على هذا العالم الجديد.

المرشد : هذا ما كنت أخشاه واتوقعهُ. قد قلت ولا أزال أقول ان العالم الجديد سيكون سبباً للويل والدمار.

ستنجل : مولاي ان في هذا الاكتشاف لفخراً عظيماً لاسبانيا ودرة ثمينة يرصع بها تاريخ مملكتنا.

الملكة : اذا كان لا بد من عود كولومب فيقتضي ان تكون معهُ عمارة بحرية لأنهُ لا بد أن يحتاج اليها.

الملك : نعم لا بدّ من ذلك (الى الونزو) اصدر ايها الوزير امراً بتجهيز ثلاثين سفينة بكل مقتضياتها ولتكن مستعدة للسفر متى يشاء كولومب.

ستنجل : أيد الله دولتكم يا مولاي إنما اذكركم برفع مقام الأميرال تنشيطاً لهُ ومكافأة على أتعابهِ.

الملك : ذلك امر لا بدّ منهُ وسنرى في ذلك عند اجتماعنا بهِ.

الكردينال : ها هو مقبل (يدخل كولومب ويحيي باحناء الرأس).

الملك : ماذا تريد أن تصنع الآن أيها الأميرال؟

كولومب : انا رهين الاشارة يا مولاي. أنا أكره البطالة ولهذا أسرعت في العود لتأمرني بعمل جديد.

الملك : اطلب ما تريد فإننا نعتبر رأيك فوق كل رأي.

كولومب : عفواً مولاي. اطلب العود الى العالم الجديد.

الملك : رعياً لك من مجاهدٍ عظيم. فليكن لك ذلك وقد صدرت الأوامر للوزارة الحربية باعداد ٣٠ سفينة وها أنا اجدد ما منحتك اياه من لقب الأميرال الأكبر ونائب الملك وازيد على ذلك وضع عائلتك في مصاف العيال الشريفة والحق لها بالاقتران ببنات الملوك والأمراء ولك أنت مقام الملوك والسلاطين والحق ان تتصرف تصرفاً مطلقاً في البلاد التي اكتشفتها وما عليك إلّا أن تقرّ لنا بالطاعة والسيادة والسير بمقتضى العهود المحررة ما بيننا.

كولومب : مولاي أنا عبد حقير لا أستحق كل هذا. ها أنا اقسم امام الله والناس بالطاعة العمياء لجلالتكم ما دمت حياً.

الملك : لله درك ما أصفى قلبك واكرم اخلاقك اقترب مني لأطبع على خدك قبلة أخوية واذهب بسلام الى الأرض الجديدة ولك أن تلبس بها التاج وتحمل صولجان الملك كعادة الملوك العظام. اذهب بسلام أيها الأميرال الكبير والبطل الفاتح.

ستنجل : ما أكرم هذا الملك!

الكردينال : وما أشد تواضعهُ!

الونزو : وما أعظم حبهُ للعلماء!

كولومب : مولاي انني اترامى على أقدام عظمتك ولي نعمة التمسها.

الملك : قل ولك ما تريد ولو كان نصف ملكي.

كولومب : وضع هؤلاء الهنود في المدارس ليتعلموا لغتنا وبعد ذلك يساعدوننا على التفاهم مع اقوامهم.

الملك : كل ما تطلبهُ يكون لك مهيأ للسفر. غداً ترافقك الحاشية الى البحر وتودّع وداع الملوك والامراء فاستعد للسفر (يرخى الستار).

الفصل الثالث

القسم الثالث

(القاعة عينها انما لا يكون فيها غير عرش الملك)

المشهد السابع

(الكردينال . الملك . المرشد . انتوان . الونزو . دي اجيدا . ستة اسبان . ستنجل . بويّال)

الملك : (جالس على العرش مطرق الرأس والغم بادٍ على وجهه).

الكردينال : ما بال سيدي الملك مضطرب البال حزين القلب.

الملك : دعني ايها الكردينال فان اشقى الناس هو الملك. ان اشقى البشر من يهتم بجميع البشر. ولا تسلني عن مصائبي فقلب الملوك مستودع الهموم.

الكردينال : ماذا جرى؟! مولاي لا تستر عني امراً فلماذا لا تجيبني لماذا لا تطلعني على دخيلة الأمر فلعلي قادر على افراج كربتك.

الملك : ان مسألة كولومب كانت سبباً لقلقي. تعلم ان ثمرة أول سفرة من سفراتهِ كانت خلافنا مع ملك البرتوغال حتى تدخل في المسألة قداسة البابا. وقد سافر ثانيةً وكانت القلاقل ترافقهُ في كل سفراتهِ كأن الدهر كتب لهذا الرجل ان لا يوفق لهُ سعي. عجباً هذه هي المرة الثالثة سافر بها

وهو في أشد الخلاف مع شعبنا الاسباني في تلك البلاد والحرب الأهلية تكاد تنشب بينهم.

انتوان : مولاي: قلت عن هذا الرجل ولا أزال أقول انهُ بوم الويل وغراب الدمار.

المرشد : جلّ من لا عيب فيهِ وعلا.

الملك : قد ساد الخلاف بينهُ وبين رولدان الذي ارسلناه ليتولّج الأمور القضائية.

الونزو : ومن أين عرفت ذلك يا مولاي؟؟

الملك : من كتاب أرسله إليّ كولومب بالأمس مع الخمس مراكب وهو يطلب ارسال رجل يقوم مقام رولدان. وفي هذا الصباح جاء مركب سادس وفيهِ تفاصيل الثورة وكتاب آخر من رولدان واتباعهِ يتذمرون من سوء تصرف الأميرال واستبداده. فما العمل يا ترى؟ قد عرفت ان مبغضي كولومب كثيرو العدد فماذا نصنع يا الله.

المرشد : مولاي لا تحكم قبل البحث الطويل.

خادم : مولاي دي اجيدا بالباب يطلب الدخول.

الملك : قل لهُ يدخل (الى الكردينال) هذا الرجل قادم من العالم الجديد ولا ندري ماذا يحمل الينا عن كولومب (يدخل دي اجيدا).

دي اجيدا : سلام ايها الملك المعظم.

دي اجيدا : ان شعبك في تلك البلاد في اتعس الحالات ولا شقاء في الدنيا إلّا نالوا منهُ قسماً كبيراً.

الملك : ربّاه ما هذا؟!

دي اجيدا : فكولومب رجل مستبد عاتٍ والحرب الأهلية بينهُ وبين الشعب قائمة على قدم وساق. قابلت هناك جمهوراً غفيراً وكلهم يتذمرون ويشتكون من هذه الحال. فكولومب لم يدفع لهم مرتباتهم حتى أصبحوا يؤثرون

الموت على الحياة وهو يعاملهم معاملة خشنة لا يحتملها الهنود في تلك الأقطار. ان كولومب وأخويه يا مولاي لا يخرجان إلّا تحت السلاح نظراً لبغض الشعب لهم. ومتى أبغض الشعب حاكماً فكيف يرجى لهُ التقدم والعمران.

الملك : ويلاه من هذا المصير!

ستنجل : مولاي قد يكون في الأمر مبالغة وقد تكون هذه الصورة مكبرة.

دي اجيدا : انا لا أكذب أيها الوزير وهب انني كذاب فامام ملكي لا أقول إلّا الحقيقة فلا تهني.

الونزو : انهُ لم يلحق بك اهانة ولكن ثقتنا بكولومب تحمل على التكذيب.

بوبّال : ولماذا؟ فاليوم تلقيت رسالة من رولدان يقول بها أن كولومب طلب من الاسبانيين أن ينادوا به ملكاً ولما رفضوا ذلك ساد بينهم النفور وكان من أمرهم ما كان.

دي اجيدا : مولاي : بطر الرجل اذ رأى نعمتك الجزيلة عليهِ. رأى على رأسهِ التاج وبيده الصولجان فطغى وتجبر.

الملك : آه ماذا أقول ان المسألة من الأهمية بمكان (ضجة في الخارج).

ستنجل : ما هذا الضجيج ما هذه الضوضاء (يدخل ستة من الاسبان بأثواب رثة قادمون من العالم الجديد).

الستة : اين الملك! يرونهُ (العدل الرحمة).

الملك : ماذا تطلبون؟ تكلموا.

واحد : مولاي كولومب ظالم لم يدفع لنا مرتباتنا حتى كدنا نموت جوعاً. استبد بنا. استخدمنا كما يشاء لأغراضهِ. نطلب من جلالتك العدل يا مصدر الاحسان والشفقة.

آخر : سيدي عاملنا برحمتك وحنانك.

الملك : سيكون ما تريدون عودوا الى بيوتكم الجميع فليحيَ الملك. ويخرجون.

المشهد التاسع

(المذكورون ، فرنسيس بوفاديليا)

الملك : أيها الوزراء! ان ألسنة الخلق اقلام الحق ولو لم يكن كولومب كذلك لوجدنا رجلاً يمدحهُ. ان دوام الحال على هذا المنوال يؤدّي بالمملكة الجديدة الى الدمار فمن الضرورة أن ننظر في الأمر. اليوم سنرسل معتمداً الى تلك الديار يسوّي الخلاف حتى اذا ثبت على كولومب ما نسب اليهِ يتولى المعتمد أزمة الاحكام.

الكردينال : ومن تريد أن يقوم بهذا العمل الخطير.

الملك : سنرسل فرنسيس بوفاديليا في هذه المهمة فاكتب لهُ الأوامر يا النزو (النزو يشرع بذلك) اذهب أيها الجندي وقل لفرنسيس أن يحضر (يخرج الجندي) اذا كان كولومب فعل ما نُسب اليهِ فإنهُ يكون ناكراً للجميل لا يعرف قيمة النعمة. وأنتم أيها الوزراء يجب ان تساعدوني على فض هذا المشكل ونسأل الله ان يوفقنا الى ما بهِ خير المملكة.

المرشد : يا رب احفظ المملكة من كل شيء (يدخل فرنسيس).

فرنسيس : ماذا تأمر يا مولاي؟.

الملك : نأمر بذهابك الى البلاد الجديدة حيث كولومب المكتشف وبموجب هذه الأوامر تصنع. اعطهِ الأوامر يا النزو (يأخذ الأوامر من الوزير) واحذر ان تنقاد الى الأغراض فأنا واثق بنزاهتك.

فرنسيس : سأخدم جلالتكم بكل ما أقدر عليهِ. فمتى تأمرون بسفري؟

الملك : اذهب الآن فالسفينة على استعداد وبها كل ما يلزم.

فرنسيس : استودعكم الله (ويخرج).

الملك : أمثل كولومب يتجاسر أن يرفع نظرهُ الى عرش اسبانيا. هذا العرش الذي ترتد عنهُ ابصار الملوك كليلة. سوف تنال أيها العاتي المتمرد عقاب

خيانتك. آه لو أنني استطيع أن أمدّ يدي اليك من فوق البحار لأسحقك سحقاً. أتطمعك نفسك بالخروج على فرديناند ملك اسبانيا لقد صح بك قول الشاعر:

انّ الزرازير لمّا قام قائمها توهمت انها صارت شواهينا

وصح بي أيضاً قول المثل: لا تأمن شر من احسنت اليهِ (تدخل الملكة).

الملكة : ما بال مولاي شديد الغضب؟

الملك : (بحدّة) دعينا فأنتِ أصل الأمر والسبب (يرخي الستار).

الفصل الرابع

القسم الأول

(يمثل الملعب هيئة جزيرة اسبانيولا قرب قصر كريستوف كولومب)

المشهد الأول

(فرنسيس «معتمد الملك» . جنود . جمهور من الاسبان . فرنان «رفيق المعتمد»)

فرنسيس : اخوتي لقد ملأت آذان اسبانيا اخبار تعاستكم وشقائكم في هذه البلاد الوافرة الثروة الغنية بخصبها ومعادنها . عجباً يحدثون عن هذه الأرض بأن تربتها ذهبية وببقعة منها ما لا يوجد في جميع خزائن الملوك . لقد أصبحتم في هذه الحال :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمولُ[1]

فوالله ان مصيركم يستنزف الدموع ويستبكي الصخور . تركتم بلادكم طمعاً بالثروة الوافرة فاشتهيتم الكسر التي تملأون بها اجوافكم فما هذا المصير وكيف تصبرون على الضيم لا شك انكم جبناء . لقد بلغ مسامع الملك انينكم الجارح وتذمركم من تصرفات كولومب السيئة فأرسلني الى هذه الأقطار لأتولى الفحص عمّا أجراه ويجريه هذا الرجل حتى اذا

(١) العيس : الجمال البيض يخالط بياضها شقرة أو ذكنة خفيفة . والبيداء : الصحراء .

ثبت عليه كل ما نُسب اليهِ أدّبتهُ تأديباً يستحقهُ كل ظالم ناكر الجميل.
اخرج أيها الجندي واحضر دياكو شقيق كولومب.

رجل : بلساني ولسان الجالية الاسبانية ارحب بك يا من أتيت لانقاذنا من مخالب الظلم وبراثن الاستبداد.

فرنسيس : وقد بلغني ان كولومب قد شنق ثمانية من اخوتنا الاسبانيول ولم يزل ثمانية في اعماق السجون ينتظرون الساعة الرهيبة. فهذا الأمر ارعد فرائصي[1]. يا لها من فظاعة بربرية. الأنهم ثاروا عليهِ يطلبون قوتهم يقضي بشنقهم. ما هذه العدالة ان نيرون [2] لم يحلم بهذا الظلم ولم يخطر لفرعون[3] على بال.

رجل : قد فعل أكثر من ذلك يا مولاي ولو...

فرنسيس : فعل ما فعل وقد أتت الساعة ساعة الانتقام من البغاة (يدخل دياكو).

* * *

المشهد الثاني

(المذكورون ، دياكو ، كولومب)

فرنسيس : فباسم الملك فرديناند اخاطبكم فاسمعوا. اقرأ يا فرنان هذا الأمر (يدفعهُ اليه فيقرأه).

---

(١) الفرائص: جمع فريصة، وهي لحمة بين الثدي والكتف ترعد وترتجف عند الفزع.

(٢) نيرون: أحد أباطرة روما الظالمين (٤ — ٦٨) بلغ من طغيانه أنه قتل أمّه، وزوجته، واضطهد المسيحيين، وأحرق مدينة روما.

(٣) فرعون: اسم أُطلق على ملوك مصر ما قبل الميلاد، وقد بات هذا الاسم رمزاً للظلم وللاستبداد في الأحكام.

فرنان : (يقرأ) نحن فرديناند ملك اسبانيا قد عهدنا الى فرنسيس بوفاديليا أمر الفحص عن اجراءات كريستوف كولومب في العالم الجديد وامرناهُ أن يفعل كل ما تطلبهُ الحكمة ويقضي بهِ العدل.

فرنسيس : أعرفت الآن من أنا يا دياكو وما هي مهمتي فالآن باسم الملك فرديناند آمرك أن تطلق سراح المسجونين لأطلع منهم على بعض الأمور المتعلقة بمهمتي.

دياكو : ان هذا لا يكون بدون أمر من أخي ان اخي يتجول الآن في سهول الفاغا حيث يعمل فيما تطلبهُ الشروط المحررة بينهُ وبين الملك فإذا شئت تكرّم بصورة الأمر لأرسلهُ اليهِ ولا يبعد ان يحضر في الحال.

فرنسيس : كأنك لم تعتد بهذا الأمر. فلنشنف آذانك بالأمر الثاني فلعلهُ يخفف من خيلائك. اقرأ يا فرنان.

فرنان : (يقرأ) نحن فرديناند ملك اسبانيا نأمر معتمدنا فرنسيس بوفاديليا أن يتولج احكام الجزيرة اذا قضت بذلك الظروف وعليه أن يقضي بالعدل بين شعبنا الاسباني في تلك البلاد.

فرنسيس : ألا تسلِّم الآن يا دياكو ألا تخرج المسجونين؟!

دياكو : لا يا حضرة المعتمد لا أسلّم.

فرنسيس : اذاً فاسمع أمراً ثالثاً. اقرأ يا فرنان.

فرنان : (يقرأ) نحن فرديناند ملك اسبانيا نقضي بتسليم مهام الاحكام وكل شيء مختص بالمملكة الى فرنسيس بوفاديليا.

فرنسيس : (إلى دياكو) وكيف الآن ألم يلن حديد عزمك يادياكو. اخرج المسجونين وإلّا تلونا على مسامعك الأمر الرابع.

دياكو : لا أخرجهم ولو قرأت جميع اوامر الدنيا. اقرأها، أنا الغريق فما خوفي

من البلل[1] (على حدة) أجنَّ الملك يا ترى أم ماذا؟ (الى فرنسيس) نحن نعرف انفسنا حكام هذه البلاد فما أنت إلّا مزوّر يا فرنسيس. فهيهات ان تؤثر بي اوامرك المزيَّفة.

فرنسيس : اذاً فاسمع الأمر الرابع. اقرأ يا فرنان.

فرنان : (يقرأ) نحن فردينان ملك اسبانيا نقضي على كريستوف واخويهِ بدفع المتأخر قبلهم من مرتبات المتوظفين مع ديونهم الشخصية حالاً. ونقضي أيضاً على كريستوف بطاعة معتمدنا فرنسيس بوفاديليا والامتثال لكلما يأمرهُ بهِ.

فرنسيس : (إلى دياكو) والآن لا تسلِّم؟

دياكو : لا أرضى ولو صارت السماء أرضاً لا أريد ولو قطعوا لي حبل الوريد.[2]

فرنسيس : إذاً تسلّم بالرغم عنك.

دياكو : كذبت في وجهك أيها المعتمد الدجّال فلا...

فرنسيس : اتكذبني ويحك يا قليل الحياء. جنودي كبّلوا هذا اللئيم بالقيود. وأنتم يا جنود كولومب عجّلوا بالهجوم على القلعة كسّروا ابواب السجن. اخرجوا اخوانكم المظلومين من بين تلك الجدران السوداء (يخرجون بحماسة ويبقى دياكو مقيداً). وأنتم أيها الناس اشهدوا واشهد أنت يا دياكو أيضاً أنني أضع يدي على قصر الاميرال كولومب الخائن وعلى ما فيه وأنادي على رؤوس الأشهاد انهُ اصبح قصري بعد اليوم ولا أمل لكولومب وعائلتهِ بالتولي على هذه البلاد بعد اليوم. فمن لهُ دعوى على كولومب وأخويهِ فليصدّرها وأنا أسمع. خُذ أيها الجندي هذا الأمر الى كولومب وقل لهُ يعجّل بالحضور.

الشعب : فليحيَ العادل فليسقط الظالم.

---

(١) «أنا الغريق فما خوفي من البلل» مثل يضرب عند وقوع المصائب متتالية، وتأتي صغارها بعد كبارها

(٢) حبل الوريد: عرق في العنق وهما وريدان ينبضان أبداً. وقطع الوريدين يعني موت صاحبهما.

دياكو : بل فليسقط الخونة الغادرون.

فرنسيس : اخرس يا لئيم. اخرجوا هذا الوغد واطرحوهُ في السجن.

دياكو :

ما كنت أحسب أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفل[1]

(يخرجونهُ)

فرنسيس : لقد طغوا وتجبروا وحسبوا أن عين العدل مغمضة لا ترى شرورهم وآثامهم لقد نال دياكو عقاب تمرده وبقي كولومب فعند حضوره سنرى ولكل حادث حديث.

* * *

المشهد الثالث

(فرنسيس . فرنان . المسجونون . جنود)

فرنان : علامَ عوّلتَ يا مولاي في مسألة كولومب؟

فرنسيس : إلى الآن لم اجزم جزماً قاطعاً ولكن أقلّ حكم هو السجن (يدخل جنديان).

جندي : مولاي قد طرحنا دياكو في السجن والشعب قد اخرج المسجونين وكان هزؤُهم شديداً بدياكو عندما التقوا بهِ على الطريق وها هم آتون ورائي.

فرنسيس : اذاً قد اخذوا بثأْرهم منهُ وسيشتمون كولومب ان شاء الله (يدخل المسجونون).

سجين : اسمح لنا يا سيدي ننطرح على اقدامك ونقبلها.

---

(١) هذا البيت للشاعر الخطاط مؤيد الدين الأصفهاني الطغرائي (٤٥٣ـــ ٥١٥ هـ/ ١٠٦١ ـــ ١١٢٢) من قصيدته لاميّة العجم.

آخر : فقد انقذتنا من العذاب وأرحتنا من الشقاء.

غيره : شكراً لك يا نصير العدل وعماد الرحمة.

فرنسيس : قد فعلت مشيئة ملككم العادل ايها الاخوان. قد سمعت نداء الضمير وشعرت بالروح انكم مظلومون ولهذا قد انقذتكم وعن قريب ترون كيف أعاقب الظالم المتمرد فادعوا إذاً لجلالة الملك بالنصر.

المسجونون : فليحي الملك فليعش الملك.

فرنسيس : لماذا قضى عليكم كولومب بالسجن؟

واحد : قسماً برأس الملك. قبض علينا لأننا طلبنا قبض مرتباتنا. سجننا ليتخلص من مطالبتنا لهُ.

آخر : ما أمرّ ذاك السجن يا مولاي هواؤه بارد نتن والقذارة تملأُ غرفهُ كأنما صنع للانتقام والحكم بالاعدام.

فرنسيس : ان قلبي يتفطر من سماع هذه الأحاديث المفجعة (يدخل خادم).

جندي : مولاي قد أوشك كولومب أن يصل.

فرنسيس : خُذ اذاً هذا الأمر وبلغهُ اياه قبل وصوله. جنودي كونوا على حذر. (يدخل كولومب وبرتلماوس في الباب فيدفع الخادم الأمر الى كولومب فيقرأه ثم يقول).

* * *

المشهد الرابع

(كولومب . فرنسيس . برتلماوس . مرتين . «خادم كولومب»)

كولومب : وهنت قواي. خانتني ركبتاي. ماذا أرى؟ اتكذبني عيوني. ماذا أسمع اتصدقني آذاني؟ أهذا توقيع الملك؟ لا أصدق. هذا سحر. هذه

طلاسم. الملك يأمر بخضوعي للمعتمد وأنا ملك هذه البلاد. يا خيبة الأمل بعدلك يا فرديناند. آه ما أتعس حظي! أماتت الملكة حتى صدر مثل هذا الأمر؟ حتى اقترف الملك هذا الجرم. أمات ستنجل؟ أتقلبت الاحوال. آه ما أشقاك يا كولومب! أهذا جزاؤك. أهذه المكافأة على خدماتي العديدة؟

أي حجارة مملكة اسبانيا انطقي. أنا كولومب طفت الدنيا تعرضت للأخطار والأهوال حتى أسست مملكة جديدة تخفق فوقها اعلام اسبانيا. أهذا يكون جزائي؟ تباً لأحكام هذه الدنيا! لا عدل في هذا العالم. قد فعلت ما فعلت لمجدك أيها الاله الأعظم فمنك وحدك أرجو الجزاء. ان ملوك هذا العالم دون عدلك يا ملك الملوك. أنت ينبوع العدالة يا الله. آه ما أحلى الموت قبل السقوط.

برتلماوس : أخي تجلد ولا تخف فأنت ملك هذه البلدان.

كولومب : لا تاج ولا صولجان ولا ملك بعد الآن (ويسقط على الأرض).

برتلماوس : ربّاه ماذا جرى؟ أخي بحقك اخبرني.

كولومب : (برباطة جأش).

يا من يردّ إليَّ ما فقدت يدي	هيهات ليس يُردُّ أمس الى الغد
فقدت يدي طيب الحياة وهل ترى	لي مطمع في الغابر المتجدد
قد خانني صحبي وانصاري وما	قد عاد لي بين الورى من منجد
واليوم فردينان اصدر أمرهُ	يقضي بطاعة أمر باغٍ معتد
قد كنت أحسد سيداً في ملكهِ	وغدوت احسد عبد عبد السيد
رباهُ ما لي غير حلمك ناصرٌ	في الضيق فلتكمل مشيئة سيدي

(ثم ينهض متجلداً ويقول لفرنسيس) ان مولاي الملك يأمرني بالخضوع لأوامرك يا حضرة المعتمد أتريد أن تفحص عن تصرفاتي فهات المدعين فأنا ماثل بين يديك.

فرنسيس : لا داعٍ ولا مدَّعٍ قد عرفت كل شيء يا كولومب.

كولومب : إذاً أنا بين يديك فمُر بما تشاء.

فرنسيس : باسم الملك فرديناند أنا فرنسيس بوفاديليا قد حكمت على كريستوف كولومب واخويه بالاعدام جزاء خيانتهما.

كولومب : الاعدام؟ الاعدام جزاء اعمالي؟ هذا خير جزاء!

فرنسيس : جنودي كبِّلوا كولومب بالحديد (لا يقدم احد) جنودي تقدموا (لا يقدم احد) اتخافون هذا الرجل وهو خاضع مسلِّم. جنودي تقدموا (لا يقدم أحد) أساحرٌ هذا الرجل ما هذا؟ (يتقدم خادم كولومب الخصوصي).

مرتين : (خادم كولومب) هاتوا القيود لأكبِّلهُ (ثم يأخذ القيود ويبدأ بتقييده).

كولومب : يوضاس[1] سبقك الى هذا العمل يا خادمي الأمين.

الجمهور : يغطون وجوههم والخادم يقيِّد كولومب وبرتلماوس.

فرنسيس : اخرجوا هذين الخائنين الى السجن حيث أخوهما الثالث وهناك ينتظرون ساعة الاعدام (يسدل الستار).

* * *

---

(١) هو يهوذا الاسخريوطي احد تلاميذ السيد المسيح، الذي باع سيّده وأسلمه الى اعدائه بثلاثين من الفضة، وقد جرّه الندم بعدها الى الانتحار شنقاً. والعامة تسميه يوضاس.

الفصل الرابع

القسم الثاني

(يمثل الملعب سجناً مظلماً)

المشهد الخامس

(كولومب ودياكو وبرتلماوس في السجن . دياكو وبرتلماوس نائمان)

(كريستوف كولومب)

أيُّ قلبٍ نظير قلبي معذّبْ   وعلى نار حزنهِ يتقلّبْ
أنشب الدهر في فؤاديَ مخلبْ   فاراني برق السعادة خُلَّب
ما أمرّ الحياة طاب مماتي !

أين مجدي والملك والتيجانُ   أين أين البرفير والصولجانُ
أين جندي بل أين فردينانُ   غدروا بي وكلهم قد خانوا ؟
ما أمرّ الحياة طاب مماتي !

لم يعد لي غير الشقا والسلاسلْ   وعذاب ما ان لهُ من مماثل
ظلموني وحكمهم غير عادل   فكأني لصٌ أثيم قاتل
ما أمرّ الحياة طاب مماتي !

بعد ذاك العلا وسكنى القصور بعد جوب الدنى وخوض البحور
بعدما كنت سيّد المعمور بتُّ في السجن مثل وَغْدٍ حقير
ما أمرّ الحياة طاب مماتي !

أيها السجن مدفن الاحياء رقَّ وارحم تعاسة الابرياء
يا قيودي ألا تجيبي ندائي خففي الوطء وارحمي اعضائي
ما أمرّ الحياة طاب مماتي !

إيه كولومب يا أمير البحار صاحب التاج فاتح الاقطار
لا يغرنَّكَ الزمان ، حذار فاصطبر واحتمل قضاء الباري
ما أمرّ الحياة طاب مماتي !

انّ قوماً خدمتهم ظلموني فوق شوك الهوان قد طرحوني
وبهذه القيود قد كبَّلوني فلقيت العذاب بين السجون
ما أمرّ الحياة طاب مماتي !

أأرى بعد وجه «ايزابلا» مثل بدر بين الدجى يتلالى؟
ملكة لا تخيّب الآمالا آه يا رب قرّبنَّ المجالا
ما أمر الحياة طاب مماتي !

يا إلهي اشفق على اخويَّا وبعين الرضا انظرنَّ إليَّ
وغيوث الصبر اسكبنَّ عليَّ لم يعد لي من ذلك المجد شيَّا
ما أمرّ الحياة طاب مماتي !

ان شخص المنون بات أمامي آه من جور معشر الحكّام
أعلينا قضيتَ بالاعدام يا فرنسيس آه من ظلّامي
ما أمر الحياة طاب مماتي !

(دياكو وبرتلماوس يفيقان)

(كولومب يغمى عليهِ ويسقط على وجههِ).

المشهد السادس

(المذكورون ، السجان ، جوزف صديق

كولومب)

دياكو : أخي كولومب! كريستوف! استفق. لا تجزع.

كولومب : (يرفع رأسهُ قائلاً) : أنا لا أعرف الجزع يا دياكو. أنا لا أخشى الموت. فقد استقبلتهُ قبل الآن وتقت اليهِ ولكنهُ لم يقترب مني. أنا أتألم من الظلم ويذيب قلبي نكران الجميل. آه من نظرة وداع الى البلاد التي اكتشفتها فتلك اعظم أُمنية يطلبها هذا المظلوم.

برتلماوس : آه ما أمرّ الموت! أنقضي غرباء عن الوطن؟! لا يسكب علينا محب دمعة.

كولومب : سيندبنا التاريخ وتبكينا الانسانية جمعاء يا أخي وكفانا بذلك تعزية.

دياكو : التاريخ؟! ومن يصنع التاريخ غير الناس يا أخي؟!.

كولومب : التاريخ يُخطُّ باصبع العدل ومداد النزاهة وكل تاريخ لم يكن كذلك يداس من الناس. التاريخ ينصف يا أخي والمرء يُعطى حقهُ تحت الثرى. أنا شديد الأمل بالتاريخ وعلى هذا الأمل لا أخاف من الموت.

برتلماوس : ولكن أهكذا جزاء الشهامة والاخلاص من الملوك.

كولومب : اتطلب العدل في كل حين اتطلب الكمال من الناس لا تطمع بذلك يا أخي. ولكن اشفق على الظالم فهو أولى بالشفقة من المظلوم.

السجان : ثلاثة عقبان من بيضة واحدة.

دياكو : قد اكتشفت طريقة ننجو بها.

كولومب : انك تهينني يا أخي ،انا اهرب؟ كولومب يضع في تاريخه نقطة سوداء لا هذا لا يكون لا تحدث نفسك بهذا فيما بعد.

السجان : ما أكبر نفس هذا الشيخ وما أعظم شهامتهُ (يدخل جوزف).

كولومب : لماذا أتيت في جنح الظلام وهل سمح لك السجان.

جوزف : أتيت لأعزيك في ضيقتك وأشدد عزمك (همساً). والسجان رشوتهُ بالمال.

كولومب : (يهز رأسه) لا بل أتيت لوداعي قبل دنو الأجل قبل ساعة الاعدام فشكراً لولائك واخلاصك يا جوزف.

جوزف : لا تخف فبينك وبين الموت مسافة بعيدة.

كولومب : نعم ولكن يد الظالمين تقصر هذه المسافة.

جوزف : يعزُّ عليّ أن أراك ساقطاً تحت اعباء الظلم والعدوان. يعزُّ على العدالة أن تضحَّى على مذابح الجور وأنت قد انقذت شعباً عظيماً من عبودية الهمجية.

كولومب : ذاك حظ الفضيلة في هذا العالم ولكن ثق اني اذا تمكنت من العود الى أسبانيا فهناك تظهر براءتي امام الملك. ربَّاه قرّب تلك الساعة ولكن هيهات فسيف الجلّاد أقرب (يغص بالدموع) (الى جوزف) اخرج فإني اسمع وقع اقدام. آه أتت الساعة (يدخل فيليجو ويخرج جوزف) أقبل الجلّاد. دنا الاعدام.

* * *

المشهد السابع

(المذكورون . فيليجو)

كولومب : أإلى الموت يا فيليجو؟

فيليجو : إلى اسبانيا يا مولاي.

كولومب : بربّك أصدقٌ ما تقول؟ عهدنك صادقاً يا فيليجو. قل الحقيقة فأنا شجاع وقد تعوّدت مثل هذه المواقف.

فيليجو : قسماً برأس مهابتك يا مولاي سنسافر الآن الى اسبانيا. السفينة معدّة فتهيأ للذهاب.

اخواه : أصحيح ما يقول؟! ربّاه!!

كولومب : فلننهض: عليك كل اعتمادي أيها الصمدُ![1].

(يمشي ويجرّ قيوده الثقيلة ويتبعهُ اخواه)

ما خاب عبد على مولاهُ يعتمد.

فيليجو : مولاي اتسمح لي بحل هذه القيود.

كولومب : لا يا فيليجو. قد تعوّدت طاعة أولياء أمري. بهذا يأمر معتمد الملك وأنا خاضع لأمره في السر والعلن.

فيليجو : ناشدتك الله تسمح لي.

كولومب : لا أيها الصديق فهذه القيود اعظم وسام نلتهُ جزاء اتعابي ومن لا يفتخر بالوسام. هذه القيود ستحفظ عندي كتذكار عظيم وستوضع معي في اللحد لترافقني الى الأبدية. سيروا بنا ولا تضيعوا الزمان فالوقت قصير والزمان ثمين.

(يسدل الستار)

(١) هذا الصَدْر، وعجزه الذي يليه، من الابتهالات التي يتقرّب بها المتعبّدون الى الباري تعالى، ينشدونها في المواسم الدينية والتراويح. والصمد: السيّد الرفيع، وهو من اسماء الله الحسنى لبقائه تعالى بعد فناء خَلْقه.

الفصل الرابع
القسم الثالث

(في قصر الملك)

المشهد الثامن

(الملك . ستنجل . بويّال . الكردينال . الونزو)

الملك : (الى ستنجل) لم يرد اليوم شيء من معتمدنا فرنسيس في العالم الجديد .

ستنجل : لقد ذهب كغراب نوح ولم يعد.

الملك : إذاً قد اتفق الاثنان عليّ. أم شبّت نار الحسد بينهما فأدّت الى حرب طاحنة ولكن لا فكولومب لا يحب الدم.

بويّال : وإذا كان ذلك فلماذا شنق الثمانية وحمّل الاسبان احمالاً ثقيلة .

الملك : للضرورة احكام ومتى مثل بنادينا نحاسبهُ عن كل شيء .

بويّال : ولكن هيهات ان تراه يا مولاي. فهو يدعي الملكية ويطلب الاستقلال .

الملك : إلى أين يهرب فلانكلنّ به ولو كان في عرين الأسد.

بويّال : (على حدة) لقد نلت الغاية (الى الملك) وإذا جنّد يا مولاي عسكراً من أولئك البرابرة فماذا تصنع ؟

الملك : نملأُ تلك البلاد بأساطيلنا وعساكرنا ونصبّ عليها كرات المدافع وإذا اقتضى الأمر فأنا أتولى قيادة الجيش بنفسي كما توليت قيادة جيش غرناطة.

بويّال : جلالة مولاي قدير على كل شيء متى أراد.

الكردينال : لا نظن كولومب يعصي هذا العصيان فهو يطيع الملك عن حب لا عن خوف. ولا أخالهُ إلّا طائعاً المعتمد بكل ما يقضي.

الونزو : ولكن قطع المخابرات مما يحمل على الريبة وترجيم[1] الظنون.

ستنجل : قد أقبلت جلالة الملكة (تدخل الملكة).

المشهد التاسع

(المذكورون ، الملكة ، احد البحارة)

الملك : هل عرفتِ شيئاً عن العالم الجديد عن كولومب.

الملكة : لا يا سيدي. وهذه المسألة تقلق خاطري.

الملك : لقد كنا في غنى عن كل هذا أيتها الملكة لولا...

الملكة : نعم أنا كنت السبب ولم أندم على ما جرى لأن ذلك أعظم فخر للمملكة ، وينبوع ثروة غزير.

الملك : ولكن من الاكتشاف للآن لم يرد علينا ما يستحق الذكر.

ستنجل : البلاد غنية يا مولاي فمعادن الذهب فيها لا تحصى.

الملك : وفي قلب الأرض معادن ولكن من يكفل استخراجها؟

الملكة : التعب مشروط في كل عمل يا سيدي.

---

(١) رجّم الرجل بالغيب: تكلم بما لا يعلمه. والترجيم مصدر ، ومعناه التكلّم بما لا حقيقة له.

الملك : دعونا من هذا الحديث فهو كالأحلام المزعجة. ألم يزل يخشى من ثورة المسلمين ثانية أم اخلدوا الى الهدوء والسكون؟

الونزو : الحالة الظاهرة مرضية ولكني أظن كل هذا ناراً يغطيها الرماد.

حاجب : مولاي بالباب بحريٌّ يطلب الدخول وهو قادم من اسبانيولا.

الملك : من اسبانيولا؟ قل لهُ يدخل. «الى الحاشية» لا بد أن يحمل الينا الخبر الشافي عن مملكتنا الجديدة (يدخل).

بحري : مولاي هذا كتاب امرني كريستوف كولومب برفعهِ الى نادي جلالتكِ.

الملكة : هاتهُ (تقرأهُ ويظهر على جبينها الكدر).

الملك : وماذا يحتوي؟

الملكة : تفضل واقرأ. ظلموك يا كولومب (وتطرق برأسها).

الملك : (بعدما يقرأ) كريستوف كولومب مقيد بالسلاسل؟ هذا ظلم. هذا عدوان ما أفظع هذه المعاملة.

الملكة : هذا بغي أيها الملك انها لمعاملة بربرية.

ستنجل : يا للجور والبهتان!

الونزو : هذا عار على اسبانيا.

الكردينال : ما أقسى قلبك يا فرنسيس!

بويّال : (على حدة) هذا بعض ما يستحقهُ ذلك الخائن.

الملك : وهل صعد الى البر مكبَّلاً؟

بحري : نعم مولاي وقد حدثت في المدينة ثورة خواطر واشمأز الجمهور من هذه المعاملة وتصاعدت اللعنات الى الجو.

الملكة : حسناً فعلوا فهذا ما تأباه النفوس العالية.

الملك : (إلى ستنجل) اكتب الى رئيس السفينة ومرهُ بحل قيود كولمب واخويهِ وأرسل مبلغاً من المال لينفق على الملبوس اللّائق بمقام كولومب وشقيقيهِ.

بحري : مولاي قد طلب اليه الضابط فيلجيو أن يحلّ قيودهُ في البحر فأبى لأن ذلك بأمر معتمد جلالتكم وهو لا يعصى لكم أمراً.

الملك : ما أكرم هذا الرجل. عجّل أيها الوزير وأصدر الاوامر كما قلت لك وحرّر لكولومب ان يعجل بالحضور وبيّن لهُ اسفنا الشديد على هذه المعاملة الجائرة (يخرج ستنجل ويتبعهُ البحري).

المشهد العاشر

(المذكورون)

الملكة : لقد طُعن قلبي بسهم حادّ من جرّاء المعاملة الجائرة.

الملك : سنسكب على قلب كولومب المجروح بلسم التعزية وكفاه فخراً اننا صرحنا لهُ بأنهُ مظلوم وان ذلك ساءنا أشد الاستياء.

الكردينال : بارك الله بعدلك وحلمك يا مولاي.

الملك : ولكن لماذا فعل ذلك فرنسيس لا ريب ان في الزوايا خبايا.

الونزو : سيظهر كل شيء عند حضور كولومب.

الملكة : واشوقي الى مرآهُ وأسفي على تعاسته.

بويّال : لا تأسفي يا سيدتي ومن هو هذا الرجل حتى يستحق اسف الملكات.

الملكة : اسكت فأنت عدو لئيم بل سبب كل هذا. اما فرنسيس الماكر فسنريه.

الملك : لا تغضبي أيتها الملكة لا تغضبي فأنتِ أكبر من الوعيد. هدّئي روعكِ ومري بما تشائين. عن قريب سيأتي كولومب ولا نخرجهُ إلّا حامداً شاكراً.

الملكة : شكراً لك يا مولاي (يدخل جندي).

المشهد الحادي عشر

(الملك * الملكة * كولومب * جندي)

جندي : مولاي قد اقبل كريستوف كولومب.

الملك : فليدخل (يخرج الجندي) انعمي بالاً فقد اقبل ابنكِ.

الملكة : ولي الفخر يا مولاي.

كولومب : يدخل كولومب ويركع امام الملكة والملك فتغص عيناها بالدموع ويظل نحو دقيقة لا يتكلم فتنهض الملكة عن عرشها وتأمره بالنهوض ثم تأخذه بيده قائلة :

انهض يا كولومب انهض أيها المجاهد العظيم (ينهض).

الملك : اجلس عن يميني ايها المخلص الأمين.

كولومب : لا اجلس قبل ان تظهر براءتي امام سيدي فمر لي بالكلام.

الملك : لقد ظهرت لنا براءتك ولا حاجة الى البرهان ولكن تكلم.

كولومب : ظُلمت يا مولاي ولكن الالتفات الملوكاني العظيم انساني كلّ شيء. أنا لم افعل إلّا كل ما بهِ خير المملكة. خاطرت بحياتي كدت اقتل من رفاقي. كدت اغرق. تحملت الجوع والبرد. لم يبقَ خطر ولم اقع بهِ. ومع ذلك لم اخرج عن دائرة الواجب. حصَّلت للمملكة شرفاً ومالاً وجاهاً ولذلك يعزُّ عليّ أن أُسلَّم الى الحسَّاد القساة ليفعلوا بي ما يشاؤون وتشاء اهواؤُهم. إذا قضت عليّ الظروف ان اعامل الشعب بالقسوة فذاك لأن القسوة واجبة ولولا ذلك لم اثبت في تلك البلاد البربرية. فأين بوفاديليا واين من شكاني اليك. لماذا حكم عليّ بالاعدام ولماذا لم يحاكمني؟ العدل العدل لا أطلب غير العدل فإذا كنت مستحقاً الموت فأنا أقبلهُ بكل طوع واختيار.

الملك : مهلاً فقد قضينا باسقاط بوفاديليا جزاء خيانتهِ وأنت لا تستحق عندنا غير التجلة والاكرام وكل ما وعدناك به من الانعامات نزيد عليها ما ستراه ايها الأميرال.

كولومب : مولاي أعظم مكافأة اطلبها هي ارجاعي الى مقامي.

الملك : ان مملكة اسبانيا بل العالم بأسره مديون لك يا كولومب ولكن رجوعك الآن لا يوافق لأنك تعبت وصحتك لا تساعدك على ذلك.

كولومب : انا رجل أحب أن أموت في ساحة الجهاد يا مولاي.

الملك : ولكن الآن لا يناسب رجوعك الى ما كنت عليهِ بسبب القلق السائد في تلك البلاد، ولكن متى نسيت تلك الحوادث تعود الى رتبتك ومقامك. والآن فقد امرنا بارسال أوقاندو حاكماً الى تلك البلاد وتجهيز ثلاثين سفينة لسفره.

كولومب : (على حدة) ما أشقاني يا لتعاسة حظي. ليس بهذا يقضي العدل (إلى الملك) ولكن انسيت يا مولاي ان هذا من حقوقي بموجب الشروط التي وقعتموها جلالتكم في سنتنافه فعاملني بموجب الشروط وانصف يا جلالة الملك.

الملك : ان الانصاف الآن وخيم العاقبة فعدِّ عن هذا الطلب.

كولومب : واخيبة الأمل (يفكر قليلاً) مولاي إذاً لا أمل بالعود.

الملك : كلّا أيها الأميرال.

كولومب : يقنعني بهذا اللقب. إذاً مر لي ببضع سفن لاكتشف طريقاً جديدة اعلل النفس بها بين جزيرة كوبا والأرض التي اكتشفتها.

الملك : سنأمر لك بذلك فطب نفساً وقرَّ عيناً.

كولومب : (على حدة).

هذي مكافأتي العظمى على تعبي

تبًّا لكولومب منكوداً وأي شقي

اني رضيتُ بما جاد المليك به

(جندي) من فاتهُ اللحم فليشبع من المرقِ[1]

(يرخى الستار)

(1) شطر من بيت شاع حتى بات مثلاً سائراً يضرب عند الفشل في الوصول إلى الأهداف العظيمة فيُكتفى بما هو دونها شأناً.

الفصل الخامس
القسم الأول

(يظهر الملعب بهيئة مقبرة وعلى قبر الملكة

اكليل)

المشهد الأول

(جنديان)

أول جندي : لقد طال غياب جلالة الملك في حديقة المقبرة.

ثاني جندي : نعم فحبُّه للملكة كانت عظيمة ولقد كان موتها مجلبة أحزان وكدر. فهو لا تصفو لهُ ساعة ولم يعد يطيق ترداد اسمها على مسامع جلالتهِ.

أول : ما أجمل هذا الإكليل الذي وضعهُ اليوم على قبرها ! ان مشهد الموت لمؤثر.

ثانٍ : واشد تأثيراً منهُ ركوع ملك عظيم فوق قبر منفرد. ان سلطان الموت لأعظم من كل سلطان.

أول : دعنا يا أخي من حديث المقابر وأهل القبور.

ثانٍ : وبماذا تريد ان نتحدث.

أول : حدثني عن كولومب فقد سمعت ان اخاهُ برتلماوس جاءَ أمس يطالب بحقوقهِ ويسأل جلالة الملك القيام بالعهود.

ثانٍ : ولكن ألم تعلم ان جلالة الملك طرد برتلماوس وقال لهُ: ان قيامي بما وعدت يهدم اركان مملكتي ويحمل الاسبان على الخروج.

أول : ولمَ ذلك؟

ثانٍ : ذلك لأن الأهلين هناك يكرهون جداً كولومب وأخويهِ.

أول : ولماذا لم يحضر كولومب بنفسهِ.

ثانٍ : ان كولومب في أشد الخطر وقد ثقلت عليهِ وطأة المرض وهو في مدينة سافيليا[1]. فسفرتُه الأخيرة الى الجمايك[2] كانت ويلات ومصائب وقد قذفتهُ الأنواء الى العالم الجديد فعامله حاكمه أوفاندو معاملة سيئة وتكسرت مراكبهُ ولم يبقَ معهُ غير سفينة واحدة جاء بها الى سان لوكار ميناء الأندلس بعدما قاسى أشد الاضطهاد.

أول : مسكين هذا الرجل فإنهُ يسير والمصائب جنباً لجنب.

ثانٍ : اتظن الملك يجيب طلبهُ.

أول : لا. لا هذا لا يكون.

ثانٍ : اذاً خرج برتلماوس غاضباً ساخطاً.

أول : وسيعود كولومب أيضاً مثله فقد بلغنا أنهُ بعد شفائهِ سيحضر لقيام الدعوى ويطالب بحقوقهِ رسميًّا.

ثانٍ : ومن يطالب؟ ايكون الملك المحاكم والحكم ويأمل كولومب بنجاح

---

(١) سافيليا: اسم يطلق على مدينتين الأولى في اسبانيا وهي المعروفة بإشبيليا. والثانية في كولومبيا، وهي المعنيّة هنا.

(٢) جامايك: هي جزيرة جامايكا من جزر الأنتيل الكبرى تقع جنوبي كوبا، كانت تابعة للتاج البريطاني استقلت ١٩٦١ عاصمتها كنغستون.

دعواه (يهز برأسه) «لا تعاند من إذا قال فعل»[1] يا أخي.

أول : مسكين كولومب لقد كانت الملكة تعضده ولكنها ماتت وبموتها موت كل آمال كولومب.

ثانٍ : أبلغهُ موت الملكة يا ترى؟

أول : لا ريب فالملكة ليست برجل خامل الذكر حتى لا يشيع خبر موتها.

ثانٍ : أصبت فيما تقول ولكن لا بد ان يحضر.

اول : إذا لم يمت. أنسيت أنك قلت لي أنهُ مريض.

ثانٍ : أنا أنسى. فالكذاب يلزم ان يكون قوي الذاكرة. وقد مارسنا هذه الصنعة في قصر مولانا الملك. لأن الظروف تقضي علينا بالكذب غالباً والملوك لا ترضيهم الحقيقة كل حين.

أول : دع هذا المجون. انسيت أنّا في مقام الجد.

ثانٍ : خلِّ السياسة لأصحابها فإنها تشغل الفكر، ولا فائدة نجتنبها منها، فالمجون احرى بنا وأولى.

أول : مهلاً. اجلس الجلوس العسكري. اسمع وقع اقدام. اظن الملك مقبلاً. (يجلس الجنديان على السلاح).

* * *

(١) هذا العجز بيت حكمي لابن الوردي : زين الدين عمر، من قصيدته اللّاميّة المعروفة بـ «وصيّة الاخوان ومرشدة الخلّان». والبيت بكامله :

جانب السلطان واحذر بطشه   لا تعاند من إذا قال فعل

المشهد الثالث

(كولومب ، الجندبان)

ثانٍ : لا . هذا كولومب المسكين (يدخل كولومب ويرتمي على القبر) .

كولومب : هنا على هذا الضريح على قبر الملكة ايزابل يجب أن تموت يا كولومب . على هذا اللحد يجب أن تسكب الدموع وعلى أحد جانبيهِ ان ترقد رقاداً أبدياً جزاء معرفة الجميل . شلّت يمينك ايها الموت كيف قوّضت اركان ذلك الهيكل الشريف رمز العفاف والطهارة . آه ما أقوى شوكتك فإنك لا تخاف العروش ولا تهاب الجنود ! أصمّ أبكم لا تشفق ولا ترحم . أيها القبر انطق تكلّم خبرني عن فناء هذه الدنيا وحدثني كيف تعامل الملوك . آه انهُ لا يجيب .

ايزابل سيدتي أجيبي عبدكِ الواقف ينتظر الجواب . ما هذا السكوت عهدتكِ لا تسكتين عن جوابي . قد كدتِ ترهنين تاجكِ حبًّا بي . اتبخلين عليّ بكلمة في هذا الموقف الأخير . ايزابل أنا راكع على الحصى فانهضيني كما انهضتني الأمس عن البسط الحريرية . أين تلك اليد الناعمة . آه قد أكلها الدود (يغص بالبكاء) تكلمي يا مليكتي . عهدتكِ طليقة اللسان . آه اخرسها الموت . يا ملكة كستيليا نظرة واحدة الى كولومب . نظرة واحدة تحييني يا ايزابل . قومي انظري ظلم فردينان .

أوّل : ويحهُ اسمع ما يقول (يشير الثاني بالسكوت) .

كولومب : قومي انظري كيف يخلف الملوك الوعود . انهضي وانتقمي بعدلكِ من الظلم وانقذي كولومب من مخالب المستبدين ... ما تراني اضع على قبركِ ؟ إكليلاً جميلاً ؟ أتمثالاً من الذهب الذي اغتنمناه من العالم الجديد ؟ واأسفاه لا أملك شيئاً من ذلك ! ولكن بقي لي واحد وهو هذا

الصليب الذي رافقني في كل أسفاري. فها أنا أضعهُ تذكاراً على قبركِ ليؤنسك في وحشة الليل. فاقبليهِ مني يا ولية نعمتي. ايها الضريح اشفق عليها فقد كانت مصدر الشفقة والرحمة. ويا ملائكة السماء احرسي جثمانها فقد كانت ملاكاً بصورة انسان. لقد عاد كولومب يا ايزابل فقومي بحقكِ وانظريهِ. ولكن هيهات !!.

(نشيد)

سلامٌ على قبرٍ بهِ الفضل والتقى سلامٌ على مثوى الطهارة والمجد
سلامٌ على لحدٍ بهِ العدل نائمٌ فيا ليتني قد كنت في ذلك اللحد.
سلامٌ على شمس المكارم والعلى فلما توارت غاب مع نورها مجدي
سلامٌ على جيدٍ هوى فوقهُ الثرى وقد كان يشكو امس من حملة العقد
سلامٌ على عرش هوى بعد فقدها وكان وطيد الركن من قبل ذا الفقد
سلامٌ على كولومب من بعد أُمهِ فيا ليتني قد غبت قبلكِ في لحدي
سلامٌ على الدنيا الجديدة بعدها سلامٌ على الدنيا سلامٌ على الهند
فلا أملٌ أرجوهُ من بعد فقدها وهل يُرتجى الاصلاح من فاقد الرشد
«ايزابل» رقي وارحمي ضعف هائم أسيدتي رفقاً وعطفاً على العبد
«ايزابل» فردينان زوجكِ ظالمٌ فقومي انظريهِ اليوم يخلف بالوعد
«ايزابل» فردينان خان عهودهُ وويلاهُ من ملكٍ غدا ناكث العهد
مليكة قلبي انّ بعدكِ قاتلي فيا ربّ صبّرني على لوعة البعد
ترى نلتقي من بعد بعدٍ وجفوةٍ ترى نلتقي من بعد هجرٍ ومن بعد
وداعاً الى حينٍ وانّا سنلتقي على رغم انف الدهر في جنّة الخلد

والآن فاسمحي لي أن أقبّل ثرى ضريحكِ قبلة الوداع على أمل اللقاء في عالم الأبدية (يظهر الملك قادماً من وراء القبر).

المشهد الثالث

(الملك ـ كولومب ـ الجنديان)

الملك : ما هذا النواح؟ ما هذا العويل؟ ومن دخل المقبرة يا أوفاندو؟

أول جندي : كريستوف كولومب يبكي على قبر الملكة.

الملك : أجاء يزعجها في مماتها كما أزعجها في حياتها ان مطالبيهُ كثيرة فما جاء يطلب آه من هذه المطاليب؟

كولومب : اطلب العدل والانصاف ايها المولى.

الملك : وممن تريد أن تنصفك يا كولومب؟

كولومب : من الملك فرديناند؟

الملك : وماذا تطلب منهُ؟

كولومب : القيام بالعهود واعطاء كل ذي حق حقهُ.

الملك : قلْ أيٌّ حق لك؟

كولومب : لا أخالك تجهل. وهل تنكر توقيعك؟

الملك : يريد ان يعاملنا قانونياً على رسلك أيها الرجل.

كولومب : واعدل ايها الملك العظيم.

الملك : انا عادل ولكن عين الطمع حديدة البصر.

كولومب : لقد أرسلت أخي برتلماوس وطردتموه فأتيت بنفسي لأطلب حقي فماذا تجيب يا مولاي؟

الملك : نجيبك كما أجبنا أخاك. أنا هو المملكة ولنا أن نفعل ما نشاء.

كولومب : ليس على الظالم من حرج (على حدة) صرّح لم أفهم شيئاً.

الملك : لا حق لك علينا وإذا جدنا عليك بشيء فذلك من حلمنا.

كولومب : اطلب عدلاً لا رحمة. اذكر وعودك أيها الملك شفاهاً وخطّاً. اذكر هذه الشروط (ويظهرها) ان التاريخ يحكم عليك بها.

الملك : انا في مأمن حكومة التاريخ ان حكمها لي لا علي.

كولومب : التاريخ لا يرتشي: فرديناند استحلفك بهذا الضريح. استحلفك بعظام ايزابلا. استحلفك بهذه الراقدة رقاداً هادئاً انصفني.

الملك : (يغطي وجههُ بيديه) لا توقظها أيها الرجل لا تزعج عظامها.

كولومب : ان روحها تطل علينا من فراديس الجنان فلا تدعها تغضب.

الملك : لا تلفظ اسمها فيا بعد. لقد قدتّها الى القبر بمطاليبك المزعجة فلا تلحق بها الى الأبدية.

كولومب : مظالمك قادتها الى الموت (جندي يستل سيفاً ليضرب بهِ كولومب).

الملك : احذر أيها الجندي مكانك أليس من العار أن ننتقم من المجانين؟

كولومب : مجنون لأني أرجو عدلك.

الملك : اذهب أيها الرجل اذهب انا اسامحك وان كنت قد اهنت الملوك.

كولومب : ايسامح الظالم المظلوم هذا امر غريب. انا اسامحك ايها الملك لأنني احس بدنو الأجل. اسامحك لأنني ساغادر هذا العالم ومن يترك هذا العالم يصفح عن كل آثامه.

الملك : اذاً لماذا تطالب بهذه الحدة والعنف؟

كولومب : اطالب لئلّا يقال مات كولومب ولم ينصفهُ الملك. احاول ان امحو بهذا الطلب نقطة سوداء في تاريخ حياتك ولكن يظهر انك لا تريد.

الملك : لا. لا أريد. (يهم بالخروج).

كولومب : كلمة واحدة يا فردينان.

الملك : لا كلمة ولا كلمتان. (يخرج الجميع الا كولومب).

* * *

المشهد الرابع

(كولومب وحدهُ)

هذا جزاء «سنمار»[1] ظفرت بهِ ... من المليك فاين العدل يا بشرُ
سيأخذ الله ثأري وهو لي عضدٌ ... ومن عدالتهِ يا ويل من غدروا
عدلاً ملوك الورى فالله يرمقكم ... عن عرشهِ وهو للمظلوم ينتصر
لا تجزعوا يا بني الدنيا لمظلمة ... جاءَ الملوك بها يوماً بل اصطبروا
لم يرشفونا كؤوس الظلم مترعة ... الّا وفي كأس ذاك الظلم قد سكروا
لكم بما ذقتهُ يا اخوتي مثلٌ ... الله أكبر وهو الفوز والوطر

آه من الجور ! آه من الظلم ! من لي بأن تكوني ناظرة يا ايزابلا شقاء كولومب. يا ليتكِ بقيتِ حية لتشاهدي آخر مشهد من رواية حياتي المحزنة. آه إني احس بارتخاء في مفاصلي. ستعاودني نوبة المرض. اني اشعر بدنو الأجل. بقرب الاجتماع بالملكة ايزابل بين الملأ الأعلى حيث الحق والنور حيث العدل والرحمة. فهناك لا ظلم ولا خيانة ولا غدر. آه من ناس هذا العالم فأكثرهم خونة ناكرو الجميل... ما هذا الضعف ما هذا الدوار؟! ساعدني يا الله لأصل الى فراشي ولا احتاج الى أحد ينقلني اليه فأنا مسكين لا نصير لي.

من لي بأن أراك يا ولدي المحبوب لأودعك وأوصيك لتخط على قبري مات مظلوماً. قرَّب الله الساعة التي اقول بها على فراش الموت. سامحك الله يا فردينان. واغفر يا رب لمن أساءَ وأخطأَ إليَّ.

(ستار)

---

(١) جزاء سنّار: مثل سائر يضرب في مقابلة الصنيع الحسن بالعقوق والعتاب. وقصة المثل أن معمارياً من الروم إسمه سنّار كلّفه الملك النعمان بن امرىء القيس أن يبني له قصره «الخورنق» في مكان قريب من الكوفة اليوم، فلما فرغ سنمار من بناء القصر، وكان آية معمارية، ألقى به الملك من على سطح القصر فسقط ميتاً، وذلك لئلا يبني قصراً مثله لسواه من الملوك. فضرب المثل بهذا وقيل: جزاءه جزاء سنمّار.

الفصل الخامس

القسم الثاني

(يمثل الملعب غرفة نوم والملك راقد في سريرهِ)

المشهد الخامس

(الملك ، الأشباح)

الشبح : فردينان فردينان انهض.

فردينان : (يتحرك في فراشهِ بين النائم والمستيقظ) ما أطول هذا الليل!

الشبح : نعم ليل الظالمين طويل. استفق يا فردينان.

فردينان : ربّاه اسمع صوتاً. من يجسر على اقلاق الملك.

الشبح : الحقيقة فوق كل ملك. العدالة أكبر من كل سلطان. استيقظ يا فردينان.

فردينان : تبددي ايتها الأحلام تفرقي ايتها التصورات المزعجة.

الشبح : فردينان ويلك من يوم الحساب. فردينان إنك لظالم!

فردينان : من هو هذا الوقح.

الشبح : هذا أنا يا ظالم.

فردينان : ماذا أرى؟ ماذا أنظر؟ ما هذا الشبح؟ جنودي!

الشبح : اسمع لأناقشك الحساب فأنا لست من هذا العالم. أنا روح وهيهات أن تقوى الجبلة الترابية على الأرواح.

فردينان : (بصوت مرتجف) ماذا تريد؟ قل ولا تعذبني.

الشبح : العدل. القيام بالعهود.

الشبحان : العدل. العدل.

فردينان : انهُ يخيفني. عجباً أنا فردينان لا أخاف الجيوش الجرّارة كيف أخاف الظل. أين أنت أيها السيف. (يمد يده الى سيفهِ).

الشبح : خلِ عنك السيف فلست من لحم ودم (يقع السيف من يده ويرتجف).

فردينان : قل من أنت ولا تطل عذابي ايها الخيال. قل ما تريد.

الشبح : أريد انصاف كولومب. أريد القيام بالعهود.

فردينان : يا رب بقيت الأرواح لم تطالب بحقوقهِ. وها قد أتت الآن فما أصنع؟ قل من أنت أيها الشبح.

الشبح : هذا لا يعنيك فقم بعهودك يا رجل.

فردينان : ناشدتك الله قل من أنت أيها الخيال؟ وأنا لا أخيب لك طلباً.

الشبح : أنا ملكة كستيليا أنا روح ايزابل. ثم يتوارى الشبح ويتبعهُ الشبحان.

فردينان : (ينهض الملك مذعوراً وينير المصباح ويضرب الجرس) ما هذا الليل المزعج يا الله (يدخل اوڤاندو) قل للوزراء والحاشية أن يعجلوا بالحضور.

* * *

المشهد السادس

(الملك . ستنجل . الونزو . الكردينال . وزير . جندي)

فردينان : يا رب ألا يفارقني ظل كولومب اين سرت!! أأرسل الله هذا الرجل حتى يعذبني ويكدر صفاء عيشي. ما أنكد حظي! أجل لا راحة لي إلّا بانصاف الرجل فلننصفهُ ونرتاح من كل هذا العذاب (يدخل الوزراء) لقد دعوتكم لنتباحث في أمر كولومب.

ستنجل : ماذا جرى؟ خير ان شاء الله.

فردينان : ظهرت لي في هذا الليل روح ايزابل تقضي بانصاف كولومب.

الونزو : ما هذه الأوهام يا مولاي؟!.

فردينان : ويحك قد رأيتها بأُم عيني وأرعدت فرائصي بكلامها الجريء ومنظرها الهائل والآن عزمت على اعطاء الرجل حقهُ.

الونزو : أنسيت يا مولاي تقريعهُ لك وغضبك عليهِ. أيليق بالملوك أن تعود عن أقوالها.

فردينان : ويلاه ما هذه الحيرة؟!.

الكردينال : وأي حيرة يا مولاي؟

الكردينال : لا داعي للحيرة. ولك أن تسمع نداء الضمير.

فردينان : نعم يا نيافة الكردينال سنعيد الرجل الى مقامهِ. وإذا عاد أحد العامة عن غلطهِ يعدُّون لهُ ذلك فخراً عظيماً فكيف لو عاد الملك. لنعلم الشعب امثولة جديدة بعودنا عن خطإنا.

الكردينال : بارك الله فيك يا مولاي انك بذلك ترضي الله.

فردينان : اخرج ايها الحاجب وعجِّل بحضور كولومب الى هذا النادي.

الونزو : هذا لا يليق يا مولاي.

فردينان : عجل ايها الحاجب عجل فلا مرد لأوامرنا (يخرج الحاجب).

المشهد السابع

(المذكورون ، دياكو ، كولومب)

فرديناند : يا نيافة الكردينال . أيها الوزراء والأمراء .
إذا فعلنا هذا الأمر فإنما نحن نفعل مشيئة الله وننتصر للعدل ونمحو الظلم الذي فعلناه عن غير عمد . ان الملوك يقترفون المظالم احياناً وهم يحسبون أنهم يفعلون العدل ويلبون أوامر الشريعة ، فمثل هؤلاء يجب أن لا نسميهم ظالمين . لأنهم لم ينوا حكمهم إلّا على ما اتصل بهم فاعذروني اذا كنت ظلمت كولومب وها أنا أطلب المغفرة من التاريخ (يدخل الحاجب) .

الحاجب : مولاي صان الله مملكة اسبانيا من كل داهية وحفظ جلالة ملكها الأعظم (ويقدم الرسالة) .

فرديناند : (بعدما يقرأ الرسالة) انعي اليكم ايها الوزراء كريستوف كولومب المكتشف العظيم . مات ولكن آثاره لم تمت . قضى ويا لهف نفسي عليهِ فقد عاش عظيماً ومات عظيماً . مات مكسور الخاطر وليتهُ عاش الى هذه الساعة لكان فارق الحياة قرير العين عزيزاً كريماً ولكن لله في خلقه شؤون . سر يا كولومب بأمان الى العرش السموي واصفح عن سيئات هذا العرش الترابي لأنهُ لم ينصفك لأنك مت مظلوماً . وأنتِ يا روحهُ الطاهرة فسيري على اجنحة الملائكة وارقدي في حضن ابرهيم في عالم الحق والنور . في عالم الحياة الأبدية . ترثيك يا كولومب مآثرك الغرّاء وتبكيك اياديك البيضاء وتنوح عليك الانسانية جمعاء فقد كنت لها اعظم نصير . تندبك البلدان التي افتتحتها ويرثيك العالم الجديد الذي اطلعت في سمائهِ بدور المدنية وشموس الدين الساطعة . تؤبنك اسبانيا وتقرّ فوق قبرك بفضلك العظيم فقد خلدت لها في التاريخ ذكراً لا يمحى . يندبك فرديناند ملك اسبانيا ويكفّر عن إثمهِ اليك بهذه الدموع

لقد مت حانقاً عليّ يا كولومب ولا يبعد ان تكون امطرت عليّ صواعق اللعنات. ولكن لا فأنت مسيحي حقيقي تصفح عمن أساء اليك. فسر بسلام الى ملكوت الله حيث تجتمع على مائدة الأبرار والصديقين بمليكتك ايزابل.

الونزو : مولاي ما هذا الانفعال؟!.

فردينان : اسكت فالرجل يستحق اعظم من هذا والآن بما تراني أكفّر عن ذنبي يا ترى؟ (يفتكر ثم يقول) الآن قد اهتديت الى طريقة امحو بها ما سبق من الذنوب. سأقيم ابن كولومب مقام أبيهِ كما آليت على نفسي في الشروط (جندي من الخارج يدخل).

جندي : مولاي على الباب رجل يلبس الحداد يطلب المثول بناديك.

فردينان : قل لهُ يدخل من هو هذا يا ترى (يلتفت الملك فيراه ويقول لهُ) تعالَ يا ابن الاميرال تعالَ يا ابن كولومب الشهيد فقد أرسلتك العناية الإلهية في أوانك نحن في حاجة اليك.

دياكو : وأي حاجة يا مولاي.

فردينان : حاجة عظمى وهي أن نقيمك خلفاً لأبيك.

دياكو : شكراً لك يا مولاي (يركع).

فردينان : انهض فأنت منذ الآن حاكم البلاد التي اكتشفها أبوك ولك كل ما عاهدناه عليهِ. لا تشكرني فأنا أكفّر عمّا أخطأت بهِ ضد أبيك. وها أنا أسأل روحهُ في السماء أن تغفر لي. وأنتم أيها الوزراء جهّزوا المعدات لسفر هذا الشاب وقولوا: لتحيَ عظام كولومب.

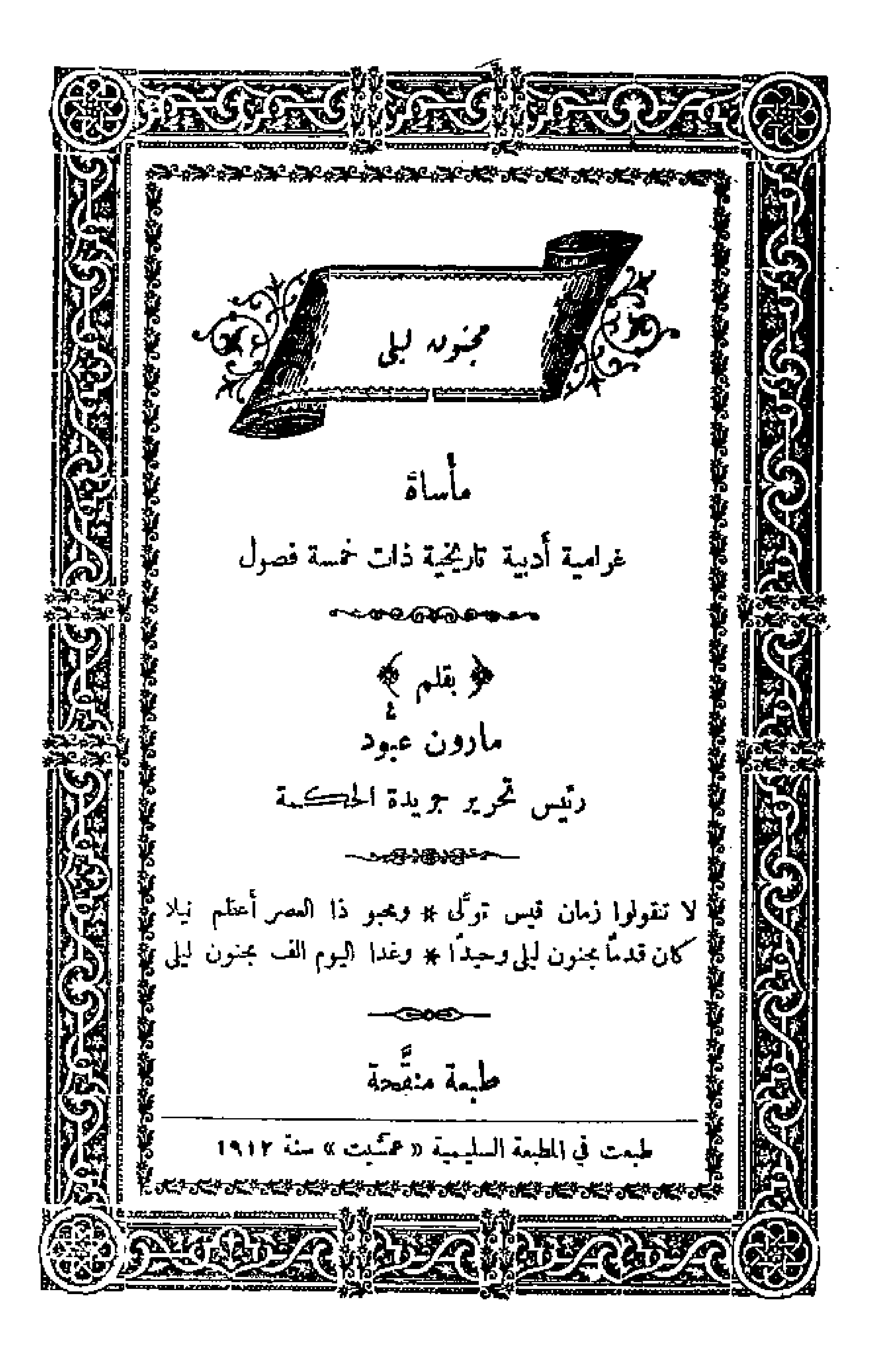
الجميع : فلتحيَ عظام كولومب.

الملك : وأنا أقول قولاً ستردده بعدي الأجيال والاعصار:

لو كنتُ أقدر ان اعاقب أبحراً قاسى بها «كولُمبس» الاهوالا
لنزعتُ منها درها وجعلتهُ فوق الضريح لمجده تمثالا

(تمّت)





مجنون ليلى

مأساة

غرامية أدبية تاريخية ذات خمسة فصول

بقلم

مارون عبود

رئيس تحرير جريدة الحكمة

لا تقولوا زمان قيس تولّى * ومحبو ذا العصر أعظم نيلا
كان قدماً مجنون ليلى وحيداً * وغدا اليوم ألف مجنون ليلى

طبعة منقّحة

طبعت في المطبعة السليمية «عمشيت» سنة ١٩١٢

مجنون ليلى

مأساة

غرامية أدبية تاريخية ذات خمسة فصول

بقلم

مارون عبّود

رئيس تحرير جريدة الحكمة

لا تقولوا زمان قيس تولّى　　ومحبو ذا العصر أعظم نيلا

كان قدماً مجنون ليلى وحيدا　　وغدا اليوم الف مجنون ليلى

طبعت في المطبعة السليمية

عمشيت سنة ١٩١٢

اسماء الممثلين

قيس	المجنون
الملوّح	والدهُ
سعاد	اختهُ
ليلى	عشيقة قيس
مهدي	والدها
زينب	أمها
سعد	الأمير الذي يتزوّجها
علقمة	الطبيب.
جوان	عامل الخليفة
بكر وخالد	خادمان
اسد	عابر طريق

رعاة، رسُل، جارية، شعب.

الفصل الأول

(بيت شعر في البريّة)

المشهد الأول

(قيس وحدهُ)

أيا ليلَ زند البين يقدح في صدري ... ونار الأسى ترمي فؤاديَ بالجمرِ
فلا تحسبي يا ليلَ أني نسيتكم ... فإنّ مدى الأيام ذكركِ في فكري
فوالله لا انساكِ ما هبت الصبا ... وما نعق الغربان في وضح الفجرِ
ألا ليتنا كنّا غزالين نرتعي ... رياضاً من الجوزان[1] في بلدٍ قفرِ
ألا ليتنا كنّا حمامي مفازةٍ[2] ... نطير ونأوي بالعشيّ الى الوكرِ
ألا ليتنا حوتان في البحر نرتمي ... إذا نحن أمسينا نغوّر في البحرِ
ألا ليتنا نحيى جميعاً وليتنا ... نصير إذا متنا ضجيعين في قبرِ

---

(١) الجوزان: أنواع من النبات، منها جوز الحمس وهو ثمر شجرة هندية، وجوز المرج وهو الكاكنج وهو صمغ شجرة تنبت في جبال هراة وصمغها لطيف فيه برودة كافورية.

(٢) المفازة: الفلاة التي لا ماء فيها الجمع مفازات ومفاوز.

ضجيعين في قبرٍ عن الناس معزلاً ونقرن يوم البعث والحشر والنشر
عليكِ سلام الله يا غاية المنى وقاتلتي حتى القيامة والحشرِ

آه لو تعلمين يا ليلى مقدار محبتي لرقّ قلبك على قتيل غرامكِ أنتِ بين قومكِ تلتهين وأنا على نار النوى اتقلب!

نهاري نهارٌ طال حتى مللتهُ وحزني إذا ما جنّني الليل أطولُ
وكنتُ كذبّاح العصافير ذائباً وعيناهُ من وجدٍ عليهنّ تهملُ
فلا تنظري ليلى الى العين وانظري الى الكفّ ماذا بالعصافير تفعلُ

لقد سار حبي سير الامثال وكثر في شأننا القيل والقال ولكنني لا أبالي بكل ذلك ما دامت ليلى راضية عني.

تقول العدا لا بارك الله في العدا لقد صدّ عن ليلى ورثّت رسائله
فلو أصبحت ليلى تدبّ على العصا لكان هوى ليلى جديداً أوائله

فما أحلى تلك الأيام التي انفتح بها قلبي لنسيم الحب يوم كان الوشاة غافلين عنّا ونحن نتعاطى كؤوس الهوى.

جميلة أنتِ يا أياماً كنتُ بكِ وليلى راقدين في حضن البريّة لا تخترق صدورنا أسهم عيون الواشين.

تعشقت ليلى وهيَ غرٌّ صغيرةٌ ولم يبدُ للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا الى الآن لم نكبر ولم تكبرِ البهمُ

* * *

المشهد الثاني

(قيس ، ليلى ، جارية)

(ليلى تدخل بغتة)

حبيبيَ ما هذي الصبابة والنجوى ... فقلبيَ من أمواه حبكَ لا يروى
أروم لـقـاءً والـزمـان مـعـانـدي ... وليس لنا في شرع أهل الهوى فتوى
اذا كنتَ تحوى من غراميَ ذرَّةً ... فعنديَ ما تنهدُّ من ثقلهِ رضوى[1]
أبيتُ وما لي في الدجى من مسامرٍ ... وأشكو ولكن ليس من يسمع الشكوى
فـأهلي قسـاةٌ لم يرقـوا لحالتي ... وما جهلوا اني من الحب في بلوى
يقولون خلي مجلس الناس جانباً ... فانَّ الهوى يسري الى العين كالعدوى
فلا حبذا النصح الذي ينصحونني ... فإني رأيتُ الحبَّ أقرب للتقوى

قيس :

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا ... ليَ الليل هزَّتني اليكِ المضاجعُ
أقضي نهاري بـالحديث وبـالمنى ... ويجمعني الليل الذي الهمَّ جامعُ
إذا مرَّ يومٌ من حياتي ولا أرى ... خيـالكِ يا ليلى فعمريَ ضائعُ
تضيق عليَّ الأرض حتى كأنني ... من الصبر في سجنٍ. فما أنا صانعُ؟!

ليلى :

قد براني الهوى وبرّح جسمي ... وتحمـلـتُ مـنـهُ شرّ وبال
فإذا سرتُ بين قوميَ شكّوا ... أأنا سرتُ بينهم أم خيالي
وبـكـلٍّ أرى بحبكَ يا قيـ ... ـس حياةً تحيى بها آمالي
فأبقَ يا مهجتي أليف سرور ... فسـواكم ما مرّ قط ببالي

---

(١) جبل في جزيرة العرب بالقرب من المدينة المنورة ، يرد ذكره في الشعر العربي كثيراً مثالاً للثقل والثبات.

قيس

أحبك حبًّا لو تحبين مثلهُ أصابكِ من وجدٍ عليَّ جنونُ
حليفٌ مع الغزلان أمّا نهارهُ فحزنٌ وأمّا ليلهُ فأنينُ
فيا نفس صبراً لا تكوني لجوجةً فما قد قضى الرحمن فهو يكون
ولكنَّ ما هذي القطيعة والجفا فقد داخلتني ريبةٌ وظنونُ

ليلى :

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً وكلٌّ عند صاحبهِ مكينُ
وكيف يفوت هذا الناس شيءٌ وما في الناس تظهرهُ العيونُ
فطب نفساً بذاك وقرَّ عيناً فإن هواكَ في قلبي معينُ

الجارية : (إلى ليلى) ان أباكِ أوشكَ أن يدخل فانتبهي.

ليلى : اخرج يا قيس اخرج الوداع الآن.

قيس : الى الملتقى يا حبيبتي.

المشهد الثالث

(ليلى . مهدي)

ليلى : مرحباً يا والدي الحنون.

مهدي : وألف سلام يا عزيزتي كيف سبقتنا يا بنية الى هذا المكان ومن كنتِ تحدثين ألم يكن هنا ذلك العاشق الساقط؟

ليلى : ومن تعني؟

مهدي : عنيت قيس الملوّح يا عزيزتي الذي جعل عرضكِ مضغة في افواه

الناس. فالذي أراه يا بنيّة هو أن تقطعي حبل العلاقة بينكِ وبينهُ لئلّا تجرّينا الى حرب كحرب البسوس[1] وداحس[2].

ليلى : حب قيس يجرُّ كل هذا الويل؟

مهدي : نعم يا بنيّة ان غرام قيس لم يسبقهُ اليهِ عربي يغلي في عروقهِ دم الشرف ولا يرضى بهِ والد ابنة عرف بين قومهِ بعلوّ المنزلة وعزّة الجانب.

ليلى : ماذا اصنع يا أبي وحبهُ قد تمكّن من قلبي ورضعت هواهُ مع اللبن.

مهدي : ويحكِ أتصرّحين بهذا ولا تخجلين لقد نضب ماء الحياء من وجهكِ وأعمى الهوى بصيرتكِ فأين حياء العذارى يا حرّة[3] العرب!؟.

ليلى : رحماك أبي ان الحب سلطان ولهُ تعنو[4] القلوب ألم تحب يا أبي ألم تعشق في زمانك؟!

مهدي : لقد عشقت ولكن الى ما وصل اليهِ هذا المجنون لم يصل إليه أحد فدرجة حبهِ لا تقاس وغرامهُ فوق غرام الناس!

ليلى : هو شاعر يا أبي والشعراء يغالون بكل شيء فاشفق على ابنتك واعلم انني مجنونة في هواهُ بعدهُ يقرّبني من الموت وبقربهِ سعادتي الحقيقية.

---

(١) حرب البسوس: من الحروب الشهيرة في الجاهلية جرت بين تغلب وبكر ودامت أربعين سنة. وسميت بالبسوس لأن سبب اشتعال الحرب جرح أصاب ضرع ناقة للبسوس وهي خالة جسّاس بن مرّة رآها كليب بن ربيعة التغلبي ترعى في أرضه فرماها بسهم أصاب ضرعها، فلما رأتها البسوس صاحبتها أخذت تحمس بني قومها على الثأر لناقتها فكمن جسّاس لكليب ورماه فقتله فثارت تغلب بقيادة المهلهل واشتعلت الحرب.

(٢) حرب داحس: هي في الحقيقة حرب داحس والغبراء أو حرب السباق جرت بين عبس وذبيان ودامت زهاء أربعين سنة، وداحس اسم جواد والغبراء اسم فرس، والسباق بينهما كان سبب هذه الحرب. نبغ فيها أبطال عظام كعنترة بن شداد العبسي وشعراء عظام كزهير بن أبي سلمى وعنترة.

(٣) الحرّة: السيّدة التي تنتمي الى طبقة السادة. وكانت تنادى بها كل عربيّة دلالة على سموّ مكانتها ورفعة نسبها.

(٤) تعنو: تسجد، وتخضع.

مهدي : دعي هذه الأعذار الفارغة واعلمي أنني لا أصبر على الإهانة واقسم برب الكعبة اذا وقعت عيني عليهِ في خيمتك قطعتهُ شطرين بحد هذا المهند. ليلى ليلى.. احذري فالعاقبة وخيمة.

ليلى : رفقاً أبي (تركع) انا منطرحة على قدميك اسألك واتذلل اليك أن لا تأسر عواطفي.

مهدي : انهضي يا قليلة الحياء فلقد دنّستِ بغرامكِ الفاسد هوى فتياتنا العذري.

ليلى :

أبي ان الهوى العذريّ عذري ومن صرف الليالي ضاق صدري
فرفقاً بالقلوب أبي ولكن أراك بفرط وجدي لست تدري
فبعد أحبّتي يدمي فؤادي وحلو لقائهم بالشهد يزري

مهدي : ما هذه الوقاحة أتبوح بحبها على مسمعي ولا تخجل. لقد حذّرتكِ شرّ العاقبة وانا ذاهب فافعلي ما يحلو لكِ. (يخرج).

ليلى : لا يحلو لي غير لقاء الحبيب ولكن دون ذلك خرط القتاد [٣] فمتى تحطم قيود التقاليد وترتفع سلطة الآباء والأمهات عن القلوب؟ هذه السلطة الجائرة التي لم يأمر بها الخالق ولم تنزل على نبيٍّ من الأنبياء. ويحكم أيها الآباء الأغرار ألم تكونوا عشّاقاً قبلنا ألم تذوقوا بلية الحب فلماذا لا ترحمون سوف تلعنكم الاعصار وكل بلاء العاشقين يسقط على رؤوسكم ودم المحبين يصرخ طالباً الانتقام منكم ايها الظالمون.

---

(٣) خرط القتاد: القتاد شجر قاس ذو شوك كأنّه الإبر. وفي المثل دونه خرط القتاد أي ان الأمر بالغ حدّ الاستحالة لصعوبته فهو أصعب من احتمال خرط القتاد.

المشهد السادس

(ليلى . جارية . مهدي)

جارية : هل من حاجة أقضيها لك؟

ليلى : لا. (تفكر).

جارية : (تهم بالخروج).

ليلى : ارجعي ارجعي أتعرفين ذلك الشاب الذي كان عندي منذ هنيهة؟

جارية : تعنين قيس العامري؟

ليلى : هو هو بعينه اقصديهِ وقولي لهُ ان مولاتي ليلى تريد أن تراك فاسرع اليها فهي بانتظارك في المكان المعهود.

جارية : وأين هو الآن؟

ليلى : في الوادي.

جارية : امركِ سيدتي. (تمشي لتخرج).

مهدي : (يدخل بغتة ويمسك الجارية بكتفها قائلاً:) الى أين يا رسول الخنا فلولا ان يقال خرق حرمة العرب لقتلتكِ في الحال اخرجي يا خائنة قبح الله وجهك (يصفعها بيده). وأنتِ ايتها الابنة الطائشة ألم أقل لك انني اذيقكِ كأس الحتوف اذا عرفت انكِ تحدثين هذا الشاب فيما بعد فكيف تجرأين على استدعائهِ اليك؟!

ليلى : ما هذا الجور يا أبي أين رحمتك الوالدية؟

مهدي : اخرسي ثكلتكِ أمكِ فقحتكِ لم تسبقكِ اليها ابنة من بنات الحسب.

ليلى : وظلمك لم يرتكبهُ سيد من سادة العرب.

مهدي : ما هذه الجسارة؟

ليلى : وما هذا البغي؟

مهدي : احذري الظهور بعد الآن من خبائلك.

ليلى : هيهات أن يخفف هواهُ تحجبي فهو مصوَّر امام عينَي وان لم تعتنق الاجساد تتعانق الأرواح.

مهدي : دواؤكِ في حد هذا المهندْ فلا بدّ من أن بصدركِ يُغمدْ

ليلى : افعل وأرحني من هذا الشقاء.

مهدي : بل انقذ شرفي من العار اذا فعلت

ليلى : اقتلني ولا تهني.
فالموت عذبٌ في سبيل غرامهِ والموت فيهِ للمحب حياةُ

مهدي : ان الشريف اذا تدنس عرضهُ يغدو بقتل مدنسيهِ كريما
ولأنتِ قد دنَّستِ عرضي فالحقي بالسابقين لكي أعيش عظيما
(يستل سيفهُ محاولاً طعنها).

ليلى : اضرب ولا تخف.

المشهد الخامس

(ليلى ، مهدي ، زينب ، خالد)

زينب : (تدخل بعجلة وتتناول مهدي بذراعهِ) ما هذا الجنون لقد ارعبت قلبي أتقتل ابنتك؟

مهدي : نعم اقتلها لأنقذ شرفي من العار.

زينب : لا هذا لا يكون ألا تشفق على شبابها الناضر؟

مهدي : لأنها لم تشفق على مجدي والمفاخر.

ليلى : أي ذنب اقترفت يا الله ولماذا أضرمت بقلبي شعلة الحب يا ربي. اقتلني يا أبي اذا كان قتلي يلذُّ لك وبهِ سلامة شرفك.

مهدي : اصمتي واسلكي طريق الآباء والأجداد.

ليلى : ومن منهم لم يعشق ولم يحب؟

زينب : اسكتي يا بنية اسكتي.

مهدي : يا خالد يا بكر يا خالد.

خالد : لبيك سيدي.

مهدي : انتظر قليلاً (يأخذ قلماً وورقاً ويكتب).

زينب : ماذا تكتب دع الحماقة يا مهدي.

مهدي : بعد قليل سترين ما يكون.

زينب : (على حدة) آه يا بنية لقد كدرتِ عيشنا بغرامكِ.

ليلى : ارحميني يا أماه فأنتِ امرأة وتعرفين قلوب النساء ان أبي قاسٍ فلا تكوني مثلهُ وكوني مع ابنتكِ لا عليها.

مهدي : (الى خالد) خذ يا خالد هذا الكتاب وادفعهُ الى الخليفة ابن مروان.

خالد : امرك مولاي.

زينب : بربك ما كتبت لهُ؟

مهدي : اصدار امره بهدر دم قيس اذا انتهك حرمة شرفي فيما بعد.

ليلى : لم يسبقك الى هذا أحد يا قاسي.

زينب : اسكتي يا ليلى.

ليلى : يطلب قتل حبيبي واسكت؟!

مهدي : ان لم تسكتي اسكتكِ الموت. (يخرج).

المشهد السادس

(ليلى ، أمها ، خالد)

زينب : ما هذا الجنون يا بنية لقد كنّ عذارى ومثل حبكِ لم يحب ألم تعلمي ان والدكِ قد فعل ما فعل محافظة على شرفكِ؟

ليلى : آه يا أمي لو كنتِ تشعرين شعوري لأشفقت عليّ ومهدتِ السبيل لعقد قراني .

زينب : لعينيكِ افعل ما ترومين فاختاري من تريدين وأنا أمهد العقبات .

ليلى : إذاً اقنعي والدي أن يزفني الى حبيبي .

زينب : هذا محال يا ليلى .

ليلى : إذاً أموت ولا أسف على الحياة .

زينب : يا للجنون ألأجل شابّ تموتين وبين طلّابكِ اشرف منهُ واجمل؟!

ليلى : لا دخل للشرف والجمال في الحب فغيرهُ لا أهوى أبداً ما دمتُ في قيد الحياة حتى ولو كان الخليفة ابن مروان[1] .

خالد : سيدتي مولاي يدعوك اليهِ لأنهُ صمم النية على مغادرة هذه البقعة .

ليلى : يا للمصيبة وما أمرّ بعادك يا قيس !

زينب : تنبهي يا بنيّة فقد قضي الأمر. (تخرج) .

---

(١) ابن مروان : هو الخليفة الأموي الخامس عبد الملك بن مروان (٢٦ــ ٨٦هـ/ ٦٤٦ــ ٧٠٥م) ولد بالمدينة وتوفي في دمشق وحّد الخلافة بعد أن قضى مصعب وعبد الله ابني الزبير. اشتهر بتعريب الدواوين ، وبتعريب الطراز ، وبصك النقود الذهبية. دامت خلافته احدى وعشرين سنة من ٦٥ــ ٨٦هـ.

المشهد السابع

(ليلى وحدها)

تعاندني الايام في وصل من أهوى فالتمسُ السلوى ولا أجد السلوى
فيا ربّ لم ابدعتهُ البدر في البها وأنزلتَ في ثغر لهُ المنَّ والسلوى[1]
تحمّلني الأيام ما لا أطيقهُ من الصبر ان الصبر اثقل من رضوى
ألقى مدى الأيام بيني وبينهُ رقيباً فيالله من هذه البلوى
أحاول ارواء الغليل بنظرةٍ وما ذلك البركان من قطرةٍ يروى
لكل ابن انثى في البريّة مضجعٌ ولكنَّ قلبي ليس يلقى لهُ مأوى
كطير إذا ألقى على الغصن رجلهُ يطاردهُ الصيّاد في ذلك المثوى
وحقّ الهوى لم يخل قلبي من الهوى فما حيلتي والدهر بيني ومن أهوى
أمن مدركٍ سرّ الغرام وكنهَهُ فيشرح للعشّاق معناهُ والفحوى
أذلك داءٌ قاتلٌ ومبرِّحٌ تصاب بهِ الألباب عن طرق العدوى
أقيسٌ اجبني هل بقلبك ذرّةٌ من الحب ان القلب في نارهِ يشوى
أيا من على قلبي جنى بدلالهِ
فديتكِ جُد لي ما على الحب من دعوى
دلالاً فان القلب اضحى بنظرةٍ اسيراً مع الألحاظ يُنشر أو يُطوى
ترى عندكم ما عندنا الوجد والهوى وهل ذقتمُ مثلي أنا المرَّ والحلوا
هو الحبُّ داءٌ قد ورثناهُ كلنا من البدء في الفردوس عن أُمنا حوَّا

ما هذا الصوت الرخيم صوت شبّابة ما أعذب هذا الصوت!

---

(١) المن والسلوى: المن كل ما ينعم به، وقطيرات مائية تنعقد على بعض الأشجار عسلاً وتجف جفاف الصمغ. والسلوى: العسل. وهنا اشارة الى المن والسلوى اللذين انزلها الله على بني اسرائيل في البرية باعجوبة منه ليقتاتوا بهما ولا يموتوا جوعاً.

المشهد الثامن

(ليلى ۔ الرعاة ۔ خالد)

أول : (يغني على شبَّابتهِ وهو داخل).

ثانٍ : (يدخل من الشمال بيده عصا غليظة يسمع مواء القطيع من الخارج فيقول) طقْ طقْ طقْ (يضرب حجراً الى الجهة اليمنى ويقول) قُهْ قُهْ قُهْ الطقس جميل والقطيع قد استمرأ المرعى.

ثالث : دعنا من القطيع فهذه الفسحة مناسبة للرقص والدبك.

ثاني : حِرْ حِرْ حِرْ حِرْ تِسْ تِسْ تِسْ

ثالث : دعنا من مخاطبة القطيع قلت لك.

ثاني : هُو هُو هُو لَعْ لع لع لع.

أول : (يقطع العزف ثم يقول) ما بالكم لا ترقصون؟

ليلى : هنيئاً لكم ايها الرعاة ما أطيب عيشكم!

ثاني : اعزف على لحن المواليّا!

أوّل : يعزف على شبّابته.

الاثنان : (ينشدان):

هيهات يا بو الزلوف عيني يا مواليّا بيني وبينك جبل وايش وصّلك ليّا

عـالبير نشّـالي عـالبير نشّالي مزنره بالكمر فوق الكمر شالي

يا الله يغيب القمر تاسلّمك حالي ونكون ليلة عتم والسرج مطفيًّا

ليلى :

هيهات يا بو الزلوف عيني يا موليّا لا تكسروا خاطري بتتندموا عليّا

الرعاة : (عندما تبتدىء ليلى يشيرون الى بعضهم بالسكوت)

ثانٍ : (همساً) أهذه ليلى؟

ثالث : هي بعينها اعزف يا غانم اعزف.

أوّل : (يعزف على شبّابته كالأول)

ليلى :

وتقول صابوني وتقول صابوني مرُّوا عليَّ العدا بالعين صابوني

لو قطعوني شقف ألواح صابوني ما بحيد عن عشرتك يا نور عينيًّا

(تبكي وتنشف دمعها بمنديلها).

ثالث : ما بالها تبكي؟

ثان : هي عاشقة أما عشقت أم عامر في زمانك؟

ثالث : أم عامر؟ على رأسي.

أول : فلنرقص (يهيئُ شبّابتهُ فيدخل خالد) من هذا؟

خالد : (يدخل ومعه خادم) سيدتي ان أمّك تدعوكِ اليها فاذهبي في الحال.

ليلى : وداعاً ايها الرعاة واني احسدكم لأنكم ستظلّون جيراناً للحبيب قيس. آه ما أمرّ جفاك يا قيس! (تخرج باكية).

خالد : (يبدأُ بحلّ حبال الخيمة ويعاونهُ رفيقهُ ثم يخرجان بها).

أول : أعرفت الى أين يذهب المهدي.

ثانٍ : الى جبل توباذ[1].

ثالث : فلنرقص ونغنِّ فللمهدي وليلى من يسأل عنهما.

أول : ومن تعني؟

ثالث : عنيت قيس الملوّح اعزف لندبك.

ثاني : مسكينان هذان العاشقان.

رابع : السلام عليكم.

---

(١) توّباذ: وبعضهم يلفظها توّباد، جبل بنجد.

ثاني : هات يدك اعزف يا غانم.

أول : يعزف لحن رقص يُعرف عند العرب بالدبكة والثلاثة يشبكون اذرعهم ويرقصون سويّة ويغنون موقعين نشيدهم على الرقص والزمر (وهذا الرقص وذاك الغناء يعرفها العامة ومن شاء تمثيل الرواية فليسأل عنها).

المشهد التاسع

(الرعاة . قيس . عامل الخليفة)

قيس : (يدخل فينقطع الغناء والرقص).

رابع : اسمعوا ما يقول قيس.

قيس :

ألا يا ظباء الحي اين ترَّحلوا	وساروا بليلى والكواكب طُلّعُ
فأمرض قلبي حبها وطلابها	فيا للعدا من صبوةٍ كيف اصنعُ
أأتبع ليلى حيث راحت وخيّمت	وما الناس إلّا آلفٌ ومودّعُ
فإن يكُ جثماني بأرضٍ بعيدةٍ	فان فؤادي عندكِ الدهر اجمعُ
ألا تتقين الله في قتل عاشقٍ	لهُ كبدٌ حرّى عليكِ تقطعُ
غريبٌ مشوقٌ مولعٌ بدياركم	وكل غريب الدار بالشوق مولعُ
فأصبحت مما أوقع الدهر موجعاً	وكنت لريب الدهر لا اتضعضعُ
قنعت بلحظٍ منكِ ليلى وانما	ينال المنى من كان باللحظ يقنعُ
أبيتُ بروحاء الطريق كأنني	أخو خبل أوصالهُ تتقطعُ

أوّل : طيّب الله الأنفاس يا قيس.

ثالث : (إلى الثاني) ماذا يقول لم افهم شعرهُ اشرح لي.

ثاني : هل انا استاذ مدرسة! ما ابلدك!

قيس : آه لم يبق غير الاطلال الدارسة فلنسأل الرعاة عن المهدي (الى الرعاة) أتعرفون اين ذهب المهدي؟

أول : الى جبل توباذ (الى رفاقه) هلموا بنا نخرج فقد ذهب الزمان (يخرجون).

قيس :

ألا أيها القلب اللجوج المعذَّلُ
أفق عن طلاب الغيد ان كنت تعقلُ

أفق قد افاق العاشقون وانما   تماديك في ليلى ضلال مضللُ
تعزَّ بصبر واستعنْ بجلاله   فصبرك فيها لا يدانيك اجملُ
سلا كل ذي ودٍ علمت مكانهُ   وانت بليلى مستهامٌ موكَّلُ

ولكن أين الصبر للعاشق المتيم وكيف يسلو عاشق مغرم.

المشهد العاشر

(قيس ، جواد)

جواد : سلام ايها الشاب.

قيس : والف تحية ايها الكريم.

جواد : انت قيس العامري؟

قيس : نعم.

جواد : انذرك ان مولاي الخليفة قد اصدر امراً بهدر دمك اذا عدت الى الاجتماع بليلى ابنة المهدي فكن على حذر ولا تعرّض نفسك للخطر.

قيس : ما هذا الحكم الجائر أإلى هذا الحد رخص دمي؟

جواد : هذا لا يعنيني وانا بريءٌ من دمك فاستودعك الله. (يخرج).

قيس : مع السلامة قاتل الله الظالمين وما أمرّ عيش العاشقين!

لئن حجبت ليلى وآلى اميرها علّي يميناً جاهداً لا ازورها

على غير شيء غير أني احبها وان فؤادي عند ليلى سميرها

ألا فاقتلونيَ ان موتي طيّبٌ إذا كان في موت الحبيب سرورها

الفصل الثاني

هيئة الفصل الأول عينها

المنظر الأول * المشهد الأول

(ليلى وحدها)

رأفةً في فؤاد ليلى المعنّى ففؤادي المضنى أحبّ فجنّا
من زمانٍ وبل الغرام أقاسي وأراني ما نلتُ ما أتمنّى
ان شكوتُ الغرام قال المحبو ن ان شكوتِ الهوى فما أنتِ منّا
كاد قلبي يذوب وجداً وشوقاً وزماني عليّ بالوصل ضنّا
كنت أرجو اللقاء خابت ظنوني كم محبٍّ يا ناس قد خاب ظنّا
كل اهلي عواذلٌ ويح قلبي ليتهم يعرفون ما القلب كنّا
ايها اللاّئم المعنف دعني فعذابي كالمهرجان وأهنا
ما أُحيلى تذكار عهد لقانا يوم كنّا ولا تسل كيف كنّا
ليتنا نلتقي ويجمعنا الدهـ ـر ونحيى وبالهوى نتغنّى

المشهد الثاني

(ليلى ، زينب)

زينب : (تدخل) ما هذه التنهدات يا بنتاه لقد تركتنا على جمر الاحزان نتقلب وانتِ باحزاننا لا تشعرين. ابوكِ كاد يموت من فرط الأسى وانتِ بغرامكِ لاهية!

بالله يا ناس ما أقوى مصيبتنا — الناس نائمةٌ إذ نحن في سهرِ
وصحَّ ما قالت الأمثال من قِدَمٍ — قلبي على ٱبني وقلب ٱبني على الحجر

ليلى :

أُمَّاهُ ان مصابي ليس تحصرهُ الـ — أقلام حتى بلاني الدهر بالضجر
قد صرت ما بين عشّاق الورى مثلاً — أهوى ولستُ افوز الدهر بالوطر
قد رقَّ لي الحجر القاسي فوا أسفي — لكنَّ قلبكمُ أقسى من الحجرِ

زينب : يا بنية بحق اوجاعي وركوعي فوق سريركِ بحق اتعابي في سبيل تربيتكِ أن تنبذي غرام هذا الشاب ولكِ غنًى عنهُ بواحد من طلّابكِ الذين بينهم الأغنياء والأمراء وهم كثيرون.

ليلى : لا تزعجيني يا أمّاهُ فلا أمير يرضيني ولا غني عن قيس يغنيني. أنا أهواه ولا أهوى سواه وحسبي أنهُ مجنون بحبي حتى لا اميل الى غيره وأي سعادة للفتاة إذا اقترنت بمن ليس تهواه؟

زينب : أسأل الله ان يهديكِ يا بنية. (تخرج).

ليلى : واسألهُ ان يرقق قلبكِ عليّ يا أمي.

المشهد الثالث

(ليلى ـ قيس)

ليلى : ليتك سامع يا قيس تعنيف الأم وتهديد الوالد.

قيس : (يدخل) انا سامع كل شيء يا حبيبتي (يركع).

ليلى : ما أحلى لقاك يا حبيبي إنهض يا مهجتي.

قيس :

قالوا جننتَ بمن تهوى فقلتُ لهم الحب اعظم ممّا بالمجانينِ
الحب ليس يفيق الدهر صاحبهُ وانما يصرع المجنون في الحينِ
نعم جننتُ فهاتوا من جننتُ بهِ ان كان يشفي جنوني لا تلوموني

ليلى : آه ما اعذب لقاءك يا مهجتي!

فكم قد أردتُ الصبر عنك فعاقني هيامٌ بقلبي من هواك قديمُ
ويثني جفاك النومَ مع كل لذةٍ ويقلقني ذكراك وهو عظيمُ

قيس : احنُّ الى أرض الحجاز وحاجتي خيامٌ بنجدٍ دونها الطرف يقصرُ
وما نظري من نحو نجدٍ بنافع فؤادي ولكني على ذاك انظرُ
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة لعينيكِ يجري ماؤُها ويُحدَّرُ
فما كل ما تستنزل العين ماؤُها ولكنها نفسٌ تذوب وتقطرُ
متى يستريح القلب امّا مجاورٌ حزينٌ وامّا نازحٌ متذكرُ؟

ليلى : لقد فطّرتَ قلبي بأشعارك فأنا بغيرك لا أرضى ولو صارت السماء أرضا.

وكم قائلٍ لي اسلُ عنهُ بغيرهِ وذلك من قول الوشاة عجيبُ
فقلتُ وعيني تستهلّ دموعها وقلبي باكناف الحبيب يذوبُ

لئن كان لي قلبٌ يهيمُ بذكرهِ وقلبٌ بآخر انها لقلوبُ
فيا قيس جُدْ لي باللقاء فانني بحبك رهنٌ والفؤاد كئيبُ
وألقى من الوجد المبرَّح سورةً لها بين جلدي والعظام دبيبُ
واني لاستحييك حتى كأنني عليَّ بظهر الغيب منك رقيبُ

قيس : آه من الرقباء والعذَّال وويلي من الوشاة واللوَّام فقد طالما كدروا صفاء اصحاب الغرام اما أنا

فلو ان ما بي بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يسمع لهنَّ هبوبُ
ولو ان ما بي بالجبال لهدَّمت وكادت جلاميد الصخور تذوبُ
تذكرني ليلى على بعد دارها وليلى قتولٌ للرجال خلوبُ
فويلي على العذال لا يتركونني بغمّي أما في العاذلين لبيبُ
فان عشتُ لا أبغي سواك وان أمتْ فما موت مثلي في هواكِ عجيبُ
ولو أنني استغفر الله كلما ذكرتكِ لم تكتب عليَّ ذنوبُ

ليلى : اسمع وقع اقدام! هو ابي مقبل... الويل لنا!
قيس : لا تخافي.
ليلى : قيس اهرب.

المشهد الرابع

(ليلى . قيس . مهدي . خالد . بكر . زينب)

مهدي : (يدخل ومعهُ بكر وخالد).
ليلى : أبي بحقك اقتلني ودعهُ. (تتمسّك بهِ).

قيس : (يظهر علامات الارتباك وينظر ليجد منفذاً يفرّ منهُ).

مهدي : أمثل قيس يدخل خباء الحرائر[1] والعذارى. رجالي دونكم هذا الوغد.

بكر وخالد : (يهجمان على قيس فيفرّ من امامهما ويتبعانهُ الى خارج الملعب)

مهدي : (يرفس ابنتهُ ويجرّد سيفهُ هاجماً على قيس).

ليلى : (تسقط مغشياً عليها وتصرخ) قتلتني يا قاسي.

مهدي : (ينشغل بليلى عن اللحاق بقيس ويتقدم الى الباب وينادي) يا خالد يا بكر إليَّ إليَّ (الى الجمهور) آه من غرام هذه الابنة ما أشده ولولا الحنان الوالدي لقتلتها في الحال.

خالد : لبيك سيدي لقد كدنا نودي بحياته لو لم تأمرنا بالرجوع.

مهدي : (إلى خالد) اعدّ لها فراشاً (إلى بكر) احرق رقعة[2] لننشقها. (ثم يأخذ قليلاً من الماء وينضح بهِ وجهها).

بكر : (يتقدم وينشقها رائحة الرقعة) مسكينة يا ليلى!

زينب : (تدخل) قتلتها يا كافر آه ما أقساك!

مهدي : اخرسي يا فاجرة!

زينب : والهفي عليكِ يا ليلى!

مهدي : ساعديني لننقلها الى فراشها. (ينقلانها).

زينب : (تجلس فوق رأسها باكية) ما اتعس حظكِ!

مهدي : خالد عليَّ بالطبيب.

---

(١) الخباء: كل ما تختبيء وراءه المرأة عن أعين الناظرين اليها. وهو هنا الخيمة.
الحرائر: جمع حرّة. وهي الفتاة العربية السيّدة.
العذارى: جمع عذراء.

(٢) عادة درجت العامة على التوسل بها مساعدة للمغمى عليه كي يعود اليه وعيه.

خالد : (يخرج بعجلة).

ليلى : (تهذي) حبيبي اهرب. أبي رحماك اقتلني. أبي، حبيبي، ليتني فداك! أمي! أمي! (تتشنج).

زينب : عيون أُملكِ أفيقي يا ليلى حبيبتي (تحركها).

ليلى : (تستفيق) ما هذا أمي أنتِ هنا ما أتعس حظي.. صدري..

زينب : أتتألّمين منهُ يا بنيّة؟

ليلى : نعم. نعم.

مهدي : لا تجزعي سيأتي الطبيب.

زينب : لقد كنا في غنًى عنهُ لولا قسوتك ايها الجائر.

مهدي : اخرسي!

ليلى : أبي رحمة!

المشهد الخامس

(علقمة ـ مهدي ـ زينب ـ ليلى ـ خالد ـ بكر)

علقمة : عم صباحاً ايها الأمير.

مهدي : مرحباً بالطبيب.

علقمة : أليلى هي المريضة؟ سلامتكِ يا ربّة العذارى!

ليلى : آه صدري.

زينب : (الى الطبيب) بحقك صدرها يؤلمها.

علقمة : (يقترب من ليلى ويجس نبضها) لا تخافي يا بنية ستشفين باذن الله. (يعد دواءً من جعبته).

مهدي : أمن خطر عليها؟

علقمة : لا خطر الآن (الى زينب) اسقيها جرعة والأمل بالشفاء كبير.

زينب : اشربي يا بنية آه من هذه البلية !

ليلى : (تجرع الدواء ثم يضيع رشدها) قيس اين أنت حبيبي قد سببت لك الشقاء. قاسٍ أنت يا أبي ! هل اراك يا قيس؟

علقمة : هيوا بنا نخرج وندعها وحدها.

زينب : لا هذا لا يكون.

علقمة : بلى سيدتي فلا خوف عليها. (يخرجون).

المشهد السادس

(ليلى ، عسّاف)

ليلى : (هذيان) هل أرى قيساً. أبي رحماك اقتلني ودعهُ يعيش (تستفيق) اين هم لقد تركوني وحدي يا للقساوة ولشقاء المحبين. (تغطي رأسها بلحاف وتئن).

عسّاف : يدخل وبعد ان يسير خطوتين يقف قائلاً :) اسمع انيناً ما هذا؟؟ (ثم يتقدم).

ليلى : (تسمع خطاه فترفع اللحاف عن رأسها) من هذا؟ يا عابر الطريق رحماك اقترب مني.

يا أيها الراكب المزجي[1] مطيتهُ   عرّجْ ليذهب عني بعض ما أجدُ

فما أرى الناس من وجدٍ تضمنهم

إلّا ووجدي بقيسٍ فوق ما وجدوا

(١) زجّى الشيء : دفعه برفق. والمطية : كل ما يمتطى من ناقة أو فرس والمزجي مطيته : الذي يسوق مطيته برفق يحثها على السير.

أهوى رضاهُ واني في مودتهِ حتى الى آخر الأيام اجتهدُ

عسّاف : حيَّاكِ الله يا حرَّة العرب هل من طلبٍ اقضيهِ لكِ؟

ليلى : ان كنتَ من أهل المروءة وكرم الأخلاق تفعل معي هذا الجميل وهو انك متى وصلت الى تلك المعالم تستدل على بيت قيس بن الملوَّح[1] فمتى اجتمعت بهِ أقرهِ مني السلام وقلْ لهُ ان ابنة عمك ليلى قد اضناها السقام من شدة الوجد والغرام وهي لا تلتذ بطعام ولا تذوق اجفانها طيب المنام حتى صارت مثلاً بين النساء في سائر الأنحاء. بربك اقترب وساعدني على النهوض.

عسّاف : امركِ سيدتي. (يجلسها).

ليلى : قدّم لي تلك الدواة وذلك القرطاس.

عسّاف : على الرأس والعين.

ليلى : تقرأ وتكتب.

وأنتَ الذي اخلفتني ما وعدتني وأشمتَّ بي من كان فيك يلومُ

وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أُرمى وأنتَ سليمُ

فلو انَّ قولاً يكلم الجسم ما بدا بجسميَ من قول الوشاة كلومُ

ادفع لهُ هذه الورقة عند وصولك اليهِ.

عساف : لبيكِ يا بنت الكرام. (يخرج).

ليلى : آه من لوعتي وفرط هيامي فغرامي قد حيَّر الأفكارا

فمتى تنقضي الحياة ويُرخي فوق ليلى الموتُ الزؤَّامُ ستارا

---

(١) قيس بن الملوّح: مجنون ليلى شاعر غزل من أهل نجد، هو قيس بن الملوّح العامري. أحب ليلى العامرية ورفض أهلها أن يزوجوها له، فجن بها حباً وهام في الفلوات ينشدها الأشعار.

الفصل الثاني * المنظر الثاني

في بريّة

المشهد الأول

(قيس * الملوَّح)

الملوَّح : ما هذا الحب وما هذا الجنون يا ولدي فتبْ عن الهوى فقد هتكت نفسك وصرت مثلاً ما بين الورى واحدوثة عند من يسمع وعبرة لمن يرى فارجع الى صوابك.

قيس : دعني أبي ولا تلمني بل لُمْ ذلك القدير الذي أوقد بقلبي شعلة المحبة أنا سأموت بحبها وعنها لا أرجع فلا تطمع بالمحال.

الملوَّح : كل ذلك لأجل ابنة عمك ليلى؟ فأنا اشير عليك أن لا تعود تذكرها بشفة ولا لسان.

قيس : أبي كلما حدَّثني بهذا الشأن ازددت شوقاً وغراماً وهاجت بي الأشواق وغلبت عليَّ غصة الفراق.

الملوَّح : إذاً ليس في اليد حيلة!

قيس : بلى اذا شئت.

الملوَّح : وما هي؟

قيس : هي أن تذهب إلى أبي ليلى وتخطبها لي فنصير حليلين عوض أن نكون عاشقين خليلين.

الملوَّح : (على حدة) ماذا اصنع ؟ سأفعل ذلك قريباً يا ولدي فطب نفساً وقرَّ عيناً (يخرج).

قيس : لقد ذهب بالسلامة فهل ينجح يا ترى؟ ولكن سيّان عندي نجح أم لم ينجح فسأظل أحبها وان يكن.

لقد لامني في حب ليلى قرابتي
أبي وآبن عمي وآبن خالي وخاليا

يقولون ليلى أهل بيتي عدوَّةٌ ... بنفسيَ ليلى من عدوٍّ وماليا
أرى أهل ليلى لا يريدون بيعها ... بشيء ولا أهلي يريدونها ليا
فليت نسيم الريح أدّى تحيّتي ... اليها وما قد حلّ بي ودهانيا
خليليَّ مدّا لي فراشي وارفعا ... وسادي لئلّا النوم يذهب ما بيا
وان متُّ من داء الصبابة بلّغا ... نتيجة ضوء الشمس مني سلاميا

المشهد الثاني

(قيس . عسّاف)

عسّاف : سلام يا أخا العرب.

قيس : ألف تحية ومرحبا.

عسّاف : منذ زمان وانا ابحث عنك حتى اهتديت اليك.

قيس : وما تبتغي؟

عسّاف : بيدي كتاب ادفعهُ اليك.

قيس : وممن هذا الكتاب؟

عسّاف : من ليلى.

قيس : من ليلى؟

عسّاف : نعم وهي مريضة دنفة[1] وهذا كتابها.

قيس : يأخذ الكتاب ويقرأهُ بامعان ثم يقول :

وانت التي اغضبت قومي فكلهم   بعيد الرضى داني القطوف كاظم

وأنتِ التي كلفتني دلج الثرى   وأحدثت قرح القلب فهو كليمُ[2]

وأنتِ التي قطّعتِ قلبي صبابةً   ورقرقتِ دمع العين وهو سجومُ[3]

عسّاف : مسكينة هي تلك الفتاة فقد أصبحت أرق من الخيال وهي تنتظر لقاءك بفارغ الصبر.

قيس : اشكرك يا أخي على جميلك.

عسّاف : اودعك وادعو لك بالتوفيق. (يخرج).

قيس : رافقتك السلامة. (يتمشّى بعض خطوات ويقول) :

شكوتُ الى سرب القطا إذ مررنَ بي   فقلتُ ومثلي بالبكاء جديرُ

أسرب القطا هل من معير جناحهُ   لعلي الى من قد هويت أطيرُ

وكل قطاةٍ لم تعرني جناحها   فعاشت بضرّ والجناح كسيرُ

والّا فمن هذا يؤدّي رسالتي   فاشكرهُ ان المحبَّ شكورُ

---

(١) دنِف المريض، يدنَف دنفا ثقل من المرض وأشرف على الموت. ودنفة مشرفة على الموت حبًا.

(٢) دلج : مشى ليلاً. ودلَج الثرى : إذا واصل المشي ليلاً حتى منبلج الفجر حيث يتجمع الندى — الثرى —

(٣) السجوم : صفة للعين المدرارة. والدمع السجوم : الدمع الغزير.

طوت أمُّ عمرٍ حين ولّت ركابها وبان افتراقي والذين ازورُ
وحالت جبال البعد بيني وبينها وهيهات مقصوص الجناح يطيرُ
سلوا أمَّ عمرٍ هل يُنوِّل عاشقٌ اخو سقمٍ ام هل يُفكُّ أسيرُ
ألا قُلْ لليلى هل تراها مجيرتي فإني لها في ما لديَّ مجيرُ
اذا جلسوا في مجلس نذروا دمي فكيف تراها دون ذاك تجيرُ
ودون دمي هزّ الرماح كأنها توقد جمر ثاقب وسعيرُ

المشهد الثالث

(قيس . سعاد)

سعاد : اخي ما هذا البكاء والنحيب فقد هزأ بك عابرو الطريق أليس لهذا الداء دواء؟

قيس : لا يا أُخية انني بهذا الداء سأموت ورحم الله المحبين.

سعاد : كن جلوداً يا أخي واصبر.

قيس : كيف الصبر وليلى تقاسي من العذاب اشكالاً وألواناً؟!

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ فما لك لا تضنى وأنت صديقُ
سقى الله مرضىً بالعراق فانني على كل مرضى بالعراق شفيقُ
فان تكُ ليلى بالعراق مريضةً فإنيَ في بحر الغرام غريقُ
أهيم باقطار البلاد وعرضها وما لي الى ليلى الغداة طريقُ
سبتني شمسٌ يخجل الشمس نورها ويكسف نور البدر وهو شريقُ
يرى حبها جسمي وقلبي ومهجتي فلم يبقَ إلّا أعظمٌ وعروقُ
فلا تعذلوا بل ان هلكت ترحموا عليَّ ففقد النفس ليس يعوقُ
وخطوا على قبري اذا متُّ أسطراً قتيل لحاظٍ مات وهو عشيقُ

سعاد : فديتك يا أخي وناشدتك الله ان تسلو تلك الفتاة.

قيس : وهل تشترى السلوى وتباع يا مهجتي وكيف أسلو؟ وأنا

إذا هتفتْ ورقاءُ في رونق الضحى ... على غصن بانٍ أو غصون من الرند[1]

بكيت كما يبكي الوليد ولم أكنْ ... جلوداً وأبديت الذي ما بهِ ابدي

اذا وعدت زاد الهوى لانتظارها ... وان بخلت بالوعد متُّ على الوعد

وقد زعموا انَّ المحب اذا دنا ... يميل وان البعد يشفي من الوجد

بكلٍّ تداوينا ولم يشفَ ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعد

على ان قرب الدار ليس بنافع ... اذا كان من تهواهُ ليس بذي عهد

المشهد الرابع

(الملوَّح ، قيس ، سعاد)

الملوّح : (يدخل).

قيس : مرحباً بوالدي العزيز.

الملوّح : وما العمل يا بني ونحن لم نفلح لقد قابلنا الرجل بوجهٍ كالح وجبين مقطب.

قيس : ذلك ما كنتُ اتوقعهُ.

الملوّح : وقد دفعنا لهُ مائة ناقة براعيها فلم يقبل وقال لنا هذا داء معضل وأمر مشكل ما فعلهُ أحد غيري سابقاً فلا ادع العرب تقول عني اني قد زوَّجتُ عاشقاً.

قيس : يتأوَّهُ ويتنهد وينشد :

---

(١) الرند : شجر من شجر البادية طيب الرائحة.

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى
شقيت ولاهنيت في عيشك الخفضا

أما والذي أبلى بليلى بليتي وأصفى بليلى من مودتي المحضا
كأنَّ فؤادي في مخالب طائرٍ اذا ذكرت ليلى يشدُّ بها قبضا
كأنَّ فجاج[1] الأرض حلقة خاتم عليَّ فما تزداد طولاً ولا عرضا

الملوّح : يظهر انك عن غيك لا تعود.
قيس : لا.
الملوّح : انا قد فعلت الواجب اما أنت فافعل ما بدا لك هلمي بنا نخرج يا بنية.
(يخرجان).

المشهد الخامس

(قيس ، عمر)

قيس : تكاد بلاد الله يا أُمَّ مالكٍ بما رحبت يوماً عليَّ تضيقُ
تتوق اليك النفس ثم اردّها حياءً ومثلي بالحياء خليقُ
ولو تعلمين الغيب ايقنتِ انني حبيبٌ وأني للحبيب مشوقُ
أروم سلوَّ النفس عنكِ وما لها الى أحدٍ إلّا اليكِ طريقُ
عمر : حيّاك الله أيها الأمير.
قيس : وما وراءك يا غلام؟
عمر : كتاب من سيدتي ليلى.

(١) الفج : الطريق الواضح بين جبلين، أوسع من الشعب، والجمع فجاج.

قيس : ألف مرحباً بك هات الكتاب (يأخذه ويفضهُ ويقرأه جهراً).

أيها الحبيب والسيد الأديب مهجة الفؤاد وزينة الامجاد من فاق سائر الأنام بالكمال وحسن الخصال وحفظ العهود والزمام والمحبة الصالحة الخالية من الآثام قد بلغني ما أنت فيهِ من الشوق والغرام والوجد والهيام ومكابدة السهر وهجران الطعام واحتمال كلام اللوّام حتى اعتراك الهزال وصرت ناحلاً كالخيال وحيث الحالة هذه فاحضر في نصف هذا الليل الى وادي الاراك[1] وأنا أوافيك الى هناك ولو خاطرت بنفسي في هواك فلا يساوي لذة رؤياك.

يا منيتي انت مقصودي ومطلوبي وانت رغماً عن الاعداء محبوبي
ان تحتجب عن عيون الصب يا أملي
ما أنت عن قلبيَ المضنى بمحجوب

قيس : ليلى لقد أضنى الفؤاد جفاكِ وأذاب احشاء المحب نواكِ
أنتِ الحبيبة لا سواكِ من الورى
فوحق حسنك لا أحب سواك
أحيا على أمل اللقاء هنيهةً ولعلَّ في وادي الاراك اراكِ

(١) وادي الأراك: وادٍ قرب مكّة المكرمة، وقيل هو من مواقف عرفة بعضه من جهة الشام وبعضه من جهة اليمن. والأراك في الأصل شجر يستظل به. وترعاه الابل...

الفصل الثالث * المنظر الأول

وادي الأراك

المشهد الأول

(قيس وحدهُ)

ايا هجر ليلى قد بلغتَ بيَ المدى — وزدتَ على ما لم يكن بلغ الهجرُ
عجبتُ لسعيِ الدهر بيني وبينها — فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ
فيا حبها زدني جوًى كل ليلةٍ — ويا سلوة الاحزان موعدكِ الحشرُ
تكادُ يدي تندى اذا ما لمستها — وتنبت في اطرافها الورق الخضرُ
فيا حبذا الاحياء ما دمتِ بينها — ويا حبذا الأموات ان ضمكِ القبرُ
أما والذي أبكى وأضحك والذي — أمات وأحيا والذي امرهُ الأمرُ
هجرتكِ حتى قيل لا يعرف الهوى — وزرتكِ حتى قيل ليس لهُ صبرُ
واني لتعروني لذكراكِ هزَّةٌ — كما انتفض العصفور بللهُ القطرُ
فما هو إلّا ان اراكِ فُجاءَةً — فأبهت لا عرفٌ لديَّ ولا نكرُ

ولكن قد تأخرت عن القدوم فهل في الأمر حيلة يا ترى؟ (يخرج كتاب ليلى من جيبهِ يتأمل بهِ ويقول) الخط خطها ولا حيلة في الأمر. ها قد اقبلت!

المشهد الثاني

(ليلى • قيس)

ليلى : (تدخل) سلام ايها الحبيب (يتصافحان بالأيدي) فينشد قيس:

أنيري مكان البدر ان أفل البدرُ

وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجرُ

ففيكِ من الشمس المنيرة ضوءها ... وليس لها منكِ التبسم والثغرُ

بلى لكِ نور الشمس والبدر كلهُ ... وما حملت عينيكِ شمس ولا بدرُ

لكِ نظرة اللألاء والبرق طالعٌ ... وليس لها منكِ الترائب[1] والنحر[2]

ومن أين للشمس المنيرة بالضحى ... بمكحولة العينين في طرفها فَتْرٌ[3]

ليلى : آه كم أنت جميل يا حبيبي!

قيس : قربكِ أجمل يا حبيبتي ولكن...

ليلى : لا تقل ولا تعتب يا حبيبي.

فلو ان ما ألقى وما بي من الهوى ... بأركان رضوى دُكَّ وهو مشيدُ

تقطع من وجدٍ وذاب حديدهُ ... وامسى تراهُ العين وهو عميدُ

ثلاثون يوماً كل يوم وليلةٍ ... أموت وأحيا ان ذا لشديدُ

قيس : أنا لا أجهل ان سلطان الهوى قهّار عنيد وقيدهُ اشد من سلاسل الحديد

فوالله لا أدري على ما هجرتني ... وأي أمور فيك يا ليلَ اركبُ

---

(١) الترائب جمع تريبة، وهي أعلى الصدر، أو موضع القلادة.

(٢) النحر: أعلى الصدر، مرتكز العنق على الجذع.

(٣) فتر الطّرف: سكن واطمأن. طَرْف فاتر: ليس حاد البصر. وفتور الطرف صفة مستحبة في أعين الفتيات.

أأقطع حبل الوصل فالموت دونهُ واشرب كأساً علقماً ليس يشرب
فلو كان لي قلبان عشت بواحدٍ وابقيت قلباً في هواكِ يُعذّبُ
رمتني يد الاقدار عن قوس محنةٍ فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب
كعصفورةٍ في كف طفل يهينها تقاسي عذاب الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقلٍ يرقُّ لحالها ولا الطير مطلوق الجناح فيذهب

ليلى : لو كنت تعرف يا مهجة الفؤاد ما أقاسي لأجلك من العذاب لعذرتني فعندما رفض والدي طلب أبيك كأن الصاعقة انقضت عليّ. أحبك يا قيس ولكنّ التقاليد تقف بوجهي فماذا أفعل أنا لا أقترن بسواك وان أُرغمت على ذلك.

قيس :

احنُّ الى لثم الثغور الضواحكِ وأهوى عناق البيض لون السنابكِ
وأصبو الى ذات الصبا من صبابتي إذا لم يكن لي في الهوى من مشاركِ
صرمتِ حبال الوصل يا بنت مالكٍ فيا ليت شعري أيُّ واشٍ وشى لكِ
ملكتِ فؤادي وامتحنتِ صبابتي ومن دم قلبي قد خضبتِ بنانكِ
فلو كنتُ أدري ان قلبكِ سالمٌ من الحبّ ما أحرقتُ قلبي بناركِ
ولو كنت ادري اين أنتِ مقيمةٌ من الأرض لم يبعد عليَّ مزاركِ
على أنهُ لو كان عندكِ بعض ما تحمل قلبي من هواكِ لذابكِ
لنا تحت ظل الأيك[1] من جانب الحمى
مواقف تشكو شرح حالي وحالكِ
يسمونني في الحب مجنون عامرٍ ولولا هواكِ كنت سيد مالكِ
حكمتِ فلا تطغين في دولة الهوى والّا فرقّي واصنعي ما بدا لكِ

(١) الأيك : الشجر العالي الملتفّ.

ليلى : حبيبي لا تجرح فؤادي بهذه الأقوال ولا تزد عذابي عذاباً فيكفيني ما الاقيهِ من أهلي أنا اهواك ولكن دون قربك اهوال فالوداع الآن فإنني اخاف من العيون.

قيس : وداعاً يا حبيبة القلب. (تذهب).

المشهد الثالث

(قيس وحده)

ألا زعمت ليلى بأن لا احبها
بلى وليالي العشر[2] والشفع[3] والوترِ[4]

بلى والذي نادى من الطور عبدهُ
وعظم ايام الذبيحة والنحر

لقد فُضلت ليلى على الناس مثلما
على ألف شهرٍ فُضلت ليلة القدر[5]

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمرِ

مفلجة الاسنان لو ان ريقها
يداوى بهِ الموتى لقاموا من القبرِ

هي البدر حسناً والنساء كواكبٌ
فشتّان ما بين الكواكب والبدرِ

يقولون مجنون يهيم بذكرها
فوالله ما بي من جنون ولا سحر

إذا ما نظمت الشعر في غير ذكرها
أبى، وأبيها، ان يطاوعني شعري

فلا أنعمت بعدي ولا عشت بعدها
ودامت لنا الدنيا الى ملتقى الحشرِ

مضى لي زمان لو أُخيَّر بينهُ
وبين حياتي خالداً أمد الدهر

لقلتُ ذروني ساعةً قرب مهجتي
على غفلة الواشين ثم اقصفوا عمري

(٢) الليالي العشر: الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان.

(٣) الشفع: الزوج من العدد، وهنا يوم الأضحى.

(٤) الوتر: الفرد من العدد، وهنا يوم عَرَفة.

(٥) ليلة القدر: ليلة مباركة أنزل فيها القرآن، وهي احدى الليالي الوتر من العشر الأخيرة في رمضان ويقال انها السابعة.

الفصل الثالث * المنظر الثاني

(خيمة من الشعر)

المشهد الأول

(مهدي ، زينب ، سعد ، بكر)

مهدي : لقد تفاقم الطلّاب حول بابنا وفاقوا الجراد عداً وليلى لم ترتضِ بواحد منهم ! لقد جنت بحب ذلك المجنون وانا لا اسلم بذلك ولو هدرت آخر نقطة من دمي . جاء والدهُ خاطباً ابنتي فرفضت وهيهات أن أرضى .

زينب : إذاً يحلُّ لنا أن نقتل هذه الابنة ونطرحها بين براثن الموت فهذا لعمري منتهى الظلم !

مهدي : اذا كنتِ تشفقين عليها فساعديني عل اقناعها وأنا مستعد أن أزفها الى امير عظيم جليل القدر رفيع المقام.

زينب : أظنها لا ترضى ولو كان الخليفة ابن مروان .

مهدي : ألا ترضى بالأمير سعد بن منيف؟!

زينب : انها لا ترضى سعداً بغير وجهِ قيس .

سعد : (يدخل) .

مهدي : (الى زينب) هذا هو العريس أهلاً بالأمير سعد .

سعد : حيّاك الله أيها الأمير.

مهدي : يا بكر هات القهوة. انني ارتقب قدومك لأعطيك الجواب النهائي فقد قررت أن أزف اليك ابنتي ليلى وذلك في القريب العاجل فبعد قليل اخاطبها بالأمر وأرسل وراءك أحد اعواني وسيّان عندي رضيت أم أبت.

بكر : (يقدم القهوة).

سعد : اشكرك أيها الأمير فقد أوليتني شرفاً عظيماً.

مهدي : فاذهب إذاً غير مأمور وجهّز معدات العرس فبعد هنيهة يكتب وقد قضي الأمر وعن قريب تدخل ليلى.

سعد : أودعكم إذاً. (يذهب).

مهدي وزينب : مع السلامة.

زينب : إذاً على هذا عوّلت؟!

مهدي : نعم فإذا رضيت جبرت خاطري وان رفضت قطعت حبل وريدها[1] بحد هذا المهند.

المشهد الثاني

(زينب ، مهدي ، ليلى)

ليلى : (تدخل) عما صباحاً يا والديَّ.

مهدي : مرحباً بالابنة العزيزة.

زينب : اجلسي بقربي يا عزيزتي.

مهدي : لقد انتشر صيتكِ يا بنية في بلاد العرب وخطبكِ مني السادة اصحاب

---

(١) الوريد: عِرْق في العنق ويقال له حبل الوريد، وهما في العنق وريدان ينبضان أبداً بالحياة. وقطعتُ حبل وريدها: ذبحتها.

المناصب والرتب وأنا لا أصغي لخطبة خاطب ولا لطلب طالب حتى خطبكِ الأمير الشريف سعد بن منيف وهو كثير المال محمود الخصال تحلّى بالأدب والجمال واتصف بالهمة والكمال ولهذا ازوجتكِ بهِ دون الرجال اذ لا بدّ للمرأة من زوج يلمها ويفرج همها.

ليلى : أبي بحقك ارحمني.

مهدي : لا رحمة ولا شفقة فإذا فعلتِ كما أقول كنتِ العزيزة عندي والا فثقي وتأكّدي أنكِ مائتة لا محالة.

ليلى : هذا أمر لا يتمُّ ابداً ولو متُّ قهراً وكمداً.

مهدي : اخرسي يا شقية فلقد تماديتِ في قحتكِ. (يلطمها على خدها).

زينب : مهلاً فما هذه الأعمال التي تحط من مقامنا بين العرب؟!

مهدي : انا ذاهب وسأبعث وراء الأمير فإما العرس واما الرمس. (يذهب).

ليلى : آه ما أحلى الرمس كم في القبر من أنس!

زينب : ما هذه الحماقة يا بنية ألأجل رجل تضحين حياتكِ فلو خيَّروني بين كل الرجال وحياتي لقلت لهم حياتي.

ليلى : لا يا أمي فلو كنت تشعرين بعذابي وآلامي المبرِّحة لأزحت عن قلبي هذا الحمل الثقيل. آه يا قيس ليتك ترى!

زينب : (تبكي) ماذا أصنع الهمني يا ربّاه (إلى ليلى) سأذهب يا بنيّة لعلّني أرد والدك عن هذا العزم.

ليلى : اجركِ عظيم يا أمّاه لأنك تخلصين اثنين من الموت بحقكِ يا أمّاه ابذلي جهدكِ وخلصينا.

زينب : لا حاجة الى تشديد عزمي.

المشهد الثالث

(ليلى . بكر)

ليلى : حكم المحبة في البريَّة جارِ فحذار من قتل المحب حذارِ
يا ناس رفقاً فالحياة محبة كم للهوى العذري من اعذار
لله ما أحلى الهوى وأمرّهُ تاللهِ ذا من اغرب الاسرار
يا قيس حبك قد برى جسدي وما
ليَ راحمٌ في هذهِ الامصار
فالوالدان يقيدان عواطفي بسلاسل التقليد والاجبار
فكأنَّ قلبي ملكهم ودمي لهم قد حللتهُ مشيئة الجبَّار
جاروا عليّ وشاءَ ربي ان أكو ن ضحية لجماعة الاغرار
يا نفس صبراً واحملي جزعاً ولا تتذمري فكذاك شاء الباري
قد احرقوا قلبي بنار غرورهم يا ربّ فاحرق محرقيّ بناري

بكر : (يدخل) سيدتي لقد ارسلني مولاي والدك لكي أقول لك لتكوني على استعداد فهو قادم مع الأمير سعد.

ليلى : وغير هذا ماذا قال؟

بكر : لم يقل شيئاً وقد امرني أن اعجل بالرجوع. فالوداع الآن. (يخرج).

ليلى : ما أحلى الموت الى متى يا رب تظل المرأة مقيدة بسلاسل التقليد بحكم ابواها على قلبها يقيدونها بمن يشاؤون لا بمن تشاء! آه ما هذه السلطة الجائرة!

المشهد الرابع

(يدخل مهدي وسعد وزينب وزمرة من الفتيان)

مهدي : هوذا عريسكِ يا ابنتي العزيزة قد اخترتهُ لكِ من بين البشر لتكوني لهُ خاضعة ومحترمة فاشكري الله الذي أولاكِ هذا الحظ السعيد.

ليلى : فليكن ما تشاء يا أبي.

سعد : لي الشرف بأن أكون صهرك ايها الأمير العالي المقام.

نشيد العرس

(يختاره جوق الممثلين وينشدهُ الممثلون المذكورون)

مهدي : حمداً لله الذي بارك اجتماعنا ونسألهُ أن يجعل قران العروسين مقروناً بالصفاء والبنين. الآن أرونا أيها الفتيان من ألعابكم ورقصكم ما يطرب الفؤاد وينفي الهمّ والكدر.

الفتيان : واحد يعزف على الشبابة والباقون يرقصون ويدبكون ويغنون حسب العادات العربية وللجوق الممثلين أن يختاروا ما يعلمونهُ من هذه الأغاني وأساليب الرقص وإذا كان من يرقص بالسيف والترس فذلك جميل اذا أمكن. وعند النهاية يقول المهدي:

مهدي : شكراً لمن جمع القلوب بكلمة والآن يجب أن نخرج لنقوم بالواجبات الدينية الواجب أن يحتفل بها في مثل هذا المقام.

الجميع يخرجون يهزجون بالغناء المعروف عند العامة «بالحدو».

يا ميرنا يا ميرنا   اليوم كمل سعدنا

نحنا رجالك كلنا   يا ميرنا ويا عريسنا

(الستار)

الفصل الثالث * المنظر الثالث

(في بريّة)

المشهد الأول

(قيس وحدهُ)

تذكرتُ ليلى والسنين الخواليا وايام لم يعدي على الناس عاديا
فيا ليلَ كم من حاجةٍ لي مهمة اذا جئتكم بالليل لم أدرِ ماهيا
خليليَّ ألّا تبكياني فارتجي خليلاً اذا اجريت دمعي بكا ليا
فلا اشرف الايقاع إلّا صبابةً ولا أنشد الأشعار إلّا تداويا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنّان كل الظن ان لا تلاقيا
وخبرتماني ان تيماء[1] منزلٌ لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذه شهور الصيف عنا قد انقضت
فما للنوى يرمي بليلى المراميا
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذّه تواشوا بنا حتى اخلّي مكانيا
ولو كان واشٍ باليمامة[2] دارهُ وداري بأعلى حضرموت[3] أتانيا

(١) تيماء: واحة في شمالي جزيرة العرب. جنوبي دومة الجندل، بالقرب منها «الأبلق» حصن السموأل.

(٢) اليمامة: من مقاطعات نجد، وهي اليوم واحة في المملكة العربية السعودية تدعى العارض.

(٣) حضرموت: منطقة جنوبي شبه الجزيرة العربية على خليج عدن وبحر عمان. والشاعر هنا يشير الى بعد المسافة.

خليليّ لا والله لا أملك الذي ... قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلّا بشيء غير ليلى ابتلانيا

فيا ربّ سوِّ الحب بيني وبينها ... يكون كفافاً لا عليّ ولا ليا

فما سميت عندي لها من سميةٍ ... من الناس إلّا بلّ دمعي ردائيا

ولا سرتُ ليلاً من دمشق ولا بدا ... سهيلٌ[4] لأهل الشام إلّا بدا ليا

فإن تمنعوا ليلى وطيب حديثها ... عليَّ فلن تحموا البكا والقوافيا

فاشهد عند الله اني احبها ... فهذا لها عندي فما عندها ليا

اعدّ الليالي ليلة بعد ليلةٍ ... وقد عشتُ دهراً لا أعدُّ اللياليا

واخرج من بين البيوت لعلني ... احدّث عنكِ النفس بالليل خاليا

وما زادني الناهون إلّا صبابةً ... وما زادني الواشون إلّا تماديا

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا ... وبالشوق مني والغرام قضى ليا

تراني اذا صلّيت يممت نحوها ... بوجهي وان كان المصلّي ورائيا

أصلي فلا أدري اذا ما ذكرتها ... أاثنين صليت العشا أم ثمانيا

أحبُّ من الأسماء ما وافق اسمها ... وأشبههُ أو كان منهُ مدانيا

خليليَّ ليلى أكبر الحاج والمنى ... فمن لي بليلى أو فمن ذا لها بيا

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ ... فيا ليتني كنت الطبيب المداويا

يقولون سوداء الجبين ذميمةٌ ... ولولا سواد المسك ما كان غاليا

فوالله ما أرجو من العيش بعدما ... أرى حاجتي تشرى ولا تشترى ليا

وتعرض ليلى عن كلامي كأنني ... قتلتُ لليلى اخوةً ومواليا

فلم أرَ مثلينا خليلي صبابةٍ ... أشد على رغم العداة تصافيا

خليلين لا نرجو لقاءً ولا نرى ... خليلين الّا يطلبان التلاقيا

---

(٤) سهيل: نجمٌ يماني قيل عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ وهناك قول: وأنى يلتقي سهيل والسهى. والسهى نجم آخر صغير يختفي بين بنات نعش وهو من النجوم الشامية، لذلك لا يلتقيان.

يقولون أناسٌ علَّ مجنون عامرٍ يروم سلُوًا قلت اني لما بيا

اذا ما استطال الهجر يا أُمّ مالكٍ فشأن المنايا القاضيات وشانيا

فأنتِ التي ان شئتِ اشقيتِ عيشتي

وأنتِ التي ان شئتِ انعمتِ باليا

واني لأستغني وما بيَ نعسةٌ لعلَّ خيالاً منكِ يلقى خياليا

اذا سرتُ في أرض الفضاء رأيتني أصانع رحلي ان ليلى حذائيا

يميناً إذا كانت يميناً وان تكن شمالاً تنازعتُ الهوى عن شماليا

هي السحر الا أن للسحر رقيةً واني لا ألقى لها الدهر راقيا

ألا أيها الركب اليمانون عرّجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

اسائلكم هل سال نعمان[1] بعدنا وحب الينا بطن نعمان واديا

ألا يا حمامي بطن نعمان هجتما عليَّ الهوى لما تغنّيتما ليا

وابكيتماني وسط صحبي ولم أكن ابالي دموع العين لو كنت خاليا

ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى الى من تشيها أو لمن أنت واشيا

فيا ربّ إذ صيّرت ليلى هيَ المنى فزدني بعينيها كما زدتها ليا

على مثل ليلى يقتل المرء نفسهُ

وان كنتُ من ليلى على الناس طاويا

فامًا وقد ضنوا بليلى فقرّبوا

ليَ النعش والأكفان واستغفروا ليا

---

(١) هو نَعْمان الأراك وادٍ ينبت فيه الأراك يصب الى «ودّان» بين مكّة المكرّمة والطائف. بين أدناه ومكة نصف ليلة. ونعمان أيضاً وادٍ قريب من الفرات على أرض الشام ولكن الأول هو المعني هنا.

المشهد الثاني

(قيس ، الملوّح ، سعاد)

الملوّح : (يدخل) هو هنا يا بنية هو هنا.

سعاد : ما بالهُ يبكي؟

الملوّح : (الى سعاد) قد جنى عليهِ الحب لهفي عليك يا ولدي.

قيس :

وقد خبروني أن ليلى تزوجت ولا بد لي من أن ألاقي حليلها

فإن كان مثلي لا ألمها على الهوى
وإن كان دوني بئس ما قد قضى لها

وان كان من أوباش[1] ما حوت القرى
لقد تعست ليلى وأخنت خليلها

سعاد : ومن أين عرف بزواج ليلى؟

الملوّح : لا أدري (الى قيس) مرحباً يا بني.

قيس : وألف تحية.

الملوّح : لقد اشقيت نفسك واشقيتنا فدع هذا الغرور.

قيس : خلني يا أبي وشأني فانك تزيد بكلامك هذا أشجاني فقد قضي الأمر وبلغ السيل الزُّبى ![2].

متى نلتقي حتى أقول وتسمعا فقد كاد حبل الوصل أن يتقطعا

---

(١) الأوباش : الأخلاط ، والسفلة . والمفرد وَبَشْ.

(٢) بلغ السيل الزُبى : مثل يضرب عند بلوغ الأمر أقصاه . والزُبى جمع زُبْية وهي ذروة الرابية التي لا يصلها ماء. وهي كذلك حفرة في مكان عالٍ يصاد بها الذئب أو الأسد.

بكت عينيَ اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا
اما وجلال الله لو تذكرينني كذكراي ما كفكفتِ للعينِ مدمعا
بلى وجلال الله ذكري لو أنهُ تضمنهُ صمّ الصفا لتصدّعا
واذكر أيّام الحمى ثم انثني على كبدي من خشيةٍ ان تقطعا
فليست عشيّات الحمى برواجعٍ اليك ولكن خلِّ عينيك تدمعا

الملوّح : وماذا نفعل الآن ألا تذهب معنا؟
قيس : لا يا أبي فهذه السماء خيمتي منذ الآن.
الملوّح : الله من الغرام فهو الويل والشقاء سيري بنا.
سعاد : أبي أنتركهُ هنا؟ (الى قيس) اخي بحقك فلنذهب.
قيس : قلت لكما اتركاني.
الملوّح : بل نأخذك معنا.
قيس : لا هذا لا يكون. (يختبيء).
الملوّح : فلنذهب يا بنية فجرح الهوى ما لهُ دواء. (يخرجان).

المشهد الثالث

(قيس، سعد، غلام، اسد)

قيس : (يدخل).
اليك عني فاني هائمٌ وصبُ أما ترى الجسم قد أودى بهِ العطبُ
لو انهم سألوا من بالغرام قضوا هل فرّجت عنكمُ مذ متمُ الكرب
لقال صادقهم ان قد بلي جسدي لكنَّ نار الهوى في القلب تلتهب
ضاقت عليّ بلاد الله ما رحبت يا للرجال فهل في الأرض مطرب

السـين يـؤلمني والشـوق يجرحني والـدار نـازحةٌ والشمل منشعب
كيف السبيل الى ليلى وقد حجبت عهدي بها زمناً ما دونهُ حجب

سعد : ومن عجبٍ جنونك في فتاةٍ مزوجةٍ سواك ولن تراها
أيا مجنون كم تهوى بليلى كـأنَّ الله لم يخلق سواها

قيس : وما أكثر الأخبار ليلى تزوجت ترى هل يوافي بالطلاق بشيرُ؟
ومن أنت يا رجل حتى تحدثني بمثل هذا الكلام؟

سعد : أنا هو زوجها سعد.

قيس : بعيشك هل ضممتَ اليك ليلى قبيل الصبح أم قبلتَ فاها
وهل دارت يداك بمنكبيها وهل مالت عليك ذوَّابتاها[1]

سعد : (يضحك) اللهمَّ إذا حلفتني فنعم.

قيس : أفي كل يوم أنت تحظى بقربها وتلثم فاها أو تضمَّ ثديَّاها
وتعتنق الأرداف منها وخصرها وتنشق من ليلى العشية ريَّاها

سعد : دع هذا الجنون يا مفتون واحذر سطوة الاعوان فقد صدر أمر أمير المؤمنين بهدر دمك ثانية اذا كنت لا تعود عن ذكر هذه الجارية التي فضحتها في الاشعار وهتكتها في سائر الأمصار.

قيس : (ينشد وهو في اضطراب مزيد :)

عفا الله عن ليلى وان سفكت دمي فاني وان لم تجزني غير عاتبِ
عـليها ولا مثلي لليلى شكايةً وقد يشتكي المبلى الى كل صاحب
يقولون تب عن ذكر ليلى وحبها وما خلتني عن حب ليلى بتائب

سعد : الجنون فنون. (يخرج).

قيس : آه من الدهر واحكامهِ والليالي وجورها!

---

(١) الذؤابة : ناصية شعر الرأس، أو منبت الناصية من الرأس، وذؤابتاها : خصلتان من شعرها، أو جديلتاها.

غلام : سلام أيها الشاب الأديب.

قيس : وبعد السلام يا غلام؟

غلام : كتاب من سيدتي ليلى (يدفعهُ اليه).

قيس :

اذا جاءني منها الكتاب بعينهِ خلوتُ بنفسي حيث كنت من الأرضِ

واني لأهواها على كل حالةٍ وأقضي على نفسي بها بالذي تقضي

(يقرأ الكتاب جهراً) : (بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوّة الا بالله العلي العظيم. اعلم يا ابن العم وقاك الله عاقبة الضير والغم انهُ قد أوحشني فراقك وآلمني اشتياقك وقد مرَّ عليَّ زمان وأنا مواظبة على الأحزان لا أرى طريقاً للمفرّ ولا قرار للمستقرّ الى أن ضاق صدري وقلَّ صبري وتواترت عليَّ الأسقام من كثرة البكاء وقلة الطعام ولا شك بأن حياتي في هذه الدنيا صارت قصيرة وايام اقامتي يسيرة حيث لم يعد لي صبر على الفراق واكتوى قلبي بنيران الوجد والاشتياق وما بقي في الأمر الّا التسليم والانقياد على ما قدّرهُ علينا رب العباد).

(يهزّ رأسهُ) آه من الزمان ما أقساه وما أتعس حظ العاشقين بين البرابرة الذين لا يفهمون لغة القلوب. (يا غلام أمهل لتأخذ لها الجواب) يكتب هنيهة ثم يدفع الكتاب الى الغلام قائلاً لهُ: سرْ بأمان الله.

غلام : يذهب مبدياً إشارة الخضوع.

قيس :

أحنُّ إلى ليلى وان شطت النوى بليلى كما حنَّ اليراع المشطبُ

يقولون ليلى عذبتك بحبها ألا حبذا ذاك الحبيب المعذب

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها

ومن دون رمسينا من الأرض منكب

لظلَّ صدى رمسي وان كنت رمةً لرمس صدى ليلى يهشُّ ويطربُ

أسد : يمرّ بالمرسح كعابر طريق على ظهره جراب وبيده عصا غليظة يتوكأ عليها.

قيس : الى أين يا عابر الطريق؟

اسد : الى حي بني عامر.

قيس : ناشدتك الله قف فلي كلمة احملك ايّاها.

اسد : قل ما تشاء يا أديب.

قيس : متى وصلت الى تلك المنازل والأعلام أقر ليلى مني السلام وانشدها :

حلفتُ يميناً لم اخنكِ مودَّةً وانّي بكم حتى المات ضنينُ
تخبرني الأحلام اني اراكمُ فيا ليت احلام المنام يقينُ
وان فؤادي لا يلين الى هوى سواكِ وان قالوا بلى سيلينُ

أسد : وهل أنت مضنًى بها الى هذا الحد؟

قيس : نعم فلقد

أتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلباً كان قبل الهوى خلوا
ألا حبذا اطلال ليلى على البلا وما بذلت لي من نوالٍ وان قلّا
فلا يتمادى العهد إلّا تجدّدت مودتّها عندي وان زعمت ألّا

أسد : ناشدتك الله عُدْ عن هذا الحب فهو يرديك.

قيس : ألا قلْ لمن امسيت مضنًى بحبها
ومن هي رجاء النفس بالبعد والقرب
أناخ هواها في فؤادي فصادني
ومن ذا يطيق الصبر عن محمل الحب

فلا غرو ان الحب للمرءِ قاتلٌ يقلبهُ ما عاش جنباً الى جنب
ويسقيهِ كأس الموت قبل اوانهِ ويوردهُ قبل المات الى التّرب
فان كان ذنبي حب ليلى واهلها فلا غفر الله المهيمن[1] لي ذنبي

●

(١) المهيمن: الحافظ. وهي من أسماء الله تعالى. في معنى المؤمن من آمن غيرَهُ من الخوف، فتكون المهيمن بمعنى المؤتمن على خلقه والقائم بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم.

الفصل الرابع

خيمة من الشعر

المشهد الأول

(ليلى وحدها مريضة في فراشها)

شئتَ يا ربّ أن اعيش شقيهْ ... فلتكن يا رحمان تلك المشيهْ
وقضى والدي بتنكيد عيشي ... قاتل الله سلطة والديه
كم فتاةٍ جنى عليها أبوها ... ورماها بجرّ شرّ رزيّه[2]
فرّق الوالدان بالجور ما قد ... جمعتهُ يد الإله القويّه
سوف يبكي التاريخ ليلى وقيساً ... ان ليلى وقيس أذكى ضحيه
ليتني لم أكن ولا كان قيسٌ ... فحياة الاثنين معنى الرزيّه

أتشعر يا قيس في وحدتك بآلام ليلى وعذاب قلبها؟ إن نفسي حزينة حتى الموت[3] ! لعن الله السلاسل القاسية التي حبكتها يد التقاليد وطوّقت بها عنقي. وقبحتِ يا سلطة جائرة يتلذذ بها الوالدان يجوران

(٢) الرزية: المصيبة. والجمع: رزايا.

(٣) نفسي حزينة حتّى الموت: قول انجيلي خاطب به السيد المسيح تلاميذه بطرس، ويعقوب، ويوحنا، قبل صلاته في الجسمانية. راجع (مز ١٤: ٣٤).

على عاشقين قائلين هي طريق الشرف نسلكها. فقبحت يا شرفاً تكدر صفو الحياة الى الممات. الحب من الله والشرف من الناس فهل نترك سنة الله ونتبع تقاليد الناس الفاسدة؟ أيها الوالد القاسي ألم تكن فتًى عاشقاً تتضايق من خيالك اذا وقف بينك وبين من تهواه؟ يا ليت كلمتي نافذة في عشائر العرب لأطلق القلب ذلك الطائر الصغير من قفص التقاليد المحبوك من اشواك العوسج والقتاد[1]، ولكن قد كتب الشقاء للحب وسيبقى شقيًّا الى الأبد. يا قيس يا قيس يا سلوة الأحزان.

سلام عليكم لا سلام ملامةٍ ولكن سلام للمحب عطورُ
لقد عيل صبري بعدكم وتكاثرت همومي ولكنَّ المحب صبورُ
فصبراً على ريب الزمان وجورِه لعلَّ صروف الدائرات تدورُ

(تتكىء على زندها وتبكي).

المشهد الثاني

(ليلى ، سعد)

سعد : (يدخل) حبيبتي ما بالكِ كئيبة وما بال عينيكِ تذرفان الدموع؟!

ليلى : دعني يا سعد فعيشتي موت.

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميّت الأحياء

سعد : ما هذه النغمة الجديدة؟

ليلى : نغمة قلب معذَّب.

سعد : بحقكِ صرّحي فإنني اتعذّب كلما رأيتكِ حزينة ولا تخفي داءكِ فلعلني اجد لهُ الدواء.

---

(١) القتاد: شجر صلب له شوكٌ كالابر.

ليلى : هيهات فقد استحكم الداء وعزَّ الشفاء.

سعد : لا صعب في الكون وميدان الأمل فسيح واسع.

ليلى : لغيري يا سعد.

سعد : ولماذا؟

ليلى : غيري مريض الجسد أما أنا فريضة القلب والجسد.

سعد : (على حدةٍ) ان في الأمر لسرًّا صرّحي لا تخافي.

ليلى : أَلَم تسمع ما قالهُ الشاعر:

بالسرّ إن باحوا تباح دماؤهم ... وكذا دماء البائحين تباحُ

سعد : يظهر انك عاشقة.

ليلى : فقد انتزعتهُ من قلبي يوم زففت اليك ولكن اعراضهُ لم تزل تعاودني فدعني اعاركهُ فاما الغلبة واما القبر ولا تجادلني بعد الآن.

سعد : (على حدة) قاتل الله الغرام. لقد كنت شاعراً بآلامكِ وقد علمتُ أنكِ حاضرة الجسم غائبة القلب.

ليلى : (على حدة) اشائر الحب لا تخفى على أحدٍ.

سعد : ولو لم تبدأي بالحديث لما فاتحتكِ بهذا الأمر.

ليلى : أنت رزين عاقل ولا ذنب عليك انما ستسقط خطيئتي على رأس والدي الظالم الجائر.

سعد : لقد وقع المحذور فلا تجزعي (على حدة) مصيبة والله. أنا ذاهب لألاقي والدكِ الى الصيد بوادي الأراك. (يخرج).

المشهد الثالث

(ليلى • رسول)

وادي الآراك وما أحبَّ ثراكا ... وألذّ لقيا الحب في مغناكا

يا قيس ما أحلى المحبة والهوى لو كنتُ أظفر ساعةً بلقاكا
لكنَّ دون الوصل أهوال وهيـ ـهات اللقاء فقد حرمت لقاكا

آه من نظرة الى وجهك يا قيس! واشوقي الى ساعة نختلي بها وما علينا رقيب ولا عذول ولكن هذا حظ...

رسول : سلام يا سيدتي.

ليلى : وعليك يا رسول الخير.

رسول : هذه رسالة من سيدي قيس.

ليلى : من قيس؟!

رسول : نعم (يدفع الرسالة اليها).

ليلى : آه يا حبيب القلب. تفض الرسالة وتقرأ:

من قيس بن الملوَّح الهائم الوامق[1]، والحبيب الصادق، الى سيدة الملاح وكوكب الصباح، درَّة الصدف وياقوتة الشرف، من قد اتصفت بالمحاسن البهية والصفات العلية والآداب السنية ليلى العامريَّة. اني بينما كنت متشوقاً الى استماع اخبارك واستكشاف آثارك، واستماع لفظكِ ومشاهدة انوار جمالكِ، اذ وردت عليَّ رسالتكِ المرسومة بسيماء المحبة الفائقة، المسفرة عن ازدياد الصحبة الصادقة، فتلقَّاها القلب بالفرح وزال عنهُ الغم وانشرح، غير انهُ لا خفاكِ ما أنا فيهِ من القلق والكدر والضجر وكثْرة البكاء والسهر، وكيف أنني تركت الحد المألوف وانفردت في الروابي والكهوف، أهيم مع الوحوش والغزلان وانتقل من مكان إلى مكان، وحيداً عرياناً ذليلاً مهاناً أقاسي ضراً[2] واحزاناً، لا يستقيم لي حال ولا يرتاح لي بال، حتى صرت نحيلاً كالخيال، وذلك

(١) ومق فلاناً: أحبّه، والوامق اسم الفاعل: المحبّ.

(٢) الضَرّ. والضُرّ: سوء الحال. والشدّة.

من كثرة الاشواق ، وتباريح الهوى ومرارة الفراق ، فقاتل الله اباكِ الغدَّار وبلاهُ بالويل والدمار ، لأنهُ كان سبب بليّتي وطردي عن أهلي وعشيرتي ، وما كفاهُ ذلك حتى أنهُ زوجكِ برجل غريب واختار البعيد على القريب ، وهذا شرح ما بي من الشقاء والتعذيب ، واني لكِ على طول الزمان حبيب.

ليلى : آه من جور الليالي وظلم الآباء (إلى الرسول) وهي هو منشرح الخاطر؟

رسول : من أين الانشراح فهو تائهٌ شريد لا يلوي[٣] على شيء.

ليلى : لم يكن المجنون في حالةٍ إلّا وقد كنتُ كما كانا
لكنهُ باح بسرّ الهوى وانني قد زدت هجرانا

اذهب ايها الرسول وقل لهُ عني هذين البيتين :

واني لأرجو قربكم ووصالكمُ ومن دونكم أمرٌ لديَّ مخيفُ
فلا تعجبوا ان كان في الحب صادقاً فإني لكم دون الآنام حليفُ

رسول : أمركِ سيدتي. (يخرج).

ليلى : آه يا قيس.

المشهد الرابع

(ليلى ، سعد)

سعد : (يدخل) من كنتِ تحدثين ولماذا ترددين ذكر قيس؟

ليلى : لا هذا ولا ذاك.

سعد : بلى سمعتكِ تقولين :

---

(٣) ذهب لا يلوي على شيء : ذهب مسرعاً ، لا يقف ولا ينظر.

لم يكن المجنون في حالةٍ   إلّا وقد كنت كما كانا

وقلتِ أيضاً للغلام قل لقيس عني:

واني لأرجو قربكم ووصالكم   ومن دونكم أمرٌ لديَّ مخيفُ

ليلى : ألم تكفني احزاني حتى أزيد بليّتي بلوى فدعني وشأني.

سعد : أكذا تخاطب الجارية سيدها؟!

ليلى : أأنا الجارية وانت السيد لعن الله من جعلنا كذلك.

سعد : (يرى الرسالة فيهجم ويتناولها) ما هذا الكتاب (يفضّه ويقرأ بهِ ثم يقول) لقد كشف المخبأ فلكل ساقطة لاقطة[1].

ليلى : (تنهض من الفراش وتهجم لتأخذ الكتاب).

سعد : (يرفسها برجلهِ ويصفعها بيده) ويلكِ يا خائنة!

ليلى : ويحك يا جبان!

سعد : اخرسي فقد انفضح السرّ!

ليلى : لا استحي بحب قيس ولا أخاف احبهُ أحبهُ أحبهُ فافعل ما بدا لك.

سعد : ستذوقين الحمام بحد هذا المهند وسيجندل قيس على الثرى.

ليلى : أحب قيساً وانني:

اذا عثرت رجلي بدأت بذكرهِ   واحلم في نومي بهِ وأعيشُ

اذا ذكر المجنون زالت بذكرهِ

قوى النفس أو كاد الفؤاد يطـيشُ

توعدني قومي بقتلي وقتلهِ   فقلت اقتلوني واتركوهُ يعيشُ

سعد : لا يعيش احد منكما.

---

(١) مثل يضرب لطلب التحفظ عند النطق، أو للتشفّي ممن لا يتحفّظ في ما يقول. ومعناه لكل كلمة ساقطة أذنٌ لاقطة. أي ما من كلمة تقال إلّا وتعرف.

ليلى : قاتلكِ الله من ساقطة.

المشهد الخامس

(مهدي ـ سعد ـ ليلى)

مهدي : (يدخل) ما هذا الجدال؟

سعد : امر يا مولاي تصطك لهُ الركب!

مهدي : قل ما ذلك الأمر؟

سعد : ليلى خانت عهود الزواج.

مهدي : ابنتي كذا فعلت! ومن أين عرفت؟

سعد : من هذا الكتاب تفضل واقرأ فقد اصابك من لعنة المجنون أكبر حصة وأوفى نصيب!

مهدي : أنا؟

سعد : نعم تفضل واقرأ.

مهدي : (يأخذ الكتاب ويقرأ) أنتِ يا ليلى تراسلين هذا المجنون وتكشفين لهُ اسرار الهيام ألم ترتجف اعصابكِ عندما كتب قاتل الله أباكِ الغدار وبلاهُ بالويل والدمار؟ ويحكِ يا شقية يقول هذا وترضين عنهُ يا ممقوتة يا ناكرة الجميل.

ليلى : كفاك يا أبي أتظلمني وتدّعي الاحسان قبح الله كل والد ظالم يزوّج ابنتهُ بمن يريد لا بمن تريد، سوف يبقى ذكرك مرفوقاً باللوم كل ما طالع الناس قصة ليلى والمجنون.

مهدي : اصمتي فقد ألصقتِ بشرفي وصمة عار لا تنغسل إلّا بدمك.

ليلى : هوذا عنقي اقطعهُ بحد سيفك وأرحني من هذه الحياة.

مهدي : لأفعلنَّ هذا بعد حين.

ليلى : بل الساعة ان كنت عربيًّا شريفاً.

مهدي : ما هذه الوقاحة؟

ليلى : هي ابنة جورك وظلمك.

مهدي : ويحك! (يهجم عليها بالسيف مجرداً).

سعد : (يمسكهُ) ناشدتك الله لا تفعل.

مهدي : انها تستحق القتل.

سعد : عفوك أكبر يا عمّاه.

ليلى : ذئبان افترسا نعجة بريَّة ويقولان عفواً ورحمة.

مهدي : قلت لك تستحق الموت فدعني.

مهدي : ويحكِ يا ساقطة.

ليلى : انت كنت سبب سقوطي فويل لك متى وقفت امام الديَّان العادل.

المشهد السادس

(زينب. الطبيب. مهدي. سعد. ليلى)

زينب : ما بالكم في احتدام؟

ليلى : أُمي أُمي يمثلان آخر مشهد من مأساة حياتي المملوءة بالآلام والمصائب فيا موت زُرْ (يغمى عليها).

زينب : حبيبتي ليلى (تحركها) لا حراك بها.

مهدي : ان موتها لخير من حياتها الملوَّثة باقذار الغرام اذا ماتت فليس من أسف على مثلها شقية.

سعد : (يضرب يداً بيد على حدة) فديتكِ يا ليلى.

زينب : عجلوا بالطبيب الطبيب! ويلاه!

مهدي : اذهب يا غلام وادعُ الطبيب. (يخرج غلام).

سعد : آه لم يعد من أمل بحياتها.

زينب : واأسفاه لم تذق واحدة من بنات حوّاء ما ذاقتهُ هذه الابنة التاعسة. هات الابريق يا سعد.

سعد : هذا هو.

زينب : انضح وجهها بالماء.

سعد : (يفعل).

ليلى : (تتحرك) أُمي!

زينب : عيوني مهجتي!

ليلى : ويلك يا قاسي لقد قرب الموت.

علقمة : انعمتم صباحاً.

الجميع : مرحباً بالطبيب.

مهدي : قد اشتدت على ليلى وطأة المرض.

علقمة : سنصف لها دواءً (يجس يدها ويظهر علامات الارتباك) لا تخافي يا بنية (الى سعد) عجل وجئني بقليل من نبات الخبّازى[1].

ليلى : (تهزي) اقتلوني اذبحوني اريحوني من هذه الحياة الثقيلة.

علقمة : ان في الأمر لسرًّا خفيًّا.

مهدي : انظر هل تغيرت الاعراض؟

علقمة : آه لقد ضاعت الآمال.

ليلى : أُمي سامحيني أبي ظالم لا ذنب عليّ سامحني يا قيس اقترب مني فأودعك لا تبعد بحق المحبة اقترب يا قيس (تستغيث) أُمي اسقيني.

---

(١) الخبّازي: بقلة مستديرة الورق، لها زهرٌ أبيض موشّى بحمرة تؤكل مطبوخة، ويتداوى بها، لما فيها من خصائص شفائيّة. والعامة تطلق عليها: الخبّيزة، والخبّيزي.

زينب : هذا الابريق.

ليلى : (تأخذه فيسقط من يدها وتلفظ روحها).

زينب : عجل اقترب يا طبيب.

علقمة : (يجس نبضها الى الجمهور) لقد قضت اعاضنا الله بطول بقائكم.

زينب : (تتفجّع وتبكي).

لهفي على غصن الشباب الناضر قصفتهُ ارياح المنون القاهر
لهفي على ليلى فإن نهارنا من بعدها ليلٌ بدون أواخر
واحرَّ قلبي قد قضت من يأسها والله يرحم كل مرءٍ صابرِ
يا ليل قد اورثتِ قلبي علةً ابكيك يا ولدي بدمع زاخرِ

مهدي : تركتِ العالمين بلا وداعٍ فوالهفي على كرم الطباعِ
لقد مات السرور بموت ليلى وصار العيش من سقط المتاع
هيَ الدنيا تصير الى زوالِ وما للمرءِ إلّا قيد باع

سعد : (يدخل) ما هذا؟ أليلى قضت؟ يا للبلية!!

دمعي عليكِ كديمةٍ وطفاء وتلهفي يا ليل كالرمضاء
يا ليلَ لم يحن الجفاء فما جرى حتى جفوتِ ويا لطول جفائي
يا حاملاً نعش الحبيبة لا تسرْ مهلاً بربّك لا تزد بلوائي
ربّاهُ ما هذي المصيبة لم أعدْ
أرجو الصفا وقطعت حبل رجائي

قضت الحبيبة والكؤوس تعكرت
والقلب راح مع الحبيب النائي
فعليكِ يا ليلى السلام وحبذا من بعد ليلى مصرعي وفنائي

الجميع : بعد أن ينتهي سعد من انشاد هذه القصدة يغني ممثلو هذا المشهد نشيداً محزناً يودّعون بهِ ليلى وهم يطوفون حول جثمانها الممدّد في فراشها. وهذا النشيد يترك حق اختياره لجوق الممثلين. وبعد هذا النشيد يرخى الستار.

• •

الفصل الخامس

(ضريح في بريّة)

المشهد الأول

(قيس ، أسد)

أسد : من هنا يا سيدي من هنا.

قيس : (يدخل مكشوف الرأس حافي الرجلين متحيراً).

أسد : هذا ضريح العامريَّة شهيدة هواك.

قيس : (ينطرح على القبر ويقول) : هنا ضحية الهوى العذري ، وقتيلة سيف الجهل الوالدي ، فيا للجريمة الهائلة ! فلسوف تلعن الأجيال من فرَّقنا وكدَّر صفاءنا ، وستضرب الأمثال ببلوانا ما دام ناطق بالضاد ، فالويل لك أيها المهدي يا بائع الذمة وخائن الضمير ! أنا سأموت واسامحك ولكن الله لا يبررك أيها الوحش المفترس. (سرًّا) هذه وصيتي ويضعها على الضريح ويقول الى أسد : أما أنت أيها الصديق فدعني وحدي واذهب دعني غارقاً في بحر احزاني الى أن ألفظ هذه الروح والحق بمن عشقتها حتى في عالم الأبدية.

اسد : استودعك الله يا سيدي.

قيس : جوزيت عني خيراً (يدور حول الضريح وينشد) :

أيا قبر ليلى لو شهدناك أعولت — عليك نساءٌ من فصيح ومن عجمْ
ويا قبر ليلى ان ليلى غريبةٌ — بأرضك لا خالٌ هناك ولا ابن عمْ
ويا قبر ليلى غابت اليوم أمها — ووالدها والحافظون لها الذمم
فيا لهف قلبي بعد فقدان مهجتي
فقد اخمدت من بعدها نار ذي سلم[1]
ويا لوعتي سهم المنون أصابها — فأصمى فؤاداً كان بالوجد مضطرم
فكيف اللقا والقبر بيني وبينها — فيا رب لا تشفق على ظالم ظلم
لقد ظلمونا واستبدوا فويلهم — لدن تهتك الاسرار في موقف الحكم
فيا ليلَ قد حان الوداع بلا لقا — ويا موت أُحلى أنت من عيشة الألم
وهذي حياتي بالشقاء قد ابتدت — فلا عجبٌ ان كان بالموت تختتم

(ينتحر بخنجرٍ ويسقط على الضريح مضرجاً بدمهِ).

المشهد الثاني

(يدخل مهدي وسعد وزينب وعلقمة والغلامان لزيارة القبر)

زينب : (تبكي) آه يا ولدي.

مهدي : مهلاً اسكتي لنرى من هذا المرتمي على الضريح (يتقدّم يتفرّس بهِ) هو قيس! يا قيس يا قيس انهض يا عمّاه!

علقمة : (يتقدم منهُ فيرى الخنجر ويجسّ نبضهُ ثم يقول :) لا حياة لمن تنادي.

(١) ذو سلم : واد في الحجاز ، والسلم في الأصل شجر ورقه يستخدم في الدباغة ، وبه سمّي هذا الموضع ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، واخمدت نار ذي سلّم : مات أهل الوادي جميعاً ولم تبق فيه حياة.

زينب : وا أسفاه عليكما.

سعد : ما هذا القرطاس؟ (يقدمهُ لمهدي).

مهدي : (بعد أن يفتحهُ) هذه وصية قيس اسمعوا:

أنا قيس الملوَّح مجنون عامر قد قضيت من فرط الحزن والجوى قتلت نفسي بيدي فلا يطالب احد بثأري. أسأل الله أن يغفر ذنب المهدي ويسامحهُ على ما جناه فقد قتل نفسين بسيف واحد انما أطلب أن أُدفن بجنب ليلى ويُكتب على ضريحي هذان البيتان:

توسد أحجار اليمامة والقفرِ ... ومات جريح القلب مندمل الصدرِ

فيا ليت هذا الحب يعشق مرَّةً ... ليعلم ما يلقى المحب من الهجرِ

مهدي : نعم انا اعترف امام السماء والأرض بأنني اقترفت جرماً عظيماً لقد قتلت ابنتي وابن أخي ولم اشفق على صباهما.

نعم جنينا ولم ينفع تجنينا ... ومن بليتنا ضاق الفضا فينا

قتلت بنتي ولم اشفق على ابن أخي ... وما افتكرت بأن الدهر يفنينا

فيا شهيدي غرام ان قتلكما ... لسوف يذكرهُ العشّاق باكينا

تركتما بيننا حزناً نموت بهِ ... ومتّما رحم الله المحبينا

(انتهت)

مارون عبود



عرضت في جبيل ١٩١٣



مسرحية

الشبح الأبيض

معربة عن الافرنسية

تأليف

لابردان

١٩١٢

أسماء الممثلين

روبر دي ليزنيه
فلافي
لورادان
جرار — فارسان
رينالدي — وكيل فلافي
بإبيو — سَنجان
صاحب الفندق
ڤاتلان
حارس
شبح أبيض.

الفصل الأول

(المرسَح يمثل داخل الفندق: طاولات كراسي بنك الخ)

المشهد الأول

(لورادان وجرار جالسان أمام المرسَح وصاحب الفندق وراءهما)

جرار : يا صاحب الفندق.

صاحب الفندق : (يتقدم).

جرار : ما هذا القصر القديم الذي أراه وتكاد جدرانه تسقط على فندقك.

صاحب الفندق : ان هذا القصر يخص الأمير فلافي وهو من أمنع قصور بلادنا.

جرار : ليس هذا الاسم بمشتهر بين جماعة الفرسان.

صاحب الفندق : يملك الأمير هذا القصر من نحو اثني عشرة سنة وقد اتصل اليه من الأمير ليزينيه.

جرار : اما هو ذاك الذي توفي في احدى الحروب المقدسة.

صاحب الفندق : بلى سيدي.

جرار : اما يريد الأمير أن يذهب الى سورية مع الزحفة التي سيتولى امرها ملوكنا العظام فيليب وريكاردوس وفريدريك بربروس[1].

صاحب الفندق : لا اعلم وهل لبائع حقير مثلي ان يطّلع على أسرار الأمير؟

لورادان : (ينهض واقفاً)، إن الأمير يا حضرة الفارس يجد ما يكفيه من الاعداء ضمن بلدهِ فلا يحتاج أن يبحث عنهم في الخارج.

صاحب الفندق : ذلك عين الحقيقة.

لورادان : انت اذاً عازمٌ على السفَر مع الصليبيين (جرار يظهر صليبهُ) وفق الله مسعاكم الكريم.

جرار : امين. وانت يا من تلوح عليه علائم ابطال الوغى اما تريد أن تذهب الى الأراضي المقدسة وتخوض معامع الجهاد؟

لورادان : (يكشف صدره ويري صليبهُ). لقد اتممت عملي يا سيدي.

جرار : إذاً يضمني واياك اخاء الجندية. اليك فؤادي وذراعي!

لورادان : اليك فؤادي وذراعي (يتصافحان).

جرار : يا صاحب الفندق هات لنا كراسي وقدّم لنا من اجود خمر بورغونيا[2].

صاحب الفندق : امرِكم سيدي (ويقدم الخمر).

جرار : ما الاسم الكريم يا حضرة الفارس.

لورادان : اسمي لورادان.

---

(1) ثلاثة من قادة الحملات الصليبيّة الى الشرق، ساهموا في قيادة الحملة الثالثة. أ ــ فيليب أوغُست (١١٦٥ ــ ١٢٢٣) ملك فرنسا اشترك في الحملة الثالثة ١١٨٩ واسترد من العرب عود الصليب الذي كان وقع في أيديهم بعد معركة حطين. ب ــ ريكاردوس ملك انجلترا، (١١٨٩ ــ ١١٩٩) وهو الملقّب بقلب الأسد لشجاعته. ج ــ فريدريك بارباروس (١١٢١ ــ ١١٩٠) امبراطور ألمانيا شارك في الحملة الثالثة، مات غريقاً في قيليقية.

(2) بورغونيا: مقاطعة فرنسية، في القسم الشرقي من فرنسا، مشهورة بكرومها وبجودة خمورها.

جرار : وما هو اسم موطنك؟

لورادان : موطني بلد كيان الجميلة.

جرار : وأنا أيضاً موطني بلد كيان الجميلة. (يصب الخمر في الكأس) فلنشرب على ذكر كيان بلد الخمر الجيدة والفرسان الأبطال.

لورادان : اعفني يا سيدي فلست أشرب الخمر مطلقاً؟

جرار : اتخيب رجاء صديقك وأخيك؟!.

لورادان : ان نذراً يمنعني من اجابة طلبك.

جرار : نذراً...؟!

لورادان : نعم سيدي ولقد عدت من الأراضي المقدسة قاصداً إيفاءه.

جرار : لا اتعرض لكشف اسرارك. هل أقمتَ طويلاً في الأراضي المقدسة؟

لورادان : عشر سنوات كاملة. ولقد حضرت مواقع جمة جرت بها الدماء كالأنهر وشاهدت مدناً زاهرة التهمها لهيب النار فأمست قاعاً صفصفاً[1]. عرض لي عواصف هائلة والموت لبث أصم عن طلباتي وبقيت حياً.

جرار : لقد حفظ الله حياتك حتى تدافع عن الأماكن المقدسة.

لورادان : واأسفاه على الأراضي المقدسة. ما عاد يحق لها أن تدعى بهذا الاسم الشريف.
أما سكّانها فقد باتوا يئنون تحت نير الظلم والاستعباد.

جرار : وماذا يصنع أولياء الأمور؟

لورادان : لا يجمعون كلمتهم بل يفضلون منافعهم الشخصية على المدافعة عن حقوق دينهم.

---

(١) القاع الصفصف: المستوى المطمئن من الأرض. والمعنى باتت المدن بعد خرابها كأنها أرض مستوية لا عمران فيها.

جرار : ان قلبي يتفطر حزناً ويتميز غيظاً عند سماعي مثل هذه الأمور المنكرة.

لوراداان : لقد مضى علي أيها الفارس الشهم اثنتا عشرة سنة وأنا متقدٌ مثلك بنار الحمية ومع ذلك فقد زايلتُ[1] تلك الأراضي المقدسة التي كنت أقسمت أن ادافع عنها حتى الموت.

جرار : ولماذا زايلتها؟.

لوراداان : اضطرني لأمر لذلك.

جرار : ومن الذي دعاك الى فرنسا؟

لوراداان : اتبتغي أن أبوح لك بذلك؟

جرار : نعم أولست أنا صديقك وأخيك؟

لوراداان : آه انما عدت من الأراضي المقدسة قصد التكفير عن ذنوب سلفت مني. انظرت هذا القصر أمامك؟ قد سمعت انه يخصّ الأمير فلافي وان كنتَ على ريب من ذلك فدموع المنكودي الحظ شواهدُ بينات تنبئك بالحقيقة. إنما لم تعلم كيف توصل الأمير فلافي للتسلط عليه. عندما أخبرتك عن اختلاف النصارى في فلسطين كاد الشرر يتطاير من عينيك. والآن لو كنتَ تعلم ما هو مخبأ وراء تلك الجدران المنيعة من الفظائع والشرور آه... (صاحب الفندق يصغي جيداً).

جرار : قل قل ماذا...؟

لوراداان : لا، لا لو عرفتَ ذلك لابتعدتَ عني كما يبتعد عمّن بليَ بالبرص.[2]

---

(١) زايل: فارق.

(٢) البرص: الجُذام، وهو مرضٌ جلدي مُعْدٍ كان أصحابه يعزلون عن الأصحاء اتقاء للعَدْوى، وقد كانت تبنى للمصابين به مستشفيات خاصّة.

جرار : أأنا ابتعد عنك ! لا واسم الحق اني لا أبتعد عنك مدى الحياة ولا يفرقنا سوى الموت.

لورادان : لا أدري ما الذي يدفعني رغماً عني لأن أبثك سراً طالما كتمتهُ بين ضلوعي ولم أبح به لغير معلم الاعتراف. ولكني أخاف هنا الرقباء ومتجسسي الأخبار.

جرار : وهل تخاف من هذا البايع الحقير؟

لورادان : ان نفسي قلقة تجزع من كل شيء. ها إن الشمس قد قاربت المغيب فلنخرج من هنا لنستنشق الهواء.

صاحب الفندق : (بسرعة) اتريدون السَفر يا سَادتي؟

جرار : لا سنعود اليك عندما يرخي الليل سَدوله. هيىء لناحجر المنامة فسنقضي الليل هنا.

المشهد الثاني

(صاحب الفندق وحده)

ظهر لي ان على احدهما نذراً يريد وفاءه وآثاماً يرغب التكفير عنها ولكن رابتني نظراتهُ الخفيفة نحو القصر وخوفه من كشفه الأسرار الى رفيقهِ. فوالله ان وراء ذلك أموراً سرية ومؤامرات خبيثة. فيا لهما من جاهلين غبيّين أيجهلان أن هذا الفندق هو فخٌ مهيَّأ لكل زعماء القلاقل مثلهما. فكم من الفرسان الأبطال الذين يفوقونهما شجاعةً ودهاءً قد صبغت دماؤهم بلاطَهُ. فلنذهب حالاً ننبهُ أفكار الأمير... اسمَع وقع اقدام.. ها قد أقبل يصحبهُ خادمهُ.

المشهد الثالث

(فلافي ، رينالدي ، وصاحب الفندق)

فلافي : (من وراء الحجاب) يا صاحب الفندق.

صاحب الفندق : أمرك سيدي.

فلافي : هل أنت وحدك؟

صاحب الفندق : نعم سَيدي.

فلافي : لقد نظرت رجلين باللباس الأسود يتجولان حول القصر.

صاحب الفندق : هل هما متقلدان سلاحاً؟

فلافي : نعم.

صاحب الفندق : لقد خرجا منذ هنيهةٍ من الفندق.

فلافي : وهل يعودان الى هنا؟

صاحب الفندق : نعم عما قليل.

فلافي : حسَن.

صاحب الفندق : وهل ندعهم يخرجان؟

فلافي : كلا.

صاحب الفندق : فهمت ما تريد.

فلافي : هل عرفت اسميهما؟

صاحب الفندق : ان الأكبر سناً يدعى لورادان وأما الآخر فما عرفت اسمهُ وكلاهما من بلد كيان.

فلافي : لورادان... ما سَمعت بكل حياتي مثل هذا الاسم.

صاحب الفندق : ظهر لي أن الأصغر سناً عازمٌ على الذهاب الى الأماكن المقدسة وأما الآخر فقد زايلها منذ قليل قصد ايفاء نذر عليه.

فلافي : وهل عرفت ما هو هذا النذر؟

صاحب الفندق : لا ولكنهُ يعلق عليه أهمية كبرى. وقد تكلّم ملمّحاً الى وجوب التكفير عن بعض ذنوب وفظايع مستترة ثم خرج هو ورفيقهُ مخافة أن يطلع أحدٌ على سرّه.

فلافي : وعند ذلك نظرته يبكي ويقرع صدرهُ. ثم يختلس النظر الى الأماكن غير المحصّنة في القصر ولما نظرتهُ على هذه الحال اعتراني رعبٌ شديد لم أدرِ لهُ سَبباً لأن كل ملامح هذا الفارس تشير إلى أنهُ عَدُوٌّ وزعيم مؤامرة.

(يخرج صاحب الفندق حسب إشارة رينالدي).

المشهد الرابع

(فلافي ورينالدي)

رينالدي : لم هذا الاضطراب سَيدي؟... يخيّل لي أن مخاوفك لا داعٍ لها.

فلافي : (يقاطعه) لا، لا ان مخاوفي لها موقعها.

رينالدي : وما ترى يَستطيع فعله اعداءٌ بهذا الضعف.

فلافي : انهم يقدرون على أكثر مما تظن.

رينالدي : مولاي ممّن تخاف؟ أنت مسلط على هذا القصر منذ اثنتي عشرة سنة.

فلافي : نعم ولكن هل تعلم كيف توصلت الى ذلك؟

رينالدي : لقد ساعدكَ الحظ.

فلافي : (مضطرباً) لا وأبيك لا انما توصلت الى ذلك بارتكاب الشرور القظيعة التي ترتعد لها الفرائص[1] وما زلت اقترف الجرائم لأحفظ

(١) الفرائص: المفرد فريصة، وهي لحمة بين الثدي والكتف ترعد وترتجف عند الفزع.

ما ملكتهُ بالظلم. افترجى بعد ذلك أن تراني مطمئن البال خالياً من الهموم. آه يا رينالدي ثم آه ماذا كنت تصنع لو كنت مثلي رجلاً شقيًّا يسمع شعباً بأسرهِ يلعنهُ ويقبح اعمالهُ؟

رينالدي : ألَست أنا مثلك؟

فلافي : لا لست أنت سوى آلةٍ استخدمها لفعل الشر واقتراف الجرائم فاللعنة تسقط عليَّ وحدي.

رينالدي : دع عنك سيدي هذه الأفكار.

فلافي : لا تظن انها ترعبني ولكن من كان متولياً الأحكام على شعب كبير يخافه يجب عليه أن يخاف الشعب كثيراً. والآن أرى أن أمراً جديداً أتى يعكر صفو حياتي.

رينالدي : وما هو؟

فلافي : اما تذكر ذلك المحبوس الصغير.

رينالدي : هل تخاف أن يطلع أحدٌ على أسرارك العميقة. ليسَ من يعلم بها إلّا أنت وأنا. أما الشعب فيعتقد أن وريث امراء ليزينيه قد قضى نحبه منذ اثنتي عشرة سنة ويخالُ لهُ أنهُ حضر دفنهُ. وأما هذا الولد المسكين فهو منقطع عن العالم في حبسه الشديد الظلام. وأنا آلخذُ لهُ سراً ما هو ضروري لقيام حياته. وفي كل القصر ليس من يعلم أنه باق بقيد الحياة.

فلافي : افهم ذلك جيداً ولكنني لا اتمالك من الخوف منه. اني أخافه أكثر من الفلّاحين وأكثر من ملك فرنسا ذاته.

رينالدي : ولماذا اذاً لا ترضى بما عرضتهُ عليك مراراً فتستريح منه.

فلافي : أأذعن لما تقول؟

رينالدي : نعم. بدون ابطاء.

فلافي : فهمت ما تريد ولكن هل أقدر على ذلك. اما نظرت ذلك

الخيال السرّي ذلك الشبح الأبيض الذي يظهر بصورة سيدة بيضاء جليلة المطلع فتحرسه من كل شر وكلما أردت أن أرتكب جرماً جديداً لأتخلّص من قلقي الشديد ينتصب هذا الشبح أمامي ويرفع ذراعيه متهدداً ثم يزمزم بعض كلمات لا يمكنني فهمها. آه يا رينالدي ان بغض البشر لا يهمني ولا يخيفني نظير ما تهمني وتخيفني رؤيتي الأشباح خارجة من القبور قاصدة افتراسي. ويلاهُ ان ذلك عذاب لا يطاق احتماله.

رينالدي : لا ترفع صوتك بهذا المقدار لئلا يسمعنا أحد.

فلافي : هل درى أحد بما تقول؟ أنظر جيداً الويل لمن سمع كلمة واحدة من كلامي.

رينالدي : (يعود) اننا وحدنا كن مطمئناً. ولكن لماذا تسلم ذاتك الى ندمٍ لا فائدة منهُ؟

فلافي : لا تظن ان قلبي نادم وما أقولهُ ما هو سوى ثمرة الحنق والغيظ. اني اتعذب كمن يحترق بنار الجحيم. (يسمع قرع جرس) ما هذا الصوت؟

رينالدي : لقد دنا الظلام.

فلافي : قد قرب الوقت الذي يعود فيه الفرسان. استودعك الله وأنا ملقٍ على همتك المحافظة علي.

رينالدي : كن هادىء البال من هذا القبيل.

فلافي : انا واثق بغيرتك ودهائك. موعدنا نصف الليل.

رينالدي : نعم نصف الليل (يخرج من بابٍ سرّي).

اعددت ألفي فلاحٍ وهم متقلدون السلاح ينتظرون اشارة مني حتى يهاجموا القصر.

جرار : اما ترى مفيداً أن تتفق مع أحد ساكني القصر فيكون لك أقوى عضد وقت الهجوم.

لورادان : بلى وقد علمت أكيداً أن بايبو أحد جنودي القدماء قائم الآن بخدمة الأمير فلافي. فهذا يكون لنا أكبر مساعد لأنه شجاع باسل وخادم أمين ولكنهُ يجهل مجيئي إلى هنا.

جرار : ومتى عزمت على تتميم مقصدك؟

لورادان : اني انتظر الفرصة المناسبة.

جرار : ان بسالتك أيها الفارس الخطير وتضحيتك ذاتك لجديرة بالمدح الجزيل والثناء الجميل.

لورادان : لا، لا قد قلت لك ان ما اعمله ما هو إلّا كفارة عما سلف مني من الآثام.

جرار : اني اشتهي كثيراً الاطّلاع على حقيقة اسرارك يلوح لي أنه قد جرى لك من الأمور اشدها ومن العذابات أمرها.

لورادان : نعم، طبع ذلك على جبيني وليس بوسعي انكاره. انما ما الفائدة وأي لذّة تجد بمعرفة مصائب رجل مجهول الاسم مثلي؟

جرار : آه يا لورادان. لقد اهنتني ولم تدرِ. فهل أنت على ريبٍ من خلوص مودتي وصدق إخائي؟

لورادان : (يمد اليه يده) لا، لا يا سيدي. لقد وعدتك ان ابوح لك بسر مرعب كدّر صفو حياتي منذ اثنتي عشرة سنة وعذّب نفسي عذابات فادحة كادت تذهب بي الى القبر. الأوفق أن أخبرك أولاً عما جرى لي في سنيّ حداثتي فأصغ إلي. في الخامسة عشرة من عمري خرجت من بيت أبي وخدمت جندياً عند الأمير دي

ليزينيه. وهناك تصادقت مع فلافي ذلك الخائن الشرير. وفي الخامسة والعشرين من عمري لبست ثوب الفرسان وصحبتُ الأمير الى مواقع عديدة. فاتّفق في بعض الأيام أن خرجتُ مع فلافي وخادم يدعى رينالدي للتنزه في الحقل. فصادفنا رجلاً يدّعي معرفة الغيب. فمددت اليه يدي ليطلعني على ما يحدث لي في مقبل حياتي ولا أعلم ان كنت فعلت ذلك استهزاءً به أم اعتقاداً بخزعبلاته وكذلك صنع رفيقاي. فتبصّر الرجل قليلاً ثم قال ان احدكم سوف يكون أميراً والثاني جلاداً فسألتهُ فوراً والثالث ماذا يكون؟ ففاه ببعض كلمات لم نستطع فهمها. ثم وجه نحو فلافي نظرة أسف وتوارى حالاً. لا ريب ان هاته الحادثة تظهر لك عديمة الأهمية ولا علاقةَ لها بحديثي.

جرار : لا يا سيدي. ان كل ما هو متعلق بك يهمني كثيراً فكمّل حديثك.

لوراداان : ومنذ ذاك الوقت تغيّرت أخلاق فلافي تغيّراً تاماً وأصبح حائراً حزيناً. وما لبث أن بثّني في أحد الأيّام مكنونات صدره. وذلك أنه كان عازماً أن يقتل الأمير ويحبسَ زوجته وولده في احدى الصوامع. فتميّزتُ غضباً لما سَمعت منه هذا الكلام. ورفضت رفضاً مطلقاً الاشتراك معه بهذا العمل الجهنّمي. أما هو فلم يقنط من انقيادي لأقوالهِ، وعاوَدني مستجيراً بالوعد والوعيد. ولكن مساعيه ذهبت أدراج الرياح. فعزم حينئذٍ أن يسعى بضرري عند الأمير فاتّهمني بالخيانة وبذل جهده حتى طردت من القصر.

جرار : يا للدناءة!

لوراداان : اما أنا فلم اطلع على دسائس هذا الشرير إلّا متأخراً. لأنهُ كان يشي بي وهو يظهر لي الصداقة والحب ويعرض عليّ المساعدة

المشهد الخامس

(رينالدي ، وصاحب الفندق)

رينالدي : (لذاته) فلنفتكر كيف نتمم أوامر الأمير (يدق جرساً. يدخل صاحب الفندق فيسأله) هل هيأتَ رجالك؟

صاحب الفندق : نعم سيدي.

رينالدي : ادخلهم الى هنا. (لذاتِه) كم ينبغي للإنسان من العناء واقتراف الكبائر ليحفظ مالاً اقتناه بالظلم.

(يدخل رينالدي ويتبعه رجلان تلوح عليهما علامات الإجرام).

رينالدي : اعددتما ما يلزم؟

القاتل : نعم.

رينالدي : في هذا الليل يلزم ان تفتكوا فتكاً ذريعاً.

القاتل الأول : بمن؟

رينالدي : بفارسين غريبين.

القاتل الأول : في اي موضع هما؟

رينالدي : هنا في هذه القاعة.

القاتل الأول : وأي وقت؟

رينالدي : نصف الليل (يخرج القاتلان).

رينالدي : لا ريب بأننا سنحظى بالفوز. يلزم أن تعطي هاته الحجرة الى الفارس الأصغر سناً وتلك الى الأكبر سناً. وعند منتصف الليل اذ يكونان نائمين وعاريين من السلاح نهجم عليهما بوقت واحد فلا يمكنهما أن يبديا أدنى مقاومة. اسمع طرقاً على الباب. ها هما

قد اقبلا ليقعا في اشراكنا. أهلاً وسهلاً بهما. (يخرج. يدخل لورادان وجرار).

المشهد السادس

(لورادان . جرار . صاحب الفندق)

لورادان : يا صاحب الفندق هل أعددت لنا الأسرّة؟

صاحب الفندق : نعم سادتي. ها هي حجرتك يا سيدي لورادان.

جرار : وأنا؟

صاحب الفندق : ها هي حجرتك.

لورادان : حسَن...

صاحب الفندق : تصبحون على خير يا حضرة الفرسَان. (يخرج).

(يخرج صاحب الفندق ويترك لوردان وجرار جالسيْن)

جرار : إذاً أنت ثابتٌ على ما عزمت.

لورادان : نعم ثابت مثل ذلك الصخر الذي كنا نتأمله منذ هنيهة ولن تتزحزح أفكاري أبداً.

جرار : ومن تراه يعضدك بهذه المهمّة؟

لورادان : ان الله عزّ وجل هو عون كل المظلومين وأنت يا حضرة الفارس ستمدّ إلي يد المساعدة.

جرار : نعم وعدتك بذلك وأنا قائمٌ بوعدي انشاء الله.

لورادان : جازاك الله عني خيراً (يخفض صوته) ثم اخبرك أيضاً أني

خرجت من القصر، والحنق ورغبة الانتقام يغليان في صدري. ومن سوء الطالع أني التقيت بالأمير في صباح اليوم الثّاني بينما كنتُ ذاهباً الى الحقل. آه ترتعد فرائصي كلّما ذكرتُ ذلك اليوم المشؤوم! فهجمت على الأمير وفتكت به سافكاً دم بريء ويا ليته كان سفك دمي أنا الشقي... لقد علا وجهك الاصفرار أيّها الفارس الشهم ولا عجب في ذلك. إن ذكر قبائحي أفسد الهواء الذي تستنشقهُ. ألعن العن هذا الشقي الذي يخاطبك وأهرب من رفقته هربك من الشيطان الرجيم.

جرار : لا تقنط يا عزيزي لأن الندامة الصادقة تمحو أقبح الذنوب وأكبر الجرائم.

لوراداان : أما فلاڤي فبلغ حينئذٍ متمنّاه وأسرع فقتل الأميرة ووضع يده على القصر.

جرار : تباً له من خائن.

لوراداان : ولم يبقَ حياً من أصحاب القصر سوى ولدٍ يبلغ من العمر خمس سنوات وفي الغد قرعت الاجراس حزناً داعيةً الناس الى دفنه فأصبح فلاڤي المالك الوحيد للقصر.

جرار : ويل لهذا الشرير الأثيم ان الدم البريء سوف يسقط على رأسه ويجازى على ما قدمت يداه. وأنت ماذا صنع بك بعد ذلك؟

لوراداان : كما كان ينبغي لي أن انتظر من رجلٍ مثله تمرَّغ بحمأة المآثم. رجعت الى القصر ولكن تنجّس الضمير أعدمني الراحة. فكل شيء كان يذكرني جرمي الفظيع. وأصبحت كمن يتقلّبُ على الجمر. في احد الأيام دعاني فلاڤي للتنزّه في محل منفرد فذهبنا سويةً إلى ضفة نهر الدورا الذي يجري قرب اسوار القصر وكانت قد فاضت مياههُ في ذلك الفصل... لماذا ظهرت عليك علائم الحزن؟

جرار : ان اسم هذا النهر يثير في قلبي شعائر الحزن ويوقظ في ذهني تذكرات مؤلمة. لأن أخي قد هلك في مياهه المشؤومة.

لوراداان : رحم الله نفسه. ولنرجع الى حديثنا ومن ثم ركبتُ أنا وفلاني زورقاً ولم نكد نصل الى منتصف النهر حتى استل خنجراًوطعنني به ثلاث مرّات فغشي عليّ وظنّ أني متُّ فطرحني في النهر ولكن الله حفظ حياتي بمعجزة من رحمته وعقيب ذلك ببضع ساعات فقت من غشيتي فإذا أنا في خيمة حقيرة يقطنها بعض الفلّاحين فاعتنوا بي مثل أخ لهم ولما شفيت جراحاتي ذهبتُ تواً الى الأراضي المقدّسة.

جرار : يا لهُ من اتفاق غريب. منذ كم سنة جرت هاته الحادثة؟

لوراداان : منذ عشر سنوات يا سيدي.

جرار : وما هو اسمك؟

لوراداان : قد قلت لك ان اسمي لوراداان...

جرار : يا خيبة الأمل.

لوراداان : انما هذا الاسم قد انتحلته منذ زمنٍ يسير. أما اسمي الحقيقي فهو جان دي زاردوان.

جرار : جان دي زاردوان! أخي وحبيب قلبي. أنا أخوك جرار دي زاردوان.

لوراداان : أخي حبيبي! (يعانقهُ) أنت أخي جرار! شيءٌ سري كان يجذبني نحوك. أخي الحبيب هل والدنا باقٍ بقيد الحياة؟

جرار : نعم فقد حفظ الله حياته حتى يراك ويمنحك بركتهُ الأخيرة.

لوراداان : آه يا أخي الحبيب لست أهلاً لذلك.

جرار : بلى يجب أن نذهب سريعاً ولنطلب من الله أن لا يموت والدنا فرحاً لما يراك.

لوراداان : لقد أقسمت يا عزيزي بأني لا أعانق والدي ولا أترك سلاحي ولا أذوق خمراً ولا مسكراً قبل أن أفي نذري وأكفّر عن ذنوبي.

جرار : لماذا تتأخّر إذاً عن إيفائه. غداً ان شئت أو هذا اليوم. وأنا بانتظار اشارتك ولست أسألك الا أن ترسلني الى المكان الأشد خطراً.

لوراداان : لا إن ذلك المكان استبقيه لذاتي.

(يصرخ المنادي في الخارج).

قد دنت الساعة الحادية عشرة. السماء صاحية والليل صافٍ.

يا أهالي مانبرن ارقدوا بسلام.

لوراداان : يلزمنا أن ننهض في الغد باكراً وعندنا من القوة والنشاط ما يخوّلنا تتميم رغائبنا. فلنرقد إذاً حتى نريح جسمَيْنا لأنّهُ قد مضى الآن هزيع [1] من الليل.

استودعك الله يا أخي العزيز.

جرار : استودعك الله.

المشهد السابع

(يظلم المرسَح) لوراداان واقفاً على حافّة المرسَح

لوراداان : ربّاه سألتك أن تهبني فرصةً مناسبةً لأفي نذري فها قد فاضت رحمتك عليّ ورددت لي أخي. ليكن اسمك مباركاً. ساعدني

---

(١) الهزيع : جزء من الليل اختلف في تحديده، بعضهم يقول هو نصف الليل، وبعضهم ثلثه، وبعضهم الثالث ربعه، بل أقل، وبعضهم الخامس ساعة واحدة من الليل.

أللهمّ ووفّق مساعيَ علّني أجد باقياً بقيد الحياة أحد ورثة الأمير ليزينيه...

(يظهر شبح أبيض في داخل المرسح ويقترب من الطاولة ويكتب قليلاً ثم يتوارى)

لورادان : (يصرخ) هل أنا في حلم... لا... ما هذا الشبح الذي نظرتهُ اقترب من الطاولة... فقد نظرتهُ يكتب...
(يركض نحو الطاولة يأخذ ورقة ويقرأ).
«ان ولد الأمير ليزينيه الذي تظنهُ مات لم يزل باقياً بقيد الحياة وهو يئن مكبلاً بالحديد في أحد سجون القصر المظلمة. عليك أن تنجيه اذ بإنقاذك الابن تكفر عن قتلك أباه».
ابن الأمير باق بقيد الحياة! ... فدفنه إذاً لم يكن سوى حيلةٍ من فلافي... جرار! جرار! ...

المشهد الثامن

(لورادان - جرار)

لورادان : أخي، أخي أما نظرت شيئاً؟

جرار : (منذهلاً) أخي ماذا جرى لك؟

لورادان : اقرأ.

جرار : من أين أتتك هذه الورقة؟
(يقرأ سراً).

لورادان : ثوباً ناصع البياض ولا أعلم فيما إذا كان ملاكه الحارس أم أحد القديسين شفعائه؟

جرار : (يرفع صوته) أنتم محاطون بأناس قتلة! أسرعوا بالهرب.

لورادان : (ينظر الورقة) ما قرأت هذا السطر ولا وقعت عيني عليه!

جرار : ذلك وحي من الله.

لورادان : فلنسرع بالهرب غير أن الأبواب مقفلة.

جرار : اذاً لنستعد للدفاع... يا صاحب الفندق.

صاحب الفندق : ماذا تأمرون سادتي؟

جرار : نريد السفر. افتح لنا الباب.

صاحب الفندق : اتسافرون بهذا الليل المظلم بعد قرع جرس المساء؟

جرار : اسرع افتح الباب.

صاحب الفندق : ولكن سيدي.

جرار : (يستلّ سيفه) افتحهُ وإلّا... (يذهب صاحب الفندق يفتح الباب). خذ اجرتك. (يخرج جرار ولورادان).

صاحب الفندق : (لذاته) خابت مساعينا.

لقد نجيا ولكنهما لا يسلمان طويلاً. فلنذهب ونخبر رينالدي بما جرى.

الفصل الثاني

المرسَح يمثل قاعة ذات منظر مظلم ومرعب. لها أبواب كثيرة وسلاسل معلقة بالحائط

المشهد الأول

(رينالدي وبابيو)

رينالدي : هل تهيأتَ للسفر؟

بابيو : نعم سيدي والجنود مدججة بالسلاح قد اجتمعت بالساحة تنتظرني وأنا أنتظر أمركم.

رينالدي : اني ملقٍ اليك أمراً كثير الأهمية وربما فيه خطر عليك.

بابيو : ذلك ما أرغبهُ سَيدي. فلا أخفي عنك أن نفسي سئمت من المحافظة على أبواب السجون ومن كان مثلي حارب عشر سنوات في بلد فلسطين وشهد حصار مدينة عكا لا يتأخر عن الخوض في أشد المعامع خطراً واعظمها هولاً.

رينالدي : لقد وصل البارحة الى قرية مانبرت فارسَان صليبيان.

بابيو : أظن أني نظرتهما يجولان حول القصر.

رينالدي : نعم، نعم، هما بعينهما فيجب أن نلقي القبض عليهما.

بابيو : هذا يكفي وما هو اسماهما؟

رينالدي : ان الأكبر سناً منهما يدعى لورادان وأما الأصغر فلا أعلم. اسمع وقع أقدام في حجرة الامير... استودعك الله...

المشهد الثاني

(بابيو لذاته)

لورادان! اما هو ذلك الفارس البطل الذي طالما أوقع الرعب في قلوب الكفرة؟ ذلك الشهم الذي خدمت عنده والذي خاطر بنفسه أمام اسوار عكا حتى انقذ حياتي! بالحقيقة البارحة رغماً عن الظلام توسَمت بذلك الفارس القريب بعض ملامحه. وأنا الذي يبغي رينالدي أن أقبض عليه! لا لا لن يصل بي نكران الجميل الى هذا الحد. فليكلف غيري بهذه المهمة الدنية... ولكن ربما يرسل غيري فيقبض عليه. كيف العمل؟... ها قد أقبل الأمير فلنخرج (يخرج).

المشهد الثالث

(فالني ورينالدي)

فالني : لقد سَلما!

رينالدي : نعم سيدي. لقد نجيا في الوقت الذي كادا يقعان به بين أيدينا.

فالني : (متهدداً) لو لم أكن على ثقة من دهائك لكنت...

رينالدي : مولاي لو كان الشيطان ذاته في موقفنا الحرج لكان أفشل. وذلك لأنه عند منتصف الليل بينما كنّا نتهيّأ للهجوم عليهما والرجال منتظرة اشارتي وإذا هما يناديان بشدة فأسرع صاحب الفندق نحوهما حتى لا يدع سبيلاً للريب فطلبا اليه أن يفتح الباب ولما تأخر قليلاً اتّهماه بالخيانة وتهدّداه بالقتل ان لم يُلَبِّ طلبهما في الحال. فكيف العمل إذاً؟...

فلافي : أما تعلم ما كان يجب أن تفعلوا؟

رينالدي : ان صاحب الفندق كان وحده ولم يكن معه شيء من السلاح وزد على ذلك أنه لم يكن مناسباً الهجوم عليها في ذلك الوقت لأن صراخها ربما كان أوقظ المجاورين وسبب هياجاً عظيماً.

فلافي : ان نفسي مضطربة اضطراباً عظيماً ما شعرت بهِ كل أيام حياتي. ورغبةً في أن أهمد قلبي تصفّحت تاريخ حياتي الماضية، ولا يفوتك أني اعتدت أن أكتب كلّما يحدث لي يوميًّا. فوقعتُ صدفةً على هاتهِ الصفحة:

(رينالدي يقرأ):

«في الثاني والعشرين من ايار سنة ١١٦٣ مسيحية خرجتُ للتنزه في الحقل مع جان دي زاردوان وخادمي رينالدي فما ابتعدنا قليلاً عن القصر حتى صادفنا رجلاً من الذين يدّعون معرفة المستقبل. فسألناه أن يتكهّن لنا فقال ان واحداً منكم سيكون أميراً والآخر جلّاداً ثم تلفّظ ببعض كلمات لم نستطع فهمها وتوارى بغتةً بعد أن نظر إلي نظرةً متأسف».

فلافي : لقد صحَّ تكهنهُ قد صرتُ أميراً وأنت الجلّاد عندي ولكن تلك الكلمات غير المفهومة وتلك النظرة الآسفة هذه كلها أسرار لا أفهمها.

رينالدي : وما الذي يخيفك سيدي. ان جان قد هلك منذ احدى عشرة سنة.

فلافي : لقد كان جان شاباً مقلقاً فالتزمت أن استدرك أمره.

رينالدي : لقد صنعتَ حسناً.

فلافي : وهل هدأت الخواطر؟

رينالدي : نعم سيدي سوى ان الفلّاحين ما زالوا يتذمرون في قلوبهم.

فلافي : هل هم يتذمرون حتى الآن؟

رينالدي : نعم انهم يئنّون من الضرائب الجائرة التي ما عاد يمكنهم تحملها ومن ظلم العمّال فالوقت صعب وهم يلاقون من العذاب الواناً.

فلافي : ذلك خيرٌ لهم. فالعذاب يكرههم على الطاعة والانقياد.

(يدخل أحد الحرس مقاطعاً)

الحارس : ان راهباً يطلب مواجهة سيدي الأمير.

فلافي : هل عرفت من هو؟

الحَرَس : لا يا سيدي.

فلافي : اذهب يا رينالدي واستطلع لنا الخبر. (يخرج رينالدي والحَرَس ويبقى فلافي وحده).

فلافي : اعتراني اليوم حزن شديد أنهك قواي ولست أدري لهُ سبباً فالسماء صاحية والشمس تزهو حسناً في القبة الزرقاء. والحقول تردّت بأبهى حللها ولكن في هذه الحقول النضرة أرى الغلال تدوسها أقدام جنودي البرابرة! أرى شعباً يكاد يهلك جوعاً من عظم جوري وهو يلعنني ولا يتمنّى سوى هلاكي! آه ما هذا العذاب! (يستند إلى النافذة ويثبت متحيّراً. (يدخل رينالدي).

فلافي : (الى رينالدي وهو داخل) ما وراءك!؟

رينالدي : (فرحاً) ان هذا الراهب المملوء وقاراً ما هو سوى الفارس لوراذان.

فلافي : أصحيح ما تقوله؟

رينالدي : نعم سيدي. قد عرفته رغماً عن لحيتهِ المستعارة وثوبه الطويل.

فلافي : وهل يطلب أن يراني؟

رينالدي : نعم سيدي.

فلافي : دعه يدخل.

(يخرج رينالدي ويبقى فلافي وحده)

فلافي : لقد كنت أسرعت بالخوف والحزن فقد ساعدني الحظّ ونجوت من مخاوفي ولكن ما الذي دفع هذا الفارس الغريب للدخول الى قصري؟ وما بالهُ انتحل هاته الملابس الغريبة؟ اتراه صديقاً لي؟ لا لا من أين لي الأصدقاء؟ لا أظنّهُ سوى جاسوس أو لصّ يروم الفتك بي.

المشهد الرابع

(فلافي . رينالدي . لورادان مرتدياً ثوب راهب)

لورادان : حفظك الله أيها الأمير الكريم. اني راهب مسكين من جمعية القديس مارك. ذاهب الى الأراضي المقدسة فأسألك أن تضيفني هذا المساء في قصرك.

فلافي : أهلاً وسهلاً بك يا أبانا عما قريب نهيّء لك حجرة.

لورادان : جزاك الله عني خيراً يا حضرة الأمير.

فلافي : اني أسرّ كثيراً بإضافة الرهبان من جمعيتكم.

لورادان : (لذاته) لقد نجح سعينا فالحمد لله.

فلافي : أأنت عائدٌ من الأراضي المقدّسة؟

لورادان : لا بل أنا ذاهب اليها.

فلافي : لقد أسأت الفهم إذاً. قلت انك كنتَ مع المحاربين في زحفة سابقة.

لورادان : لا يا سيدي لم تعلم الخبر الصحيح.

فلافي : بلى، بلى انك كنت لابساً في الأمس ثوباً غير هذا. فأريد أن أدعو خدمي وجنودي لأنهم يسرّون كثيراً باستماع اخبار الحروب.

لورادان : وماذا يستطيع راهب مسكين مثلي أن يقول لكم سوى ان يحضكم على خوف الله ومحبة القريب.

فلافي : لَست أجهل واجباتي يا حضرة الأب. ولكن لماذا تواري الحقيقة. يظهر جلياً أنك لم تكن أولاً راهباً...

لورادان : مولاي...

فلافي : (يقاطعه) لن يجديك النكران نفعاً. فانه مطبوع على صفحات وجهك أنك تقلدت السلاح وجرعت كأس المنون غدراً عديداً من الأعداء.

لورادان : نعم سيدي. لا سبيل لأن أخفي عليك أمري. فإني قبل أن ألبس الزي الرهباني، وأخدم يسوع المسيح. لقد خدمت أمراء هذا العالم.

فلافي : (لذاته) ما قاله رينالدي هو حقيقي.

لورادان : (لذاته) هل يعرفني يا ترى؟

فلافي : في أي بلد قضيتَ زمن حداثتك؟

لورادان : في ايطاليا.

فلافي : ليس ذلك صحيحاً. انت افرنسي تدل على ذلك ملامح وجهك.

لورادان : ولكن يا سيدي...

فلافي : لا، لا، أنت ولدت في بلد كايان.

لورادان : (لذاته) يا لله.

فلافي : وما هو اسمك؟

لورادان : الأب اسطفان.

فلافي : بل أنت الفارس لورادان.

لورادان : أنت عارف بكل شيء! نعم أنا الفارس لورادان وما اتخذت هذا الثوب إلّا...

فلافي : (يقاطعه) حتى لا تخيفني...

لورادان : حتى احظى بالقبول في قصرك.

فلافي : لا يفوتك تقواي العميق واحترامي للقسوس. ولكن هذا التنكّر ما كان ليجديك نفعاً. فإني أحب كثيراً الفرسان الأبطال وخصوصاً الذين يأتون ليفوا نذورهم ويستعدوا للقتال والذين يتجسّسون قصري.

لورادان : (لذاته) يا للخيانة!

فلافي : هل توافقك هاته الحجرة؟

لورادان : ولكن سيدي.

فلافي : ان الأبواب حريزة وسوف تتحقق ذلك. اقفل جيداً يا ريناالدي جميع هؤلاء الأبواب: هيء أثقل ما يوجد من السلاسل وحافظ على هذا الأسير أشد المحافظة لأنّك مطالب به! استودعك الله يا حضرة الأب!

(فلافي وريناالدي يخرجان ويبقى لورادان وحده).

لوراداان : لقد خدعت بئس الخديعة. إن صاحب الفندق هو معاون الأمير. ولكنّهم لم يعرفوني بعد. يجهلون أن لوراداان ما هو سوى البارون جان دي زاردوان ويجهلون أن الله عزّ وجلّ وجّهني لأعاقب أولي الفظائع وانقذ الأبرياء... تباً لك يا فلافي لقد وقعت بين يديك ولكن سوف ترى ما يورثه لك حبسي من التعب والغم. (يخلع الثوب الرهباني ويظهر بسلاحه الأبيض).

المشهد الخامس

(لوراداان، بابيو حاملاً القيود والسلاسل)

(بابيو يقف بالباب باحترام).

السلام عليك أيها الفارس لوراداان.

لوراداان : من أنت؟

بابيو : هل نسيت بابيو خادمك القديم وجنديك الذي خاطرت بنفسك لانقاذ حياته أمام اسوار عكّا.؟

لوراداان : أذكر جيداً أنه كان بين جنودي من يدعى بهذا الاسم ولكن لم أخاله متصفاً بهاته الدناءة حتى يتولى محافظة السجون عند الأمير فالني.

بابيو : أنت مصيب بما توجهه إلي من اللوم ولكن الضرورة قادتني الى هاته المهنة. ولم أبق هنا واسم الله الا شفقةً على المنكودي الحظ الذين يقعون بفخاخ الأمير. فقد توفقت لمساعدة بعض التعساء سراً وعلّهُ يسعدني الحظ بأن أخدمك وأفي ولو جزءاً مما لك عليّ من الأيادي البيضاء.

لوراداان : هل بقيت صادقاً أبيّ النفس مثلما كنت سابقاً؟

بابيو : لو بادرني سواك بمثل هذا السؤال ، لما تركت سوى هذا الحسام يجاوب عنّي (يضع يده على قبضة سيفه).

لورادان : اسمع إذاً. من حيث أني نجيتك من الموت وتريد أن تقابل معروفي بالاحسان فاطلب اليك أن توصلني هذا المساء الى حجرة الأمير.

بابيو : لقد فهمت مقصدك يا سيدي ولكن هل يستطاع ذلك؟ الأجدر بنا أن نسعى بإنقاذك سريعاً. نعم إني أعرض نفسي لهلاك أكيد إنّما أكون قمت بوفاء الجميل.

لورادان : وهل تعرف وسيلة لنجاتي؟

بابيو : نعم سيدي يوجد سرداب طويل يقود من الحجرة الأولى في القصر الى الفندق الأسود.

لورادان : (لذاته) اتضح الأمر (يرفع صوته) وماذا نصنع؟

بابيو : ان الأمير وريناالدي يحفظان معهما مفاتيح هذا السرداب... فإذا اخذنا أثواب ريناالدي... ما تقول

لورادان : (يقاطعه) لا لا أهرق دماً أبداً...

بابيو : انت لا تلطّخ يديك يا سيدي. أنا أفعل هذا الأمر.

لورادان : لا ما عدتُ أريد الخروج من سجني.

بابيو : بلى يجب أن تنجو بذاتك سريعاً. لا تعلم في أي مكان أنت موجود الآن. فاسم هاته الحجرة وحده ترتعد له الفرائص جزعاً. فهي تدعى قاعة الموت. وذلك لأن فلافي عندما يريد التخلّص خفيةً من أحد أعدائه يحبسه نظيرك في هذا السجن. أنظر هذه الأبواب انها تشرف على وهدة عميقة يبلغ عمقها ماية قدم. وفي اسفلها يجري نهر عظيم. (يفتح أحد الأبواب السرية) اسمعته يتدفق متحطّماً على الصخور؟...

لورادان : يا له من منظر مرعب !

بايبو : ان هذه الوهدة لا تبعد عني سوى ثلاثة أقدام. فمتى دخل الأسير الى هذا السجن يعثر بالظلام ويخطو بعض خطوات فتزل قدمه. وهناك يصرخ صراخاً يفتت الأكباد ويتوارى الى الأبد.

لورادان : يا لها من فظائع بربريّة !.

بايبو : ومع ذلك تريد أن تبقى هنا؟

لورادان : دعني هنا وإذا كنت تريد أن تصنع معي احساناً فإني أسألك أمراً واحداً هو أن تنقذ من يد الأمير شخصاً آخر سواي وهو ولد حدث السن حبسَ في سجون القصر المظلمة منذ طفولته وهو يئن هناك من الظلم والعذاب منذ عشر سنوات. فهذا هو الشخص الوحيد الذي أبغي أن أفتديهِ بحياتي.

بايبو : لا أفهم ما تريد يا سيدي الفارس.

لورادان : ألا تعلم ان الوريث الوحيد الباقي من أصل الأمير ليزنيه هو محبوس في هذا القصر؟

بايبو : لا لست أعلم ذلك مطلقاً وربما ذلك سرٌّ اخفاه فلافي عني.

لورادان : لقد اغلقت ابواب الفرج في وجهي ومع ذلك انا صابر على ما يحلّ بي... ولماذا هذه السلاسل؟

بايبو : واسَفاه يا سيدي لورادان!

لورادان : (يمد يديه) تمم ما أمرت به.

بايبو : هل أقيّد سيدي (يطرح السلاسل) لن يكون هذا أبداً.

لورادان : بلى أنا امرك به. اسرع حتى لا ندع سبيلاً للريب. عد الى هنا بعد بضع ساعات. علّه يفتح لنا باب رجاء.

بايبو : أنا أفعل طاعةً لأمرك. ولكن لا يطلع الصباح الا وانت حرٌّ وأنا بين الأموات.

المشهد السادس

(لورادان مكبّل بالقيود)

نفق يؤدي الى الفندق الأسود. تعساً لك يا فلاني ما أكثر حيلك وأشد دهاءك. وهل لنا أن ننتفع بهذا النفق! آه لو كان جرار يدري ذلك لكان يدخل بهذا النفق بينما يحاصر الفلاّحون القصر — ولكن ما الفائدة، فالوريث الوحيد قد أمسى في عالم الأموات ولم يعد له من أثر... وما نظرته البارحة أتراه أضغاث أحلام... لا اني نظرت حقيقةً ذلك الشبح الأبيض يتقدم نحو الطاولة وقد كتب بعض كلمات وقد قرأت تلك الكلمات وقرأها جرار أيضاً... فهل تخرج الأموات من القبور لتخدع الأحياء... اللهم يا من تقرأ خفيات القلوب ولا يغرب شيء عن باصرتك. أنت تعلم أني لا أبغي سوى أمر واحد هو وفاء نذري والتكفير عن ذنبي. فها إني أقدم لك دمي حتّى آخر قطرة وأسألك أن تنقذ ذلك الفتى المنكود الحظ من العذاب وتردّه الى ميراث اجداده. (يظلم المرسَح. يظهر الشبح الأبيض وهو يقتاد ولداً. ينظر في لورادان يريه الولد ثم يشير الى السماء ويتوارى).

المشهد السابع

(لورادان ، روبر دي ليزينيه)

(ينير المرسح)

روبر : أين أنا! ما هذا النور اللطيف المحيط بي؟ هل دنا يا ترى زمن اطلاق سبيلي أما أنا في منام؟ من أنت يا سيدي؟

لورادان : (يجثو على ركبتيه) أنا هو الفارس لورادان خادمك والمدافع عنك والمستعد لهرق آخر نقطة من دمه في سبيل نجاتك.

روبر : يا لهُ من منظر حنون ! يا لهُ من صوت عذب ! يا لها من سعادة لم أشعر بها بما مرّ من حياتي ! .

لوادان : أما كنت ترى أحداً أبداً يا سيدي؟

روبر : إني سجين منكود الحظ أودعت القبر حياً ولا أرى بشراً أبداً سوى أني في بعض الأيام أرى من بين حديد سجني رجلاً عليه ملامح الشراسة والظلم فأصرخ نحوه مستغيثاً ولكنّهُ لا يجاوبني أبداً.

لورادان : وكم لك من الزمان في هاته الحالة؟

روبر : لست أدري لأنهُ لا يمكنّني أن أميّز بين الليل والنهار. ولولا معرفتي أنني صغيرٌ لكنتُ أظن أنّهُ قد مضت عليّ أجيال وأنا داخل سجني.

لورادان : واحزناه عليك !

روبر : لقد تأثرت يا حضرة الفارس. فيظهر لي انك تندب حظي ! آه ان رأفتك بي سبّبت لي عزاءً جميلاً.

لورادان : ومن الذي يقدم لك قوتك اليومي؟

روبر : ان رجلاً أجهل اسمهُ يفتح كوّةً في سقف سجني ويرسل لي من هناك قليلاً من الماء والخبز اليابس. ولكن في غالب الأيام ينساني ولا يرسل لي شيئاً فأبيتُ اتضور جوعاً.

لورادان : وماذا تصنع حينئذ؟

روبر : كنت أجثو على ركبتي وأصلّي.

لورادان : لا غرو انك كنتَ تلعن كثيراً الذين كنت تقاسي من جورهم مثل هذه العذابات.

روبر : لا يا سيدي لا اعرف اللعن. لا يخالج قلبي سوى المحبة والشفقة نحو كل البشر. لما كنت أسمع وقع اقدام في الممر المجاور سجني

كنت أهتز طرباً. آه كم كنت أشتهي أن أمد ذراعي نحو الشخص المار وأن أعانقهُ وأن أضم يديه مثلما أضم يديك... ان هذه السلاسل في غاية الضخامة أما تهشّم ذراعيك؟

لورادان : لا. اني تعودت العذابات حتى استهونتها

روبر : ولماذا تبكي؟

لورادان : ان كلامك قد أثّر فيّ أشدّ التأثير وجرح فؤادي.

روبر : آه ليتك تعلم كم ذرفت من الدموع عندما كنت أقاسي اهوالاً من الجوع والعطش والبرد وغير ذلك من العذابات المتنوعة.

لورادان : ولداه! أوَلم يكن من يسلّيك ويمسح عبرتك؟

روبر : لا. ما كان يفتكر بي سوى سيدة لابسة ثوباً أبيض كانت تنزل الى سجني وتلطف احزاني وتسكّن اشجاني بمنظرها الحنون وكلامها العذب فكانت تدعوني ولدها الحبيب وتظهر لي حباً شديداً. آه كم كنت سعيداً بالقرب منها.

لورادان : وهل تمكنت من معرفتها من هي؟

روبر : لا، لأنها كانت تغطي وجهها بقناع أبيض ولكن قلبي كان يصبو اليها كثيراً. ولا غرو فهي أمي. ومنذ قليل كنت في غاية الضيق والحزن فدعوتها مستغيثاً فإذا هي داخلة الى سجني وبإشارةٍ منها فُتح الباب واقتادتني الى هذا المكان بالقرب منك.

لورادان : وهل تذكر كيف طرحت في سجون القصر المظلمة؟

روبر : لست أتذكر ذلك جلياً لأني كنتُ حدث السنّ جداً سوى أني أذكر أن أبي فُقِدَ فجأة ولم يعرف له أثر بعد ذلك وترك أمّي في أشدّ الحزن وأمرّ العذاب. وليلة سمعت أمي تصرخ صراخاً يفتت الأكباد وكان صوتها يتقطّع قليلاً قليلاً، فقفزت من سريري وركضت نحوها عليّ استطيع أن أساعدها فالتقاني أربعة

رجال مستتري الوجوه وقبضوا عليّ وطرحوني في ذلك السجن المظلم وهذا ما جرى لي.

لورادان : تباً لك يا فلافي من ظالم بربري.

روبر : فلافي! ان أحد الحرس عند والدي كان يدعى بهذا الاسم وكنت اكرههُ جداً لأنهُ كان ذا ملامح شريرة. وكنت أحبّ كثيراً صديقهُ الشريف البارون جان دي زاردوان... ما هذا الاضطراب يا سيدي؟

لورادان : لست اضطرب يا ولدي ولكن يحدث احياناً ما يثير بي تذكرات قديمة ينتفض لها القلب.

روبر : الا تعلم يا سيدي ماذا حدث لأبي وهل عاد الى قصره؟ولماذا يبقيني بعيداً عنه هكذا.

لورادان : آه! يا سيدي!

روبر : ليتك تعلم يا سيدي كم أحبّ والدي؟!.

لورادان : ارحمني ارحمني يا سيدي.

روبر : وأبي كان يحبني جداً.

لورادان : (يسقط على ركبتيه) ارفق بي اشفق عليّ...

روبر : لورادان ماذا تعمل؟

لورادان : لقد صرعت فؤادي. لا تكلّمني عن والدك.

روبر : سكن روعك. إني أحبك كثيراً وتعلّق قلبي بك الا تسمح لي بأن أتبعك؟

لورادان : أتريد أن تتبعني؟ أما تراني مسجوناً مكبّلاً بالقيود؟

روبر : نعم ابقى معك ونسلّي بعضنا بعضاً في مصائبنا وتلك السيدة البيضاء تأتي وتزورنا من يوم الى آخر. هنا يمكني أن اتمتع بمرأى

السماء وبهجتها ! يا الله . ما هذا الجمال ! ما هذه العظمة ... اني انشق ملء صدري هواءً نقياً منعشاً . (يركض نحو النافذة) .

لورادان : ماذا تعمل يا سيدي؟ اما تخاف أن يراك أحد؟

روبر : وما الذي يخيفنا؟

لورادان : اذا لمحك أحدٌ هنا فانا نهلك لا محالة . تعال من أمام هذه النافذة .

روبر : انا اخضع لما تأمرني به رغماً عما بي من الشوق للتمتع بهذا المنظر البديع الجمال . آه يا ليتني مثل الأطيار التي تبني اعشاشها على شرفات القصر وتذهب حيث تشاء . مالك يا لورادان؟

لورادان : اني اسمع طرق اقدام فها ان رجلاً ما آتٍ الينا وهو يعالج الباب حتى يفتحهُ ... ما العمل؟ (يقف متحيّراً) الهي الهمني كيف اتخلّص من هذا الخطر ... اتبعني يا ولدي (يفتح الباب المشرف على الوهدة) أنت على شفير وهدة عميقة لا يبعد قاها عنك سوى ثلاثة أقدام . فلا تبدي ادنى حركة وسأعود بعد هنيهة فأخلّصك . فلتحرسك عين المولى يا ولدي العزيز .

المشهد الثامن

(لورادان وفلافي)

فلافي : (متهكماً) اراك خلعت الزي الرهباني يا حضرة الأب .

لورادان : نعم سيدي . لقد ورد في المثل ان الملبوس لا يصيّر قسوس .

فلافي : كيف نظرت منزلك الجديد؟

لورادان : في غاية الجودة وسأعود اليه عما قريب .

فلافي : وهل تؤمل انك تخرج منه؟

لورادان : نعم سيدي.

فلافي : ليس ذلك بأمر سهل.

لورادان : ربما... غير أني اخبرك الآن أني كنت بانتظارك.

فلافي : لماذا كنت تنتظرني؟

لورادان : اني قلت بنفسي ان فلافي ليس بقاسٍ ظالم ولكنه كثير التحسب وهو يهتمّ كثيراً باكتشاف مؤامرة جديدة ضده ولذلك لا أراه يقتل أحد اسراه قبل أن يفرغ جهده للاطلاع على أسراره.

فلافي : لقد أصبت مقصدي كن صادقاً وأنا اعاملك بالرحمة.

لورادان : لا لست أرجو ذلك. لأنك لم تعرف ما هي الرحمة كل حياتك.

فلافي : لورادان اصدقني الخبر. ما الذي دفعك لزيارة قصري وتجسّسه.

لورادان : لم يدفعني سوى رغبتي بانقاذ البلاد التي تحكمها من ربقة العبودية.

فلافي : (بغضب) لورادان لماذا تهينني؟

لورادان : (بهدوء) امرتني ان أكون صادقاً فأطعت أوامرك.

فلافي : يحق لي إذاً أن أفعل بك ما أريد.

لورادان : ومن يجترىء أن يمنعك عن ذلك؟ يمكنك في الحال أن تدعو جلاداً فيقذفني في هاتِهِ الوهدة المنفتحة تحت قدمي. لقد شاهدت الموت عياناً فامتقع لوني لشدّة الروع، والآن عندي سرٌّ لا بدّ من اظهاره لك. فهل لك أن تسمع لي برهة من الزمن؟

فلافي : فه بما بدا لك.

لورادان : منذ خمس عشرة سنة عاش في قصر الأمير دي ليزينيه رجلان تجمعها أوثق عرى الصداقة. اما احدهما فكان يدعى فلافي والآخر جان دي زاردوان.

فلافي : (لذاته) وما يريد بهذا.

لورادان : ان فلافي صار أمير مانبرن ولكن جان ماذا حدث لهُ؟

فلافي : وما يعنيك ذلك؟

لورادان : كن صادقاً مثلي.

فلافي : ان جان قد مات.

لورادان : واسفَاه على شبابهِ ! ... لقد خدم افكارك مراراً عديدة وكان نعم الصديق. اتذكر ذلك اليوم الذي اخذ فيه يناصرك وخاض معمعة البراز مع الأمير هارمان مخاطراً بنفسه لانقاذ حياتك؟

فلافي : نعم اذكر ذلك ولا أنساه.

لورادان : لقد عمل ما تقتضيه شهامة الابطال. وهل تذكر أيضاً ذلك اليوم الذي التقيت فيهِ بأحد العرّافين وتنبأ لك أنك ستكون يوماً ما أمير مانبرن؟.

فلافي : لوراداان ما تقول !

لورادان : لم يكن يعوقك عن بلوغ مأربك سوى شيء واحد هو الأمير ليزينيه. فيدٌ أثيمة فتكت سراً بهذا الشريف المنكود الحظ. وهاته اليد الأثيمة هل لك معرفتها؟

فلافي : اصمت أيها الوغد.

لورادان : لا تضطرب. اني في ما وعدتك به. وعدتك بأن أبث لك سراً في غاية الأهمية فاصغ لي هنيهة. في الغد قتل الامير واختفت زوجته وولدها. ذلك ما كان يتوقع... ولكن جان صديقك وعلّة ارتفاعك الذي غمرك باحسانهِ ماذا حدث لهُ يا ترى؟

فلافي : لقد قلت لك انه مات.

لورادان : وما تقول اذا أثبت لك ان جان الذي تحسبهُ قد مات منذ اثنتي عشرة سنة والذي طعنته بالخنجر ثلاث طعنات هو حي داخل قصرك بل هو بحضرتك يكلمك؟

فلافي : ويل لك يا سفيه. أصمت.

لورادان : ان كنت على ريبٍ مما أقول فهاك اليد التي خرقتها بسيفك.

فلافي : جان...

لورادان : نعم أنا جان دي زاردوان صديقك القديم.

فلافي : ويل لك يا تعيس وما الذي قادك الى هنا؟

لورادان : لقد قادني الى هذا المكان الله المنتقم للابرياء المظلومين ذلك الذي يحيط أثناء الليل سريرك بأشباح مرعبة ذلك الذي انقذ من ظلمات السجن الوريث الوحيد الباقي من أصل امراء ليزينيه.

فلافي : لورادان ما تقول!

لورادان : لست أقول سوى الحقيقة ان روبر دي ليزينيه قد اطلق سبيلهُ.

فلافي : ويل لك ما تقول (يدعو) رينالدي.

المشهد التاسع

(فلافي ـ لورادان ـ ورينالدي ـ وبابو)

رينالدي : (وهو داخل) ماذا تأمر سيدي؟

فلافي : هل السجين الصغير في مكانه؟

رينالدي : لا أعلم سيدي.

فلافي : امضي وانظر... والويل لمن يسعى بإنقاذه (رينالدي يخرج ويبقى لورادان وفلافي).

لورادان : أنت تتعب عبثاً. قلت لك انه قد نجا سالماً.

فلافي : انقطع الرجاء.

لورادان : وأنت الذي لا تعبأ كثيراً بالفظائع والآثام ألم تستطع أن تتخلص قبل الآن من هذا الولد الضعيف. أما تجرأت أن تضرب ضربةً قاضية ذلك الشبح الأبيض الذي يحرسهُ ويدافع عنهُ.

فلافي : اتصلت بك الجسارة أن تهينني داخل قصري؟ ألا تعلم أني بكلمة واحدة اعدمك الحياة.

لورادان : (يقاطعه) لا، لا لستَ تتجرأ على ذلك.

فلافي : كثرت وقاحتك أيها الوغد.

لورادان : لن تتجرأ على اهلاكي. لأن المكان الذي لجأ اليه الأمير الصغير لا يعرفهُ أحدٌ سواي وان قتلتني فلستَ تعرفهُ مطلقاً.

فلافي : ما هذه الوقاحة أصمت.

لورادان : لا تظن أني طرحت ذاتي بين يديك عن طيش أو جهالة. لا لا غداً عند الساعة العاشرة اذا لم يطلق سبيلي فأخي جرار يذهب الى ليون ويعرض أمام رفاقي بالحرب الصحائف المدون عليها أخبار فظائعك الماضية وجميعهم ينهضون انتصاراً للعدل ويهجمون على قصرك هذا فينقذوني اذا كنت حياً أو يأخذون بثأري اذا كنت ميتاً.

فلافي : فليأتوا ها أنا بانتظارهم.

(رينالدي يعود مذعوراً)

رينالدي : سيدي ان السجن فارغٌ والمحبوس قد هرب.

فلافي : اسرع ودقق في البحث والتنقيب والويل ثم الويل لك ان لم تأتني به. (يدعو) بايبو!

(يدخل بايبو).

فلافي : اذهب بهذا السجين الى الحبس الأشد ظلاماً في القصر. جان ان غضب الصديق القديم سيكون شديداً جداً. وعمّا قليل ستختبرهُ. (فلافي وريناللدي يخرجان).

لورادان : بابيو اني مسلّمٌ لصدقك وشرفك الوريث الوحيد للأمير ليزينيه.

بابيو : يمكنك الاتكال عليّ يا سيدي الفارس.

لورادان : كم هو علو هذا البرج؟

بابيو : ماية قدم. ومن هاته الجهة هو محاطٌ بخنادق مرعبة. ومن هاته الجهة الأخرى يوجد رواق طويل وبعده هوة وسيعة.

لورادان : هل خيّم الظلام؟

بابيو : (ينظر من وراء النافذة) نعم سيدي. ان ريحاً عاصفاً ابتدأ يصفر وبعض نقط شتاء تتساقط. اني أرى شيئاً أسود يتحرك بأسفل البرج. يظهر أنهُ رجل لابساً رداءً طويلاً. وهو ينظر قليلاً إلى القصر ثم يحرّك محرمة بيده.

لورادان : يا الهي هل هذا هو أخي... (يركض نحو النافذة) بابيو اسرع وفك قيودي (بابيو يطيعهُ) (لورادان يأخذ صحيفة ويكتب) خذ يا بابيو هذه الرسالة واطرحها الى هذا الرجل الذي نظرتهُ.

بابيو : سيدي آه.

لورادان : أتتأخر عن ذلك. آه اني لم أبحث طويلاً امام اسوار عكّا قبل مفاداتي بنفسي لإنقاذك.

بابيو : اني خاضع لما تأمرني به ولو فقدت حياتي.

لورادان : ماذا نظرت.

بابيو : لقد التقطها!... يا الهي الطف بنا. قد هجم عليهالحارس... حمي القتال بينهما. قد سقط الحارس صريعاً والرجل طرح ذاته بالحفرة ونجا.

لورادان : ليكن اسم الرب مباركاً... اتعلم يا بابيو ان الذي سألتك أن تخلّصه هو هنا وهو معلق على شفار الهاوية منذ بضع ساعات؟ فيلزم أن تقطع حديد هذه النافذة وبعد نصف الليل بساعة تدلّي بواسطة حبل على الرواق هذا الولد الذي أحبه أكثر من ذاتي وكن على ثقة أنهُ يذكرك بالخير.

بابيو : اني فاقدٌ الحياة بذلك لا محالة. ولكن افادي بنفسي طاعةً لأمرك.

لورادان : الآن أنا مستعد أن اتبعك حيث تريد.

الفصل الثالث

يبقى المرسح على ما كان في الفصل الثاني

المشهد الأول

يظهر بابيو قابضاً على حربة بيده وواقفاً وقفة حارس محافظ وهو يغني بما معناه :

يسمعون بعيداً العاصفة تقترب وضجيجها يمزق سكينة الليل والظلام يمتد على الطبيعة فترتعد خوفاً. الطقس بارد والليل مظلم فاحرسني يا الهي.

بابيو : من بالباب؟

رينالدي : الوكيل.

بابيو : شعار الأمان.

رينالدي : «فرنسا».

بابيو : اقطع يا سيدي.

(رينالدي يخرج).

(بابيو يتابع الغناء)

على ضو البرق أرى غيوماً هائلة ومن أحشائها المفتوحة تنقذف العاصفة. فالحداد يغطي الطبيعة وان اقاسمها اضطرابها. فالليل مظلم والطقس احرسني يا الهي.

(يسمع قرع جرس).

قرع الجرَس ودنت الساعة الهائلة. عما قليل سوف يقترب رجل من البرج وبواسطة هذا الحبل سأضع بين يديه روبر دي ليزينيه. واسفاه على هذا الولد. لقد مضى عليه زمن طويل وهو يئنّ في سجون القصر ولم أكن اعرف اين هو ولا أدري ما هو عليه من الضيق. والآن لقد أنقذتهُ والحمد لله من تلك الحجرة السرية حيث كان في خطر السقوط بالهاوية كل دقيقة. وقد اخفيتهُ في احدى قاعات القصر... فيا الهي أنت الذي الهمتني هذا الصنيع اعطني قوةً لأتممهُ. أتت الساعة فلنذهب... ولكن ها الأمير أقبل.

المشهد الثاني

(فلافي ، بابيو)

فلافي : هل رأيت شيئاً من أعلى هذا البرج؟

بابيو : كلا يا سيدي فالهدوء مستتبّ انما الريح يعصف بشدّة وسيكون الليل شديد الوطأة.

فلافي : (لذاتهِ) نعم سيكون هائلاً. (يرفع صوته) هل ذهب أحدٌ في اثر السجين المفقود؟

بابيو : نعم سيدي ولكن أظنّ أنهُ نجا لا محالة.

فلافي : أين هو رينالدي؟

بابيو : لقد مرّ من هنا منذ هنيهة.

رينالدي : سيدي الأمير لقد قبضنا على أسير جديد وقع في ايدينا وهو في زورق تحت اسوار القلعة.

فلافي : وما هو اسمهُ؟

رينالدي : لا اعلم. هاك الأوراق التي وجدناها معهُ. (يأخذ فلافي الأوراق ويقرأها بلهفة).

بابيو : (لذاته) من تراه يكون هذا الأسير في هذه الساعة. هل هو هو بذاته... يا الهي ارفق بنا. (يخرج).

فلافي : (يقرأ) «يوجد نفقٌ تحت الأرض يؤدي من الفندق الاسود الى القاعة الأولى في القصر. فبينما الفلّاحون يحاصرون القصر يمكنك الدخول بهذا النفق» نعم النصيحة يا رينالدي. ضاعف الحرس.

رينالدي : نعم سيدي.

فلافي : (يقرأ) «فيا أخي العزيز اذا خفقت مساعيك اذهب غداً الى ليون وأخبر رفاقي ان لورادان محبوس في سجون مانبرن. ويمكنك الاتكال على شجاعتهم وغيرتهم».

تعساً لهُ اذا لم يكن لهُ من محامٍ سواه فسيبقى طويلاً تحت قبضة يدي. (يقرأ أيضاً) «تعالى الى ما تحت نافذة البرج الأكبر ساعة بعد قرع الجرس. فاحد الجنود الأمناء سيلقي اليك وديعة ثمينة. لورادان». (بغضب شديد) ما هي هذه الوديعة؟ ومن هو هذا الجندي الخائن. اجبني في الحال.

رينالدي : لا أظن تلك الوديعة الا الولد الهارب.

فلافي : والجندي من هو؟

رينالدي : أظن انه بابيو. لأني نظرتهُ يتحدث مع لورادان.

فلافي : تباً لهُ من خائن دني. سيجازى على ما قدمت يداه والسجين لم

يخلص بعد لم يزل تحت قبضة يدي. امضي وعذب بابو أشدّ العذابات عله يبوح بشرّ المؤامرة. أرسل من يشدّد البحث في اثر الولد وأتني في الحال بلورادان.

(يخرج رينالدي ويبقى فلافي وحده).

فلافي : في هذا الليل سيهاجم الفلّاحون قصري. لست أخافهم أبداً. سوف تتحطّم قواتهم ويلاقون الفشل أمام الصخور الحافظة قصري من غارات الاعداء. سيلاقون حتفهم هناك وتكون الخنادق قبورهم... والسجين الصغير ماذا جرى له يا ترى؟ أين هو الآن؟ هل اختبأ في هذا المكان على شفار الهاوية (يفتح الباب) لا يمكنه أن يعيش هنا دقيقة واحدة... ها صاحب المؤامرات قد أقبل...

المشهد الثالث

(فلافي ، لوردان ، رينالدي يدخل ويخرج حالاً)

فلافي : تعلم جيداً يا جان انك تحت سلطتي ولا تحيا الا بأمري. فقل لي الحقيقة ولا تحوجني للالتجاء الى ما يعز عليّ فعله. ولا تحوجني أن ادعو الجلّاد...

لورادان : أتريد مني الحقيقة. فها قد قلتها لك وهل يعذب لسمعك تردادها؟.

فلافي : لا أبغي سوى معرفة أمر واحد، ينبغي أن اطلع عليه كيف كان الأمر. أفهمت جيداً. اخبرني سريعاً ماذا حدث لأسيري الصغير؟

لورادان : روبر دي ليزينيه ؟

فلافي : نعم.

لورادان : قلت لك انهُ نجا سالماً.

فلافي : ومن الذي تجاسر وانقذه من بين يدي؟

لورادان : أنا.

فلافي : اما كان معك معاون؟

لورادان : كلّا.

فلافي : بلى! قد خدعت بابيو وهو الذي أعانك... (لذاته) يلوح عليه الاضطراب فإن بابيو خائن حقيقةً. (يرفع صوته) عبثاً تنكر ذلك لأن بابيو قد باح بكل شيء وسط العذاب. والآن قد عوقب على خيانتهِ.

لورادان : هل مات بابيو؟

فلافي : نعم.

لورادان : والسجين؟

فلافي : قد قلت لنا انه نجا سالماً.

لورادان : اني اجهل اذا كان بابيو نفعني بأمر ما. ولكن معيني الوحيد لا يمكنك أن تتناوله بمضرّة.

فلافي : (لذاته) لقد صحّ ما توهّمتهُ... (يرفع صوته). ومن هو هذا الشخص المنيع بهذا المقدار؟

لورادان : الا تعرف من هو؟ مع أنهُ يتفقّدك غالباً وقت رقادك.

فلافي : اتعني ذلك الشبح الأبيض؟... تلك أوهام.

لورادان : اصغ إليّ جيداً. من كان يحفظ مفاتيح السجن الذي كان مطروحاً به وريث ليزينيه؟

فلافي : وما يهمك ذلك؟

لوراداان : يهمني ذلك كثيراً. قل.

فلافي : أنا كنت أحفظها.

لوراداان : فليس إذاً بايبو الذي فتح الابواب الحديديّة وليس هو أيضاً الذي انقذ المحبوس المنكود الحظ من بين يديك بل قوةٌ سامية فعلت ذلك. لقد اكفهرّ وجهك واظلمت عيناك. فالظاهر انك ابتدأت تصدّق مقالتي. يا لك من جاهل! اتحارب السماء ولا ترتعد؟

فلافي : (بعد أن يصمت برهةً) نعم اني احارب السماء وسترى اخيراً من ينال الظفر.

لوراداان : اذهب إذاً وتمم فظائعك الشيطانية. فليس لي أن أؤخرك عن هذه الأعمال السامية. هل لك شيء آخر تقوله لي؟

فلافي : لم يبق عليّ سوى أن أعاقبك على جسارتك وقباحتك.

لوراداان : لن تجسر على ذلك.

فلافي أي عذاب؟! يستأهله ذلك الوقح الذي أتى يبث الهيجان بين، شعبي والذي تجاسر ودخل الى قصري قاصداً الفتك بي؟!

لوراداان : أي عذاب! اذا نجحت اعماله فيستحق اكليل النصر والا فيفوز باكليل الشهادة.

فلافي : اعدَّ ذاتك إذاً لأحد هذين الأمرين.

لوراداان : قلت لك مراراً لا تتجرأ أن تتناولني بضرر. فإذا أهلكتني تهلك ذاتك. اخبرتك انهُ في الغد اذا لم تطلق سبيلي يذهب أخي الى ليون حالاً.

فلافي : واسفاه عليك كان ينبغي لك أن تختار رسولاً غير أخيك فها قد باق[1] بك وخان عهدك.

لورادان : كذبت ! ! !

فلافي : هاك برهان على صحة ما أقول.

لورادان : كذبت ! ! !

فلافي : لمن هذه الرسالة اما تعرفها؟ ان أخاك قد اعطانيها. ترى جيداً انه تركك.

لورادان : آه آه ويل لي أنا المنكود الحظ قد وقع أخي اسيراً في قبضة يديك.

فلافي : نعم اخوك اسيري. والآن أنت واياه تحت سلطتي. اذهب اذاً وبثّ الهيجان في قلوب رعاياي. ألستَ المسلّط على حياتكما. ألا أستطيع الآن أن اعاقبكما أشدّ العقاب على ما قدمت ايديكما؟

لورادان : بلى يمكنك كل ذلك. ولكن تلك اليد السرية التي اقتادتني الى هنا والتي حفظتني حتى الآن هي قادرة أن تنقذني من بين يديك.

فلافي : هل أنت أيضاً متكل على الفلّاحين. خذ اقرأ.

لورادان : قد فشى سرّنا وخاب الأمل.

فلافي : لَست الآن متعجرفاً كما كنت عما قليل. فماذا بقي لك؟

لورادان : لم يبق لي سوى أن اعانق أخي وانتظر الموت.

فلافي : (يدعو) رينالدي. (رينالدي وجرار يدخلان).

(١) باق القوم: غدر بهم، وسرقهم.

المشهد الرابع

(فلافي ، لورادان ، جرار ، رينالدي)

رينالدي : كنت بانتظار اوامرك سيدي .

جرار : (يركض نحو أخيه) أخي جان قد خسرنا كل شيء .

فلافي : (إلى جرار) لا بل أنا أظن غير ذلك . قد فزتم بأتم النجاح . كنتم ترومون أن تدخلوا قصري فها قد دخلتم . والآن يمكنكم بكل حرية أن تتمموا مؤامرتكم .

جرار : امتنا ان شئت ولا تهزأ بمصائبنا وتمتهن شرفنا .

فلافي : سيكون لكم ما ترغبون . (يأخذ رينالدي الى حفّة المرسح ويسأله) هل كل شيء في هدوّ ؟

رينالدي : نعم سيدي . قد ضاعفنا الحرس واذا حدث هجوم فالجميع مستعدون للدفاع الشديد حتى الموت .

فلافي : وبابيو ماذا صار فيه ؟

رينالدي : قد شددت عليه العذاب . فأقرّ أنه يعرف مقر الولد ووعد بأن يهدينا اليه .

فلافي : الآن اشعر كأن حملاً ثقيلاً قد زيح عن ظهري . فلنضاعف الحرس ونكثر السهر ، ولما يقرع الجرس نصف الليل (ينظر نحو الفارسين) ... أفهمت ؟

رينالدي : نعم سيدي .

فلافي : اتبعني .

(في هذا الخطاب يبقى جرار ولورادان في صدر المرسح يتحدثان سراً) .

(يخرج فلافي ورينالدي) .

المشهد الخامس

(لورادان وجرار)

جرار : عبثاً تحاول تعزيتنا. لقد انقطع الرجا يا أخي. أنا أنا الذي سببتُ وقوعك.

لورادان : جرار ما تقول!

جرار : نعم، نعم كان ينبغي لي أن أسير بفطنة أكثر مما سرت. تلك الأوراق التي كنت احملها معي كان يجب علي أن اخفيها أو أتلفها.

لورادان : جرار تشجّع ولا تقطع الرجاء. ألَستُ مَن سبّبَ وقوعك في هذا المصاب؟ هل عليك أنت نذر تفيه أم إثم تكفر عنهُ. أنا هو الذي ظهرت لي السيدة البيضاء وباحت لي بالسرّ العجيب الذي أرجف قلب فلافي.

جرار : والولد يا أخي أين هو الآن؟

لورادان : انهُ بقي زمناً مختبئاً في هذا المكان وقد كان هذا المنكود الحظ كأنه ضمن القبر وهذا هو المحل الذي يدفن به فلافي من يريد أن يفتك بهم. فخلّصهُ بايبو وخبأه في البرج الكبير ومن هناك كنا اعتمدنا أن نسلّمك اياه.

جرار : وبايبو ماذا حدث لهُ؟

لورادان : لم يزل بين ايدي فلافي.

جرار : آه قد هلك لا محالة.

لورادان : ان فلافي هو كاذبٌ فيما قاله. فلا يعلم أحدٌ سوى بايبو أين السجين مختبىء وهذا الطاغية لا يقتله قبل أن يستطلع منه الاسرار.

جرار : أَوما تظن أن العذابات أحوجت بايبو الى الاقرار؟

لوراداں : لا ، لا ان فلاقي ما زال كئيباً حزيناً وذلك لأنهُ يجهل ماذا جرى للولد.

جرار : ليتهُ يجهله أيضاً بعض ساعات.

لوراداں : وهل تصير مهاجمة القصر في هذا الليل؟

جرار : نعم عند نصف الليل يخرج الفلّاحون من الغابة بكل نظام وقد انضمّ الينا عدد من ابطال الفرسان الذين كانوا ذاهبين الى الأراضي المقدّسة وقد هيأنا السلالم وكل ما يلزم من العدد وجميع رجالنا مستعدة للقتال حتى الموت أو الفوز بالنصر.

لوراداں : اتدري ان فلاقي عارف بكل شيء وستكون الحرب هائلة؟

جرار : آه لو كنا نجحنا وتمكنّا من انقاذ الامير دي ليزينيه فكم كان ازداد فرح المقاتلين وشجاعتهم. انهم يحبونه قبل ان يعرفوه. فلو كانوا نظروه لكانوا صنعوا الغرايب.

لوراداں : اسمع وقع اقدام. ها الجلّاد قد اقبل بدون شك.

جرار : اني بانتظاره بدون خوف. وها أنا مستعد للظهور امام الله.

(ينزويان بأطراف المرسح لما ينظرون بايبو مقيّداً بالأغلال).

المشهد السادس

(لوراداں . جرار . رينالدي . بايبو)

رينالدي : اراك لا تستطيع الوقوف يا بايبو.

بايبو : وهل من عجب اذا ضعفت أعضائي بعدما قاسيتُه من العذابات والآلام المبرحة.

رينالدي : ولماذا لا تبوح بالسرّ؟

بابيو : اني أريد أن أطلعك على كل شيء وأسلمك الولد الذي تبحث عنه ولكن ينبغي لذلك أن تحلني من قيودي تماماً.

رينالدي : ولمَ؟

بابيو : حتى أصل الى محل الولد. لأنهُ ينبغي لي أن أمشي على شفير الهاوية فيجب لذلك أن أكون مطلق الحرية.

رينالدي : اني صانع معك كل ما تريد.

(يخلص بابيو من قيودهِ. فيقبض هذا على السيف ويضعه في صدر رينالدي).

بابيو : اتى دوري الآن.

رينالدي : بابيو! بابيو!

بابيو : لا تتعب برجائي.

رينالدي : (يسقط على ركبتيه) الرحمة الرحمة!!

بابيو : اذكر يا شقي كم طلبتُ منك الشفقة لما كانت عظامي تقرقع تحت الخشبة وجلدي يتمزق تحت المجلدة. هل اخذتك حينئذٍ شفقةٌ على صراخي فتطمع الآن أن أرحمك؟

رينالدي : ارحمني يا سيدي وابعد عني هذا السيف...

بابيو : اذا كنت أمامي أيها الشقي ترتعد فرائصك مثل احقر الأولاد فكيف يكون حالك امام منبر الله القاضي المنتقم. أيهما هو لورادان؟

لورادان : (يتقدم ومعه جرار) أنا هنا أيها الشهم بابيو.

بابيو : ألم تزالا اسيرين؟ رينالدي حل هذين الفارسين في الحال. اعطني مفاتيح القصر.

رينالدي : ها هي.

بابيو : لم يبق الآن سوى أن ننتظر الموت.

رينالدي : (يسقط على ركبتيه) لوراداان ارحمني اشفق علي. اتريد أن أخون فلافي وأفتك به. اتريد أن اسلمكم القصر؟. أنا مستعد لكل ما تأمروني به. فقط لا تعدموني الحياة.

لوراداان : تباً لك من دني خسيس. دعه يعيش فلا يليق بنا أن نهرق دم من كان بهذه الدناءة. عش ولكن تبقى مغللًا بهذه السلاسل. كبّله بابيو بالقيود. (بابيو يقيّد رينالدي بالسلاسل المعلقة بالحائط ويطرح المفاتيح بالأرض. يسمع قرع الجرس وبعده صراخ...).

بابيو : قد هوجم القصر. (يصرخ).

لوراداان وجرار : (يصرخان. يستلّان سيوفهما ويخرجان، ويبقى رينالدي وحده مكبّلاً بالقيود).

رينالدي : هل أنا في منام؟ لا أنا حقيقة مكبّل بالقيود. ويل لي من جاهل أعمى قد سلمت ذاتي إلى أمانة جندي. أما كان ينبغي لي أن اعرف جيداً أن من كان مثلي جلّاداً عند فلافي ليس لهُ أن ينتظر أمانةً وشفقةً من أحد... قد تعاظمت الضوضاء وهوجم القصر من كل الجوانب. أخذتني الرعدة. اسمع وقع أقدام. من هو هذا يا ترى؟ لقد اقترب مني. ما الذي أراه. ها هو الولد المحبوس...

المشهد السابع

(ريناالدي مقيّداً روبر)

روبر : (لذاته) قد حرم علي بايبو أن أخرج من مكاني ولكني لا أستطيع ذلك. ان هذه الضوضاء وصليل السلاح قد ارعدا فرائصي واحدثا بي من الخوف ما لم أشعر به بمدة حياتي. يا ليتني كنت متقلداً السلاح مثل لورادان فكنت اخوض الحرب مع المقاتلين وأظفر مثلهم بأكِلّة النصر. من هو هذا الرجل المختبىء داخل هذا المكان؟

ريناالدي : أنا رجل أسير منكود الحظ. ارفق بي يا سيدي وحلّني من وثاقي.

روبر : آه عرفتك أما أنت ذلك الذي كنت تعاملني بقساوة بربرية؟

ريناالدي : آه يا سيدي لقد عاقبني الله على ذنوبي. لو كنت تعلم ما أقاسي من العذاب لكنت تشفق عليّ.

روبر : وما الذي يعذّبك؟

ريناالدي : انظر هول السلاسل والقيود فقد كسرت عظامي ومزّقت لحمي فإن حليتني فإني ادافع عنك حتى الموت.

روبر : وهل أقدر أن أحلّك؟

ريناالدي : نعم خذ هذه المفاتيح فتجد بينها المفتاح الذي يحلّني من قيودي. ارحمني يا سيدي ارحمني.

روبر : لقد تحنّن قلبي عليهِ (يأخذ المفاتيح ويقدمها الى ريناالدي).

ريناالدي : (يدلّه على واحد) هذا هو.

روبر : (يفتح الأقفال) اذهب أنت حرّ.

ريناالدي : (يقبض على الولد) وقعت الآن في قبضة يدي.

روبر : في قبضة يدك يا لئيم؟
رينالدي : نعم. اذهب معي نحو الأمير.
روبر : لا بل اهرق دمي هنا.

المشهد الثامن

(فلافي * روبر * رينالدي)

فلافي : (يدخل راكضاً مذعوراً والسيف بيده) لقد خسرنا كل شيء والفلّاحون قد استولوا على القصر. الويل لنا قد هلكنا.

رينالدي : سيدي ماذا حدث؟
فلافي : لقد خنتني يا لئيم. هل تمّمت كل ما أمرتك به؟
رينالدي : سيدي أنا!!
فلافي : أين هم الأسرى؟
رينالدي : ارحمني يا سيدي.

فلافي : الويل لك يا خائن. لقد اطلقت سبيلهم وفتحت أمامهم أبواب القصر؟ أنت سبب هلاكي فخذ جزاء خيانتك (ويصفعهُ) اذهب فليسَ قبرك ببعيد (يطرحهُ وراء الحجاب) (ينظر الولد في صدر المرسح) آه ما الذي أراه؟ هذا هو الولد الملعون. أنت أيضاً سبب موتي ولكن ستذهب معي الى القبر (ويهجم عليه).

روبر : (يسقط على ركبتيه) يا أماه تعالي لمعونتي.

(هنا يظلم المرسح ويظهر الشبح. عند هذا المنظر يقف فلافي

متحيّراً وقاطعاً رجاه فيصرخ) : السَماء والأرض تحارب جندي فها أنا أموت متروكاً من الله والبشر).

(ثم يضرب ذاتهُ وينطرح وراء الحجاب. روبر يبدو راكعاً، والشبح يخطر بهدوء)

روبر : لقد سقط في الوهدة... ايتها السيدة امي التي حميتني منذ اثنتي عشرة سنة كوني مباركة.

الشبح : ولدي اذهب بسلام (يتوارى).

(روبر يركض نحو المكان الذي توارت فيه السيدة).

أماه! أماه! لا تتركيني. تركتني وحدي ماذا يحدث لي! لو كنت اقدر أخرج من هذا المكان لكنت اجتمع بلورادان واقاتل مع الذين يحاربون عني. ما هذه الضوضاء الجديدة التي اسمعها؟ هل انتهى القتال؟ قد اقتربت الضوضاء منّا. يا الهي ها لورادان قد اقبل! لورادان!...

المشهد التاسع

(روبر. لورادان. جرار. بابو حاملاً السيف. فرسان. جنود وفلاحون)

لورادان : (يدخل بغتة) استولينا على القصر وفزنا بالظفر.

(يصرخ الجميع صراخ الانتصار).

روبر : (يركض نحو لورادان) أنت مخلّصي.

لورادان : (يأخذه بيدهِ) أيها الفرسان العظام والابطال الكرام ها هو الأسير الصغير الذي اخبرتكم عنه. ها هو الوريث الوحيد الباقي من أصل الأمير ليزينيه الطيب الذكر والأثر. ها هو الذي

حاربتم لأجله وكلّلت أعمالكم بالنصر. ها هو صاحب قصر مانبرن واميركم.

(الجميع يحركون قبعاتهم فرحاً ويصرخون) يحيى روبر دي ليزينيه. يحيى روبر دي ليزينيه.

(هنا يغني الجوق.

فليسقط الظالم، لقد ظفرنا به أخيراً فقفوا يا أصحابنا غنوا، فانهضوا أيتّها الجموع الشجاعة، ولا تكونوا أبداً عبيداً فقد مضى زمن النوح والبكاء. فيا أيتّها العناية الإلهية بعد عذاب شديد اعدت لنا الرجاء. آه اننا نباركك.

(انتهت)



مارون عبود

الغلامان الاسيران

~~رواية~~ تمثيلية ذات ثلاثة فصول

ترجمة ~~عربها~~ عن الفرنسية

~~مارون عبود~~

~~سنة ١٩١٣ في جبيل~~

مارون عبّود

الغلامان الأسيران

تمثيلية ذات ثلاثة فصول

مترجمة عن الفرنسية

١٩١٣

أشخاص الرواية

رودولف	زعيم اللصوص.
الكونت دي لنسفلد	أبو الأسيرين وشقيق رودولف.
فريدريك (١٢ سنة) **الفرد** (١٠ سنوات)	ابنا الكونت
بطرس	نائب رودولف وقهرمان الكونت سابقاً
ستارنو	لص بثوب راهب
لص	
لصوص وأتباع	

وقعت حوادث الرواية في جبال الألب.

الفصل الأول

يمثل الملعب كهفاً مظلماً فيه امتعة مبعثرة

المشهد الأول

(بطرس ، مرتينوس (يلعبان بالورق))

بطرس : اص كبّا

مرتينوس : عشرة

بطرس : فرشخ ديناري.

مرتينوس : داكه ، وخمسين بالبستوني.

بطرس : (يطرح ورقته) صارت.

مرتينوس : (يحسب ورقه ويقول لبطرس) غلبناك. نعيماً (يلبسه القبع).

بطرس : ثقيل أنت ولا تطاق (ويطرح القبع عن رأسه).

مرتينوس : الغلب مرّ، ولو بالورق.

(تدق الساعة الثانية عشرة).

بطرس ومرتينوس : هذا نصف الليل وزعيمنا رودلف لم يأت ، ماذا اصابه يا ترى؟

مرتينوس : لا خوف على الليث في نزال الثعالب.

بطرس : يقصّر البعيد النظر عن مخبآت القدر ، فالحذر الحذر.

مرتينوس : تحجب جبينك غيمة سوداء ايها النائب ، فما هذا الاضطراب؟

بطرس : اخاف مهاجمة مفاجئة. أما بلغك خبر ذلك الأمير الذي غادر بلاط النمسا وأقام على بضعة أميال من هنا؟ انه ضيف ثقيل على جبل الألب ولصوصه.

مرتينوس : نعم وقد حشد ما ينيف على ثلاثة الاف فارس بطل ، وتحصن في قصر «الفورته موله» ولكن يصح بنا وبه قول الشاعر :

ايا دارها بالخيف ان مزارها قريب ، ولكن دون ذلك أهوال[1]

وكيف يصل الينا ونحن امنع من عقاب الجو ، وقد قامت بيننا وبينه السراديب ، والكهوف ، والمنافذ الوعرة ، والأنهار الطاغية ، فلا أظنه يجرؤ على هذه المغامرة ويتحرش بالأفاعي في أوكارها.

بطرس : من استخف بالاعداء سقط في شراك البلاء. فلنواصل السهر ونضاعف الحفر ، هل الحراس في مواقفهم؟

مرتينوس : أصبت فيما قلت. الحيلة قبل الشجاعة (بصرخ من الكواليس) : الحذر الحذر أيها الحفر (يردد الصوت ثلاث مرّات كل مرّة أضعف مما تقدمها).

بطرس : اتوصلت بدهائك الى شيء من أسرار قصر الفورته موله؟

مرتينوس : شكراً لهذا الثوب الرهباني الذي أتاح لي زيارة كل غرف ذلك القصر ، فرأيت اسواره العابسة بوجه الاعصار تهدد من جاوره بالويل والثبور ، وقد اصلح اميره الجديد ما أفسدته به يد الدهر.

---

(١) الخَيْف : الناحية ، وكل هبوط وارتقاء في سفح [illegible]. وهو هنا مكان بعينه كانت تنزل به الحبيبة. والبيت للشاعر العبّاسي «أبو العلاء المعرّي» (٣٦٣ — ٤٤٩ هـ/ ٩٧٣ — ١٠٥٧ م). من قصيدة قالها وهو في بغداد مطلعها :

مغاني اللوى من شخصك اليومَ أطلالُ [illegible] النوم مغنى من خيالك مِحْلالُ

إلّا أن البيت في ديوان أبي العلاء «سِقْطِ [illegible] يرد على هذه الصورة :

فيا دارَها بالحَزْن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

بطرس : ومن هو هذا الأمير؟

مرتينوس : امير متنكر باسم الكونت دي فورته موله، يتحدر نسبه من اشرف الأسر النمسوية.

بطرس : ومن أين عرفت ذلك؟

مرتينوس : من كاهن الأمير، حسبني كاهن «تورين»[1] جامع الحسنات والصدقات، فافرغ في صدري ما وعى قلبه من الأسرار، وما درى أن الملبوس لا يعمل القسوس.

بطرس : دي فورته موله؟ ليس فينا أسرة بهذا الاسم.

مرتينوس : امثلي من تسأل عن الأسر الشريفة. وقد ربيت في مهد الفاقة في مدينة «تورين» وترعرعت في حمأة الآثام، وتقلبت في مناصب عديدة فكنت مرة متسولاً وطوراً لصاً وغالباً من قطّاع الطرق. كما تراني بخدمة سعادتكم الآن، ولم اهتم بمعرفة الشرفاء الا لابتزاز اموالهم. اما سعادتكم فتشير حركاتكم الى معاشرتكم غير اللصوص المتشردين.

بطرس : نعم، عرفت عن قرب اشراف «فيينّا»[2] اذ كنت قهرمان الكونت لانسفلد ومؤدب أولاده. ثقل علي نير الخدمة فألقيته عني تاركاً الكونت بعد اختلاس مبلغ طائل من صناديقه بددته كالابن الشاطر[3] في بيوت الاثم والفساد ولم أشعر إلّا ويدي فارغة وجيبي خاوية ووجه الافلاس يرف

---

(١) تورين: المرجح أنها مدينة تورينو الايطالية. وهي مركز صناعي وتجاري، كانت قديماً عاصمة «بيومنته» Piedmont

(٢) فيينا: عاصمة النمسا وهي من أكثر العواصم الأوروبية سحراً وجمالاً، مشهورة بجامعتها وبكاتدرائيّتها، وبمصانعها.

(٣) الابن الشاطر: إشارة الى المثل الانجيلي الذي ضربه المسيح، عن رجل كان لها ولدان، طمع واحدهما بثروة أبيه فسأله أن يقسم له نصيبه من الميراث ليستقل به ففعل، وعندما نال الابن نصيبه بدّده على ملذّاته... فعضه الجوع ورأى بعد تردد أن يرجع الى أبيه تائباً... فعاد... وسامحه أبوه وذبح له العجل المسمّن لأنه كان ميتاً فعاش وضالاً فوجد. راجع (لو، ١٥: ١١— ٣٢).

عليها ، فانتظمت في سلك عصابة رودلفو هرباً من وجه العدل وطمعاً بالثروة العاجلة . وها قد ارتقيت في مراتب اللصوصية فصرت نائب الزعيم . ان الذهب وافر لدي ولكنه مضرج بالدم ، والتلذّذ به في اعماق هذه الكهوف ضرب من المحال .

مرتينوس : اذا جفتنا مواطن النعيم فستطمئن لنا غداً . غداً متى عدنا الى فضاء الحرية وابصرنا سماء الغد وبفضل هذه الدنانير الصفراء نصبح من ذوي الأيادي البيضاء . بعد أن كنّا نعرف بالكف السوداء ، وأنا الكفيل بأن ترانا عيون البشر مثال الفضيلة .

بطرس : هيهات ذلك ان يكون فأنا رفيق رودلف في الجهاد الى الأبد .

مرتينوس : اتراه طويل الاقامة في هذه الكهوف؟

بطرس : لا اخرج من هذا الوكر الا الى ظلمة القبر ، أو الى معانقة حبل المشنقة .

مرتينوس : ان تصور مشنقة ايطاليا وخازوق النمسا يجعلني مع ظلمة هذا الكهف على اتم الاتفاق . آه يا سيدي على أيام صبوتي ، ايام كان جرابي على كتفي اقطع الفيافي[1] متنشقاً نسيم الحرية ممزوجاً بهواء الجبال النقي .

ايام فقر قد مضت وتصرمت ممزوجـــة بحلاوة روحـــيـــة
فالمال مع تعب الضمير مشقة والفـقـر محبوب مع الحرية

بحقك يا مولاي أما أنت آسف على ملذّات فينا .

بطرس : لا أذكر من زخارفها وبهجتها غير ولدَي الكونت لنسلفد ، ذينك الملكين اللذين تعشقتهما وكانا موضوع اهتمامي واعتنائي .

يا ليت دهري يرثينّ لحالتي فلقد بليت بكل انواع الشقا
ضرب ونهب مهنتي وخديعة ومآثم وجـرائم ، فـلـمَ البقا؟

مرتينوس : يا ليت النعمة تحرك قلب زعيمنا رودلف فيكره عيشة الكهوف

(١) الفيافي : الصحاري ، والمفرد فيفاء ، وفيفاة : وهي المكان المستوي من الأرض ، أو الصحراء لا ماء فيها .

ويخفض من بغضه لاشراف النمسا. يحيرني بغضه لهذه الفئة من البشر في حين ان صوته وهيئته واطواره تدل انه شريف الأصل.

بطرس : ان أصله سر غير مفهوم، وقد حاولت مراراً ازاحة الستار عن هذا السر فكانت هيئته البربرية تعقد لساني... اسمع ضجة... هم رفاقنا... اهيأت كل شيء؟

مرتينوس : نعم مولاي.

بطرس : جهّز أشهى الطعام واجود المدام.

مرتينوس : فليكن كما أمرت... الوداع (يخرج).

المشهد الثاني

(رودلف. بطرس. الفرد. لصوص)

اللصوص ينشدون:

يا لصوص الغاب لا تخشوا الخطر — وارفعوا بالعز اعلام الظفر

* * *

سيروا للأمام لا تخشوا الحمام — وارهبوا الآنام في مسا وسحر

* * *

اضربوا انهبوا واقتلوا واسلبوا — فاسمكم مرهب، فرائص البشر

* * *

سيروا للحتوف لا تخشوا الألوف — واضربوا بالسيوف كل من لكم ظهر

* * *

فليحي الزعيم رودلف الكريم — ركننا العظيم، وحمانا المشتهر

* * *

رودلف :

مثلكم يرتجى لبطش وغزو وباشباهكم نهدّ الجبالا
فاقحموا الليث في العرين وكونوا للأعادي في غزوكم آجالا

هذه غنيمتنا الباردة يا بطرس (يشير الى الولدين) فكيف تراهما؟

بطرس : من اثمن الغنائم واجملها. لا يقل ثمنها عن عشرة الاف فلورين.[1]

رودلف : اذا تسامحنا مع الشاري. امر ذكرنا في خاطرك؟

بطرس : لقد سئمت المائدة انتظار الندماء.

رودلف : سنوافيها ونؤنس وحدتها. سيروا ايها الأصحاب لمعاقرة المدام فنسلو مشقات الغزو ونشبع جوعكم من أشهى الطعام. وبعد هنيهة أكون بينكم اشرب الكأس على ذكر شجاعتكم وبسالتكم.

اللصوص : يخرجون منشدين :
يا لصوص الغاب... فليحي الزعيم...

المشهد الثالث

(رودلف ، بطرس ، فريدريك ، القرد)

رودلف : اليك يا بطرس اعهد بهذين الولدين فاحرص عليهما حرصك على حدقة العين ، وراسلك ثمنهما اذا فقدا.

بطرس : أأطرحهما في كهف الأسرى ؟

رودلف : فليكونا احراراً قيد المراقبة الشديدة.

(١) الفلورين : الوحدة النقدية في فلورنسا — إيطاليا ، كانت متداولة في القرن الثالث عشر. زنته ٣,٥ غ من ذهب صاف عيار ٩٥. فهذا ما جعله مرغوباً ، ومتداولاً في أوروبا كلها.

بطرس : هذا انعام ممتاز ما تعودت منحه الا لفئة قليلة من البشر. اهما ابنا أمير خطير وسيد كبير؟

رودلف : لقد كتما عني سر أبيهما، واخفيا اسمه ولكنني سأعرفه عما قليل. فالوداع الآن.

(يخرج)

بطرس : سر غامض وعامل خفي يحركان هادىء نفسي. أنا الذي لا ارتجف امام السيوف ارتعش امام صغيرين اسيرين. ربّاه ما هذا!!؟

الفرد : اخي أين نحن؟

بطرس : لا تخافا أيها الصغيران، لقد سمعنا حديث الزعيم بشأنكما، فلا أحد يمسكما بسوء في هذا المكان.

الفرد : ما هذه الظلمة المدلهمة. ماذا أرى... اين نحن يا أخي؟

بطرس : انتما في كهف لصوص اشقياء، ولكن بعد قليل ترجعان الى فضاء الحرية وتبصران النور.

فريدريك : الحرية؟ هيهات فلا أمل لي بها.

بطرس : كن صبوراً ولا تيأس، فنحن مع انزوائنا في أعماق الكهوف وتخلقنا بأخلاق الضواري، ورغماً عن هذه السحنة الوحشية نحب صغار الأولاد ونشفق على صباهم.

الفرد : رباه انحن في حلم؟

فريدريك : ان كنت صادقاً بما تقول فبرهن لنا عن اشفاقك علينا وتأثرك لتعاستنا بارجاع الحرية والحياة لنا. أعدنا الى حضن أمنا.

بطرس : هذا رجاء يجرح قلبي.

فريدريك : اية ثمرة تجنونها من أسر ولدين صغيرين. لسنا بأبطال عظام ليخلد لكم

اسرنا ذكراً خطيراً. فإن كنتما تعشقان الذهب اطلبه لكم من والدي. الرحمة، الحرية، الحياة!

بطرس : تطلبان أمراً فوق طاقتي فأنا النائب ورودلف الزعيم.

فريدريك : اذن أريد مخاطبة الزعيم.

بطرس : وماذا تقول له؟

فريدريك : نقرر المبلغ المطلوب لقاء اخلاء سبيلنا وانعتاقنا من هذا الأسر.

بطرس : انا مستعد لسماع حديثك بهذا الشأن.

فريدريك : قل ما هو المبلغ اذن.

بطرس : الأسعار مختلفة عندنا (كل فول له مكيول)[1] هل أبوكم غني جداً؟

فريدريك : ان أبي هو أكبر موظفي البلاط النمسوي.

بطرس : الثمن غال، والربح خطير ان شاء الله.

فريدريك : ان والدي صاحب القصر المجاور والأملاك الواسعة التي تحيط به.

بطرس : لقد سمعت به، أأنتما ابناء الكونت دي فورته موله؟

فريدريك : لقد لقب هكذا منذ عهد قريب، اما اسمه في النمسا فالكونت لنسفلد.

بطرس : الكونت دي لنسفلد!!

فريدريك : نعم ايها النائب.

بطرس : (على حدة) ماذا أسمع؟ الكونت دي لنسفلد سيدي القديم!! هذان ولداه! فيا لتعاستهما!

فريدريك : ما هذا الاضطراب. أأنت متأثر من تعاستنا ومصيرنا؟

بطرس : نعم يا عزيزيّ الصغيرين.

فريدريك : أنت تبكي...

---

(١) مثل سائر تطلقه العامة في اختلاف طريقة التعامل باختلاف المتعامل معه.

بطرس : آه. لا... هوان... منذ زمان... (على حدة) لا أستطيع أن أكتم ما بقلبي. فلأخرجن. (يخرج بسرعة).

المشهد الرابع

(الفرد ، فريدريك)

الفرد : ما هذا البرد القارس؟.. رباه ما هذا الخوف؟! أين نحن الآن؟

فريدريك : مسكين أنت يا ألفرد! الا تنظر هذه الجدران السوداء؟ ألا ترى ذلك المصباح يلقي نوره على تلك الجدران؟ ألم تنظر تلك الأوجه التي كانت تحدق الينا قبل هنيهة؟ ان خدامنا قد ذبحوا وامنا.

الفرد : لقد تذكرت ذلك، في الليل الفائت، في قلب تلك الغابة، احدقت بمركبتنا عصابة من اللصوص مدججة بالسلاح، فألقيت نفسي مذعوراً بين ذراعي والدتي فانتزعتني منها يد حديدية ثم لم أشعر بشيء ولم تبصر عيناي النور الا في هذه الدياميس[1] الباردة.

فريدريك : أحب إلي أن تظل عيناي مغمضتين الى الأبد.

الفرد : يا الله، ماذا يحل بنا؟

فريدريك : لا تيأس يا الفرد، الا تذكر قول امنا ان الله يحب الأولاد؟

الفرد : امنا. آه أين هي الآن؟

فريدريك : لقد نجت.. آه كيف كانت منطرحة امام قطاع الطرق تطلب انقاذنا ودموعها تعرب عن حنانها. لقد كادت تموت تحت الضرب لو لم يسرع أحد خدامنا وينقذها من الموت اذ حملها على ظهر جواده، واختفى بها بسرعة البرق في احشاء تلك الغابة.

---

(١) الدياميس: الأمكنة العميقة المظلمة لا ينفذ إليها الضوء. والمفرد الديماس. ويسمى القبر ديماساً لظلمته. وبه سمي كذلك سجن للحجاج بن يوسف لظلمته.

الفرد : تباركت يا رباه.

فريدريك : مسكينة امنا، في مثل هذه الساعة كانت تنحني منعطفة علينا، فأين هي الآن؟

الفرد : الا يسرع والدنا لانقاذنا؟

فريدريك : ذاك أمر لا ريب فيه، فهو قد أقام في قصر الفورنه موله ليبيد قطاع الطرق عن بكرة[2] أبيهم ويقي البلاد شرهم.

الفرد : ليته يسرع الى نجدتنا فيدركنا في قيد الحياة، فلنصل.

(نشيد ديني يختاره المخرج).

الفرد : انني اشعر بقوة وشجاعة، صدقت امنا ان الصلاة قوة الضعيف، والقوة الغامضة حصننا عند الشدائد.

فريدريك : ان الله يرمقنا بعين رحمته، الم تر نائب الزعيم قد رثى لحالنا؟

الفرد : لقد ادهشني ذلك! فرغماً عن سحنته الوحشية قد رأيت الدموع تترقرق على وجنتيه، فما الذي أثّر به!!؟

فريدريك : تعاستنا وضعفنا.

الفرد : نعم فإني لا أرى فقيراً يتعثر بأذيال الفاقة حتى أرى من يشفق عليه ويرحم ضعفه.

فريدريك : وما ادراك يا أخي ان هؤلاء اللصوص غير بغاة وقساه كما يقال عنهم فلربما يتأثر الزعيم رودلف ايضاً لشقائنا.

الفرد : رودلف! لا تطلب الماء من النار. فرودلف الذي ارهب اشده اعصابنا هيهات ان يرحم. هلكنا يا فريدريك.

فريدريك : والعناية الالهية يا أخي؟

---

(٢) البكرة: مونث البكر. والبكر: ولد الناقة الفتيّ وهو من الجمال بمنزلة الفتى من الناس والبكرة بمنزلة الفتاة والبكرة أيضاً الجماعة، والفتيّة من الابل. ويقال جاءوا على بكرة أبيهم اذا جاءوا معاً لم يتخلف منهم أحد.

الفرد : نعم هي محط رحال الآمال (ويركع فيركع فريدريك) نحن ابناءك يا الله فلا تهملنا (يعيدان النشيد أو نشيد آخر استغاثة بالله).

المشهد الخامس

(بطرس . فريدريك . الفرد)

بطرس : هما يصليان فلأصلّ أنا أيضاً، ولكن اواه! لقد عاديت المسبحة[1] منذ عهد طويل (يظهر، وبعد الصلاة يقول الى الولدين) لقد هيأت لكما كل شيء في المكان المجاور.

فريدريك : قل لنا ما اسمك يا من تشفق علينا وترثي لحالنا.

بطرس : ان اسمي لخيف هائل. انا اللص بطرس.

فريدريك : لقد كان لنا خادم قديم يدعى بطرس وكان محباً لنا مخلصاً، فهل تكون مثله يا بطرس.

بطرس : نعم سأكون ذلك الصديق، فقولا لي كيف وصلتما إلى هنا؟

الفرد : كأنك تجهل ذلك!!

بطرس : نعم لأنني لم أكن في تلك الغزوة.

فريدريك : اسمع اذن. هجر والدنا منذ ثلاثة أشهر بلاط النمسا ليقيم في جبال الألب في قصر الفورته موله، فدفعنا الشوق للاجتماع به فركبنا عربة يخفرها اثنا عشر رجلاً. واخترقنا تلك الوهاد وقرب نصف الليل ضل قائدنا الطريق فتهنا في الغابة الكثيفة في ظلام دامس، ولما كنا نفكر بالرجوع على اعقابنا مزق سكينة الليل صفير مزعج وأطبق علينا

(١) سبحة يستعين بها المصلّون لضبط عدد المرّات التي يرددون بها صلواتهم أو للتثبّت من عدد الأوراد التي يصلونها، والسجدات التي يؤدّونهم أثناء الصلاة.

اللصوص، فسمرنا الرعب في مكاننا ووقعنا في ايديهم بعد ان خلص امنا أحد رجالنا الأمناء ولا ندري ما حلّ بها.

بطرس : يا لتعاستهما!

فريدريك : افلا تستطيع أن تكتب لوالدنا.

بطرس : هذا مستحيل.

فريدريك : مستحيل؟

بطرس : مسكين انت يا ولدي لا تعلم ما هو كهف اللصوص. انه يمثل الجحيم على الأرض. تظنون اننا متحدون ولكن الصداقة لا تمتزج مع الآثام والجرائم. انهم يبثون العيون والأرصاد بدون انقطاع، يظنون أنهم يكتشفون خيانة حتى في صدري أنا الذي أراقبك، وربما تكون احدى العيون تخترق هذه الجدران لتراقبنا. فالزعيم، وحده، له حق الكتابة، وورقة باسمي تهلكنا ثلاثتنا لا محالة.

فريدريك : اذاً السكوت سلامة. آه يا بطرس أي عزاء لوالدنا اذا علم اننا احياء نفكر به ونصلي لأجله، وان لنا مخلصاً قربنا.

بطرس : (على حدة) ويلاه انني عاجز عن الكتمان. (بصوت عال) ثقا انه يطلع اليوم على اخباركما بالتفصيل ولو كلفني هذا الأمر آخر نقطة من دمي.

فريدريك وألفرد : (يأخذان يديه قائلين) ألف شكر يا بطرس.

بطرس : لا تقبلا هذه اليد الملوثة بأقذار الجرائم، فهي تدنس شفاهكما النقية. عجّلا بدخول هذا الكهف وثقا بصدقي واخلاصي.

(يخرجان)

بطرس : لقد برقع الحياء وجهي ولسعت احشائي عقارب تبكيت الضمير. فهذان هما الولدان اللذان تركتهما بعدما سرقت من والدهما عشرة آلاف فلورين حاسباً أنني أكفل بذلك المبلغ سعادتي. لقد تبددت العشرة آلاف فلورين، وهذه ستة أعوام صرفتها في لجج الآثام. الخوف في

النهار والسهر في الليل. لا يطرق آذاني غير أنين الاحزان وعويل الفسق والفجور مختفياً كوحش ضار في حناجر الجبال يعالج غنائمه المضرّجة بالدماء ليسوقها ويضعها تحت قدميه في هذا القبر المظلم. تباً لها من حياة قاسية!.

انني أستطيع اليوم أن أرتق ما مزّقته وقاحتي في الأمس. إنني أستطيع انقاذ هذين الولدين... سأخلّصهما، نعم سأخلّصهما. فيا من نفخت بي روح هذه المقاصد الشريفة اعطني قوة لأقوم بها.

المشهد السادس

(بطرس، رودلف)

رودلف : وماذا صنعت يا بطرس؟

بطرس : قد دققت البحث ففهمت انهما ولدا أمير مجهول.

رودلف : اتصدق اذا قلت لك انهما ولدا الكونت دي فورته موله؟

بطرس : (على حدة) انه يعلم كل شيء.

رودلف : نعم يا بطرس انهما ابناء ذلك الوقح الذي حملته جرأته على سكن قصر هرم مع بعض جنود بؤساء، يقصد بذلك كسر شوكة سطوتنا وصولتنا جاهلاً أن معقلي هذا يقاوم قوات الامبراطورية النمساوية، وبقربي ستون بطلاً أقلق بهم، وحدهم، بال أوربا بأسرها.

بطرس : وهذان الولدان؟

رودلف : قد نويت على الاحتفاظ بهما.

بطرس : وأية فائدة منهما؟

رودلف : انهما لقطاع الطرق كالفخ للصياد، يحفظ فيه الصغار ليصطاد الكبار.

فيا نزيل قصر الفورته موله، لا تعلل نفسك بمهاجمة الأسد في عرينه... أنا أنتظرك بقدم ثابتة وولداك في قبضتي اصدق برهان على جنونك وجهلك.

بطرس : لقد ضاع كل شيء.

رودلف : آه يا بطرس، انني كورقة في مهب الريح، أخاف على نفسي من هذا الصنف الثقيل. ان صوتاً داخلياً يهتف بي دائماً: الحذر الحذر. لقد أرسلوا أمس من يسرق اخبارنا. وجه ستارنو يتجسس ويسرح حول قصر الفورته موله عله يعود بما يروي الغليل، وليعد عاجلاً ما استطاع. لقد انهكني التعب فالوداع يا صاح.
(يخرج).

بطرس : (مخاطباً نفسه): يا لها فرصة مناسبة جادت بها العناية. فلنكتب الى الكونت لانسفلد ولكن... ماذا أقول له. إذا دفعته الى مهاجمة هذا الكهف فتلك خديعة. (يفتكر قليلاً) غداً تحت جنح الظلام أخرج بالأسيرين من هذا الباب... اذهب بهما الى أطراف الغاب، وإلى هناك يوافيني الكونت فأضع بين ذراعيه ولديه. ان هذا توجيه إلى السماء. قوّني يا رب السماء. (ينادي) ستارنو ستارنو

المشهد السابع

(بطرس ـ ستارنو)

ستارنو : مر أيها النائب.

بطرس : كن مستعداً للذهاب.

ستارنو : للذهاب! اتظن أنني رُكّبتُ من حديد؟. يجب أن استريح ولو قليلاً.

بطرس : هذه مشيئة الزعيم. فاسرع وتنكر بثوبك الأسود وعد إلي.

ستارنو : فلتكن مشيئة الزعيم ونائبه (ينحني ويخرج).

بطرس : فلنكتب الكتاب الهائل... ولكن اذا اكتشفوه؟ الله أعلم بالمصير. الهي! خذ بيدي (يفتكر) اهناك غير الموت؟ فليكن كفارة عن جرائمي (يكتب بسرعة وارتجاف ويختم الكتاب. يدخل ستارنو متنكراً بثوب أسود).

ستارنو : الأخ ستارنو في انتظار اشارتك أيها الأب المحترم.

بطرس : ان مهاجمة عنيدة تهددنا فاسرع الى قصر الفورته موله خالط الناس واسترق اخبارهم وحث هممهم على مهاجمة الأشقياء ليثقوا بك ويكشفوا لك ما خبأوه في زوايا القلوب ولا تغفل ان تمنحهم البركة وتعد بالصلاة لأجلهم.

ستارنو : لقد حفظت دوري غيباً، فالأخ ستارنو راهب جليل ترشح التقوى من اذياله وتفوح رائحة قداسته على مسافة عشرين ميلاً، فلا مجهول لديه ولا سر مخفي عليه.

بطرس : ادخلت القصر؟

ستارنو : أكثر من مرة.

بطرس : هذا كتاب للكونت.

ستارنو : يتلقاه صباح اليوم.

بطرس : لا تنتظر جواباً أفهمت؟ سلمه لأحد الخدم اسمعت؟

ستارنو : وما هذا التحفظ والحذر؟

بطرس : خوفاً من أن تسقط بفخ القدر.

ستارنو : أصبت، فمن طاف حول السراج احرق جناحيه.

بطرس : اتحسن القراءة.

ستارنو : اجهلها كل الجهل ولم يخطر لي ببال ان اجرب . وأنت تعلم أننا جماعة قلما نخالط العلماء .

بطرس : (على حدة) لا خوف ان شاء الله — الى ستارنو — الوداع ايها الأخ ستارنو

ستارنو : اذكرني بصلواتك ايها الأب المحترم .

بطرس : (مخاطباً نفسه) : أأتركه يذهب وحيداً؟ واذا أظهر كتابي! ولكن لمن؟ جميع الاخوان نائمون . وستارنو رجلاً لا شكّ في أمانته (يفتكر) اللص وأمانة !؟ لا . ليس بين اللصوص (يهمّ بالخروج فيغلق الستار) رجل يوثق به . فلنرافقه الى الدياميس .

الفصل الثاني

(يمثل الملعب جانباً آخر من الكهف أقل ظلاماً ، وفي آخره سرير مغطّى)

المشهد الأول

(رودلف . بطرس . فريدريك . الفرد في السرير)

رودلف : ان ظلمة هذا الليل تخيفني. آه من تلك الغمامة السوداء التي تحجب الغد ، قوة سرية تحرك ساكن اطمئناني ، والأحلام المتقطعة تقلقني. لقد هدّ العناء اركان عزمي ونبا بي مضجعي فلم أنم. وكيف ينام من يتهدده الغد بأحلامه الهائلة ! !

بطرس : عهدي بالزعيم رودلف ثبت الجنان[1] لا تهوله الخرافات والأوهام.

رودلف : لا خرافات ولا أوهام ، فالحقيقة ما أرى ، والا فلماذا اضطرب كل ما وقعت عيناي على هذين الغلامين.

بطرس : انهما ملكان هبطا الى الجحيم ، فنفسهما الطاهرة تجعل الناظر يتهيبهما.

رودلف : اذاً أنت تشعر شعوري؟

بطرس : لا أكتمك ذلك أيها الزعيم. لقد هدرت الدماء وسلبت الاموال وتلك مهنتي ، اما أن أرى هذين الولدين البريئين يتألمان ويتعذبان فيذيب

(۱) ثبت الجنان : هادئ القلب ، شجاع.

احشائي. ولكي نقوى على احتمال هذه المشاهد المؤثرة يجب أن تكون لنا شراسة النمور وما نحن الا لصوص.

رودلف : هي الحقيقة نزلت على شفتيك، فلطّف مرارة كآبتها ما استطعت.

بطرس : ما أصعب ذلك يا مولاي! وكيف يسر الصغير الذي انتشل من بين ذراعي والدته وهو بعيد عنها؟

رودلف : أأنت راغب في اخلاء سبيلها؟

بطرس : فلتكن مشيئتك، أولست تظن أن فدية وافرة من الذهب الرنان خير لنا منهما؟

رودلف : إن الذهب وافر أيها الشجاع، فكل اشراف فينا يؤدون لنا الجزية. فأنا أريدهما لا الذهب.

بطرس : صدقت مولاي، فقد شعرت بفرح الكثيرين من ذوي المقامات الرفيعة عندما يأنسون منك الرضا بالفلوس عوض النفوس.

رودلف : وكم من الذين صبغت دماؤهم صخور هذا الكهف؟

بطرس : ما أشد بغضك للأشراف وما اغربه فيك! مع ان كل حركاتك وسكناتك تنم بشرف أصلك وطيب عنصرك ونبالة محتدك[1].

رودلف : لقد انذرتك ألف مرة ألّا تحاول الوقوف على اسراري. الويل لك اذا عدت الى هذه المطاولة. ان سر مولدي لنار آكلة تلتهم من يدنو منها، فإذا جرتك تعاستك الى اكتشافه فإن هذا الخنجر يعقد لسانك عن افشائه. أكره الاشراف لأنهم خانوني. انظر فهاتان اليدان كانتا مكبلتين بالقيود. نعم نجوت من الموت ولكن الهرب شر ميتة. لقد اقسمت على الثأر فثأرت لنفسي منهم، وسأثأر الى الأبد.
ان هذين الولدين هما ابنا ألد اعدائي. اني آسف عليهما، ولكن لا يليق

(١) المحتد: الأصل، والطبع.

بي ان اترك هذه الغنيمة وهي باكورة النزال مع الوغد أبيهما الذي يحاول تدويخنا. هل ضاعفت عدد الحرس؟

بطرس : نعم مولاي.

رودلف : اذهب وافحص كل موقع ، انتبه الى كل حركة ، كن قاسياً ، كن هائلاً. الموقف حرج.

(يخرج بطرس)

المشهد الثاني

(رودولف ، الفرد ، فردريك)

رودلف : (على مقدمة الملعب) فلنضربن الأعداء بيد من حديد فترتعد لذكرنا الفرائص. فليكن ذكرنا هائلاً ينقض على الآذان كانقضاض الصاعقة في بطون الأودية ، فتقشعر الأبدان للسماع بنا كما تقشعر اذا رأت أفعى هائلة. يجب ايقاظ هذين الولدين لعلي أكشف القناع عن اسرار أبيهما ، فالولد لا يكتم سراً (يتقدّم من السرير ويرفع الستار) انهما غارقان في النوم. الطهارة ألقت على وجهيهما رداءها النقي. تنتاب الصغير رعشة شديدة. قلبه ينبض. جبين مضيء. وتنفّسات مستعجلة.

الفرد : يا أمي... يا أمي...

رودلف : انه يمد ذراعيه مفتشاً عنها... عبثاً تسعى ايها الصغير.

الفرد : (في حلم) الدم... الرحمة... الشفقة...

رودلف : العرق يتصبب من جبينه يا له حلماً مزعجاً!

الفرد : ويح القساة... أكاد الفظ روحي (يتحرك).

رودلف : انه يستيقظ... ان منظري يرعبه (يختبيء خلف السرير).

الفرد : (يستفيق) فريدريك.

فريدريك : انا هنا فلا تخف.

الفرد : آه تشجعني. هات يدك... من رفع غطاء السرير؟

فريدريك : أنت تحلم فالمكان خال.

الفرد : اواه لا نزال أسرى.

فريدريك : لماذا تخاف وترتعد؟ نم فالنوم يشدد قوانا ولعلنا نرى أمنا ولو بالحلم.

الفرد : لقد عادى النوم جفني وحل محله قذى الاضطراب... أرى اللصوص في منامي. أنظر دماً مهدوراً، وأما تجود بآخر نفس. حلمت أن قوتي تتلاشى، وظننت أنني لفظت روحي. أفلا يموتون في النوم؟

فريدريك : مسكين أنت يا الفرد، كنت أرقد رقاداً هادئاً، وأنت تتعذب؟

الفرد : اذا لم يزل لنا أمل في الهنا.

فريدريك : يغني...

لقد شدد عزائمي هذا النشيد، وحلمي المزعج نفخ فيّ روح الأمل بالفرج القريب.

الفرد : ليت والدنا عالم بسوء مصيرنا.

فريدريك : سيعرف كل ذلك من أمنا. أنسيت الرسالة التي كتبت من خمسة عشر يوماً.

الفرد : اذكرها جيداً وبها يقولون انهم اكتشفوا مدخل كهف اللصوص.

رودلف : (يصغي جيداً).

فريدريك : ويقولون أيضاً انهم سيقضون على هؤلاء الاشقياء. وعندما ندخل قصر الفورته موله نرى رأس زعيمهم رودلف معلقاً على شرفة القلعة.

رودلف : (على حدة) ممنون جداً.

فريدريك : ولأزيدك اطمئناناً أقول لك أن بطرس ارسل كتاباً الى والدنا مع اللص ستارنو ذلك الذئب اللّابس ثوب الحمل.

الفرد : أمن ثقة عرفت ذلك؟

فريدريك : (يشير الى الكواليس) شاهدت ذلك بأم العين من هذه النافذة.

الفرد : انك تفعم قلبي سروراً يا فريدريك، سيعلم والدنا اننا لا نزال نبصر النور فيسرع لانقاذنا.

فريدريك : ومعه ثلاثة الاف رجل فما الذي يصنعه رودلف؟

رودلف : (يتقدم فجأة) ادافع عن نفسي بجد مهندي.

الفرد : رباه ما هذا؟

فريدريك : فيا لك من وغد!

أقمت هنا حتى سرقت حديثنا وذلك لؤم ما أتاه اخو مجد

رودلف :

أتحت حسامي تحلمان بميتتي لكي تنظرا رأسي يعلق عن بعد

أين والدكما الآن فليأت... وإذ ذاك تنظران رأس من يسقط أولاً.

فريدريك : ثق وتأكد يا رودلف، انك اذا أسقطت شعرة من رأس والدنا مت قتيلاً بهذه اليد.

رودلف : أهذه الذراع الضعيفة تهددني بالموت؟

فريدريك : ان ذراع الصبي لقوية عندما يثأر لوالده.

رودلف : أمن رودلف يؤخذ الثأر بسهولة!؟

فريدريك : اتظنه صعباً جداً (يقبض على مسدس أحد اللصوص ويصوبه الى صدر رودلف).

رودلف : (يشهر خنجره صائحاً) ويلك.

الفرد : (يقف بينهما خائفاً) عفواً... رحمة...

فريدريك : (يرمي المسدس) لقد كنت شهماً بدوري ، فكن أنت.
رودلف : سأكون... ادخلا هذه المغارة

(فريدريك والقرد يخرجان)

رودلف : (مخاطباً نفسه) : ما أجرأه فتى؟ لقد اعرب عن عزّة واباء وبرهن عن نفس كبيرة ودم شريف يغلي في عروقه. كانت روحي بين يديه فأبقى علي. فلأبقينّ عليه بدوري، فواحدة بواحدة. كان الموقف حرجاً ولكنني تعلمت فيه درساً ثميناً اذ عرفت أن الكونت دي فورته موله يتحفّز للوثوب على الأسد في عرينه ، فيحتز رأسه ويقدّمه هدية لزوجته ، ويعرضه على شرفة قصره. من أرسلك أيها الأحمق؟ أوتحسب رودلف ظبياً شارداً فتطارده؟. أنت تطلب رأسي وأنا أطلب رأسك وسوف نرى الغلبة لمن تكون. هلم إليّ يا بطل فإنني انتظرك بقدم ثابتة. (يفتكر) أصحيح ما قاله الغلام ان بطرس خانني حتى بلغت به الوقاحة الى مواطأة اعدائي؟ سأعرف كل شيء... انهم آتون.

المشهد الثالث

(رودلف ، ستارنو بلباس كاهن)

رودلف : تقدم يا ستارنو
ستارنو : (ينحني امام رودلف) ايها الزعيم.
رودلف : ما وراءك؟
ستارنو : الحذر ، فالمعركة ستنشب الليلة.
رودلف : أأنت واثق مما تقول؟

ستارنو : نعم مولاي ، رأيت الناس يشحذون أسلحتهم فسألتهم فقالوا لي ذلك ، وسألوني أن أباركهم فمنحتهم البركة .

رودلف : حسناً فعلت اتعرف خطتهم؟

ستارنو : بكل تدقيق فهؤلاء البسطاء لا يخفون عني أمراً. فعند نصف الليل يخرجون من القصر والسكوت يخيم عليهم حتى يطوقوا الكهف.

رودلف : إذاً لا يجهلون موقعنا.

ستارنو : ليس هذا بالأمر المجهول.

رودلف : وبعد ذلك..

ستارنو : يجتمع جنود الكونت في مضيق الدياميس ويفاجئون الخفراء. فإنني ان اخبرك عن الثمن الذي يجعلون لرؤوسنا ، فثمن رأسك عشرة الاف فرنك وثمن رأس بطرس ألف ، وثمن رأسي أنا الحقير مئة فقط . ان الشعب يقدرنا حق قدرنا...

رودلف : (على حدة) لقد صدق الغلامان. (الى ستارنو) أأعطاك بطرس كتاباً؟

ستارنو : نعم سيدي.

رودلف : ألم يكن باسم الكونت دي فوته موله؟

ستارنو : نعم.

رودلف : ادفعته اليه؟

ستارنو : (يخرجه من جيبه) هذا هو.

رودلف : (يفضه ويقرأ) سيدي الكونت : ان ولديك في مأمن. إذا وافيتني في نصف هذا الليل الى الوادي الأخضر ادفعها اليك. لص يحبك. الامضاء (الخائن).

ستارنو : لقد قرأت على وجهه أيها الزعيم انه يخوننا ، وقد أوصاني كثيراً بالصمت والسكينة.

رودلف : ما حمله على هذه الخيانة.

رودلف : لقد سئمت نفسه التقيد بسلاسل خدمتك، وكم مرة سمعته يتأسّف بحرارة، وأظنه يودّ تهريب الولدين ليفر وراءهما.

رودلف : وماذا يرجو ورأسه ذو ثمن غال.

ستارنو : ان الكونت دي فورته موله ذو نفوذ في البلاط الملكي، ولا يصعب عليه التماس العفو عنه. كما أنه إذا كشف بطرس مدخل الكهف للأعداء امطروا عليه ديم[1] المكافأة وتملّص من شراك العقاب الهائل الذي يهدّدنا.

رودلف :

فـلسوف يصلي حرنار دونها	نار الجحيم فيا ملائكة اشهدي
السَجن مسكنه بعيد هنيهة	والموت يعقبه بجد مهندي
ولقد جعلتك نائبي بعد الذي	خان العهود، فثق بصدق تعهدي
انا ذاهب فاحرس مكاني معقلي	

ستارنو : رح بالسلام، وثق بعبدك سيدي

ستارنو : (مخاطباً نفسه): نائب؟ الا تكذبني اذاني؟ أيقظة أم حلم؟ بلى قد سمعت جيداً. أأنا الذي قضيت زهرة شبابي متسولاً صرت الآن نائب رودلف الزعيم الذي أقلق ذكره الخافقين؟ ولكن على النائب أن يقود اللصوص الى الغزو ويقذف بحياته الى مهاوي الردى وأنا أخاف على حياتي جداً جداً. لقد اتخذت هذا الثوب الأسود احبولة للصدقات والحسنات من أيدي المؤمنين (قه قه) أما في ثوب النائب فلا أحصل المال الا برصاص المسدسات ورعود البنادق وهذا هو الفرق بين

(١) المفرد ديمة. والديمة المطر الدائم في سكون بلا رعد ولا برق. منهم من يقول انه يدوم خمسة أيام، ومنهم ستة، ومنهم سبعة... ومنهم من لا يحدّدون لدوامه زمناً محدوداً.

الرتبتين... لا بأس. أنا مسرور من نفسي. ذللت بطرس واخذت وظيفته غنيمة باردة. يا له من احمق جاهل! لقد حسب انه يستخدم فتى صغيراً لنوال مأربه فسقط من حيث أمل النهوض... هذا أسير من اسرانا.

المشهد الرابع

(ستارنو ـ فريدريك)

فريدريك : بحقك يا ستارنو، الا تسكن اضطراب ولد تاعس قذف به سوء طالعه الى هذا الكهف المظلم؟ أأنت قادم من الفورنه موله؟

ستارتو : نعم سيدي.

فريدريك : انظرت الكونت؟

ستارنو : لا. ولكنه يستعد بدون ريب للقائكم في الليل القادم. هناك في اطراف الغابة يعلل النفس.

فريدريك : انك تكلمني بالهندية.

ستارنو : اما وعدكما بطرس باخلاء سبيلكما؟

فريدريك : ليتك صادق! أفي هذا الليل نعانق والدنا! هيهات!

ستارنو : نعم سيدي، إذا حققت السماء امالنا.

فريدريك : (يضم يد ستارنو الى صدره) أأقدر أن أكافئك على اخلاصك يا ستارنو؟ ولكن كيف يتم ذلك وملء الكهف عيون ترى؟

ستارنو : ان بطرس قادر على كل شيء فاعتمدا عليه.

(يدخل بطرس)

بطرس : هذا ستارنو؟

ستارنو : نعم ايها النائب.

بطرس : لقد انتظرتك على أحر من الجمر فما فعلت بالكتاب؟

ستارنو : سلمته ليد أمينة.

بطرس : ادخلت القصر؟

ستارنو : اما حرمت علي ذلك؟

بطرس : لله در امانتك! سأكلم الزعيم بأمرك واهتم باعلاء مقامك.

ستارنو : انني ازاحمك على منصب سام حدثتني النفس به.

بطرس : والنفس امارة بالسوء. قل ما هو ذلك المنصب؟

ستارنو : منصب النيابة.

بطرس : عليك بالانتظار.

ستارنو : ليس كما تظن... الوداع.

(يخرج ستارنو)

بطرس : (على حدة) ماذا يقول؟ اخانني يا ترى؟

فريدريك : لقد نجونا يا عزيزي بطرس، ونجحت مهمتك.

بطرس : وأية مهمة تعني؟

فريدريك : عبثاً تحاول اخفاء مساعيك عني فأنت المحسن الينا. أنت صديقنا ومنقذنا. انك لا تظل في هذا الكهف بل تتبعنا الى قصر الفورته موله، أليس كذلك يا عزيزي بطرس؟

بطرس : اجهل ما تقول.

فريدريك : لقد ظهرت لي كوامن اسرارك، أفلست عازماً أن تعيدنا الى والدنا في ظلمة هذا الليل؟

بطرس : ومن قال لك؟

فريدريك : ستارنو. لماذا هذا التكتم؟ ذهب الخفاء. تنازل لقبول دعوتي واذهب معنا الى فينّا، حيث تحيا سعيداً، ونحبك كما كنا نحب مهذبنا القديم بطرس سمارانديني.

بطرس : يا للخيانة! لقد قرأ بطرس كتابي، وعرف رودلف كل شيء. اسمع ضجيجاً (يخرج).

المشهد الخامس

(بطرس، رودلف، ستارنو)

رودلف : (يدخل فجأة وينزع شعار بطرس): أنت منذ الآن مجرد من وظيفتك.

بطرس : مولاي.

رودلف : (يريه كتابه) هذا جوابي.

بطرس : (الى ستارنو) يا خائن! (يستل خنجره ويهجم عليه).

رودلف : (يصفر فيدخل أربعة لصوص فيشير الى بطرس): كبّلوه بالحديد (يكبلونه) (إلى ستارنو) أنت نائبي منذ الآن. قيد بطرس واسهر عليه بعين لا تنام. نحن في خطر. اعلموا أن أصغر خيانة للقوانين عقابها الموت.

(الستار)

الفصل الثالث

يمثل الملعب جهة ثالثة من الكهف أشد ظلمة

المشهد الأول

(بطرس وحده)

اسمع عن بعد طلقات البنادق. لقد هوجمت المغارة فلمن يكون النصر؟ الله وحده يعلم. لقد دفنت في هذه الظلمة الخفية وكل الناس نسوني. هيهات ليس من يتذكرني. ستارنو يا لك من خائن بأي فرح بربريّ كبّلتني بالحديد. أنت أقل من لص أنت جبان. اقسم أنك ستموتن بيدي. والغلامان المسكينان كم يكون خوفهما من تلك الضوضاء والمعمعة. يا ليتني أستطيع الخروج من سجني لأطير لمعونتهما. (يفتح الباب) هذا بلا ريب هو ستارنو. أنه القادم يضحك من تعاستي.

المشهد الثاني

(بطرس ، فريدريك)

فريدريك : (بيده سلسلة مفاتيح) الي بطرس : لقد أتيت لأنقذك يا بطرس.

بطرس : هذا أنت يا سيدي!

فريدريك : لقد هرب اللصوص وظفرنا.

بطرس : وماذا يهمني الظفر؟ أنا هالك لا محالة.

فريدريك : لقد نجوت. السجن مفتوح فاتبعني.

بطرس : (يسقط على ركبتيه) يا منقذي، يا ملاكي الطاهر.

فريدريك : ماذا تصنع يا بطرس!

بطرس : اقبل رجليك يا سيدي، أتعرف من أنقذت؟!

فريدريك : نعم أعلم.

بطرس : أنت تجهل ذلك. أنا ذلك المنكود الحظ بطرس سمارا كدبني مهذبك القديم.

فريدريك : ماذا أسمع!!؟

بطرس : نعم أنا بطرس الذي أحبكم أنا بطرس الذي تركتكم. انا بطرس الذي يمزقه تبكيت الضمير. سيدي اتغفر لي؟!

فريدريك : وممن تطلب الغفران؟ بطرس نحن أصحاب (ينهضه ويصافحه). (يسمعون عن بعد دوي طلقات البنادق).

بطرس : أيجب أن نذهب؟ آه لو كان معنا مفتاح الباب الشمالي.

فريدريك : أليس هو مع المفاتيح؟

بطرس : (يبحث في المفاتيح) لا. حفظه ستارنو معه.

فريدريك : نعم لقد حفظه معه، فقد نظرته داخلاً المغارة التي كنت مسجوناً فيها مع أخي، والاصفرار باد على محياه. يضطرب كأصغر الأطفال، وقد اخذ كيساً مملوءاً ذهباً، واختار مفتاحاً من هذه المفاتيح وطرح البقية كشيء لا فائدة منه، وعندئذ جئت لأنقذك.

بطرس : يا له من خائن. ولكن هذا لا يهم. فللتوصل الى الباب الشمالي يجب أن نقطع هذا السجن فأنا أنتظره هنا. اذهب وجيء بأخيك.

بطرس : (مخاطباً نفسه) لقد أصبحت حراً ، فعلي أن لا استعمل حريتي الا في سبيل انقاذ المحسن الي (يسمع دوي البنادق قد اقترب ، لقد قرب دوي البارود فماذا يحلّ بنا؟ (يتراجع الى الوراء).

المشهد الثالث

(بطرس في آخر المسرح. ستارنو في ثوبه الاكليريكي)

ستارنو : (في مقدمة المسرح)لقد خسرنا كل شيء ودحرت رجالنا من المواقف الثلاثة ، وهم بدافعون عن الرابع ، فهل يثبتون في الدفاع طويلاً؟ ان الهرب هو غنيمة الحكيم. هذا التنكر يجعل هربي مكرماً ، وفوق ذلك ان المال متوفر لدي ولا ازال احفظ مفتاح الباب الشمالي.

بطرس : (يقترب منه وبيده خنجر) ان هذا المفتاح يلزم لي.

ستارنو : (يتراجع برعدة) يا الهي! هذا أنت يا بطرس!

بطرس : يلزم لي.

ستارنو : لكن.

بطرس : يلزم لي قلت لك.

ستارنو : خذه ولكن ارحمني (يسقط على ركبتيه).

بطرس : ويحك يا جبان! خنتني ومكرت بي. الا تذكر اللذّة التي كنت فيها عندما كبّلتني بالسلاسل منذ هنيهة؟ جاء دوري ، فأنت أسيري فسلم نفسك إلى الله.

ستارنو : (ينحني على ركبتي بطرس قائلاً) : عفواً أيها النائب.

بطرس : تائب هذا لقب لم يعد يخصّني. هذا لقبك الجديد. لقد لبست ثوبي الذي عريت منه ولكنك لا تفرح به طويلاً. فاستعد للموت.

ستارنو : رحمة.

بطرس : استعد للموت.

ستارنو : الحياة.

بطرس : الموت (ينهض ستارنو ويطعنه بطرس).

ستارنو : آه. (يسقط بين الكواليس)

بطرس : (مخاطباً نفسه): لقد قبضت على المفتاح ولكن الولدان أين هما؟ الضجة في ازدياد. يا الله يا الله (يمشي في المرسح ذهاباً واياباً باضطراب. يزداد دوي البنادق).

المشهد الرابع

(بطرس. فريدريك. الفرد)

فريدريك : (يدخل بسرعة) اليك أخي يا بطرس فاحرص عليه ودافع عنه. أنا ذاهب لأقاتل مع أبي.

بطرس : يجب أن نفر.

فريدريك : الفرار! عندما يكون أبي يقاتل قتال المستميت. فقد نظرته معرضاً لطلقات البنادق يلوي يدي اليأس والقنوط، وعسكره قد بدا بالانحدار ويكاد أن يكون النصر حليف اللصوص. انا ذاهب للدفاع عنه. فإذا تركته اجحد واجب البنوة. الوداع يا بطرس. اسهر على أخي (يخرج).

بطرس : وأنا اتبعك، فإذا متنا نموت معاً.

(ينسل وراءه تاركاً الفرد وحده).

الفرد : (مخاطباً نفسه): ذهبوا وبقيت وحدي. وحدي في هذه الظلمة المخيفة، يا لهم من قساة! لقد تركوني ولكنهم ذهبوا للدفاع عن أبي، فلا بأس عليهم. أنا غافر لهم. لماذا ليس لي ذراع شديدة تستطيع

اشهار السيف لأدافع معهم عن أبي ! (يشتد دويّ البنادق ويسمعون صراخ الظفر من اللصوص) يا لها من ضجّة مخيفة. انا مضطرب. أنا أرتعش يا الهي! يا ربي (يركع ويصلّي).

المشهد الخامس

(الفرد، بطرس يسند فريدريك الجريح)

الفرد : أخي! من أين هذا الدم؟

بطرس : (الى فريدريك) ألم أقل لك سيدي، انك تدخل معركة هائلة لا تقوى عليها. لقد جرحت ولولا عنايتي لكنت مت.

فريدريك : وأنت جرحت أيضاً يا عزيزي بطرس.

بطرس : نعم ولكن الفرق بيننا عظيم. أنا قد اعتدت على هذه المعارك. انظر (يريه صدره) ليس هذا بشيء اننا نستطيع الهرب الآن. اتطيعني؟

فريدريك : ان أبي قد غلب فيجب ان نتقاسم عذاب الأسر.

بطرس : ما هذا العناد، إذا كنت وأبوك في الأسر فمن يسعى بنجاته؟ من يأخذ بثأره؟ من يعزّي والدتك؟

فريدريك : لقد أصبت. يجب ان نهرب لنستطيع انقاذه. اتبعنا؟

بطرس : بل ابقى هنا للسهر عليه. خذ هذا المفتاح وسر في هذا الديماس وافتح الباب فتجد مخرجاً ضيقاً يوصلك بعد سير قليل الى الهواء، فالحرية فأصدقاء أبيك، الوداع اعزائي، الوداع.

يخرج فريدريك والفرد.

بطرس : (مخاطباً نفسه) : لقد انقذت الولدين فهل استطيع أن انقذ اباهما؟ ايتها السماء! رباه!!! هذا الزعيم والكونت دي لنسفلد.

(يختبيء)

المشهد السادس

(رودلف، الكونت، لصوص بثياب ممزقة، بطرس (مختفياً)

رودلف : (الى الكونت) أيها الفارس الشجاع انت ملزوم ان تعلق رأسي على شرفة قلعتك كما وعدت.

الكونت : لا تحتقر تعاستي يا رودلف، تصرف معي كما يتصرف الظافرون، وعاملني كما أردت أن أعاملك.

رودلف : ستكون مسروراً، ولكن من أين لك هذه الجرأة حتى تهاجمني هكذا في معقلي.

الكونت : آه يا سيدي، يظهر انك لست بأب. جئت افتش عن ولديّ، فأين هما؟

رودلف : ستراهم. أيها الحرس ادخلوا الولدين إلى هنا، واذبحوهما على مرأى من أبيهما.

الكونت : قفوا. قفوا. (اللصوص يتوقفون).

رودلف : اذهبوا أيها الحرس (يخرجون).

بطرس : (على حدة) وانا أذهب للدفاع عنهما أيضاً (يخرج من الجهة الثانية).

الكونت : سيدي اشفق على والد تاعس. ترفق بولديّ.

رودلف : وماذا بعد؟ اتوصلت الى الرجاء بالانحناء أمامي!؟

الكونت : لو كان الأمر تتوقف عليه حياتي كنت استعمل كبريائي، ولكن حياة ولديّ! سيدي، رحمة واشفق على صباهما. خذ مالي خذ حريتي وحياتي، ولكن بشرط أن لا يتعدّى ثأرك إلى سواي. أنا هو المجرم. فولديّ لا يتناولانك بأذى فهما لا يعرفانك أبداً. لماذا تحول نظرك عني؟

فإذا كنت لا تقبل رجائي فالله لا يقبل لك رجاء. الدم البريء يسقط على رأسك. آه، لقد تهت عن الصواب. مولاي، سيدي، ارحمني.

رودلف : (على حدة) اشعر بشفقة وانعطاف، وفوق ذلك لماذا اهرق دماً لا يفيدني شيئاً (الى الكونت) اقبل ذلك، واستبقي على ولديك.

الكونت : (مسروراً) آه، فلتكن مباركاً.

رودلف : ولكن بشرط أن تكون أسيري.

الكونت : أكون ذلك.

رودلف : وتتنازل لي عن قصر الفورته موله.

الكونت : هو لك.

رودلف : وتعطيني املاكك الواسعة.

الكونت : وهي لك أيضاً.

رودلف : وتعطيني عشرين ألف فلورين ذهباً.

الكونت : ادفع لك ذلك غداً.

رودلف : هذه ورقة فوقعها.

الكونت : (يوقعها ويدفعها اليه) أأرضاك ذلك؟

رودلف : (يأخذ الورقة ويقرأ التوقيع) الكونت الريك دي لنسفلد. (يتمشّى باضطراب) أأنت الكونت دي لنسفلد؟

الكونت : أنا هو.

رودلف : وما هو وطنك؟

الكونت : ولدت في فينّا من أكبر عائلات النمسا وأبي كان الوزير الأول للأمبراطور.

رودلف : (على حدة) هذا هو. ولكنهم يدعونك الكونت دي فورته موله.

الكونت : هذا اسم اخذته عندما غادرت البلاط . أردت بذلك أن يجهل الناس أن الكونت الذي جاء لمقاتلة اللصوص هو نفسه الكونت لنسفلد .

رودلف : أخي ! أنا فرنسيسكو دي لنسفلد.

الكونت : الهي ، أوجدتك في مغارة اللصوص .

رودلف : إن هيئتك تجرح قلبي يا أخي . أنا الآن أقبل قدميك (ينطرح على قدمي الكونت) .

الكونت : (يمد له ذراعيه) تعال أضمك الى صدري . لقد رأيتك بعد عشرين سنة ، فهل أرى ولديّ.

رودلف : نعم ستراهما الآن (يصفر) .

المشهد السابع

(رودلف ، الكونت ، اللصوص)

رودلف : أين المسجونان؟

لص : ان السجن خال وقد فتشنا عليهما ولم نجدهما قد هربا.

رودلف : ماذا حلّ بهما؟!

بطرس : (يدخل فجأة) لقد خلّصتهما.

رودلف : يا شقي ! !

بطرس : اضحك من غضبك. أنا هو المجرم تقدر أن تعاقبني.

رودلف : ماذا تقول يا بطرس ، لقد وجدت أخي ، وأريد أن أرد له ولديه ، وأنت تنتزعها مني. أين هما يا شقّي؟

بطرس : ماذا اسمع ! أنت لا تريد قتلها.

رودلف : اتظنني مسرفاً بهذا المقدار بدم عائلتي. ارجعها الي وإلّا قطعت رأسك.

بطرس : ستراهما عما قريب ايها الزعيم. انظر الى الباب الشمالي فهو مخفور من جنود عديدين، قد أخفيتها في الديماميس، سآتيكم بهما الآن.

رودلف : اخرجوا أيها الحرس.

المشهد الثامن

(رودلف ـ الكونت)

الكونت : آه! لو كان أولادي هنا ما كان ينقصني شيء من السعادة. أخي فرنسيسكو، أنحن نسطع في بلاط فينّا وأنت منسلّ في اعماق هذه الديماميس؟

رودلف : هذه عاقبة أول غلطة، اتعرف الدوق دي فركتهال؟

الكونت : بدون ريب. ولماذا تعيد تذكاره المؤلم؟!

رودلف : فصلاً لمشاجرة لا تذكر دعوته الى البرية وذبحته، كان الدوق محبوباً من الأشراف والأسر النبيلة فطالبوا بدمه، واجابة لطلبهم زجني الامبراطور في سجن فينّا وحكم علي بالموت. ودنت الساعة الهائلة فخدعت حراسي وفررت الى إيطاليا. وهنالك عشت سنوات عديدة في الاثام. وبعد أن قضيت زماناً خائفاً من العدالة عدت فأخفتها بدوري. حصنت هذا الكهف واستوطنته مع بعض اللصوص الذين ازداد عددهم مع الأيام. وأضمرت للأمراء بغضاً لا تخمد ناره، فنهبت أراضيهم وحرقت قصورهم واختلست أموالهم وهدرت دماءهم. ومع ذلك لا تظن أنني كنت سعيداً مسروراً في كهفي هذا. حاولت أن أخنق صوت ضميري ولكن عبثاً، فضميري، وحده كان الآخذ بثأر

جرائمي . ان لعنة السماء قد ثقلت عليّ . انظر الى هذا الجبين فيخيّل اليّ أن عليه وسمة بحديد محمّى . آه ليتني اقدر أن أتوكّل على الله ، ولكنه لا يقبل صلاة اللصوص .

الكونت : الرجاء يا فرنسيسكو الرجاء ، فالندامة تقدسك .

رودلف : هيهات أن تمحو الندامة عشرين عاماً من الآثام . انني اترك حرفة اللصوصية ولكنني في الوقت عينه اترك الحياة .

الكونت : ماذا تقول يا فرنسيسكو ! !

رودلف : الى الآن لم يزل اسمي سراً من الاسرار . فالكونت لنسفلد قد تنكر تحت اسم اللص رودلف . فمن الآن فصاعداً لا يكون كذلك . انهم يعرفون انني اخوك ، واذا بقيت حياً لطخت اسمك واسم بنيك بالعار .

الكونت : ان حياتك لله يا فرنسيسكو ، انها ليست لك حتى تتصرف بها كما تشاء وتضع لها حداً ، يجب أن تفكّر باصلاح ماضيك ، واترك هذه المغارة .

رودلف : هل اقدر على ذلك ورأسي رهن جائزة ! ! ؟

الكونت : ان الامبراطور حليم وأنا التمس لك العفو .

رودلف : لا أقدر أن أتوسل اليه .

الكونت : هو يقدم لك العفو بلا توسل وتضرع . قد فوضني أن اعفو باسمه عن اللصوص الذين يريدون أن يتوبوا . وبك سأبدأ يا فرنسيسكو ، ان الامبراطور ينسى الماضي وهو يصفح عن اثامك . أَوَتشكُّ بعد هذا برحمة الله ؟ !

رودلف : لا لم اعد مرتاباً بذلك ، واذا كانت كل هذه الجودة تغمرني فأنا مستعد لكل ما قلت . اسمع ضجة .

الكونت : هما ولداي .

المشهد التاسع

(المذكورون . فريدريك ، الفرد ، بطرس)

الفرد : أبي ، أبي .

الكونت : ولداي (يضمها بين ذراعيه) .

فريدريك : وأمنا .

الكونت : انها تتألم ، ولكننا سنذهب لنعزيها .

فريدريك : نحن احرار اذن؟!

الكونت : نعم يا ولديّ . صافحا محرّركما أخي عمكما فرنسيسكو دي لنسفلد الذي صلّيتما لأجله مراراً .

الفرد : (باضطراب وخوف) عمنا فرنسيسكو ! !

رودلف : نعم يا عزيزيّ هو رودلف الذي أخافكما ، وربما يصير أهلاً لمحبتكما . لقد منحني والدكما صداقته ، فهل ترفضان ذلك؟!

فريدريك : لا . ولكنك تخرج من هذا الكهف وتتبعنا الى بلاط فينا .

رودلف : لا أستطيع ذلك ، فوجودي يجدد بغض الاشراف .

الكونت : ان المشاجرات القديمة قد نسيت يا فرنسيسكو . سيشملك الاشراف بمحبتهم ، ولكن عليك أن تقابل الحب بالحب ، وأنا أمهّد لك الطريق .

رودلف : قل . تكلّم .

الكونت : ان فرنسا لفي ثورة ، وجمهور من الجنود واقفون على الحدود ، والبيامون[1] سيتحول الى ملعب تمثل عليه حرب دموية . ونحن في حاجة

---

(١) البيامون : Piedmont : مقاطعة في شمالي غربي إيطاليا ، مساحتها ٢٥٤٠٠ كلم^2 ، عاصمتها مدينة

الى قلعة في جبال الألب تحصن لتدافع عن الفورته موله. وبعد أن كنت أنت أكبر خطر على هذه الحدود تصير أعظم مدافع عنها.

رودلف : أقبل هذه التقدمة العظيمة، ولصوصي يتبعونني.

الكونت : اتقدر أن تعتمد عليهم؟

رودلف : نعم، لأن العذاب قد أرهقهم ولا يبقيهم هنا الا الخوف من العقاب. فليقدموا لهم العفو والمال وأنا أجيب عنهم وأكفل ذلك.

الكونت : أنني أضع بين يديك ثروتي كلها.

فريدريك : اننا قد نسينا اعظم محسن الينا. هذا هو مربينا القديم بطرس سماراغديني.

بطرس : (ينطرح على قدمي الكونت) نعم يا سيدي، أنا التعيس بطرس. أأقدر أنا أيضاً أن أظفر بالعفو.

الكونت : أتطلب العفو مني بعد أن آويت ولديّ يا بطرس؟! انهض وستتبعني الى فينا.

بطرس : لا يا سيدي، بل ابقى هنا بالقرب من زعيمي، وما بقي في من دم اسفكه في سبيل الدفاع عن وطني.

رودلف : (يصفر مراراً).

المشهد العاشر

(المذكورون. اللصوص جميعاً يدخلون)

رودلف : ان قصر الفورته موله هو لنا اتتبعونني اليه؟

وتوريتو، يحيط بها من الشمال والغرب والجنوب الغربي قوس نصف دائري من جبال الألب، كانت عبر التاريخ معبراً، للمسافرين والتجار، بين شبه الجزيرة الإيطالية وأوروبا الغربية.

اللصوص : (بصوت منخفض) خيانة خيانة.

رودلف : لقد عرفتموني وامتحنتموني وتعلمون أنني لا أخونكم، اتتبعوني؟ (سكوت).

رودلف : انهم يعفون عنكم ويطلقون حريتكم ويعطونكم عشرين ألف فلورين ذهباً، وقصر الفورنه موله، أتتبعون قائدكم!!؟

اللصوص : (يحركون قبعاتهم) نعم، نعم.

رودلف : سيروا بنا.

جبيل سنة ١٩١٣

انتهت

رواية شقائق الهيب

اسماء الممثلين
الدوق هانز ياتو
لويزو
دينورولو
رولاند
امبريا
جانيت دافيلو
سيمو
التيزو
موسكاري
محك دعوته من محيكيو والجبال
الطب
الكاتب
الوالي صاحب حيم
اسكاربو
[illegible]
جنود وحراس وخدم ثم رقص وجارية
[illegible]

رئيس ديوان [illegible] المحترم

سكرتير [illegible]

[illegible] رئيس البلدية

[illegible]

[illegible]

[illegible] من واحد التي [illegible] اكثر من دورين [illegible]

العقوبة

تنصيبه

ان [illegible] [illegible] مصدر رزق [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

رواية

الانتقام الرهيب[1]

رواية قصصية من تأليف

ميشيل زيفاكو

وضعها مارون عبود في قالب تمثيليّ
لتمثلها الجمعية الخيرية في جبيل.

سنة ١٩١٣

(١) لم تطبع هذه المسرحيّة مع المسرحيات التي نشرها مارون عبود، وقد اضطرّت الدار أن تعود إلى النسخة المخطوطة الوحيدة التي تركها الكاتب بين أوراق مسودّات أعماله الأولى.

أسماء الممثلين

الدوق كاندبانو

ليونور

دندولو

رولان

امبريا

جان دافيلا

بمبو

التيري

فوسكاري

مجلس العشرة — موشيخو جرياني

الطبيب

السجان

اشكابرينو

الكاتب يمثل دوره أحد الممثلين

جلاد وجنود وخدام منهم مرقس ومارينه

بطرس ارتيان ، الشاعر

رئيس بوليس (أحد الجنود)

سندريجو

جنارو رئيس البوليس

اسكاريو

الفصل الأول

المنظر الأول يمثل الملعب بستان الجمهورية في فينيسيا.

المشهد الأول

ليونور : منكبّة على منضدة تصفّ ورق اللّعب على الطريقة المعروفة عند العامّة (بالخيرة)[1] وهي في ارتباك.

(العرّاف — يدخل).

ليونور : لقد أبطأتَ أيّها العرّاف[1].

العرّاف : نعم سيدتي. وقد كنت مشتغلاً عنكِ بك. فقلّبت صفحات هذا الجلَد واستطلعت نجوم أسرار الغد، ونثرت الرّمال أسترق منها الأخبار.

ليونور : أتبشّر أم تنذر؟

العرّاف : آه يا سيّدتي إنَّ فجر النّهار متلبّد بالغيوم والعواصف والزوابع والصواعق. إنما لا تستقرّ الغزالة[3]، على عرشها الناري حتى تسكن العناصر الهائجة ويصفو الجوّ.

---

(١) الخيرة: كلمة تدلّ لدى العامة على عملية استطلاع الغيب وكشف الحظوظ.

(٢) العرّاف: الشخص الذي يدّعي معرفة الغيب وكشف حجب المستقبل، وهو كالمنجّم في شعوذته وادّعائه.

(٣) الغزالة: كناية عن الشمس.

ليونور : ما تعني؟

العرّاف : لا تقنطي وتجلّدي فالختام سلام. أحياناً الله إلى تلك الأيام (يخرج)

ليونور : إذاً لم أتوهّم وحلمي الهائل سيفسّر، ولكن ما لي ولاختلاف العرّافين وأضغاث[1] الأحلام.

المشهد الثاني

(رولان يدخل)

ليونور : رولان، أهلاً بالحبيب.

رولان : سلام يا حبيبتي (يتصافحان) أرى محيّاك يا ليونور محجباً بسحابة كآبة. ولم أرَكِ في حياتي كما أراكِ الآن. فما يزعجك؟!

ليونور : أحلام هائلة أغرقتني لججها.

رولان : بدّدي تلك الغياهب فقد أتت الساعة التي نتبادل بها خاتمَي الخطبة أمام جميع أشراف الجمهوريّة.

ليونور : لقد علّلت النفس طويلاً ولم تأتِ تلك الساعة العذبة. آه يا رولان، إنّ نفسي حزينة وأفكاري مضطربة ويخال لي أن السماء والأرض تغاران من سعادتنا وأرى الشقاء يحوم حول غرامنا.

رولان : تشجّعي وكوني رابطة الجأش، فإنّ الأسد لا يخشى زمر الثعالب. (تدق الساعة الثامنة) هلمّي إلى النوم لتقرّبني أحلامك إليك كما تقرّبك أحلامي مني.

ليونور : آه من الأحلام! (تنهض)

رولان : سيري ونامي قليلاً ناعمة البال لأنّ حبي يحرسك كما تحرس الكواكب

---

(١) أضغاث الأحلام: بقاياها العالقة في الأذهان.



السماء فالساعة الواحدة بعد منتصف الليل نسجّل صكّ اتحادنا الشرعي.

ليونور : أطرب لهذه الكلمة طرب الأمّ لأوّل كلمة ينطق بها طفلها. إنّها لتفعل بي فعل الخمرة وتهيج أعصابي. (تنهض وينهض رولان ويرافقها إلى الباب)

رولان : سيري بأمانة وكوني في انتظار (يتعانقان وتخرج ليونور).

رولان :

رولان كن بطلاً ولا تجبنْ فقد	وقفت لك الأعداءُ بالمرصاد
يتآمرون على أبيك ليخلعوه	ويحرموك سيادة الأسياد
ما همّهم إلّا تحطّم عرشه	كم حطَّمَتْ عرشاً يدُ الحُسّاد
ان يظفروا جرّوا عليّ تعاسةً	بل يطعنون صميم قلب بلادي
ويح الثعالب إن سللْتُ مهنّدي	أيهاجمون مرابض الآساد

المشهد الثالث

(امبريا تدخل)

رولان : هذه هي آية الجمال وعروس عالم الخيال، أهلاً سيدتي.

امبريا : جئت يا رولان لأشكرك وشكرك فرض يا منقذ حياتي. لقد نجيتَني من براثن أولئك السفلّة الذين حاولوا الايقاع بي فأثقلت كاهلي بحمل من الجميل ثقيل، فأنا مديونةٌ لك بحياتي، وكفى انك أنقذتني من اسكالريو.

رولان : عفواً سيدتي، إنّني لبّيت داعي المروءة.

امبريا : خاطرتَ بحياتك وأنقذتَني من أولئك الأنذال وما كنت تعرفني فما أعظم مروءتك!

رولان : إذا دافعت عن صديق أو نسيب فأيّ أجر لي؟!.

امبريا : إنّي أفكّر بمكافأة تضارع مروءتك فلم أجد. أنا امبريا!

رولان : امبريا؟

امبريا : إنّ أمبريا يا رولان لتملك من كنوز الدّنيا وجواهرها الثّمينة ما لا يدركُه عقل، وما هذه إلّا حطام في جنب ما فعلت، فماذا أُهدي إليك؟

رولان : لا شيء.

امبريا : لا شيء! بل، فخير هديّة هي قلب أمبريا الجميلة.

رولان : قلبك؟

امبريا : أتستغرب،؟ نعم قلبي، كأنّك لا ترى حبّي يتجلّى لك من هيئتي واضطرابي، كأنّك لا ترى أنني أطرح على قدميك قلبي المتّقد حُبّاً، آه، كأنّك لا تريد أن ترى؟ أَلَم تشعرْ أنّي أقتفي آثارك منذ ثلاثة أشهر؟

رولان : عفواً مولاتي، لقد تجاوزتُ الحدّ، وفقدت الصّواب.

امبريا : إنّه يجرحني. أتعرفُ لماذا تركتُ قصوري الثلاثة، وشعرائي وشعباً بأسره يسجد في هيكل غرامي. رأيتك مرة في العام الفائت فتمكّن حبّك في قلبي. آه يا رولان إنني أقرأ في عينيك آيات الاحتقار وسور السخريّة إنّك لتقتلني...

رولان : أنا لا أحتقرك بل أرثي لحالك.

امبريا : ترثي لحالي، لقد كنت أفضل احتقارك ولكن لا! ارثِ لحالي، فمصيبتي فيك عظيمة. إنّ أفاعي الغيرة تكاد تخنقني كلّما فكرت بمن تحبّها بليونور التي...

رولان : ويل لك (يحاول لطمها ولكن يكظم غيظه ويتجلّد قائلاً لها بهزء): أستودعك الله يا سيدتي ويدير ظهره ويخرج.

امبريا : (تلحقه إلى الباب لتمسكه فيتملّص منها ويخرج وتعود ثائرة مزمجرة تحاول تمزيق ثيابها من شدة غيظها وتلقي بنفسها على المقعد خائرة القوى قائلة) : لأسحقنّك سحقاً يا رولان ولأقفنّ بوجه اقترانك بليونور سدّاً منيعاً تتكسّر عليه أمواج حبّك الهائجة. (تضطرب) مَن بالباب جان دفيلا؟

امبريا : هل رأيت؟

جان دافيلا : كلّ شيء.

امبريا : وهل سمعت؟

جان دافيلا : نعم، كلّ شيء.

امبريا : تضحك ضحكة يأس وترتدّ إلى الوراء).

جان دافيلا : ستموتين أيتها الفاجرة أأكون ألعوبة في يد امرأة مثلك وأبدّد ثروتي التي تركها لي أجدادي الأشراف في سبيل غرامك. كأنهم خلّفوا تلك الثروة الهائلة لتشيدي بها هيكلاً نجساً لعشّاقك.

امبريا : تخرج مذعورة هيكلاً نجساً لعشّاقك.

جان دافيلا : لأسقينّها كأس الحمام حتى الثّمالة (يلحق بها).

المشهد الرابع

(بمبو والتبري يدخلان)

صراخ الشعب من الخارج، فليحيى رولان.

التبري : أي شعب العبودية ستبكي دماً في الغد.

الشعب : (من الخارج) فليعش رولان، فلتحيى ليونور.

التبري : اسمع يا بمبو إنهم يهتفون لرولان، ما أثقل هذا الاسم على مسامعي.

بمبو : حقاً يا سيّدي التبري إنّ هذين الاسمين رولان وليونور لمتوافقان.

التيري : صه ، صه !

بمبو : وهل تعقد خطبتهما في هذا الليل؟ ألا يتزوّجان بعد ثمانية أيام. هنيئاً لها ما أعظم اتحادهما. لقد اتحدت هاتان العائلتان بهذا الزواج وسيضعان حدّاً لاستبداد مجلس العشرة. ويتبوّأ رولان عرش الدوق ويعصب رأسه بتاجه.

التيري : إنّ هلاكهما لأولى من هذا الزواج وسيخترق قلبيهما هذا الخنجر.

بمبو : إذاً تبغض صديقك رولان؟

التيري : نعم أبغضه لأنني أحبّها هي. آه يا ليونور ليتني لم أرك ولم أحبّك هذا الحبّ الذي جعلني أتعثّر بأذيال الشقاء.

بمبو : (يشير الى الخارج) انظر يا سيدي.

الشعب : فليحيى رولان.

بمبو : اسمع يا مولاي!

(التيري ينتفض ويستفزّ الغضب فيهم بالخروج)

بمبو : (يقف بوجهه) الى أين يا سيدي الى أين؟

(يريه ألتيري الخنجر منصلتاً[1] بيده).

بمبو : أتمزح يا مولاي؟ إنَّ مَن كان عظيماً مثلك يقوّض عرش الدوق وينزع التاج عن رأسه. إنّ مَن كان السيّد المُطاع فلا يهوى من سماءمجده إلى الحضيض ليجرّد خنجره ويقتل عدوه بيده... أتريد أن تكون قاتلاً يا إله فينيسيا ، يجب أن لا يموت رولان ابن الدوق بطعنة خنجر.

التيري : ما تعني؟

بمبو : (يأخذه الى ناحية أخرى ويشير الى الخارج قائلاً) انظر.

---

(١) السيف المنصلت : السيف الصقيل وقد استلَّ من غمده.

التيري : جسر التنهدات؟!

بمبو : بل جسر الموت فمن يمرّ عليه يودّع الحبّ والحياة.

التيري : ولكنّنا في حاجة إلى ذَنْب نلصقه به ليقع بين براثننا.

بمبو : جريمة! (يضحك) اتبعني يا سيدي.

التيري : الى أين يا شيطان؟ قل ما تريد.

بمبو : الى امبريا فهناك تجد بغيتك فهي التي توقعه بين يديك.

التيري : إنها تبغضه إذاً؟

بمبو : بل تحبّه أفهمت يا مولاي ان امبريا تكاد تجن الليلة من حقدها كلما فكرت بعقد خطبة رولان وليونور، أنت تحبّ ليونور وهي تحبّ رولان وهذا الحبّ يفتح لكما أبواب الانتقام فسر بنا (يسمع وقع أقدام).

التيري : اسمع.

بمبو : هي امبريا مقبلة وكم صدفة أفضل من موعد!

المشهد الخامس

بمبو، التيري، امبريا، فوسكاري

(امبريا تدخل مرتاعة)

بمبو : ما بالك مضطربة يا امبريا؟

امبريا : حادث هائل يا بمبو.

التيري : سيدتي ماذا جرى؟

(فوسكاري يدخل)

الجميع : أهلاً بالسيد فوسكاري.

فوسكاري : الشعب مضطرب هائج ، والثورة على الأبواب وكلّ شيء حولنا متحرّك ، وأنتم ساكتون.

بمبو : ماذا تريد؟ صرح ، فقد قضت السياسة باتحادنا وهيهات أن يفرّقنا غير الموت.

التيري : صرّح يا فوسكاري فإنّا في هذه المسألة لباحثون.

فوسكاري : يجب أن نسعى بخلع الدوق كاندانو وهلاك ولده رولان وبدون ذلك لا سلامة لنا.

بمبو : لقد أصبت وماذا نفعل؟

فوسكاري : الوقت قصير جداً ، فقبل عقد خطبة رولان وليونور يجب أن نضرب الضربة القاضية.

بمبو ألتيري : بالصواب نطقت.

فوسكاري : ما الحيلة إذاً؟

بمبو : أن يتّهم رولان بخيانة الجمهورية وامبريا شاهد الدعوى.

التيري : بل المدّعي.

فوسكاري : أفي قلبك جرأة للإقدام على هذا العمل؟

امبريا : إن شددتم أزري فعلت وإن أنقذتموني من مصيبتي أقدمت.

بمبو : ما حلّ بك؟

امبريا : تعلم يا بمبو شدّة حبّي لرولان ، وتعرف أيضاً غيرة جان دافيلا عليّ. رآني أبوح لرولان بغرامي فانقضّ عليّ محاولاً قتلي فطعنته بخنجر وأنقذت نفسي منه فإن أنقذتموني من عقاب هذه الجريمة قمت بكلّ ما تأمروني.

التيري : لقد وقع العصفور في الشراك وهيهات أن يخلص.

فوسكاري : اسرعوا إذاً وعوّلوا على ما تريدونه فقد دنت ساعة الخطبة.

التيري : نعم قد دنت وأنا أحد الشهود فعجّلوا.

بمبو : إذاً تتهم السيدة امبريا رولان بخيانة الجمهورية ونحن ننقذها من جنايتها الفظيعة؟

فوسكاري : أرضيتِ يا أمبريا؟

أمبريا : بكل ما تأمرون به.

فوسكاري : إذاً سنرى ما يكون ولنبارحن هذا المكان فقد أوشك موكب الخطبة أن يقبل.

بمبو : تشجّعي يا امبريا فعلى نجاح مكيدتنا تتوقف سعادتنا وقبضنا على أزمة الحكم. وإذ ذاك نتقاسم السيادة والسلطة.

(يخرج فوسكاري وامبريا ويبقى التيري وبمبو).

التيري : بعد ساعة من الزمان يبزغ فجر سعادتي، ويصبح رولان كانديانو في قبضة يدي وتاج أبيه رهن إشارتي. وأتمتع بجمال ليونور. فما أجمل تلك الساعة وما أمرَّ انتظارها.

الشعب : (يصيح) يعيش رولان لتحيى ليونور.

التيري : ها موكب رولان مقبل، لقد جاؤوا لعقد الخطبة، هو يخطب وأنا أتزوّج.

المشهد السادس

رولان ووالده، وليونور ووالدها، واثنان من الأشراف

اسكارينو. التيري (يدخلون)

التيري : عم مساء يا مولاي الدوق، وأتمّ الله سعادتك يا عزيزي رولان.

رولان : شكراً لك يا عزيزي التيري، فأنت الصديق الحميم وأنت يا صديقي ألا تسمعنا شيئاً من شعرك الرنّان؟

بمبو : إنّك لطيّب القلب يا مولاي (يخرج)

الدوق : لقد دنت الساعة العذبة التي تاقت إليها فينيسيا أيها الشريف دندولو فطالما تمنوا أن تكون أسرتانا متحدتين لتسود السكينة على هذه الجمهورية العزيزة.

دوندولو : إنها لأعذب من الشّهد يا مولاي الدوق.

رولان : اطمئنّي يا عزيزتي ليونور فستتبادل خاتمَي الخطوبة الآن.

ليونور : إني لك يا حبيب القلب.

المشهد السابع

(تظهر قوة عسكرية من الأبواب فينقلب المشهد ويستولي السكون ويتقدم فوسكاري، منادياً)

فوسكاري : أنا فوسكاري المدّعي العام أعلن أنّ هنا خائناً متآمراً على قلب الجمهورية جئت لألقي القبض عليه.

الدوق كانديانو : (يرتجف بغضب ورعب) أنا لا أسمح بإلقاء القبض على أحد في حفلة عقد خطبة ابني أفهمت أيها السيد فوسكاري.

فوسكاري : بل تسمح لي يا سيدي الدوق أن أقوم بوظيفتي كما يقضي القانون الذي أقسم من سلفك من الدوقات على حمايته من عبث العابثين. (التيري يتقدّم من رولان ويقف بقربه).

الدوق : (يلتفت بالحاضرين فيشعر بعجزه عن المقاومة فيقول: وما هو اسم المتهم؟

فوسكاري : رولان كانديانو.

(ليونور تحيط رأس رولان بذراعيها).

الدوق : (بغضب وهياج) أنت تدّعي أنّ ابني تآمر وخان؟

فوسكاري : التّهمة ثابتة.

الدوق : أفك[1] وبهتان[2]. (يطرح تاج الدوقية عن رأسه قائلاً) : ليتحوّل هذا التاج الى سلسلة حديدية تخنقني إن كنت أترك ابني البريء يقبض عليه أمامي (ويستلّ سيفه).

التبري : يقف بوجه اسكالابرينو ويلتفت إلى رولان قائلاً، إنَّ أعداء أبيك كادوا هذا الكيد ليدفعوه الى اليأس فيقضون عليه فسلّم نفسك يا رولان وأنا الكفيل بإنقاذك ولا تمرّ ساعة حتى تعود.

رولان : صدقت يا التبري فأنت تنقذني (ويقترب من أبيه).

الدوق : (يعانق ولده منتحباً ويقول الى فوسكاري) : أيها السيد فوسكاري يجب أن تعلن براءة ابني في المجلس فور وصوله.

فوسكاري : الجلسة منعقدة والأعضاء في انتظاري.

الدوق : كان كل شيء معدّ للحكم عليه. ويل للمتّهم فسيكون انتقامي هائلاً. طلبت يا ابني أن أنتظرك ساعة أنا في انتظارك.

رولان : أقدم لك سيفي أيها السيد فوسكاري وأنا مستعدّ للإجابة في المجلس.

فوسكاري : (يشير الى الجنود ليقبضوا عليه فيتقدّم رئيسهم من رولان ليأخذ ذراعه فيلكمه رولان فيسقط على الأرض فيبتسم رولان ابتسامة الحق ويقول)

رولان : لقد سلمت إليك طوع إرادتي فمر حرّاسك بالابتعاد.

فوسكاري : (يشعر بحرج موقفه فيقول) ليكن ما يريد اتبعني يا رولان.

---

(١) الإفك : الكَذِب.

(٢) البهتان : الكذب والباطل.

رولان : أنا لاحق بك.

ليونور : رولان، رولان.

رولان : (يلتفت الى خطيبته) بعد ساعة يا ليونور بعد ساعة يا والدي (يطرح التاج عن رأسه).

ليونور : (لا يكاد يخرج حتى تصرخ ليونور) رولان رولان (وتسقط مغمى عليها ويسدل الستار).

الفصل الأول

المنظر الثاني: في مجلس العشرة

يفتح المرسح عن الأعضاء، تسعة جلوس، مقعد جان دافيلا فارغ.

المشهد الأول

فوسكاري : (ينهض قائلاً، تعرفون أيها السادة نيات رولان كانديانو الخفية وما يضمره لنا من الشر والكيد فهو مجرم في عرفكم أليس كذلك؟

أغلب الأعضاء: (يحنون رؤوسهم)

فوسكاري : ولقد قبضت عليه متلبّساً بجريمة الخيانة وكفى بصياح الشعب الهائج حول القصر منادياً باسم هذا الخائن دليلاً واضحاً على جرمه أليس كذلك؟

أغلب الأعضاء: (يحنون رؤوسهم ثانية)

فوسكاري : إن الوقت ثمين أيها السادة فعلينا إخماد هذه الثورة التي تتهدّدنا بنزع امتيازاتنا فقد أثار علينا رولان البحّارة فأسرعوا لاتّقاء الخطر وإنما ترهب الصاعقة لأنها لا تترك لمن تنزل عليهم مجالاً للهرب منها.

موسينجو : فلنقترع.

جرياني : هذا غير ممكن لأنّ أحدنا غائب.

(أغلبية الأعضاء يوافقون على ذلك).

فوسكاري : نعم إنّ أحدكم غائب وهو جان دافيلا ويقبل أن تعلموا ما حلّ به تعالوا نفتح جلسة المحاكمة.

فوسكاري : (الى الباب وينادي) فليدخل الشاهد الذي اتّهم رولان. فليدخل.

(فوسكاري يعود الى مجلسه)

(ينفتح الباب وتدخل امبريا)

فوسكاري : أأنتِ التي تتهمين رولان كانديانو؟

امبريا : نعم أنا هي.

فوسكاري : تكلّمي إذاً واشهدي بما رأت عيناك وسمعت أذناك ولا تبني شهادتك على الإشاعات والأراجيف[1].

موسينجو : تكلّمي أيتها السيدة بحرية وقبل أن تتهمي يجب أن تعلمي أنّ كلمة واحدة من فيك تودي برولان كانديانو الى الاعدام.

الأعضاء : نعم، نعم.

امبريا تضطرب وتبهت مذعورة.

فوسكاري : تكلّمي أيتها السيدة تكلمي.

امبريا : سأقول الحقيقة، نعم سأقولها. نعم كلها.

(التيري يضطرب ويمتقع لونه)

امبريا : اصغوا إليّ أيها السادة وستعلمون الحقيقة بحذافيرها.

(يفتح الباب وتدخل منه ليونور)

(امبريا تحدجها بنظرها وتمتنع عن الكلام بغتة).

فوسكاري : كيف تجاسرتِ على الدخول الى هنا؟

---

(١) الأراجيف: أخبار الفتن والشرّ.

ليونور : (تركع قائلة ، اعدلوا يا قضاة الأرض فقد جئت للدفاع عنه. بماذا تتهمونه؟ ماذا فعل؟ كان يجب أن يرجع بعد ساعة. مضت الساعة ولم يعد، أين هو بربكم؟ اني لأعرف منكم رجلاً من أخلص أصدقائه هو أنت يا التيري ألستَ صديقه الحميم، وأنت يا موسينجو ألا تذكر قتاله من أجلك؟ وأنت يا جرياني ألم ترافقه مراراً لبيتنا؟ وأنت يا فوريينسو ألم ينقذ ابنك؟ كلكم أصدقاؤه وتجتمعون لاتهامه والقضاء عليه بالإعدام. نعم بالاعدام لأنّ من يقع بين أيديكم لا يطمع بالرحمة لأنّ قلوبكم من الأصفر الصوان.

فوسكاري : (بهزء) هدّئي روعك يا سيدتي.

ليونور : دعني فإني هنا للدفاع عنه فإذا لم يكن من الموت بدّ فمن العدل أن نموت كلانا. إنّ إحدى جداتي أنقذت الجمهورية وأنا الآن أستطيع أن أخلّص زوجي. لي الحق أن أكون هنا أريد أن أعرف بماذا تتهمونه ومن ذا الذي يتجاسر على اتهامه.

امبريا : أنا التي أتّهمه.

ليونور : أنتِ أيتها السيدة؟ ومَن أنت؟

امبريا : ستعلمين. يسألونني مَن أنتِ؟ اسمي امبريا ومهنتي في فينيسيا هي إنني امرأة دنسة أبيع الجمال لعشاقه فافهمي يا سيدتي إنني امرأة ساقطة.

ليونور : (تهزّ رأسها قائلة) : امرأة ساقطة وبعد.

امبريا : (تصرّ على أسنانها). أنا التي اتهمت رولان كانديانو. أفهمت؟

ليونور : أنت... التي تتهمين... رولان... هي أنت

امبريا : نعم أنا يا سيدتي أتهم رولانك بأنه عامل على إسقاط الحكومة بقتله أعضاءها الواحد بعد الآخر.

(الأعضاء يتحركون ملتفتين لبعضهم مضطربين).

ليونور : (تصرخ) : وما هي أدلتك لخيانة كهذه... أيتها السيدة... أوَتلفظين مثل هذه التهمة الفظيعة...

(تلتفت الى القضاة) أيها السادة؟ ماذا تقول هذه المرأة الساقطة أذلك يعقل؟ أوَلا تعرفون رولان؟!

امبريا : — أتريدين برهاناً لقد رأيت بعيني وسمعت بأذني.

ليونور : رأيت... سمعت...؟ وكيف ذلك؟ وأين؟

امبريا : في بيتي أيتها العزيزة؟

ليونور : (صارخة) في بيتك؟ أتقولين أنّ رولان كان في بيتك؟!

امبريا : وهل في ذلك غرابة؟ انه كان يأتي إليّ كلّ مساء بعد منتصف الليل.

ليونور : (ترتجف) الرحمة أيتها السيدة الرحمة قولي الحق. لقد أخطأت سمعاً وفهماً فرولان لم يذهب إلى بيتك.

امبريا : (ببرودة) في بيتي تمّ كلّ شيء، في بيتي قتل رولان كانديانو أحدكم يا حضرات القضاة.

(الأعضاء يلتفتون الى المقعد الخالي).

موسينجو : وهل قتل دافيلا؟

(ليونور تعود الى الوراء باكية أحرّ البكاء).

امبريا : بقي عليّ سادتي أن أفصّل لكم حادث مقتل جان دافيلا وهو أعظمكم قدراً وجاهاً، إنه يقاسي ألم النزع الآن في قصري وربما يكون قد مات الآن. جاءني رولان البارحة فرأى دافيلا عندي فابتدره بطعنة خنجر فخرّ صريعاً.

(ليونور ترتعد وتسقط على كرسي ثم تهمّ بالخروج).

المشهد الثاني

حاجب (يدخل قائلاً) أيها السادة لقد جاء الشريف دافيلا.

خدم يدخلون حاملين دافيلا على كرسي كبيرة تعلو وجهه صفرة الموت يلاقيه الأعضاء عدا ألتيري فإنه ينشغل بالنظر الى ليونور. يشير دافيلا الى الأعضاء ليبتعدوا عنه.

فوسكاري : (يقترب من كرسي دافيلا قائلاً) : جان دافيلا ان هذه المرأة تتهم رولان كانديانو بأنه طعنك بخنجر متعمّداً قتلك فقل الحقيقة أمام زملائك.

جان دافيلا : يحاول الكلام قائلاً : أشهد ... أن

(تعروه حشرجة الموت)

فوسكاري : تكلم يا جان. يا دافيلا تكلم.

دافيلا : يحاول الكلام فتغلبه الحشرجة...

فوسكاري : ما رأي الطبيب؟

الطبيب : يجب أن يستريح لعلّه يستطيع التكلم قبل مغادرة هذه الدنيا أخرجوه.

(يخرجونه)

فوسكاري : إنّ الأدلّة الساطعة والجريمة قد وقعت فيجب أن تخمد نار الثورة فعلى السيد ألتيري قيادة الجند حتى نعلم ما يحلّ بدافيلا.

الطبيب : سادتي لقد مات دافيلا ولم يتكلّم.

فوسكاري : مات متمّماً واجباته. مات شاهداً ان هذه المرأة قالت الحقيقة.

ليونور : تخرج من شدّة حزنها.

الأعضاء : فليعدم القاتل... فليقتل رولان.

(يخرج الجميع عدا فوسكاري)

فوسكاري : لقد خفت صوت الشعب في مهده وهدمت ما بناه الفينيسيون من الآمال. فعلّلوا أنفسكم بالحريّة يا أبناء العبوديّة. لقد خلقتم ترسفون في القيود فكيف تطلبون تحطيمها ويلكم أيها الأغبياء. لقد سحقت رولانكم وسألحق أباه به عملاً بقول الشاعر:

لا تقطعن ذنب الأفعى وتطلقها
إن كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا

فلنقتلن الدوق ونعصب رأسنا بتاج الدوقية الجميل فتنحني فينيسيا أمامي انحناء العبد للسيد.

المشهد الثالث

بمبو : (يدخل) ألم أقم بالواجب عليّ يا سيدي نحو عظمتكم؟

فوسكاري : نعم يا بمبو وأحسنت العمل إنك والحق يقال لخادم أمين وسيف قاطع ستقتسم سواء لما...

بمبو : لما تصير دوق فينيسيا وسيّد البلاد يا سيدي.

فوسكاري : فما علينا بعد الآن؟

بمبو : إلحاق الدوق بابنه وقرض أسرة كانديانو إذا استطعنا.

فوسكاري : أين رفيقنا التيري؟

بمبو : لقد توجه الى الدوق بل الى دندولو.

فوسكاري : (دندولو. وما هناك؟)

بمبو : كأنّك تجهل أنه مغرم بليونور؟

فوسكاري : لا أعلم عنه ذلك.

بمبو : بلى وهو يعلّل النفس بالاقتران بها. لقد خدع رولان بأنه صديقه

الصدوق ولولا دهاء التيري لم تستطع يا سيدي فوسكاري اقتناص فريستك بسهولة.

فوسكاري : ما لنا ولهذا الحديث فماذا نصنع الآن أرى أن نرسل مَن يقبض على الدوق والسلام.

بمبو : مهلاً سيدي هذا لا بدّ منه. وبدلاً من أن تجرد قوة للقبض عليه فعمّا قليل يصل الى ناديك.

فوسكاري : وكيف ذلك؟

بمبو : لقد أفهمت ألتيري أن يحدّث الدوق بما جرى ويدفعه إلى المجيء الى هنا وإذ ذاك نقبض عليه بكل سهولة.

فوسكاري : ما أشدّ احتيالك يا بمبو!

بمبو : كلنا في الهوى سوا يا فوسكاري.

(حاجب يدخل)

الحاجب : مولاي انه الدوق ودندولو قادمان إليك.

بمبو وفوسكاري : أهلاً بهما.

بمبو : وحدهما!

الحاجب : معهما التيري.

فوسكاري : كن على حذر يا بمبو.

بمبو : تشجع يا سيدي فوسكاري وكن بطلاً في هذا الموقف الحرج.

المشهد الرابع

(الدوق يدخل) ابني ماذا فعلتم بابني؟

فوسكاري : (بصوت كأنّه هزيم الرعد) ابنك خان الجمهورية يا كانديانو ابنك سجين وقد حكم عليه بالاعدام، وأنت خنتَ فلست إذاً بالدوق

فباسم الشريعة وباسم مجلس العشرة أقبض عليك (يقترب منه ويمدّ إليه يده).

الدوق : (يصيح) إليّ يا رجالي إليّ يا أصدقائي (يستلّ سيفه هامّاً بطعن فوسكاري في صدره فينقضّ عليه الجنود ويكبّلونه بعد عراك طويل مغمياً عليه).

فوسكاري : سيروا به واتبعوني هيّوا بنا. (يخرج الجميع عدا التيري ودندولو)

ددندولو : (يضطرب قائلاً) : ما هذا المصير يا ألتيري لقد فتكوا بأعزّ أصدقائك فتكاً ذريعاً وألحقوا به أباه وجرّدوا تلك العائلة الشريفة من مجدها.

التيري : إنّ ما تراه يا دندولو لثورة هائلة والثورة كالنار المضطرمة تأكل ما تصادفه وتمسّه. إن هذه الثورة ستكون شؤماً على كلّ مَن اتّهموا بإشعالها. (ثم يشير الى دندولو) وأنت أيضاً من المتهمين.

دندولو : (يظهر العجب)

التيري : نعم أنت متهم. لأنك رضيت برولان بعلاً لابنتك مع أنه حليف الشعب ضد الحكومة والأشراف (دندولو يرتجف).

التيري : اني أحبّ ابنتك يا دندولو فإذا تعهدت لي بأن تزوّجني بها أتعهّد لك بصيانة حياتك.

(دندولو يتردّد)

التيري : دندولو السيف مصلّت مسلول وكلمة واحدة من التيري يكتب فيها لنفسك الموت أو الحياة. فاختر لها ما يحلو.

دندولو : (بصوت خافت) أتعهد لك بذلك.

التيري : أنت حرّ إذاً يا دندولو، ولا تنسَ وعدك لي بل يجب أن تنجزه في أقرب آن.

دندولو : أمرك سيدي سأعود بها عمّا قريب فكن بانتظاري.

ليونور : (متلصصة) الموت ولا الزواج.

دندولو : سأبذل قصارى الجهد يا مولاي التيري فأستودعك الله الآن (يخرج)

التيري : (بهزء) الى الملتقى ! دندولو ! أود أن نجتمع بعد قليل هنا في هذا المكان ومعك ليونور.

ليونور : (من وراء الكواليس) لأنتقمنّ منكم يا كلاب الحيّ، يا أيها الثعالب الأنذال.

(ألتيري يلتفت كمن سمع صوتاً) لقد ظفرت بحاجتي وما على المحتال حرج. (يلتفت) هذا فوسكاري مقبل ومعه بمبو سنرى ماذا فعلا.

فوسكاري : مرحباً ألتيري.

ألتيري : أهلاً سيدي.

بمبو : لقد نجحت مهمتنا. أما رولان في أعماق السجون وقد اخترت له نمرو ١٧ فهو أنسب مكان لسموّه.

التيري : ومولانا الدوق (بهزء)

فوسكاري : شريد طريد فقأنا عينيه وتركناه هائماً على وجهه لا يدري (أين يذهب.

التيري : فلنسمع ماذا يقول وماذا يفعل.

صوت من الخارج — من هنا يا دوق من هنا (يرشده الى الباب)

الدوق : يتعثّر في مسيره والدم على وجهه سائل من عينيه المفقودتين) ما أتعس حظي، فقدت ولدي... رولان. أنتظر عيناك أباك؟ أترى ما فعل بي البرابرة؟... ليتني أعلم ما حلّ بك، أحيّ أنت أم ميت؟ الله وحده يعلم! ما هذه القسوة يا ناس؟، أسمعتم بمثلها؟ لم يحترموا شيخوختي ولم يرحموا صباه. ربي انتقم لي من الظالمين. إنك على كل شيء قدير. انزل بهم العقاب الذي يستحقونه. ارث لحالة ولدي وارحم شيخوختي يا أرحم الراحمين. (يخرج من الباب المقابل).

فوسكاري : هذا عقاب الخائن المستبدّ يا ظالم. لقد تنعّمت بدورك أما الآن فجاء دورنا والساعة أدوار.

التيري : فلنلحق بدندولو لنرى ماذا فعل، لقد أجرينا الدماء أنهاراً لأجلك يا ليونور أحسن الله العاقبة (يخرج).

فوسكاري : ما بال صاحبنا التيري يضرب على وتر واحد كأنه لا يهمّه إلا ليونور.

بمبو : كلٌّ منّا يغني على ليلاه.

فوسكاري : وأنت ما يهمّك يا بمبو.

بمبو : ستعلم ما يهمني يا مولاي. إنّ نفسي عطشى الى الانتقام وقد (رويت بعض ظمإها ولا يهنأ لي عيش إلا بإروائها ريّاً مشبعاً).

فوسكاري : أخاف أن تشرق[1] فتختنق.

بمبو : لا تخف مولاي على حلق واسع.

فوسكاري : لقد تعبت يا بمبو وأودّ الاستراحة من هذه المتاعب فإذا طرأ ما ليس بالحسبان فأنا في مخدعي.

بمبو : سر بأمان الله تحفّ بك ملائكة السلام.

(بمبو وحده)

بمبو : أصحيح أن رولان في أعماق السجون في نمرو ١٧ نعم انه هنالك. لقد نجحت مكيدتي نجاحاً باهراً وفزت فوزاً أكيداً وأصبح رولان القوي العظيم في السجن يقاسي البرد والجوع لقد أصبح بعيداً مني، رولان الجميل، رولان الذي عبدته النساء وأجلّه الأمراء وخضع له الأشراف. رولان الذي كان دائماً يدعوني، المسكين بمبو. كم جرّت عليك من الويلات هذه الكلمة يا سيدي رولان! نعم اني مسكين

---

(١) شرق الرجل بريقه: غصّ. ويستعمل للغصّة بغير الرّيق، كقول المتنبي في رثاء أخت سيف الدّولة:

حتى اذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

وقبيح الوجه شنيع المنظر وفقير يائس. ولقد أصبح رولانكنّ يا نساء فينيسيا الحسان يخبط في ظلمات السجون خبط عشواء، لقد فرّق ما بينه وبينكن الدّهر كم رنوتن إليه بعيونكن الساحرات وألحاظكن الفاترات، أما الآن فانظرن إلي وابتسمن لي أنا بمبو القبيح الذي انتقم بفحة من جمال رولان. لقد انتقمت انتقاماً هائلاً من هذه العائلة. فالدوق أعمى والابن سجين. أما التيري الأبله فيظن أنه سعى لنفسه ولم يدر أنه سعى لي لي لي أنا وحدي. فسأصير أميراً وأحكم شعباً عظيماً فمعارفي بحر لا ساحل له ومداركي تفوق مدارك رفاقي. أريد أن أكون نمساً قوياً ليحترمني البشر. لقد أنقذني البغض وسينقذني ويجب على القبيح أن يبغض الجميل بكلّ قواه لأنه لا يوجد إنسان يعجب بالقبيح... فلنضرب بلا شفقة ولا رحمة والى الملتقى يا سيدي رولان (يهم بالخروج وقد سمع وقع أقدام التيري فينزوي متلصصاً).

المشهد الخامس

التيري، دندولو، ليونور

التيري : (الى دندولو وهما داخلان): إذاً ماذا تجيبني يا سيدي دندولو عمّا اتفقنا بشأن زواجي بابنتكم ليونور؟

دندولو : لقد باحثتها يا سيدي التيري وأطلت البحث معها في هذا الشأن ولكنّها لا تزال مصرّة على غيِّها ترفض الاقتران بأي كان.

التيري : إذاً لا أمل لي.

دندولو : نعيد الكرّة يا التيري فأنت تطلب مني أحد أمرين إما حياتي وإمّا ابنتي أليس كذلك؟

التبري : نعم.

دندولو : إذاً أذهبُ إليها وأحدّثها الآن وأفشي لها السرّ المكنون وهي تختار أحد الأمرين. إمّا زواجها بك أو قتل والدها.

التبري : حسناً قلت. فأنا أغيب لحظة وأعود.

دندولو : وليونور لاحقة بي وسأحدّثها الآن وبعد عودك إليّ تحظى بالجواب.

بمبو : (من بين الكواليس) لقد فهمت كل شيء. (يخرج).

دندولو : ربّاه ما هذه النكبات التي لا حدّ لها سألحق بأسرة كانديانو إن لم تستجب طلبي ليونور. فألهمها يا الله أن ترقّ لحالي ولتكن مشيئتك في كلّ حال.

المشهد السادس

ليونور : (تدخل) حيّاك الله يا والدي.

دندولو : وعمي صباحاً يا ابنتي.

(ليونور تأخذ يد أبيها وتقبلها).

دندولو : إنّ يدك باردة.

ليونور : هو الطقس بارد يا أبي.

دندولو : أتعرفين ماذا أفكر الآن؟

ليونور : فكلّي آذان صاغية.

دندولو : إنك قد بلغت العشرين.

(ليونور ساكتة)

دندولو : إنه سنّ صباك قد انقضى.

ليونور : (برباطة جأش) فلنتحدّث إذاً بما يعود عليك بالفائدة.

دندولو : أنتِ مخطئة يا ابنتي فأنا أسعى لما فيه سعادتك.

ليونور : إنّ سعادتي في هذا البيت فلن أبارحه. هنا أدفن صباي وهنا أموت متى أتت ساعتي.

دندولو : إذاً لا تريدين أن نتكلّم بشأن التيري.

ليونور : ولا غيره.

دندولو : ألا تتزوّجين؟

ليونور : أبداً.

دندولو : واذا أخبرتكِ أنّ سعادتي موقوفة على زواجك؟

ليونور : فهمت يا أبي أن التيري غنيّ قادر وهو يحبّني ويريد شرائي منك بالثمن الذي تطلب.

دندولو : إنك لقاسية.

ليونور : أنت تريد تضحيتي.

دندولو : لست أبغي من زواجك منفعة مادية كما تتوهّمين ولكنّني أبغي حياتي.

ليونور : حياتك؟

دندولو : ظننتِ أنني أريد تضحيتك على مذبح مطامعي ولهذا لم أعد أرى مندوحة لي من اطلاعك على الحقيقة الهائلة فاسمعي : إنّ الثورة التي اتهم بها رولان والدوق والده وذهب ضحيتها لقد كنت أنا أيضاً من المتهمين بإشعالها ولولا التيري لكنت في أعماق السجون أقاسي العذاب. فهو الذي دافع عني وأنقذني بعد أن وعدته بإزواجه إيّاك فلم أرَ مناصاً من القبول خوفاً من أن ينتقمَ مني وهو يلحّ عليّ بإنجاز وعدي وإلّا يستصدر أمراً بسجني المؤبّد. في يديك موتي وحياتي فافعلي ما بدا لك.

ليونور : (تفكر ثم تقول لوالدها) انني قبلت أن أكون امرأته.

دندولو : (يفرح كثيراً ويتقدّم من ابنته يضمّها فتنفر منه وتخرج).

دندولو : لقد نجوت من الموت لقد أفلتت من يد المنتقمين.

المشهد السابع

التيري : (يدخل)

دندولو : أبشر يا سيدي التيري فقد أقنعت ليونور بالزواج منك.

التيري : وأبشر أنت بالحياة يا دندولو.

دندولو : متى موعد الإكليل؟

التيري : غداً.

دندولو : غداً غداً؟!

بمبو : (من بين الكواليس) وإنّ غداً لناظره قريب[1]

(هنا بعد هذا يظهر الدوق الأعمى)

دندولو : سأعود إليك حالاً (يخرج ليغلق الستار)

(ألتيري وحده)

أريد أن تكون زوجتي رضيت أم أنت، وأريد أن أكون سيّد هذه البلاد تموج بأهلها كلّما تحركت شفتاي. فويل لمن يعاندني. لقد خنقت الضمير وأمتّ الوجدان واتّخذت الأبالسة لي جنوداً والجن أعواناً فويل فينيسيا من دهائي انها لا تعلم الى أية لجّة أقذف بها، لقد فتكت بدوقها ووليّ عهدها رولان وأتباعها. أنا كالسيل العرم أهد رواسي الجبال إن اعترضت طريقي فويل لمن يقف بوجهي ولو كان أعزّ الناس لدي. إذا عاد دندولو يعللني بالآمال الفارغة قذفت به الى أعماق السجون وان أرغم ابنته على الزواج تركته وشأنه بل أسعى له بمنصب سامٍ في حكومتنا.

---

(١) عجز بيتٍ شعريّ ذهب مثلاً. يضرب للمنتظر وقد قرب تحقيق ما ينتظر. وأول من قاله شاعر اسمه قُراد بن أجدع للنعمان بن المنذر. والبيت:

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى ... فـإنّ غـداً لـنـاظـره قـريـبُ

الفصل الثاني

المنظر الأول : يقسم المرسح إلى سجن بابه شعريّة من حديد وأمامه مخفر السجّان ، والسجن غرفتان .)

المشهد الأول

سجن رولان نمرو ١٧

رولان : يتوقف فجأة عن الأكل ويمر بيده على جبينه فيرمي اللقمة من فمه مبتسماً قائلاً : ما أردأ هذا الخبز !
(يدير طرفه فيما حوله . ينهض ويخطو ثلاث خطوات في الغرفة ويصيح قائلاً) : ما هذا؟ ماذا أفعل هنا؟ أين أنا؟
(يعود الى الأكل كعادته ثم ينطرح وينام في زاوية السجن.

السجان : (وهو داخل) : مسكين هذا السجين ، مسكين رولان المجنون ، لا همّ له إلّا الأكل والنوم .
(يدخل باحثاً عن رولان في زاوية السجن فلا يراه يتعجّب قائلاً) : لقد هرب ! ويلاه لقد هرب !
(يلتفت الى إحدى الزوايا فيسمع زمجرة مخيفة فيرتدّ الى الوراء مذعوراً قائلاً : لقد أصبح جنونه مطبقاً وصار مخيفاً (يخرج مغلقاً الباب الحديدي خلفه) .

رولان : (يزحف الى الباب بهيئة وحشية ويجلس خلفه محاولاً كسره فلا ينجح فيأخذ يصيح) : برابرة أنذال. اغتنموا فرصة إغمائي يسجنوني، آه من الأنذال.

السجان : (واقف أمام الباب يرتعد فرقا) : ربّاه، أفّ لها من مهنة متعبة وسخيفة.

رولان : (يحاول الصعود من النافذة فلا يفلح، فيأخذ يطوف في سجنه طوراً ينطح الحائط برأسه وأحياناً يصرّ على أسنانه، وحيناً يضرب بيده الى أن تخور قواه من التعب فيرتمي على مقعده قائلاً) : انها لفظاعة! ويل الظالمين!!

(ينظر الى جراحه التي لا تحصى فيقول : دم غزير، جروح عديدة، لماذا؟ ما هذا؟ (يأخذ شعره بيده ويصرخ) : آه، ما هذا؟ وهل كنت مجنوناً؟

السجان : (يدخل عليه وبيده خنجر ماضٍ واذ يراه هادئاً يقول) : انه هادئ (يقترب منه ويناديه) : أيها الصّديق رولان.

رولان : (يحدّق به ولا يجيبه).

السجان : (يخرج قائلاً) : يا له من تعس، اني أفضل أن يظلّ مجنوناً لئلا اضطرّ يوماً الى قتله. مسكين رولان، فهو كالنسر شلّت جناحاه فهوى من حالق.

رولان : (يعود إليه رشده، فيقول) : ما الذي قذف بي الى السجن، يا سجّان بربك قل لي.

السجان : أنت هادئ الآن؟

رولان : نعم نعم، كما ترى وهل كنت هائجاً؟

السجان : كالبحر الزاخر.

رولان : وأنت ممّن يحسنون السّباحة فلا تخاف التيّار مهما تحرّك؟ بربّك قل لي

يا صديقي ألا نهاية لهذا السجن؟ ولماذا لا يحاكمونني؟ ألاعتقادهم أنني مجنون؟ فاذهب وقل لهم انني لست بالمجنون.

السجان : (على حدة) : مسكين رولان (الى رولان) : سأرفع للملك تقريراً عن حالتك وأشعرهم بذلك.

رولان : إن خلاصي مؤكد لأن أعضاء مجلس العشرة كلّهم أصدقائي وخصوصاً التيري.

السجان : (على حدة) : ويح التيري. (الى رولان) : ابشر انهم سيكافئوك.

رولان : (ينتفض من الفرح مستفهماً) : وكيف ذلك؟

السجان : لقد استأذنني قسيس ليقابلك ويحدّثك بل ليعزّيك.

رولان : ومتى يأتي؟

السجان : اليوم والحق يقال انهم نظروا اليك بعين الرحمة والرأفة لأنّ أغلب المسجونين هنا سيموتون ولا صلة لهم بالله.

رولان : الله! لقد بحثت عنه عبثاً في سريرتي...

(السجّان يخرج)

رولان : (يفكّر قائلاً) : قسيس؟ ومَن هو هذا القسيس الجليل؟

المشهد الثاني

القسيس : (يدخل مقنّع الوجه)

رولان : (يهرع إليه ويصافحه قائلاً) : فلتباركك السماء لأنك طلبت مقابلة سجين قد نساه الكلّ. إنّ زيارة المسجونين لفرض مقدّس لم يعد يقوم به أحد في هذه الأيام من زملائك يا محترم.

القسيس : لا تشكرني بل اشكر الرب.

رولان : الرب! دعه وشأنه، دعه حيث هو لا تكلّمني عنه بل حدّثني عن الذين أحبّهم.
(يصرّ على أسنانه) دعوته فلم يستجبني، ومَن لم يهتمّ بي لا أهتمّ به. إذا كنت رجلاً وفي صدرك قلب يخفق رحمة فأجبني.

القسيس : تكلّم.

رولان : لقد قضيت ساعات وأنا أصيح وأصرخ في هدوء هذا القبر، أنطح هذه الجدران برأسي، هشّمت يدي بحديد الباب، أستصرخ العدل والرحمة، وما من مجيب، وكل دقيقة تمرّ بي هي عندي بمثابة موت جديد.

القسيس : (بلهجة غريبة): يظهر لي يا ولدي أنّك تألمت كثيراً وقاسيت عناء شديداً.

رولان : (بحنو) يظهر أنّك رثيت لحالي. إنّك لا تدري آلام نفسي المعذّبة. تصوّر يا محترم: أباً وخطيبةً هم أعزّ ما لديّ في الوجود على قيد خطوات منّي وراء هذا الحائط يذرفون الدّمع دماً، وأنا هنا أبكي وحدي، ومن أفجع الجرائم أنهم طرحوني في هذا الجحيم دون أن يسمعوا لي كلاماً. آه. اذا قيّض لي المثول أمام المجلس أنجو من هذا العذاب الهائل، التيري... صديقي التيري!

القسيس : (بصوت خافت): التيري؟

رولان : نعم، وهل أنت تعرفه؟ تكلّم بربّك.

القسيس : أنا لا أعرفه.

رولان : سيّان... فاذهب إليه ناشدتك المروءة وقصّ على مسامعه ما رأيته. قل له إنّ صوتي بحّ من الصراخ والعويل. إنّهم يظنّونني مجنوناً يا سيدي. وهذا هو السبب على ما أظنّ، الذي حال دون مثولي في

المجلس. أما أنت يا رجل البرّ، يا رجل الدّين فقل لهم واشهد أنني عاقل لعلّهم يحاكمونني ويسمعون مدافعاتي عن نفسي.

القسيس : نعم، نعم، فكن مطمئناً.

رولان : فلتباركك السماء يا سيدي؟ اسمك يا محترم، اسمك يا قسيس يا قديس.

القسيس : خادم الله، هذا اسمي، كن واثقاً بمساعدتي لك وإنقاذك (يهمّ بالذّهاب).

رولان : ابق يا سيدي قليلاً فقد تخيّل لي أنّ غرفتي شعلة من نور.

القسيس : (على حدة) : أفي ثيابي السوداء نور يضيء؟ لقد مرّت الدّقائق التي سمحوا لي بها.

رولان : أريد منك (ويطرق الى الأرض)

القسيس : وما تريد منّي؟ أن أسمع اعترافك؟

رولان : (يضحك مقهقهاً) (بصوت خافت) : كلّمني عن ليونور.

القسيس : أنا لا أعرف هذه المخلوقة وما أنا إلا قسيس فقير.

رولان : خادم أيّة كنيسة أنت؟

القسيس : سيدة النجاة عليها السلام.

رولان : (يضحك فرحاً) سيدة النجاة، هي على قيد خطوات من كنيستك ليونور بنت دندولو.

القسيس : نعم وسأذهب إليها لمقابلتها... وأقول لها (السجّان على الباب) جاء السجان وانقضى الوقت المعيّن.

رولان : ومتى ترجع؟ حالاً، أليس كذلك؟ قل.

القسيس : نعم وبعد أيام ستعلم كلّ شيء... (يخرج القسيس ويكشف القناع عن وجهه فهو بمبو اللعين الذي يبتسم ابتسامة مظلمة).

السجان : قبّح الله وجهك يا شيطان (ويخرج خلفه لإحضار الطّعام)،

رولان : (محدّثاً نفسه) : اذا أفلت الليث من أسره يعلم الثعالب أيّ تمزيق يمزّقون. واذا سلم جناحا النسر من الشلل ليفنينّ أسراب الخفافيش. إذا نجوت يا رولان ناقشت أولئك الزعانف[1] الحساب وأنزلت بهم أشدّ عقاب. ولكن أين النجاة؟ (يعود الى ثورته الجنونية فيصيح صيحات مرعبة ويضرب الباب والجدران بيديه ورجليه حتى يخور ويسقط على الأرض).

السجان : (يدخل وبيده الطعام عند صيحات رولان المفزعة ويقف خائفاً وعندما يسقط رولان على الأرض ساكتاً يقول) : لم يعد من حاجة الى ولوج غرفته، فلنطرح له الطعام من بين قضبان الحديد.

رولان : (ينهض ويمشي ذهاباً وإياباً فيعثر ببقايا صحن محطّمة فيلمّها كلها واضعاً اياها بين يديه قائلاً) : هذا هو سلاحي للنجاة، نحفر بها جدران هذه الغرفة فنصل الى مجرى النهر ونلقي بنفسنا في الماء ونصل الى برّ السلامة. هذا بارق من الأمل يمزّق ظلمات المسجونين. (يسمع نشيداً) : ماذا أسمع؟ نشيداً؟ مَن نظم ليونور (نشيد على العود من الخارج).

رولان : (يطرق رأسه ويبكي بكاء مرّاً، وعندما ينتهي النشيد ينهض ويحفر حول صخر كبير قائلاً) : إذا وفّقت الى فتح نافذة من هنا ألقيت بنفسي في الماء وأنا أحسن السباحة نجوت لا محالة (يقف عن الحفر) : هذا صخر كبير لا تفعل فيه هذه الكسرات الخزفية فلننتقل الى سواه.

السجان : لقد طال سكوته فما السبب؟... (ينادي) : رولان، يا رولان!

رولان : (يخف ويسرع الى الباب مجيباً) : نعم، ماذا تريد؟

---

(١) الزعانف : الأذلّاء. والمفرد زعنفة : القصير الذليل.

السجان : انه لا يزال في السجن، ويظهر أنَّ رشده ثاب إليه (يرقد على كرسيّه)

رولان : (يحفر باجتهاد عظيم. تنفتح الكوّة فيعلم أنه وصل الى غرفة ثانية، فيقنط ويرتمي على الأرض صائحاً): ما أتعس حظّي... ولكن فلندخل الغرفة المجاورة، وهل ينتظرني فيها غير الموت؟ الموت لا بدّ من الموت. ذهب القسيس ولم يعد. انه اغتاظ من تجديفي على الله، فإن عاد تصالحنا معه ومع الله، فلندخلنّ الغرفة.

المشهد الثالث

اشكابرينو: (يلاقيه الى الكوّة): مَن أنت يا رجل؟

رولان : وأنتَ مَن أنت؟

اشكابرينو: (يتنهّد) سجين!

رولان : (على حدة): الحمد لله لا سجّان ولا سيّاف ــ وأنا مثلك يا رجل، يجمعني وإيّاك الشقاء، وهل مضى عليك زمن طويل؟

اشكابرينو: لا أدري لا أعلم.

رولان : (يمدّ يده ليصافحه).

(اشكابرينو يرجع الى الوراء)

رولان : هلمّ بنا نتصافح ولا تخف فإننا في الشقاء أخوان.

اشكابرينو: أتصافحني؟ أتدري مَن أنا؟ أنا رجل مجرم شرير يداي ملطّخة بالدّماء واسمي وحده يرعب جيشاً وسجّاني لا يدخل إليّ إلّا وخنجره مسلول في يده خوفاً من أن أبطشَ به، ولكن حسب رغبتك أمدّ إليك يدي حسب رغبتك.

رولان : (يصافحه شاداً على يده)

اشكابرينو : ألا تخاف مني؟ ألا تجتنبني وأنا سفّاح شهير؟

رولان : (يبتسم) : لست إلّا مسجوناً مثلي يجب عليّ أن أعزّيك ، أما أنت فكفى بمنظرك متعزياً لي .

اشكابرينو : اسكت فنبرات صوتك تهيج أحشائي .

رولان : مسكين أنت ، وهل تألّمت كما تألّمت أنا؟

اشكابرينو : إنك تلاطفني كثيراً فاسكت (يضع رأسه بين يديه ويبكي) .

رولان : (يتأمل به ثم يقول له) : تشجّع تشجّع ، فلو اتفقت معي لعملنا على خلاصنا من هذا الجحيم.

اشكابرينو : (ينتفض) : ماذا تقول؟

رولان : إن ساعدتني فزنا بحريتنا.

اشكابرينو : وكيف ذلك؟

رولان : (يريه قطعة الجرة قائلاً) : بها حفرت هذه النافذة وبها نفتح سرداباً ثانياً نصل الى النهر.

اشكابرينو : نبدأ العمل من جديد؟ غير ممكن.

رولان : ولماذا؟

اشكابرينو : لقد كنت في قاعة أخرى مطلّة على النهر ولم يكن إلّا القليل حتى أصل إليه ولكن لم أجد لذلك سبيلاً.

رولان : ولماذا؟

اشكابرينو : [illegible] وصلت الى النافذة ورميت بنفسي في النهر ، فما وراء ذلك [illegible] لأنّ السجن يحرسه مركب في النهر فيه [illegible] مدججون بالسلاح يطوفون كل ليلة حول السجن يرقبون [illegible]

رولان : [illegible] يكن هنده [illegible]؟

اشكابرينو : لأن مجلس العشرة يخشى من الشعب أن يقتحم السجن وينقذ مسجوناً عظيماً.

رولان : (على حدة): انهم يخشون فراري.

اشكابرينو : أما أنا فنقلت الى هذه الغرفة لأني ضربت السجّان، والمجلس ينظر الآن بأمري، وربما أعدم غداً أو صباحاً.

رولان : لا بأس عليك فلا يحكمون بالاعدام.

اشكابرينو : لقد عفوا عنّي أول مرّة لأنّي أدّيت خدمة عظمى للجمهورية، في عرفهم، أما أنا فأدعوها جناية.

رولان : كيف ذلك حدّثني.

اشكابرينو : ما لنا ولهذا، أريد أن أموت بسلام، فلا تُعِدْ إلى مخيّلتي ذكرى مؤلمة.

رولان : بربك قل لي.

اشكابرينو : أما وقد سبقت منك ملاطفتي فلا بأس أن أقصّ عليك حديثي. كان في فيينا عائلة عريقة مؤلفة من والد هو الدوق وولده وهو رولان الذي كان يحب فتاة هي آية في الجمال والكمال.

رولان : (يغصّ بالدموع).

اشكابرينو : ما بالك يا مولاي؟

رولان : أسمع وقع أقدام تدنو من الغرفة فانزل (ينزل اشكابرينو)

رولان : (يضع البلاطة مكانها ويلقي عليها رداءه): لا أدري ما يكون من أمري باجتماعي بهذا الرجل، فخير إن شاء الله.

المشهد الرابع

(رولان يتلصّص) كاتب يدخل ويقول الى السجّان:

الكاتب : سر بنا الى غرفة ١٦ لنبلغ الجاني حكم المجلس عليه.

السجان : سمعاً وطاعة. (ويمشي أمامه، ويفتح كوة في غرفة اشكابرينو، فيصيح به الكاتب) : قف يا رجل لأتلو على مسامعك حكم المجلس عليك، فقد قضي عليك بالاعدام، وسيحضر القسيس ليصلح ما بينك وبين الله. أما الناس فكن على ثقة أنهم سيسامحونك.

اشكابرينو : بئس البشر وسماحهم ولا أريد قسيساً، وإن دخل عليّ لأدقنَّ عنقه دقّاً. إنما قل لي متى ينفّذ الحكم؟

الكاتب : غداً صباحاً.

(السجان يقنعه بالقناع الأسوَد)

رولان : (يناديه) : تعال، تعال، تعال الى هنا.

اشكابرينو : هل سمعت؟ فقد حكم عليّ بالاعدام وغداً ينفّذ الحكم.

رولان : دعنا من الحكم، وقصّ عليّ حكايتك، ماذا حلّ بتلك العائلة وكيف أسقطتها؟

اشكابرينو : ما لك تهتمّ بتلك؟

رولان : قصّ حكايتك وان كنت لا أعرف من أنت.

اشكابرينو : أنا اشكابرينو الشهير.

رولان : كن من شئت، وماذا فعل بك الدوق؟ وماذا فعلت بك أنا حتى رميتني في هذه الهاوية؟

اشكابرينو : (يخرّ على الأرض) : اني شقي، بائس، ملعون، وأنت رولان. ليتك قتلتني ليلة كان خنجرك فوق صدري عندما أنقذت امبريا من بين مخالبي، ليتك قتلتني لكن أنا في عالم الأموات وكنت أنت على كرسي مجدك. فأنا وزمرتي دفعت على المناداة بك حتى اتّهموك أنك عامل على قلب الجمهورية وأن الشعب ينادي بك ليخلع الجمهورية. وبهذه التهمة ألقوك في السجن.

رولان : ووالدي الدوق؟ _

اشكابرينو : (يتنهّد تنهّداً عميقاً) : أمّا والدك فقد خلع وفقئت عيناه.

رولان : (يصرخ ويضع يده على فمه خوف الافتضاح، ثمّ يتجلّد ويقول) : وليونور ماذا حلّ بها؟

اشكابرينو : كانت تسعى لخلاصك وقد وعدتني بمبلغ كبير إن أنقذتك. باشرت العمل فأحاطت بي زمرة من الجنود واستاقوني الى السجن وقد حكم عليّ بالاعدام على أنني مسرور لأنني رأيتك قبل مفارقتي الحياة لأودّعك لأستغفرك، لقد دنت الساعة يا رولان؟ ولم يبق إلّا القليل حتى يأتي الجلّاد.

رولان : (يهتزّ لهذه الكلمة) : تأكّد أنّك لا تموت.

اشكابرينو : (ينتعش) : لا أموت؟ ماذا تقول؟

رولان : نعم لا تموت.

اشكابرينو : حذار يا مولاي فلم يبق إلا ساعات معدودة.

رولان : ابق هنا فهذا سجنك. أما الغطاء الأسود فهو لي.

(اشكابرينو يرتدّ الى الوراء مذعوراً ويظهر حركة رفض).

رولان : ما بالك ذعرت؟ ابق هنا فقد تمرّ بك سنوات ولا يسأل عنك أحد ولا يدخل إليك السجان أبداً واذا علموا بعدئذ أنّ رولان هو الذي أعدم فقد يبقون على حياتك.

اشكابرينو : الاعدام ألف مرة ولا قبول ما تعرضه عليّ وحاشا أن أسبّب إعدامك فاعفني رحمك الله.

رولان : أريد أن أموت. أنا أتألم من الجوع والبرد والوحدة. إنّ نفسي حزينة حتى الموت. روحي تتألّم، أفهمت؟

اشكابرينو : مولاي!

رولان : ويحك ، ألا تريد أن تفهم؟ الموت يطلبني ، فلا تكن سبباً في زيادة آلامي وأوجاعي.

اشكابرينو : إنّ ما تطلبه يمزّق فؤادي فاعفني!

رولان : أستحلفك بجهنّم أن تطيعني. ابق ابق. ينزع رولان عن وجه اشكابرينو الغطاء الأسود ويلقيه على وجهه. ويبقى في محل اشكابرينو واشكابرينو محله.

يقبل السجان والقسيس والسياف والجنود الى غرفة اشكابرينو ويناديه السياف من الخارج :

السياف : يا اشكابرينو أمستعدّ أنت؟

رولان : (بصوت خشن مرعب) : نعم.

(رولان يخرج) فيحيط به الجند وبجانبه القسيس فيتنفّس الصّعداء ، يخرجون).

اشكابرينو : (يرفع البلاطة ويخرج إلى غرفته القديمة ويرمي السجّان بالبلاطة ويصرخ : الفرار النجاة!

السجان : (يسقط على الأرض صارخاً) : لقد قتلت.

(يغلق الستارة)

الفصل الثاني

المنظر الثاني : في ساحة قصر دندولو

المشهد الأول

رولان واشكابرينو

رولان : لقد نجونا ، فشكرا لله. أمسك عنّا غيث رحمته ثم أروانا فأنبتت أرضنا ، حمده وشكره. لقد أفلت من مخالب الموت بضربة من ساعد اشكابرينو الحديديّ. ذلك الرجل الهائل المخيف. لقد قتل السجّان بضربة يده فألقى الرعب في قلب القسيس والجنديين فهربوا ونجونا نحن. ها هو مقبل.

(اشكابرينو يدخل. يتصافحان)

رولان : مرحباً يا اشكابرينو. أما علمت أنّ العم دندونو أصبح المفتش العمومي والد ليونور قد خلف اللعين فوسكاري فلماذا لا يستخدم نفوذه في إنقاذ صهره؟ في الأمر لسرّاً رهيباً. لماذا قلّدوه هذا المنصب؟ سنعرف كلّ ذلك من ليونور يا عزيزي اشكابرينو. فاذهب أنت ودعني وحدي.

اشكابرينو : بل أبقى معك ولا أتركك لحظة.

رولان : دعني وحدي.

اشكابرينو : سمعاً وطاعة... (يخرج)

رولان : هذا قصر عزيزتي ليونور، وهنا كنّا نجلس نتعاطى كؤوس الغرام، ألا يقتلها الفرح عندما تراني؟ انها تألمت، ولا ريب أنّ تأثرها من منظري سيكون مخيفاً. ولكن أريد معرفة تلك الأسرار الجهنّمية التي كانت سبب زجّي في السجن وسحق والدي؟ أريد... أريد... هذه الحديقة قاحلة جرداء فلماذا؟ هل ماتت ليونور؟ (يضع الوجه المستعار ثم يتقدم ويقرع الباب قرعة خفيفة):

من الداخل: (وقع أقدام وصوت يقول): مَن هذا؟

رولان : غريب يحمل نبأ مهماً.

فيليب : (خادم دندولو) (يفتح الباب ويظهر رأسه وبيده مشعل ويقول): مَن أنت؟ وكيف ولجت الحديقة بمثل هذه الساعة؟ إنّ غرضك لسيّئ. اخرج عاجلاً.

رولان : (بصوت لطيف): لا تطردني يا سيدي فأنا رجل قضي عليّ دون محاكمة وقد لجأت الى هذا المنزل لعلمي أنني أكون في ملجأ. أفلا تشفق عليّ؟

فيليب : (يخرج إليه قائلاً): لقد قضى فيليب سنيّ حياته باستقامة وصلاح فلا ينبغي أن يطرد بائساً لجأ إليه. فتى يستتبّ الأمن في ربوع فينا وإلامَ تستمرّ هذه المظالم وتسود هذه التعاسة؟ يا يسوع؟

رولان : هذا هو البار فيليب (على حدة)

فيليب : ما بالك ترتعش يا مولاي ووجهك أصفر لا تخف. اجلس فلا يستطيع أحد أن يبحث عنك هنا!

رولان : أشكر لسيدي حسن معاملته وسأقول لك الحقيقة الآن. أنا رجل مظلوم حكم عليّ بالاعدام بدون محاكمة. دخلت فينّا سرّاً لأكلّم المفتّش العام الذي قيل لي انه هنا، فجئت تحت جناح الليل.

فيليب : لقد أخطأت.

رولان : وكيف ذلك؟ أليس هذا بيت دندولو؟

فيليب : انه لقصره ولكنه لا يسكنه ولا يأتي إليه أبداً وأنا هنا أخفره، أما هو فيقيم بقصره قرب الترعة الكبرى.

رولان : هذا هو سرّ إهمال الحديقة، وكم مضى على إقامته في قصره الجديد؟

فيليب : سنتان.

رولان : وعائلته معه، أليس كذلك؟

فيليب : عائلة؟ أية عائلة؟

رولان : (بذعر) لقد قيل لي أنّ له بنتاً.

فيليب : تعني ليونور؟

رولان : إيّاها أعني. إذاً... ماتت؟

فيليب : لا سمح الله!

(رولان يفرح)

فيليب : أما إقامتها في قصر زوجها.

(رولان يضطرب)

فيليب : نعم سيدي ما بالك تضطرب؟

رولان : (ينهض كالمجنون ويمسك الخادم الشيخ بيديه القويتين صائحاً به): تقول أيها التعس أنّها تزوّجت؟

فيليب : نعم تزوّجت ليونور. تزوجت...!

رولان : ومتى كان كلّ ذلك؟ تكلّم وإلّا قتلتك!

فيليب : من سنتين؟

رولان : وما اسم زوجها؟

فيليب : ألتيري.

رولان : (يتكدّر جداً، ثم يخاطب الشيخ قائلاً) : أيها الشيخ أستغفرك عمّا فرط مني. فلتغفر شيخوختك لحدّة شبابي.

(رولان يسمع صوتاً فيجفل).

فيليب : لا تخف، لا تخف! فلا يأتي هذا المكان إلّا الشاعر أرتيان بعض الأحيان. وأعمى مسكين يمرّ بنا بين الحين والحين.

(فيليب ينظر إلى الخارج من الباب ويقول لرولان) : إنه الأعمى تعوّد أن يأتي إليّ من وقت إلى آخر يلتمس قوته. وقد تعودت أن أقتسم الطعام بيني وبينه لأنه بائس منكود الحظ.

رولان : بارك الله فيك يا شيخ.

فيليب : (الى الأعمى) : ادخل — ادخل.

كاندیانو : (يدخل متلمساً) : صباح الخير يا فيليب.

فيليب : أهلاً بالدوق كانديانو!

رولان : الدوق كانديانو؟ أبي. (ويقع مغشياً عليه)

فيليب : ربّاه هذا رولان : (ينشّقه المنبّهات فيستفيق).

رولان : (يتقدّم من أبيه) : أبي!

(كانديانو يتحرك كأنه يريد أن يسمع جيداً).

رولان : أبي!

كانديانو : تباً لهؤلاء الأولاد الخبثاء لا يدعونني أتنشّق نفساً من الهواء دون أن يضربوني.

رولان : (يجهش بالبكاء ويشدّ على يدي أبيه قائلاً) : أبي!

كانديانو : لا عدلَ على الأرض!

رولان : يوجد العدل ما دمت أنا هنا، أبي أتسمع ولدك؟ ألا تذكر ولدك رولان؟ ألا تذكر هذا الاسم؟ ألا...

كاندبانو : ليس لي ولد ، وكل الناس يعرفون ذلك ، لا ان الأولاد لا يحبونني. إنهم يضربونني بالحجارة.

رولان : (يجثو على قدميه) : والدي ، والدي ! ألا تعرف صوتي ؟

كاندبانو : صوتك ؟ مَن أنت ؟

رولان : أنا ولدك ، ولدك رولان ! اسمع صوتي أتسمع لي يا أبي؟

كاندبانو : لم أرزق أولاداً أبداً. أنت رجل طيّب السريرة. اني أباركك أيّاً كنت. أنت تلاطفني ، لم يلاطفني أحد غيرك أبداً أنت لطيف.

رولان : ويلاه ! انه فاقد الرشد ، لقد ذهبت بعقله النكبات (ويجلسه على المقعد).

فيليب : أتريد أن تأكل يا رولان؟

رولان : شكراً لك يا سيدي ، إنما أرجوك أن تعتني بوالدي كلّ اعتناء ، فإن عدت الى سابق مجدي أجزلت لك العطاء وإلّا فالإحسان عند الله لا يضيع.

اشكابرينو : (يدخل ملهوفاً) : مولاي ! إنّ رجلاً قادم الى القصر وقد رابني أمره !

رولان : أنت هنا تسهر عليّ؟

فيليب : ادخلوا هذه الغرفة ، وأنا أرى ما يكون من شأنه وأحدّثه باسمه لتعرفاه ، فإن راقكما تخرجان وإلّا فمن الباب الثاني تخرجان الى حيث تريدان.

رولان : شكراً لك ، (ويدخلان)

الشاعر : (يدخل) سلام يا فيليب.

فيليب : مرحباً بالشاعر أرتيان ، أهلاً بالشاعر المجيد.

رولان : (من بين الكواليس) : لقد ساق القدر إليّ من أريد مقابلته ، وكفاني مؤونة التفتيش عليه.

فيليب : (الى الشاعر) : اسرح يا مولاي وامرح ، واسمح لي أن أقود هذا الأعمى الى داخل القصر ليتناول طعام العشاء فقد أعياه الجوع ((يخرج قائداً الأعمى)).

رولان : (يدخل) : أسعد الله مساء شاعر العصر.

الشاعر : (بكل برودة) : ومن أين تعرفني؟

رولان : أذكر أنني تمتعت بمرآك.

الشاعر : لا أذكر!

رولان : أما أنت بطرس أرتيان الشاعر الهجّاء المشهور؟

الشاعر : بلى! ومن قال لك ذلك؟

رولان : ألم تكن أسير اللصوص في المغارة السوداء؟

الشاعر : أكنتَ منهم؟

رولان : (قبح الله وجهك أيها الشاعر) : ألم ينقذْك من ذلك شابّ شجاع وأقسمت له يمين الاخلاص؟

الشاعر : يظهر أنّك عرّاف.

رولان : ألم يشترط عليك جزاء إحسانه إليك أن تكون صديق أربعة؟

الشاعر : ومن هم يا نبي؟

رولان : لست بالنبي يا بطرس أرتيان ، لقد صرت صديقهم الحميم : رولان كانديانو ، ألا تعرفني؟ فوسكاري ديمبو ، وألتيري أمبريا.

الشاعر : رولان منقذي رولان! (ويصافحه. يركع أمامه خاشعاً)

رولان : إذا لم تنسَ أياديَّ البيضاء؟

الشاعر : لا أنساها ما حييت. كيف تجاسرتَ على دخول قصر المفتش العام؟

رولان : لا مجال للجدال ، لقد جاء الوقت الذي تني له آخر فلس عليك من ديون الجميل ، فهل تريد؟

الشاعر : نعم، نعم، بشرط أن لا تكلّفني اقتحام الأهوال.

رولان : يا لك من وغد تريد أن تكون عظيماً مهاباً وتطير من الخوف إذا طنّ الذّباب؟

الشاعر : لقد أدركت يا مولاي موضع الضعف مني. فالشجاعة تنقصني فأنا وغد زنيم[1] أخاف الموت جداً جداً. وقد رافقت الجنود مراراً فكنت أقع مغشياً عليّ إذا نظرت إلى بريق الأسلحة. أحبّ الحياة حبّاً شديداً وفكرة الموت وحدها تخيفني. فأنا مصاب بمرض الخوف وجبني هو العقبة الكؤود في طريق نجاحي.

رولان : ما أشجع الشعراء!

الشاعر : الآن ماذا تريد منّي؟

رولان : أريد أن لا تخشى بأس أحد فأنا الذي أنقذتك، وأنا أحافظ عليك وسأسهر عليك سهراً متواصلاً. إنّ أعداءك يا أرتيان هم أعدائي واني أحكم عليهم منذ الآن بالقتل...

الشاعر : (يرتجف) بالقتل؟ لقد اصطكّت ركبتاي، اقتلهم على غير مرأى مني لأنني أغمى إذا رأيت الدم.

رولان : تشجّع، من الآن وصاعداً أنا كاتبك يا حضرة الشاعر وأريد أن أصحبك بعد غد في تلك الحفلة.

الشاعر : حفلة المحظية امبريا؟

رولان : نعم. لقد قيل لي ان امبريا لها ابنة.

الشاعر : نعم. ولا يعرف ذلك إلّا نفر قليل، امبريا لها ابنة واسمها بيانكا!

رولان : عمرها؟

الشاعر : تناهز عمر بدر ليلة تمّة.

---

(١) الزنيم: الدعيّ، اللئيم المعروف بلؤمه. والدّخيل الملحق بقوم وهو ليس منهم.

رولان : إسعَ لكي أراها، ولكي تكون لأمبريا ثقة بكاتبك.

الشاعر : أهذا ما تأمر به يا سيدي؟

رولان : هذا ما أطلبه الآن (يفرك جبينه) لقد نسيت أن أقول لك أنّ لي رفيقاً يكون خادماً لك ويصحبك في قصر امبريا.

الشاعر : وأين هو؟

رولان : (يشير الى الخارج)...

اشكابرينو : (يدخل) هذا هو، نعم أريد أن يكون خادمك في القريب العاجل.

الشاعر : من الآن أتريد حضور الحفلة؟

اشكابرينو : كما يشاء سيدي رولان، ولكن لا أريد أن أنام مع الخدم.

الشاعر : سأفرد لك غرفة خاصة.

اشكابرينو : وحبذا لو كانت تطلّ على الترعة الكبرى.

رولان : أرتيان. لقد أصبحنا يداً واحدة في العمل، فإن قيّض الله لنا النصر على الأعداء شاطرتنا أفراحنا وإلا فعلى الحياة ألف سلام.

الشاعر : ومليون سلام (يخرج)

رولان : هوذا الشاعر يا اشكابرينو في قبضتنا، هذا الذي أنقذناه من عصابة اللصوص، فستتمكن، متستّرين بخدمته، من سحق اثنين من ألدّ أعدائنا هما: بمبو وامبريا الملعونة. (يناوله خاتمه): خذ هذا الخاتم وبعه من الصاغة بالثمن الذي تستطيعه لأننا في حاجة الى المال. (اشكابرينو يأخذه ويذهب)

فيليب : نام أبوك بعد ما أكل مريئاً وشرب هنيئاً.

رولان : جزاك الله عنّي وعنه. والآن يا فيليب، بربك، قل لي ما بال الحديقة غير معتنى بها؟

فيليب : لأن سيدتي ليونور أمرتنا أن لا نمدّ إليها يداً ونبقي كلّ شيء على حاله ذكرى أيامها السعيدة.

(رولان يتنفّس الصّعداء)

فيليب : فهي تأتي إليها في الليل وتجلس تحت تلك الشجرة تتأمّل القصر، وتبقى هناك الى منتصف الليل فتترك وتعود الى منزلها.

رولان : لقد أرغب في استئجاره.

فيليب : لا يمكنك استئجاره بل شراؤه.

رولان : وأين هذا من قولك الأول؟

فيليب : هذه إرادة دندولو وأنا أتمّمها وان كنت أميل الى ليونور وأحبّها لأنني ربيّتها وحملتها على ذراعي صغيرة، فدندولو يريد بيعه وليونور تريد إبقاءه.

رولان : إذاً قل لمولاك أنني أشتريه، وقل لمولاتك أنني أبقيه على ما هو وأسمح لها بالحضور متى شاءت، دون أن يقلقها أحد لأنني لا أقيم فيه إلا ١٥ يوماً. إلّا أنني أشترط أمراً واحداً.

فيليب : وما هو؟

رولان : تنفيذ البيع بأقرب وقت.

فيليب : اليوم إذا شئت يا مولاي.

رولان : حرر إذاً صك عقد البيع وجهّز اللازم، وان شئت البقاء حارساً للقصر فالأجرة مضاعفة ومثلثة.

فيليب : ومربعة ومخمسة، أشكرك يا مولاي. هذه شروط البيع مكتوبة. والصك معه فلا ينقصه إلا اسمك (يقدّم له الصك).

رولان : (يطالعه) الثمن ألفا ريال. يوقع اسمه «جان مانتو»

فيليب : سأقدّم الصك لمولاي وأعود به مصدّقاً وأين الثمن؟

اشكابرينو : (يدخل) لقد بعت الخاتم وهذا ثمنه.

رولان : عافاك الله. يا فيليب هذا ثمن القصر، فاعتن بالوالد الأعمى وها نحن ذاهبون.

فيليب : (يرافقه الى الباب ملوّحاً بقبعته): مع السلامة مع السلامة.

(يغلق الستار)

الفصل الثاني

المنظر الثالث: في قصر امبريا

المشهد الأول

امبريا وحدها

امبريا : عجباً لقد أبطأوا ويح السياسة فهي تشغل من الدماغ فراغاً، وتفسح للغدر مجالاً، فهي في عرف الناس مرقاة المجد. أما أنا فأراها حملاً ثقيلاً على مناكب الناس. والحبّ شرّ منها، فأوله سقم وآخره قتل. نعم لقد دفعني الحبّ الى الانتقام من رولان فألقيت به من حالق مجده الى أسفل دركات الذلّ، ولكن ما هذا بأول شهدائي، فكم ضحّيت قبله من الناس دون أن أشعر بهول ما فعلت. أما هذه المرّة فإنني أنتفض هلعاً كلما تذكّرت رولان يتقلّب في سجنه والدوق أعمى يقرع الأبواب ملتمساً قوته. (تتجلد) ويحك يا ضميري! ألم تخنقك الجرائم حتى الآن؟ إن فينا مضطربة هائجة بعد خلع دوقها ودفة السياسة لا تديرها يد ربّان ماهر فهي مهددة بالخطر. بعد أن أعددت جميع معدّات الحفلة الشائقة أرسلوا يقولون لي أجّليها إلى الغد وكوني في انتظارنا. فماذا يريدون؟ أنا لم اضطرب هكذا مدة حياتي. أنتظر بجزع بزوغ الفجر ويلي من الليل وأشباحه!

(من الخارج وقع أقدام)

امبريا : أظنهم أقبلوا ، نعم ، هم هم .

(فوسكاري ، ألتيري ، بمبو يدخلون ، وبعد أن يحيّوا السيدة امبريا يجلسون)

(الخادم يقدم لهم المرطبات)

امبريا : ما وراءكم من الأنباء؟

فوسكاري : ليس من الصعب أن تقضم الأسنان الطعام فتمرّ في مضيقة الحلق الى المعدة ، إنما الصعب أن تهضم المعدة ذلك الطعام . وهذا ما حلّ بنا ، تآمرنا على خلع الدوق فهوى عرشه ، وسجنّا رولان ، ولكنه قد أفلت من السجن وهو اليوم كما يقولون : يسرح ويمرح في فيينا .

امبريا : (ترتجف) : رولان فرّ من سجنه؟

التيري : نعم يا امبريا نعم ، وإن لم نتوفق الى ساعد قوي يرمي رأسه فالويل لنا من انتقامه الرهيب .

بمبو : إنّ غيوم السياسة تتلبّد وتنقشع فلا تجزعوا أيها الأبطال . لا تخافوا يجب أن تقفوا في وجهه سداً منيعاً ، فقد أضعفنا حزبه بتلك الضربة القاضية فلم يعد يخشى بأسه .

امبريا : ويلاه ! إنّ يده القوية ستسحقني .

التيري : ويحك يا امبريا ، إنك لجبانة ضعيفة .

فوسكاري : وماذا تطلب من امرأة يا التيري؟ فكّروا يا كرام بما يوطّد دعائم حكومتكم ، فقد أوشكت أن تهب عليها ريح زعزع .

بمبو : أتظنّون أنّ قلب الحكومات أمر سهل ، فما استقرّت حكومة إلا على أساس من الدماء . ولم يزيّن رأس بتاج غير مخضّب بدم . فتجلّدوا ، فهذه الغيوم الّتي تغطي جوّ سياستكم تمزّقها الرياح وتبدّدها .

التيري : لقد كان يجب أن نقضي عليه بدلاً من أن نبقي على حياته كرماً وهو في

قبضة أيدينا. أما الآن فالخطأ قد حصل، فعلى المفتش العام أن يبثّ الجنود والأرصاد في كل مكان براً وبحراً للقبض عليه.

دندولو : (يدخل) مرحباً يا كرام.

امبريا : هل عرفت شيئاً عن رولان؟

دندولو : سلام يا سيدتي ويا سادتي.

امبريا : هل عرفت شيئاً عن رولان؟

دندولو : إنّ هذا ما حملني على الاجتماع بكم، فقد جاءني رجل يخبرني أنه يعرف مقرّ رولان واشكابرينو وانه يقبض عليهما بسهولة إذا مددناه بالقوّة الكافية وأعطيناه المكافأة الوافية.

التيري : عده بكلّ ما يطلب.

امبريا : لا تردّ له طلباً.

يمبو : ذهب وفضة لا بأس.

فوسكاري : أنت حرّ يا دندولو، فافعل ما تشاء.

دندولو : إذاً أنا ذاهب.

الجميع : ونحن لاحقون بك.

دندولو : (وهو خارج) ويحكم يا ثعالب الكروم، فقد ساء ما توهمتم.

فوسكاري : هيّوا بنا نتبعه ولا تنسوا أنه من غير حزبنا وعرق الأصل نزّاز.

الجميع : يخرجون.

امبريا : (تخاطبهم) عجّلوا عليّ بالبشائر، إنهم سيتبعونه ويقضون عليه فنرتاح من شرّه. إنّ ذكره يوهن عزائمي. قوّني يا الله، وأطلع عليّ فجر الغد، واجعلني بمأمن من انتقامه.

الشاعر : (يدخل ويصافح امبريا) سلام عليك أيتها السيدة السامية.

امبريا : أهلاً بشاعر العصر.

الشاعر : حقاً يا سيدتي إنك فتنة العالمين ، بل انك الزهرة إلهة الجمال يا مليكة الأولمبّ وعشيقة الآلهة.

امبريا : أنتم الشعراء تظنون وتغالون وترون كلّ شيء بمجهر الخيال . أنت أيها الشاعر العظيم تستحقّ الأعجاب بقوافيك الخالدة.

الشاعر : لا ، لا يا سيدتي ما جاء بي الى فيينا إلّا محيّاك الباهر.

امبريا : (تبتسم) جمالي؟ وحده.

الشاعر : ورسالة صديقي بمبو.

امبريا : إذاً أنت تعرفه؟

الشاعر : نعم، نعم، بل هو الصديق...

امبريا : أتريد الإقامة في فيينا؟ وهل استأجرت منزلاً فخماً؟

الشاعر : بل قصراً يا سيدتي ، ولكنه أقل رواء من قصرك. أما فيينا فسأقيم فيها لأنها تعجبني بعذوبتها ومجاري مياهها وجمالها.

امبريا : أنتم الشعراء تحبون الماء والخضرة...

الشاعر : والشكل الحسن. فإذا أردت أن نتفق كان الحكم في فيينا لنا.

امبريا : إنّ أمانيّ أوسع من هذا الفضاء، وجمالي يزيد تموّجات آمالي.

الشاعر : لا أستغرب ذلك فللقمر تأثير عظيم على تموّجات البحار.

امبريا : (تبتسم) : ألم أرَ معك رجلين؟ ومن هما؟

الشاعر : أحدهما كاتبي والآخر منادمي.

امبريا : كاتبك؟ إنه لغريب البلاد.

الشاعر : نعم سيدتي ، وقد قيدته في خدمتي منذ يومين.

امبريا : إذاً هو حديث العهد عندنا؟

الشاعر : وهو خفيف الروح شاب جميل يحبّ الشعر والجمال.

رولان : (من بين الكواليس) وسينتقم من جمالك وهذه الليلة ليلة الأهوال.

الشاعر : وقد طلب مني أن يصحبني إلى قصرك ليرى جماله وجمالك ويرى الأمراء والحكّام عشّاقك. فأين هم فالدار خالية؟

امبريا : لقد كانوا هنا جميعاً قبل وصولك، ولكن حادثاً مهمّاً يقلق راحة الجمهورية حملهم على الإسراع بالخروج.

الشاعر : بربّك ما هو؟

امبريا : لقد عرفوا بفرار رولان من سجنه وأخذوا يسعون وراء القبض عليه.

الشاعر : وكيف فرّ؟

امبريا : إنه لداهية دهياء وسينقضّ عليهم انقضاض الصاعقة على كوخ متداعٍ.

رولان : (من الكواليس): وعلى رأسك أولاً.

الشاعر : لعلّهم يقفون على آثاره فيعيدونه إلى سجنه.

امبريا : بل يقطعون رأسه إن توفّقوا الى ذلك. وانّ معه رجلاً حديدياً هو اشكابرينو السفّاح الشهير، وستنضمّ إليه عصابة إن ظلّ وشأنه يسرح ويمرح.

الشاعر : لا أظن.

امبريا : الله أعلم (تنهض).

الشاعر : إذاً لهذا السبب لم تقم الحفلة الرائعة في هذا المساء؟

امبريا : لهذا السبب وأظنه مهماً.

الشاعر : لقد كنت أعددت لها من الأشعار ما هو السحر الحلال فلا حرمنا هذا الموقف.

امبريا : الليلة القادمة إن شاء الله حيث يكون الفرح أعظم لأنّ الظفر برولان مكفول ونجاح مهمتنا مأمول.

(اشكابرينو يستلّ خنجره)

(رولان يزجره بالإشارة)

الشاعر : إذاً أودّعك الى المساء القادم.

امبريا : أجهد قريحتك تسمعنا غداً ما هو أبدع وأعجب.

الشاعر : على خيرة الله. (يخرج)

امبريا : يعيش الشعراء في غير هذا العالم المنظور. يتوهّم كلّ منهم أنه بتنظيم الألفاظ ينظم جيوشاً ترهب الملوك وتسقط العروش. إن أرتيان يظنّ نفسه سيداً عظيماً ويعلّل نفسه بأن يحكم فينا. فيا للغرابة!

(بمبو يدخل)

امبريا : وماذا صنعتم؟

بمبو : لقد طارده الجنود وحاول الهرب منهم فألقى بنفسه في الترعة فمات غرقاً.

امبريا : واشكابرينو الهائل؟

بمبو : لقد كانا معاً في قارب واحد.

امبريا : إذاً كلاهما مات غرقاً.

بمبو : كوني على ثقة ان الجمهورية قد سلمت من شرّهما وتنفّسنا الصعداء والآن فلنعد الى الحديث الذي بدأنا به ليلة أمس.

امبريا : دعني من حديثك فهو شجون.

بمبو : ولماذا؟

امبريا : ما كنت لأظنّ أنك تطرحني في هذه الهاوية. فأنت وألتيري زينتما لي اتهام رولان بقتل جان دافيلا وخيانة الجمهورية، ففعلت. تعهدتم لي كلكم أنني أكون مطاعة وكلمتي مقدسة عندكم، ولم تصدق عهودكم. رجوتكم أمس أن تطلقوا سراح أحد المسجونين فلم تطيعوا إشارتي، فما عساي أنتظر؟ أن أقاسمكم المناصب؟ فأنا امرأة. أن

تجزلوا العطايا؟ فأنا أوفر ثروةً منكم. وما دام لي الجمال الباهر فهو يجذب الثروة كالمغنطيس. لقد انقضت أعوام وأنا أسيرة لكم تهددونني بكل وعيد (تتظاهر بالبكاء).

بمبو : إنك لم تفعلي ما فعلتِ برولان إلا مدفوعة بعاملَي الغيرة والبغض. لكلٍّ منا غاية فاتحدت كلّها كاتحاد العناصر الكيميائية فألفت جسماً واحداً هو الانتقام من رولان فألقته صريعاً في السجن ثمّ في اليمّ. أما الآن فهدّئي روعك وثقي أنني أحتّم على فوسكاري وألتيري أن ينفّذا لك كلّ رغبة واعلمي أننا الأربعة سلسلة محكمة الحبك إن انفرطت منها زردة تحطّمت كلّها.

اشكابرينو : (بزي جند الى بمبو) : أتيتك بهذه الرسالة من التيري.

بمبو : (يأخذها) من التيري؟

(امبريا تتأمّل الجندي)

بمبو : (يقرأ) ما هذا بخطه يظهر أنه مشغول منهمك لقد توصل الى مراسلتنا بواسطة الكتّاب (يقرأ) : لا بأس فليفعل ما بدا له.

امبريا : ماذا؟

بمبو : يريد أن يذهب.

(رولان يدخل)

بمبو : لقد هالني منظر هذين الجنديين.

(امبريا ترتجف)

(رولان يشهر مسدّسه على بمبو واشكابرينو على امبريا، ويدخل رجال ثلاثة مدجّجون بالسلاح)

بمبو : أين رجالك يا امبريا؟

رولان : في القيود يرسفون في أعماق الكهوف. اصمت وإلّا قتلتك. تقدّموا إليه وقيّدوه وسدوا فاه لئلّا ينبس ببنت شفة.

(الثلاثة يتقدّمون ويقيّدونه ويسدون فاه ويلقونه على الأرض ويظلون يخفرونه)

روﻻن : وأنت يا امبريا الجميلة ودّعي هذه الحياة فلمن توصين بهذه الثروة الطائلة التي جمعتها عن طريق الفجور والدّنس؟

امبريا : رباه ما هذا؟

روﻻن : لا تخاطبي الله يا فاجرة «يكشف عن قناعه»

امبريا : «تصرخ» رولان.

روﻻن : نعم رولان فقد ظننتم يا كلاب الحيّ أنه مات غرقاً فلأسحقنّكم سحقاً.

امبريا : رولان عفواً.

روﻻن : ومَن يعفو عن الأفعى. أنقذتك من أيدي السفّاحين فكان جزاؤك لي تلك التهمة الهائلة. أقصيتني عن حبيبتي ليونور، وفُقئت عينا والدي بسببك يا فاجرة. قوّضت عرش أسرة كانديانو وتطلبي العفو استغفري الله عن ذنوبك لأنّ ساعتك قد دنت.

امبريا : أبقِ على حياتي يا رولان.

روﻻن : (ينتفض من الغضب) ردّي لوالدي عينيه. إنه يطلب النور. (امبريا تتململ)

روﻻن : تململي أيتها الأفعى في جحرك فالنار قد شبّت به ومن أين لك الخروج؟ إنّ رأسك سيسحق.

اشكابرينو : مولاي لقد طال الأمد فاقض ما أنت قاض.

روﻻن : (يتناول زجاجة ويقدّمها لها قائلاً) : اشربي يا امبريا فهذه الجرعة تضع حداً لجرائمك وتريح البشرية من فجورك.

امبريا : (ترفض صارخة) : ويلاه!!

رولان : إنها لأسهل من ظلمات السجون والجوع والبرد اشربي قلت لك.

(امبريا تنهض)

اشكابرينو : (يلكمها) اجلسي (ويضع المسدّس على صدغها) اشربي.

(عمبو يتقلّب ويصرخ صرخة هائلة).

رولان : افتح فاهاً يا اشكابرينو.

(اشكابرينو يفتح فاها ويجرعها رولان السمّ)

امبريا : الحياة الحياة.

اشكابرينو : الموت الموت.

رولان : (الى اشكابرينو والجنود) : هاتوا عمبو واتبعوني (يخرجون)

امبريا : (تصرخ صرخات هائلة) إليّ إليّ لقد قتلوني.

(بوليس يدخل)

امبريا : (تقع خائرة على الأرض وعندما ترى البوليس تقول) : رولان...

(وتلفظ الروح)

(البوليس يتقدّم من الباب ويصفر صفيراً هائلاً وينقل من جهة الى جهة ويصفر).

(يرخى الستار)

أشباح

القرن الثامن عشر

مأساة تاريخية ذات خمسة فصول

مثلها أول مرة أعضاء جمعية الثمرة
من طلبة الجامعة الوطنية «عاليه»

كلمة واجبة

في العشرين من شهر تموز سنة ١٩٢٣ سألني جناب رئيس الجامعة الوطنية «عاليه» الياس أفندي شبل الخوري تأليف رواية تمثيلية يمثلها بعض طلبة جامعته فلبيت الطلب ووضعت هذه الرواية.

رأيت تلبية طلب هذا الرئيس المفضال المتفاني في سبيل خدمة الناشئة العزيزة فرضاً مقدساً على كل وطني يزن الرجال بميزان الأعمال فاندفعت الى تأليفها. واخترت لها هذا الموضوع التاريخي لأنه ما برح يجول في خاطري منذ طالعت تاريخ لبنان. فجاءت روايتي كما يراها القارىء الكريم صورة تمثل أطوار الحكام في تلك الأجيال المظلمة وقرون الدياميس.

وقد عني بتمثيلها جناب المهندس الرياضي الكبير الأستاذ وديع افندي غبريل نائب رئيس الجامعة ورئيس جمعية الثمرة فيها يعاونه الأديب الفاضل الأستاذ نجيب افندي منصور حاج. فإنني أشكر لهما ولأعضاء جمعية الثمرة الذين مثلوا ادوارها همتهم ونهضتهم الأدبية.

لا زالت الجامعة الوطنية جامعة لشتات العلوم والآداب حافلة بالمبادىء السامية سباقة الى كل جديد تهدي الى الوطن رجالاً بعناية رئيسها العامل واضع حجر الأساس في بناية التعليم الوطني.

٤ آب سنة ١٩٢٤ مارون عبود

الممثلون

الفاتك	الأمير المغتصب
عارف وصالح	وزيراه
حلزة	نديم
طرفة	كاتب سره
بلدر	قائد جيشه
حسان	حاجبه
المنتصر «الأعمى»	شقيق الفاتك
الناصر «الظافر»	ابن المنتصر
الحارس	شقيق الناصر
كلثوم وجهاد وصخر	«من رجال الظافر»
طعان	رئيس عصابة
جواد	سجان
جابر	جندي
قسيس	
جنود	

الفصل الأول
في باحة قصر الأمير

المشهد الأول

طعان «وحده»

طعان : (يدخل ملتفاً بعباءته وبيده مشعل وفي زناره خنجر مشكوك) لقد أضنكني التعب. ما أمرَّ حياة قطاع الطرق وأصعب مهمة رؤساء العصابات. أهذا هو المكان؟؟ نعم هذا هو القصر. أذكر أنني مررت به مرةً. ماذا يريدون مني؟ الجواب تحصيل حاصل: الفتك بالناس. يا طعان! يا شقيق عزرائيل! عفواً أيها الضمير المخدر لا تبكّتني فهذه طريق اختطها لنا مولانا الأمير فسرنا عليها. والناس على دين ملوكهم... لم أجد أحداً. أتلك أحبولة لاصطيادي؟ لا لعمري. فلنسترح قليلاً حتى يأتي المساوم.

(يرتمي على المقعد وبعد هنيهة يُفتح الباب ويقف به رجلٌ ملثم فينهض طعان قائلاً له): أأنت الذي يطلبني؟

المشهد الثاني

طعان — بدر

بدر : (يدخل) نعم. وقد قيل لي انك أمهر من ضرب بسيف وطعن بخنجر.

طعان : انني أقتل الرجل الذي انازله.

بدر : ولهذا الغرض استقدمتك إليّ. أأنت مستعد للقيام بما أطلبه منك؟

طعان : نعم. ولكن أتعرف الجُعْل[1] الذي اتقاضاه.

بدر : انني أجهله. بيد أنني انقدك ما تطلبه مني على شرط أن تقتل الرجل... (يجلس بدر على المقعد ويخرج كيساً مملوءاً ذهباً من جيبه ويضعه أمامه قائلاً) أسمعت؟

طعان : قل

بدر : امستعد أنت لقتله؟

طعان : هذه مهنتي.

بدر : الرجل قويٌّ هائل أليس لك رجال؟

طعان : لا أحتاج إلى أحد.

بدر : الرجل بطل مخيف هائل.

طعان : سيقتل.

بدر : الا تخاف؟

طعان : وممَّ أخاف؟

بدر : من الرجل.

طعان : لقد صرعت قبله رجالاً.

---

(١) الجُعْل: ما يجعل للعامل على عمله، ثم سمّي به ما يعطى المجاهد ليستعين به على جهاده وهو أعم من الأجر والثواب.

بدر : اذاً موعدنا الساعة التاسعة. يعاونك عَلَى مهمتك رجلان وأنا ثالثهم.

طعان : وأين الملتقى؟

بدر : في وادي الجوز.

طعان : أنا مستعد.

بدر : خذ الكيس واذهب إذاً.

طعان : (يتناول الكيس وبعد وصوله الى الباب يعود قائلاً) ما اسم الرجل؟

بدر : وما يهمك اسمه؟

طعان : يجب أن أعرف اسم من أقتله والا فلا أقوم بمهمتك.

بدر : بطل هائل خرج من القبر حياً. يفتك بمن يتصدّى له وهو رأس عصابةٍ تعيث في البلاد فساداً.

طعان : لا أفهم الكنايات والرموز صرّح. قل ما اسمه.

بدر : اسمه الظافر.

طعان : ماذا قلت؟

بدر : الظافر.

طعان : الظافر؟

بدر : نعم.

طعان : الظافر؟ أهذا الذي اقتله الليلة؟

بدر : نعم نعم الظافر.

طعان : (يرمي كيس الدراهم) خذ دراهمك فلا حاجة لي اليها.

بدر : من أين لمثلك هذه النزاهة؟

طعان : قلت لك استردَّ دراهمك.

بدر : ولماذا؟

طعان : لأنني لا أريد أن أمدَّ يدي الى الظافر.

بدر : ويلك يا تعس! أأنت راغب في زيارة السجن؟ ألا تؤدي خدمة للحكومة؟

طعان : أنا لا أعرف حكومة. أنا لا أعرف سيداً. اياك والتطاول. أنا لا أُشتم. أنا لا أُهان. يضع يده على قبضة خنجره.

بدر : (يضطرب)

طعان : خذ ذهبك فلست رجلك. أنا لا أريد اختلاسك أفهمت ما أقول؟

بدر : اني أدع لك الذهب لأنك جريء جسور. ولكن قل ما السبب. يظهر انك خائف من الظافر.

طعان : أنا لا أعرف الخوف.

بدر : بلى تعرفه وقد راعك ذكر الظافر.

طعان : كل من تحدثه نفسه بمقاومة الظافر يموت موتاً. أما أنا فلا أخاف الموت.

بدر : إذاً لماذا ترفض؟ تكلم. ناشدتك أبالسة الجحيم وشياطين الأرض. (يتحرك فيظهر ثوب القائد العام).

طعان : عفواً يا حضرة القائد العام فأنا أعرف الناس.

بدر : (ينهض تاركاً رداءه على المقعد) أما وقد عرفتني فهل تجسر على مقاومتي.

طعان : ولِمَ لا؟ فقبل أن تحرك يدك اقتلك.

بدر : (يصفرّ ويضطرب).

طعان : أما أحجامي عن قتل الظافر فسببه بسيط جداً.

بدر : ما عساه يكون؟

طعان : أنا قاتل ولست جاسوساً. مهنتي خدمة الرجال الذين لا يحسنون النزال ولكنني لا أخدم الحكومة فللحكومة رجال يقومون بخدمتها فعلى هؤلاء مناوأة اعدائها. الظافر ثائر على الحكومة فعلى حكومة مولاك الفاتك أن

تقبض عليه اما نحن اللصوص فأشبه بالدول تحمي المجرمين السياسيين.
إن مولاك الفاتك بل السفاح لهو شرٌّ مني. سمل عيني أخيه واختلس عرشه. لا أدري إذا كنت فهمت ما قلته لك. سيان عندي فهمت أم لم تفهم فلي كلام أقوله له أيضاً. أنا رجل معتزل حربكم. سفكت دماء كثيرة والجلاد بانتظاري ليقتص مني ولكن البلاد غنيةٌ برجالها الفضلاء الذين يعملون بذمة وشرف عقولهم وأيديهم. لا أظنك إلّا جاهلاً ذلك ومن مصلحتك أن تجهل ما في الدنيا من المصائب والبلايا.
لقد تجاوزت حكومتكم الحد في معاملة الفقراء فسمتموهم عذاباً واختلستم أموالهم بالرشي والضرائب وأثقلتم كواهلهم بأعباء الجور والظلم. فهذه الفئة لا تفكر إلّا بفوز الظافر على حكومتكم لتستريح من مظالمكم وهو قد وعد أنه سيخلصهم وان قال فعل. فإذا قتلته يا مولاي القائد فكأنني قتلت الرجاء في مهد قلوب أولئك المظلومين الذين لم يسيئوا إليّ قط فأُضطر إلى قتل نفسي.

بدر : (صامت مفكر)

طعان : ما بالك متحيراً؟

بدر : لقد حيرني ضميرك الحي يا حضرة اللص.

طعان : (بحدة) ان لصاً بثوبه الخشن يحترم إرادة الشعب لهو أجزل شرفاً من مجرم مثلك يستر تحت ثوبه المزركش نفساً سافلة وقوة تفعل باسم الشريعة ما نحجم عنه نحن اللصوص. أنتم معاشر الحكام توجدون اللصوص؛ يرونكم تختلسون امام عين الشمس فينهبون تحت جنح الظلام متعلمين وخائفين منكم.

بدر : تأدّب يا وقح.

طعان : لقد أدبني الدهر فاتعظت. أما أنتم فكم لكم من عبرة في بطون التاريخ ولا تتعظون. اتدفعني الى ارتكاب جريمة هائلة وتقول لي تأدّب فيا لضيعة الأدب! (يخرج).

المشهد الثالث

بدر «وحده»

أيا ويح شارات المفاخر والمجد ... تلوح لآليها بصدر فتى وغد
أيسخر بي لصٌ واني اميره ... أغنّيه ان شئت في ظلمة اللحدِ
هو الذنب يا ويح الأمير أذلني ... ومن كان ذا ذنب يذلُّ الى العبدِ
أرى النار قد مدت الينا لسانها ... هو الموت يدعونا فيا همّتي اشتدي
فإن تحجمي فالموت أمرٌ مقدرٌ ... وان تقدمي فالفوز يدرك بالجدِ

المشهد الرابع

بدر — الفاتك

فاتك : (من الخارج) يا بدر! يا بدر! إليّ... إليّ.

بدر : (يتقدم الى الأمام ويده على مقبض سيفه) مولاي.

فاتك : (يدخل مذعوراً).

بدر : مولاي ماذا جرى؟

فاتك : ثائرٌ كمن ليغتالني.

بدر : ومن أين عرفت ذلك؟

فاتك : دونك خنجره الذي انتزعته من يده «يرميه وبعد سكوت قليل يتنهد قائلاً» قل لي هل اتممت مهمتك ومتى يقتل الظافر؟

بدر : لقد أبى اللص أن يقتله.

فاتك : ويحك ألم تستطع اقناعه.

بدر : لقد أبى وتمرد فلم يقنعه وعدٌ ولم يرهبه وعيد.

فاتك : يا خيبة المسعى... اذهب وادع الوزراء.

بدر : (يهم بالخروج)

فاتك : عجل عجل.

المشهد الخامس

الفاتك وحده

سللت على هام الطغاة المهندا ... فمزّق شمـل العـائثين وبـددا

وعلـمهم طرق الخضوع لسيد ... أبى أن يرى للدهر مولى وسيدا

صليل حسامي ترهب الأرض وقعه ... وترتجف الـدنـيا إذا ما تجردا

ولي عرش مجدٍ ينطح الجوَّ روقه ... على مفرق العيوق بات موطدا[1]

ورمحي لو غـادرتـه في تنوفة ... لخافت ولم تمرر بارجائها العدى

فكيف يقاوبني ضعيف وسطوتي ... تقـاوم جيشـاً لو طغا وتمردا

وحولي من الأبطال سور محصنٌ ... عَلى الرمح والسيف الصقيل تشيدا

فهل اختشي الاعدا ولي من عشيرتي ... ألوف لدى الهيجا تكون لي الفدا

فمن مـبلغ عني الخوارج أنني ... أكون لهم في الخافقين مشردا

الصوت .

الا أيها السفاح مهلاً إلى غدٍ ... فمنقلب الظلام موعده غدا

فاتك : ما هذا الصوت ومن هذا اللئيم؟

الصوت :

ففي الغيب أسرارٌ سيدرك كنهها ... متى ثُلّ عرش الظلم فاستقبل الردى

---

(١) الرَّوْق: القَرْن. العيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدّمها.

فاتك : (يتطلع لجهة الصوت) لا أرى أحداً فما هذا؟

المشهد السادس

الفاتك — الوزيران — النديم

الوزيران : (والنديم يدخلون قائلين) : تحية وسلاماً أيها الأمير العظيم.

فاتك : مرحباً بكم.

عارف : ما بال بارقة الغضب تلوح عَلى محيا مولانا الأمير.

فاتك : ألم تسمعوا ذلك الصوت الهائل الذي يتّهددني؟

عارف : لا يا سيدي.

فاتك : يا للعجب كيف لم تسمعوه وقد دوى كالرعد القاصف؟

حلزة : لقد أصيب الأمير بالجنون.

فاتك : ماذا قلت يا حلزة؟.

حلزة : قلت لو كان السامع سواك لمات من الخوف.

فاتك : إذاً أنت سمعت.

حلزة : نعم سمعتك تروي الخبر.

عارف : انه يحب المجون دائماً.

فاتك : وأنت يا صالح ألم يطرق اذانك ذلك الصوت؟

صالح : لا يا سيدي ولكنني عرفت انّ نيران الثورة ستضطرم وينوي الاعداء أن يقوموا بتظاهرة على قبر الأمير الناصر.

فاتك : أبعد عشر سنوات يفعلون ذلك؟!

عارف : نعم وقد لموا شعثهم وشحذوا سيوفهم واستعدوا للنزال. تخفيت البارحة وسرت بين جموعهم فسمعتهم يقولون: إما أن نموت عن آخرنا أو نأخذ بثأر أميرنا الناصر الذي قتله الفاتك بغياً وعدواناً.

صالح : والذي نفخ فاضرم النار النائمة تحت رماد النسيان هو رجل غريب الأطوار لا يعرف له نسب يلقب بالبطل المجهول.

فاتك : ومن هو هذا البطل المجهول؟

صالح : رجل غريب الأطوار إذا ظهر بين الثوار خلته أسداً شاكي السلاح يقودهم وراءه الى حيث يريد.

فاتك : إذاً ما هذا بشراً ان هذا إلا شيطان رجيم.

عارف : لقد حارت فيه الناس. فكل يقول في أمره شيئاً حتى ظنه الشعب الساذج مخلصاً أرسله الله ليضربكم ضربة قاضية كما أرسل موسى ليضرب فرعون.

فاتك : ويلاه منذ سملت عيني أخي المنتصر وقتلت ابنه الناصر وسجنت صغيره الحارس واختلست هذا العرش أرى نفسي مضطربة وقلبي خفوقاً. إذا رقدت احدقت بي الأشباح واكتنفتني خيالات الظلام. رأيت في سقف بيتي سيوفاً وخناجر مصوبة الى صدري وافاعي تنساب في زواياها فماذا أفعل لأستريح.

صالح : ويسوءني يا مولاي أن ألقي على مسامعك كلمات تزيدك ارتباكاً وتتركنا عرضة للأفكار والهواجس.

حلزة : وما هي تلك البشائر التي عودتمونا إياها أيها الوزراء؟

عارف : خل المزاح يا حلزة فنحن في مقام جد واذا اخفينا عن اميرنا أمراً نخطىء الى واجباتنا.

حلزة : (سراً) يذبح العصفور ويأكله ويتألم ان رآه بيد طفل يهينه.

فاتك : قل أيها الوزير الصالح ما هي تلك الأخبار واعلم ان مولاك لا يخشى،

وإذا كان آخر العمر موتاً فسواءٌ طويله والقصير

صالح : قد فهمت الليلة أن الأمير الناصر قام من الموت.

حلزة : يا للحماقة والجهل!

فاتك : ومن أين عرفت ذلك؟

صالح : قد رأيته بأم عيني وحدقت اليه النظر حتى كأنه كلمني قائلاً : قل عني لعمي الفاتك الذي يتنعم في الإمارة ويظنني في عداد الأموات انني سأريه كيف تدور عليه الدوائر.

عارف : هذا خبر غريب!.

حلزة : أأنت على ثقة مما تقول؟.

صالح : نعم الا إذا كانت الناس تتشابه منظراً ونطقاً.

فاتك : وماذا قال غير ذلك؟

صالح : لم يقل شيئاً. الا أنه سألني كتمان الخبر.

فاتك : وهل تستطيع مقابلته؟

صالح : لا أدري.

فاتك : ما رأيك يا عارف؟

عارف : لا رأي لي.

فاتك : وأنت يا حلزة؟

حلزة : يصح الخبر ان قام ميت من القبر وقد شهدت دفنه بأم عيني.

فاتك : انه لحديث بعيد عن التصديق ولو صح وجوده أيختفي امره على قومه الهائجين ليثأروا له؟

الثوار : (من الخارج) فليسقط الظالمون.

عارف : ما هذا الصياح والضجيج؟

صالح : هم الثوار يحدثون تظاهرة على قبر الأمير!

حلزة : أنت تقول انه حي يرزق وكيف هؤلاء هائجون ثائرون؟

صالح : انهم يجهلون ذلك.

حلزة : وأنت تعرفه وحدك؟

الثوار : (من الخارج) الدما! الدما!

فاتك : ان صياحهم يزداد أليس هناك من الجنود ما يكفي لردهم على اعقابهم؟

عارف : لا أدري يا مولاي.

فاتك : اذهب يا حلزة وقل للقائد بدر أن يزحف عليهم بجنوده ويمزقهم.

حلزة : امرك مولاي. «يخرج».

فاتك : ما رأيكما أيها الوزيران. ماذا نصنع؟

عارف : لا تقاومهم بغير القوة وبالسيف أدِّبهم وان لم تفعل ظل صفاء عيشك مكدراً ونظام الأمن مختلاً.

فاشحذ حسامك للنزال ممزقاً ... في غربه الثوار والاعداء

واطعن برمحك صدر كل منافق ... في قلب شعبك ولد الشحناء

فالسيف للثوار خير مطببٍ ... في حده وضع الجدود دواء

صالح :

وأنا الذي عرف الأمير محبتي ... لمقامه الأسنى فحزت مقاما

تفديه نفسي والحياة عزيزة ... وامزق الاعداء والظلاما

الثوار : (من الخارج) فليسقط الأمير. الدما. الدما.

فاتك : يظهر أنهم شديدو البأس. وقد فهمت أنهم يريدون انقاذ ابن أخي الحارس من السجن ليجعلوه أميراً عليهم بعد خلعي. فيا أيها الوزيران اذهبا الآن عاجلاً وحصنا السجن واضربا حوله نطاقاً من الجنود الأشداء. والويل لهم ثم الويل إذا أفلت السجين. لقد سكرت من الدم فلأ تجرعن الكأس حتى الثمالة. سنلحقه بأخيه ونطفىء بدمه نيران الثورة المتقدة. سيروا مع القائد في مقدمة الجنود وقاتلوا الثوار حتى تبيدوهم عن آخرهم. لقد أرسلت طرفة للمداولة مع حليفي الأمير

خالد أسأله إذا كان يمدني بالرجال. وسيعود عن قريب وأخبركم بما يكون. سيروا الآن.

الوزيران: (يخرجان).

المشهد السابع

الفاتك وحده

فاتك : ويلك أيها العرش القائم على أساس من دم. وويلي منك أيها الضمير فقد خنقتك يَد الآثام والفظائع. أراجع تاريخ حياتي فأراه مخضّباً بالدم وبين سطوره تروح وتجيء أشباح صرعى سيفي وقتلى رمحي. فويلك أيها الفاتك ستقضي حياتك عرضة لأعاصير الثورات الهائجة ولا يبعد أن تهدم على رأسي أنا الظالم قصري هذا الذي اثقلت بحمل حجارته ظهور الفقراء وجبلت طينه بعرق جبين المساكين. لقد ذهب الجيش كله فهل يمزق شمل الثائرين؟
(من الخارج) فليعش الأمير. فليحيَ القاتك.

فاتك : ها هم يضجّون بالدعاء. آه أيها الجنود الأمناء أنّى الحياة لرجل قتل بغياً وعدواناً ألوفاً من النفوس وأفنى رعيته بحد السيف. كيف يهنأ راعٍ مسخ ذئباً فافترس خرافه. ولكن فلنتجلّد ونخفي تحت ستار الابتسام احزاننا القاتلة:

قتلت الناس عدواناً وغدرا   وعشت على حضيض الظلم دهرا
بنيت على رقاب الشعب قطرا   ونفسي من دم الاعداء سكرى
وبالتبكيت عذبني ضميري

لقد خضعت لسلطاني العشائر   ودان لي الأكابر والأصاغر

وجوري فقت فيه كل جائر   فويلي يوم تنهتك السرائر

ويظهر للعيان أخو الفجور

وسوف آتيه في بيد المعاصي   وأفني بالمهند كل عاص

وليس لمن عصاني من خلاص   من الموت الزؤام ولا مناص

ومن ينجو من الليث المصور؟!

أجل انني في موقف يقود به الخوف الى الموت وعار عليّ أن أسمع صوت تبكيت الضمير. اسمع وقع أقدام. من هذا؟

المشهد الثامن

الفاتك ـ طرفة

طرفة : عم مساءً مولاي الأمير.

الفاتك : مرحباً بك يا طرفة. وما فعلت؟

طرفة : لقد تكلل سعينا بالنجاح. قابلت الأمير خالداً فأنزلني على الرحب والسعة ووعدني أنه يعضدك بكل قواه وهاك كتابه.

فاتك : اقرأه على مسمعيّ.

طرفة : (يقرأ) الى السيد المهاب اخينا الأمير الفاتك.

انتهى الينا رقيمكم وبعد الاطلاع عليه قررنا أن نؤيد عرشكم بكل ما لنا من قوة ونفوذ وسلطان فليهدأ روعكم والسلام.

«خالد»

فاتك : حياك الله يا طرفة يا رسول الخير والفلاح. اعلمت ما أبدت لنا الأيام في غيبتك؟ لقد شاع ان الأمير الناصر لا يزال حياً يرزق.

طرفة : (يرتبك).

فاتك : وانت قلت لي انك قتلته ودفنته فكيف يتفق قولك مع هذه الإشاعة.

أنا واثق بك ولكن هذه الاشاعة قد أوجدت في نفسي بعض الريب فماذا تجيب؟.

طرفة : (على حدة) سوف ينفضح سرنا. (إلى الفاتك) لقد قتلناه ودفناه فكيف يقوم من القبر. تلك اشاعة كاذبة يا مولاي اختلقها بعض المقربين اليك لاقلاق راحتك وسخطك عليّ.

فاتك : أنا لم أصدق تلك الإشاعة ولقد عولت على قتل الحارس السجين والحاقه بأخيه الناصر وموعدنا بذلك غداً.

طرفة : (على حدة) فلننج الحارس من مخالب هذا النمر (إلى الأمير) وان غداً لناظره قريب. أنت أدرى يا مولاي «ومن ذا يعارض سيداً في عبده؟».

فاتك : أجل وسأتخفى أيضاً واطلع بنفسي على أسرار أولئك الخوارج وأرى بعيني بطلهم المجهول. أما أنت فاذهب وخذ لنفسك قسطاً من الراحة بعد مشاق السفر.

طرفة : (على حدة) وسأنقذ الحارس من براثنك ان شاء الله. (إلى الأمير) وفق الله سعيك يا مولاي (يخرج).

المشهد التاسع

الفاتك وحده

فاتك :

إذا ما نبا رمحي وخان مهندي ادس على وجه البسيط دسائسا
وانقض أركان الجبال بلفظةٍ واخرج من قلب الجحيم أبالسا

المشهد العاشر

الفاتك ـــ الأعمى

الأعمى : (وهو داخل يضرب بعصاه الى الوراء) ابعدوا أيها الأولاد. اليكم عني (يمشي خطوات قليلة ويقف باسطاً يده قائلاً) : يا من يرحم ! ارحم ترحم.

فاتك : (يتقدم نحوه قائلاً) ما تريد أيها الأعمى؟ (يتفرس به جيداً ويقول مرتجفاً على حدة) هذا أخي.

الأعمى : تسألني ما أريد؟ أتعطيني كل ما أريد؟

فاتك : نعم قل ما تريد.

الأعمى : أريد أولاً خبزاً لأنني جائع ولم يحسن إليّ اليوم أحد.

فاتك : دونك ديناراً فاشتر به خبزاً وقل ما تريد.

الأعمى : (يجسه بأصابعه) نعم دينار.

فاتك : قل ما تريد أيضاً.

الأعمى : أريد ثياباً.

فاتك : دونك ديناراً آخر فاشتر به ثياباً.

الأعمى : (يأخذ الدينار) ما هذا العطاء؟!

فاتك : قل ما تريد أيضاً.

الأعمى : (يهز رأسه) ماذا أريد؟ (بصوت أجش) النور النور. أريد أن أبصر.

فاتك : (يرتجف صارخاً) رباه!

الأعمى : أريد الانتقام من قايين[1].

فاتك : (يصرخ) ويلاه. (يسدل الستار)

---

(١) اشارة الى القضية الدينية التي تدور حول قتل قايين أخاه هابيل. والأعمى هنا يتوعّد أخاه فاتك الذي سمل له عينيه.

الفصل الثاني

في السجن

المشهد الأول

حارس (وحده)

حارس : (جالس على افريز وفي يده رغيف خبز يأكله. يتوقف عن الأكل فجأة ويمرُّ يده على جبينه ثم يرمي اللقمة متمتماً ثم يقول) : ما أردأ هذا الخبز (ينهض ويخطو ثلاث خطوات في الغرفة ويصيح قائلاً) : ما هذا الظلم؟ أأبقى بين هذه الجدران السوداء إلى الأبد؟
(يعود الى الأكل كعادته ثم ينطرح على الأرض وينام في زاوية السجن).

المشهد الثاني

السجان — حارس

السجان : (وهو داخل) مسكين هذا السجين لا همّ له إلّا الأكل والنوم. (يبحث عنه فلا يجده فيصرخ) لقد هرب. ويلاه لقد هرب (يلتفت الى إحدى الزوايا فيسمع زمجرته المخيفة فيرتد الى الوراء مذعوراً

قائلاً) : لقد أصبح جنونه مطبقاً. ان منظره لمخيف. (يخرج ويغلق الباب الحديدي قائلاً : نم واسترح أيها الأمير.

حارس : (يهجم على الباب محاولاً كسره).

السجان : ما أصعب هذه الوظيفة (الى حارس) عبثاً تتعب يا أميري فكم تحطم على هذه الجدران من ساعد شديد!

حارس : (يقرفص قرب باب السجن قائلاً) : رحمة أيها السجان اشفق عليّ.

السجان : ماذا تريد يا مولاي؟

حارس : ارحمني. اطلق سراحي

السجان : ألمثلي يقال هذا الكلام؟ لا رحمة ولا شفقة. ومن سجن في هذا المكان لن يخرج الى الأبد.

حارس : اذاً أموت هنا.

السجان : وقد مات قبلك كثيرون. أنظر ألا تقرأ على هذه الجدران السوداء ما كتب بالدم : هنا مدفن الأحياء وجهنم الأرض.

حارس : وأنتم شياطينها.

السجان : وعمك اركوننا[٢] الأعظم.

حارس : عمي؟؟

السجان : نعم عمك. ألم تسمع ما قاله الشاعر:

أقارب كالعقارب في أذاهم فلا تركن الى عم وخال

فكم عمٍّ أتاك الغم منه وكم خال من الخيرات خال؟

حارس : وماذا فعلت حتى أودعني السجن؟

السجان : هذا ما أجهله.

---

(٢) لفظة دخيلة عن اليونانية — أرخون — ومعناها مقدّم. رئيس، حاكم. وهي هنا بمعنى القائد.

حارس : انك لا تجهل شيئاً يا مولاي ولكنك تكتم عني ما تعلمه. يا جواد هذا خاتمي اقدمه لك تذكاراً ولم أعد أملك سواه فاقبله مني وقل لي من سجنني هنا وماذا فعلت حتى سجنت؟

السجان : خل لك خاتمك وما حاجة السجان الى خاتم الأمير؟ أتحاول اغرائي فوظيفتي خير لي وابقى من خاتمك.

حارس : انه قاس لا يلين.. أليس لك أبناء.

الجان : نعم.

حارس : ولم لا تشفق على ابناء الناس.

السجان : ان شفقتي على بني تتولد من قسوتي هنا. ولولا ذلك لما أنقدني الأمير. اجرتي لقاء هذه المهمة القاسية بل كان طردني من خدمته ومت وأولادي جوعاً. فاعذرني يا مولاي ولا تطل الحديث معي فليس المقام مقام ملاطفة ومجاملة.

(يؤخر كرسيه الى الوراء حتى لا يعود يراه الحارس وبعد شروع الحارس بالغناء يستولي عليه النعاس).

المشهد الثاني

الحارس: جوق غناء من الخارج

الحارس :

ويح قوم على الثرى طرحوني	وبهذا المكان قد غيبوني
حجبوني عن البريّة ظلماً	فقضيت الصبا بهذي السجون
وجد السجن للمسيء عقاباً	فبماذا أسأت كي يسجنوني
اكشفي لي يا ربة الغيب سري	فحديثي إخاله ذا شجون

من تراه يخاف بأس صغير فيواريه في مكان حصين
ليس هذا بالسجن بل هو قبر دونه القبر في عذاب وهون.

السجان : (يغط في نومه).

حارس : (يسمع غناء من الخارج فينصت).

الغناء :

ويلي من الزمان مفرق الاخوان
قد هيجت أحزاني حوادث الجوى
أصبحت في اضطراب والدمع في انسكاب
يا هل أرى احبابي من بعد ذا النوى
أحبتي ارحموني ما عشتم اذكروني
فالبعد كالسجون يشقي أخا الهوى.

حارس :

قد تذكرت ماضي العيش آهاً يا رفاق الصبا ترى تذكروني
كم سرحنا بين المروج صغاراً منشدين الاشعار بالتلحين.

صوت عود : (من الخارج)

حارس :

ايه يا ناقراً على العود مهلاً لا تعذب فؤاد مضنى حزين
غنّ لحن الوداع فالعيش ولى فأنا الحي ميتاً فاندبوني.

السجان : (يستفيق) ماذا يقول؟ انه ينطق بلغة غير لغتنا المعهودة. يا حارس! يا حارس! أتريد أن تأكل؟

حارس : لا يا سيدي. فأنا في غنى عن طعامك. عن خبزك الأسود. (ينام).

المشهد الثالث

السجان — بدر

بدر : (يدخل)

السجان : (يحييه) ماذا تأمر؟

بدر : جئت استطلعك اخبار السجين.

السجان : انه ينطق بلغات عديدة. فتارة يخطب وطوراً ينشد الأشعار. وما لذة العيش إلّا للمجانين.

بدر : لقد صدر الأمر بقتله فبعد هنيهة تستريح منه. ألم تشعر بحركة حول سجنه؟

السجان : أبداً. ولماذا هذا السؤال؟

بدر : ان الخوارج يحاولون انقاذه فكن يقظاً. سوف نقتله ونخنق بقية آمالهم في مهد صدورهم. عما قليل يأتي القسيس ليمهد له طريق الأبدية. (يخرج).

المشهد الرابع

السجان (وحده)

السجان : مع السلامة. مسكين هذا الشاب لا ذنب له إلّا أنه سيطالب بعرش أبيه. ويح العروش فكم سحقت تحت مواطئها من رؤوس. وقبحت التيجان أيظل يقتتل عليها بنو الإنسان؟. (يشير الى حارس) انه راقد بين أجفان الردى يحلم بالحياة. لا يدري ما يكتمه الغيب من الأسرار الهائلة (يسمع وقع اقدام) من القادم؟ هذا هو القسيس.

المشهد الخامس

القسيس — السجان

القسيس : (يدخل)

السجان : أهلاً وسهلاً بالمحترم. أتريد مقابلة الحارس لتهيئه للسير على طريق الحياة الأبدية.

القسيس : (هو طرفة كاتب سر الأمير) نعم يا بني.

السجان : إذاً فلنوقظه (يفتح باب السجن ويدخل ثم يحرك الحارس صارخاً) يا حارس! يا حارس! يا حارس...

حارس : (يستيقظ مذعوراً فيهلع السجان) أتحرمني لذة النوم يا صاحب. لقد بددت احلامي الذهبية.

السجان : وبماذا كنت تحلم.

حارس : بالنجاة. بالخلاص.

السجان : أجل بالنجاة من هذه الحياة التاعسة يا أبتِ.

حارس : وما تعني.

السجان : لقد استأذنني كاهن ليقابلك ويحدثك بل ليعزيك.

حارس : ومتى يأتي.

السجان : الآن. والحق يقال انهم نظروا اليك بعين الرحمة والرأفة لأن أغلب المسجونين هنا يموتون ولا صلة لهم بالله.

حارس : الله. لقد بحثت عنه عبثاً في سريرتي.

السجان : (يخرج قائلاً الى القسيس) : أدخل يا أبتي.

المشهد السادس

القسيس — حارس

حارس : قسيس؟ ومن هو هذا القسيس الجليل؟

القسيس : (يدخل).

حارس : (يسرع اليه ويصافحه قائلاً) : فلتباركك السماء لأنك طلبت مقابلة سجين بائس نسيه البشر. إن زيارة المسجونين لفرض مقدس لم يعد يقوم به أحدٌ من زملائك يا محترم.

الكاهن : لا تشكرني بل اشكر الرب.

حارس : الرب؟ دعه وشأنه. دعه حيث هو ولا تكلمني عنه. دعوته فلم يجبني ولم يهتم بي لأهتم به فإذا كنت رجلاً وفي صدرك قلب يخفق رحمة اجبني.

القسيس : تكلم.

حارس : لقد قضيت السنين وأنا أصيح وأصرخ في هذا القبر. انطح هذه الجدران برأسي. هشمت يدي بحديد الباب. استصرخ العدل والرحمة وما من مجيب وكل دقيقة تمرّ بي هي عندي موت جديد.

القسيس : يظهر أنك تألمت كثيراً.

حارس : (يجثو أمامه) يظهر أنك رثيت لحالتي. حباك الله يا بسيدي. فما اسمك يا قسيس يا قديس؟

السجان : (من الخارج) لله در هذا القسيس فقد سكّن بركان غضبه المائج فلنتركهما يتحدثان عن الموت والأبدية (يخرج).

حارس : سألتك فلم تجبني. ما اسمك يا أبي؟

القسيس : اسمي خادم الله.

حارس : أنا هنا يا أبت أبكي وحدي وما من يعزيني. طرحوني في هذا الجحيم

ولا يسمعون لي دعوى ولا يرقون لبلواي اما الآن فأخال غرفتي شعلة من نور.

القسيس : أفي الثياب السود نور يضيء. تشجع يا ولدي العزيز. أمنتبه أنت؟

حارس : قل ما تشاء.

القسيس : اتعرف من أنت؟

حارس : نعم أنا ابن الأمير المنتصر.

القسيس : اذا أنت تذكر جيداً. اسمع الآن ما أقوله لك. غداً تكون حراً طليقاً.

حارس : أأخرج من هنا؟

القسيس : اخفض صوتك لئلا تفضحنا. اسمع ولا تتكلم. خذ هذا المفتاح.

حارس : (يأخذه).

القسيس : اخفه في جيبك. ومتى خرجت أنا تظاهر بالجنون المطبق وارم السجان بصحاف الطعام فيقفل عليك الباب. ومتى أقفله توجه الى ذلك الحائط الحديدي ففيه ثقب ضع فيه المفتاح ينفتح لك الباب حتى إذا وصلت الى دهليز طويل فسر به ولا تخف فمتى بلغت آخره سر قليلاً تجد ثلاثة في انتظارك وهم يسيرون بك حيث يضعونك في مأمن من أعدائك. أفهمت؟

حارس : نعم سيدي. ولكن أريد أن أعرف منقذي.

القسيس : أنا الذي انقذت أخاك الناصر جئت لأنقذك. أنا لست من الطغمة الإكليريكية فهذا الثوب مستعار. أنا طرفة كاتب سر عمك القاتك أفهمت؟

حارس : نعم مولاي. أأخي حيٌّ يا أبي. أأخي حيٌّ؟

القسيس : نعم فكن رجلاً. واذكرني في سرائك كما ذكرتك في ضرائك (يخرج من السجن).

السجان : أتممت الواجب؟

القسيس : كما يجب ويقتضي فاستودعك الله.

السجان : صلِّ لأجله (يدخل على حارس).

المشهد السابع

السجان — حارس

السجان : انه خائف مذعور. ما أرهب الموت (يخاطب حارس) كيف وجدت المحترم. انه رقيق الجانب. أليس كذلك؟

حارس : قبح الله وجهك ووجهه (يرميه بالصحن على صدره ويهجم عليه فيخرج مذعوراً) قبحكم الله أيها الطغاة انكم لا تشفقون ولا ترحمون (يهم أن يرميه بصحفة أخرى).

السجان : يقفل الباب بسرعة ثم يقول: اقض يا شقي الدقائق المعدودة من حياتك في ظلمة دامسة.

حارس : (يصدم الباب ويرفس الأرض ويصرخ قائلاً) سوف ابيدكم عن آخركم فانتظروا اليوم العصيب.

السجان : (يخاطبه من الخارج) ستكون بعد هنيهة من سكان الأبدية فقل ما شئت. سب واشتم يا شقي. لقد انذرك القسيس بالموت ففقدت الهدى.

حارس : (يخرج من باب سجنه الداخلي).

السجان : نم مستريحاً وانتظر الموت فهو منك على قاب[1] قوسين أو أدنى (يتفرس جيداً) من هذا القادم؟ قسيس؟ لماذا رجع القسيس؟

---

(١) القاب: المقدار. وقاب قوس: مقدار قوس. ولكل قوس قابان وهما مسافتان متساويتان بين مقبض

القسيس : (يدخل).

المشهد الثامن

السجان — القسيس

السجان : هذا قسيس آخر. أيرسلون له ألف قسيس؟ فقسيس واحد أفقده الصواب فكيف لو زاره الثاني. لا يا حضرة القسيس لا أسمح لك بزيارته. وإن شاءوا تكرار زيارات القسوس فليأتوا للمحافظة عليه والحلول محلي.

القسيس : افتح الباب يا جواد لنسمع اعتراف الرجل فالقائد آت بجنوده ورائي لاخراجه وتنفيذ الحكم.

السجان : القائد آت.

القسيس : نعم.

السجان : (يفتح الباب حذراً) يا حارس قد جاءك قسيس آخر فليهدأ روعك. ادخل يا محترم. (الى الجمهور) ان كان من ضربة فهو أحرى بها مني فقد أكلت قسطي من ضرباته.

القسيس : (يدخل السجن ويقول بعد التفتيش) لا أرى أحداً فأين هو؟

السجان : فتش في الزوايا يا محترم.

القسيس : (من الداخل) لقد فتشت ولم أجد أحداً.

السجان : ما هذا؟ يا حارس يا حارس اين أنت؟

القسيس : لقد فر.

السجان : ويلاه!.

القوس وطرفيه. وقولهم قاب قوسين مقلوب عن «قابا قوس». والمقصود بالقول الدلالة على قرب المسافة.

المشهد التاسع

بدر — جنود

السجان : (الى بدر) خيانة. خيانة.

بدر : ما هذا الصراخ؟

السجان : لقد فرَّ... خيانة... قسيس... أتى...

بدر : جنودي تفرقوا. فتشوا. فرّ السجين. اسرعوا (يشرعون بالخروج).

(يرخى الستار)

الفصل الثالث

المشهد الأول

في المقبرة

(الأعمى جالس على درجة القبر وعصاه بين فخذيه).

الأعمى :

بموت ناصرها قد ماتت الأمم — والعدل باد وخار العزم والهمم
وانهدر ركن المعالي اذ هوى بطلٌ — قد كان جيش المنايا منه ينهزم
قد كان ما بيننا في بأسه علماً — وحين غادر دنيانا هوى العلم
حبيب قلبي دهاك الظلم فانفصمت — عرى حياتك يا ويح الألى ظلموا
ابني حبيبي شهيد الظلم يا ولدي — ارداك عمك ما أشقى الألى حكموا
نعمت بالعرش أياماً فجرعني — دهري كؤوساً تناست عندها النقم

ويحك أيها العرش فلولاك كنت عائشاً بين ولدي ناعم البال مستريحاً. فالناصر يرقد الآن في هذا اللحد رقوداً أبدياً والحارس يتخبط في ظلمات السجون. وأنا تائه شريد أعمى البصيرة والبصر. أخي اقترف كل هذه الجرائم ولا عجب فكل يوم تلد الأرض قايين جديداً.

المشهد الثاني

الظافر — الأعمى

الظافر : (يدخل) من هو هذا النائح؟ هذا أبي. انحبسي أيتها العواطف البنوية. ارقدي ايتها الشواعر فالتجلد يدعونا. (إلى الأعمى) انهض يا شيخ. انهض. ما بالك تنوح وتبكي على هذا الضريح؟

الأعمى : ضريح ولدي أزوره كل يوم فأبلله بدموعي.

الظافر : وما تجدي الدموع؟ خلّ الدموع فانني أراك شحيح البصر.

الأعمى : هيهات يا صاح.

الظافر : أأنت أعمى؟؟

الأعمى : نعم. وليت العمى من الله لكنت أقبله بطيبة خاطر.

الظافر : وممن إذاً؟ من هذا الوحش الضاري الذي أعماك؟؟

الأعمى : أخي أخي.

الظافر : اخوك؟

الأعمى : نعم وليته اكتفى بذلك بل قتل ولدي الناصر ودفنه في هذا الضريح وسجن ولدي الحارس ولا أدري اذا كان الحقه بأخيه.

الظافر : لا تجزع يا شيخ فالله مع الصابرين. هات يدك لأعاونك على مبارحة هذا المكان فهنا ملتقى الخوارج.

الأعمى : وما عساهم يفعلون في هذه المقبرة؟

الظافر : يتآمرون على الفاتك ليأخذوا بثأرك وثأر ولديك.

الأعمى : وما يفيدني الثأر؟ اينبعث الناصر من القبر؟

الظافر : ومن يعلم انك لا تحدثه كما تحدثني الآن.

الأعمى : هيهات. دعوا الثأر يا بني فتلك عادة همجية لا تزال ترافق الانسانية من

المهد الى اللحد. احذروا أن تهرقوا دماً بشرياً. ان استطعتم اطلاق صغيري السجين شكرت لكم صنيعكم والا مت باكياً على هذا وذاك.

الظافر : عجل اسرع فإنني اسمع وقع اقدام.

الأعمى : يخرج.

المشهد الثالث

الظافر وحده

الظافر : ما أحرج هذا الموقف. والد ينوح على ابن يخاله ميتاً وهو حيٌ يسمع صراخه ولا يستطيع اطفاء لوعته بكلمة. لقد ابطأوا. (يصفر) أين هم الآن؟ أوقع ما لم يكن بالحسبان؟ (يصفر ثانية، ويراقب الفاتك من بين جدران الملعب).

يا أيها الباغي تنبه واستفق   ليل المظالم عهده قد طالا
فلسوف تلقى في المعارك ضيغماً   يستصغر الفرسان والأبطالا
وإذا اختفت بين البرية نسبتي   فغداً يحقق فعلي الأقوالا

(يتقدم نحو الجهة التي يكون فيها الفاتك فيرتد الى الوراء ويختفي. يصفر الظافر فيدخل من الجهة الثانية ثلاثة مدججين بالسلاح).

المشهد الرابع

الظافر — جهاد — كلثوم — صخر

الظافر : لقد أطلتم غيابكم. أتجهلون أن الموقف حرج والأعداء واقفون لنا

بالمرصاد ؟ فالحذر الحذر لئلا تذهب مساعينا أدراج الرياح ونعود بصفقة المغبون.

صخر : صدقت ايها البطل وماذا تريد أن نصنع.

الظافر : لقد رزحتم تحت أثقال المظالم والاستبداد ، فالشريعة مكتوبة عَلى حد سيف اميركم والموت والحياة بين شفتيه وتسألونني ماذا نصنع ؟

الجميع : فليسقط الأمير.

جهاد : أنت قائدنا للأخذ بثأر اميرنا ، نحن نجهل من أنت ولكن ما يتدفق من صدرك من الحمية وما نقرأه علَى جبينك العالي من آيات النبل والشهامة يقول لنا اتبعوه فهو حرٌّ أبيٌّ.

نحن قوم عشنا بذل طويلاً وخضعنا لحاكم ظلام
فانتشلنا وانقذ من الرق شعباً أيها السيد الرفيع المقام

كلثوم : لقد فتك الفاتك بأميرنا الناصر في مثل هذا اليوم وسمل عيني أبيه الذي يطوف احياء المدينة كأحقر البائسين. وها قد مضت عشر سنوات بعد موته ونحن في واد من الظلم تائهون ، إذا شكونا مظالمه قالوا هؤلاء ثائرون فلنلحقهم بأميرهم. حالة يا سيدي البطل لا يرضى بها إلّا الاذلان عير الحي والوتد[1] ».

---

(١) عجز بيتٍ شاع فصار كالمثل السائر يضرب في مواقف الذلّ والمهانة والعير: الحمار ، وخشبة في مقدمة الهودج أو الوتد ، والعير: الطبل ، وهنا بمعنى الحمار يؤكد ذلك القول كاملاً. والوتد: قطعة من خشب تدق في الأرض تربط اليها الخيمة. وهو يضرب ولا يستشعر مهانة كالعير — الحمار — أو الطبل. والقول يرد في بيتين كثر الذين استشهدوا به ورووهما وقد أوردهما الخطيب القزويني في «الانصباع» على هذه الصورة:

ولا يقيم على ضيمٍ يراد به إلّا الاذلان، عيرُ الحي ، والوتدُ
هذا على الخسف مربوط برُمته وذا يُشَجُّ فلا يرثي له أحَدُ

ويوردهما المعلم بطرس البستاني في «محيط المحيط» على هذه الصورة:

الظافر : ولماذا تقعدون على الضيم وكلكم همام باسل.

جهاد : إن رجال الأمير أكثر عدداً وليس بالسهل اسقاط رأس حوله حصن منيع من السيوف الصقال والرماح الطوال.

الظافر : اذاً ماذا نصنع وعددنا لا يتجاوز بضعة أنفار؟

كلثوم : يجب أن لا نقنط فالله معنا على الباغي فلنقتحم جيوش الأمير ونداقع عن حقوقنا دفاع المستميت.

الظافر : حياك الله من بطل مغوار.

صخر : كلنا ذلك البطل يا مولاي. انما لنا سؤال ان اجبتنا عليه رأيتنا ليوث حرب نفديك بالأرواح.

الظافر : قل ما شئت.

صخر : قل لنا من أنت.

جهاد : دع هذا السؤال يا صخر. فقد سألناه مراراً ولم يجب. وما يهمنا ذلك فالرجل بهمته وأدبه لا بحسبه ونسبه.

الظافر : دونكم الجواب وهو فصل الخطاب.

أنا ابن السيف واليلب اليماني	وجدّي كل رمح هندواني
ولي نسبٌ يفوق العرب طراً	يقرّ بمجده قاصٍ وداني
أتيت بثأر مولاكم طلوباً	لأحمي جمعكم شر الهوان
فما لي منزل آوي اليه	ورمحي والمهند يؤنساني
وثوبي ما طلبت الثأر درعي	وحصني قد غدا متن الحصان
فذا حسبي وذا نسبي ومجدي	وعندي شاهد يوم الرهان

«ولا يقيم على ذلٍّ ألمَّ به» والا شطر الباقية لا تغيير فيها. والخسف: الظلم والقهر، وسامه الخسف أذله وكلّفه المشقة.

والرُّمّة: قطعة من حبل بالٍ.

كلثوم : أجدت أيها البطل. وكفى بهذا نسباً تتبعك الى الموت. أنت عميدنا منذ الآن. سلوا سيوفكم أيها الشجعان واحلفوا له يمين الاخلاص.

الجميع : (يسلون السيوف).

الظافر : لا تحلفوا أيها الأبطال فالصادق لا يحلف. اسمعوا فأحدّثكم بأمر خطير لا يخطر لكم ببال.

جهاد : مهلاً فإني أسمع وقع أقدام.

المشهد الخامس

بدر — حسان — المذكورون

بدر : (يدخل) لقد أمرني مولاي أن أفرقكم وآمركم أن لا تحدثوا أدنى تظاهرة على قبر الأمير.

جهاد : أيقتله بغياً وعدواناً ويمنعنا من البكاء عليه؟ لقد تجاوز في مظالمه الحد فنحن رعية الناصر ولا نعترف بسواه أميراً علينا ولو كان تحت الثرى.

بدر : ان عصيانكم يجرّ عليكم البلايا فاتقوا الليث إذا هاج.

كلثوم : أتهددنا بهيبة مولاك؟ فاما الثأر واما الموت.

بدر : لقد تجاوزت الحد فاخرج والا أخرسك هذا المهند.

صخر : نحن لا نخاف حسامك.

بدر : ما هذه الجسارة؟!

الظافر : مهلاً أيها القائد اجئت لتبلغنا أمر مولاك أم لتنفذه أيضاً؟!

بدر : أتيت لافرقكم اما بالكلام وإما بالحسام.

الظافر : نحن ابطال لا يفرقنا الكلام.

بدر : إذاً يفرقكم هذا الحسام.

الظافر : لا تقذف نفسك في الهاوية.

بدرٌ : انكم لمغرورون أيها الناس.

كلثوم : يا لك من مغرور اذهب والا قطعناك شطرين بحد هذا [illegible]

حسان : (يهجم) فليذق مرارة عاقبة المطاولة على القائد الأكبر.

بدر : (يمنعه) مهلاً يا حسان. تفرقوا أيها الناس ولا تحوجوني [illegible] [illegible]كم.

صخر : ونحن نقول لك اسلم بنفسك.

بدر : ما هذه الوقاحة؟ أنا يا قوم رهين واجباتي. فهي تقضي عليّ [illegible] يتكم على أن حبي لكم حملني على معاملتكم بالرقة واللطف.

الظافر : ونحن أيها البطل يقول لنا الثأر اثبتوا ومزقوا الظالمين شرّ ممزق و [illegible] حب الابطال للأبطال لاذقناك الردى.

تـكـلـفـنـا أيا بـدر المحالا	فتأبى أن نجيب لك [illegible]
إذا ما كنت تجهلنا فسل عن	وقـائـعنا المعامع والـ[illegible]لا
فكم خاضت عوالينا حروباً	وسل عن كفنا الأسل [illegible]
وسل عنا الجماجم ساقطات	على الحصباء تصدقك المقالا
فمنـا كـل مـغـوار هصـور	يخيف الموت [illegible]
إذا قـطـع العداة له يميناً	يمدّ الى قـ[illegible] الشمالا
فخـبّر مـا تشا عنا أميراً	يـقـود الى [illegible] الشكالا

بدر :

دعوا هذا الفخار فليس يجدي	وخـلـوا عنكم هذا [illegible]
أنا البطل الذي اقتحم المنايا	ولم يخش المعامع [illegible]
وكم قد كنت للهيجاء بدراً	إذا غيري يـعـدُّ لها [illegible]
أبت نفسي الجبان ولم يشقها	سوى من ساد في الدنيا [illegible]
ومـا كـلـفـتها قـط الـدنايا	وان كـلـفـتها أبت امـتثـالا

الظافر :

نسبت لك الفخار ولست تدري　　حِماه ولا عرفت له مجالا
فأين الفخر منك وانت عبدٌ　　لمن فقد المكارم والخلالا

بدر : هذب كلامك.

الظافر : تأدب يا نذل.

بدر : جنودي! دونكم هؤلاء الانذال. «يهجم بسيفه على الظافر فيأخذ الظافر بذراعه ويهجم الجنود الباقون على رجال الظافر فيقتل واحد منهم ويأسرون الآخر. همام وصخر وجهادٍ يكبلون القائد بدر ويخرج همام الجندي المقتول الى الخارج».

المشهد السادس

المذكورون

الظافر :

نصحتك يا فتى فنبذت نصحي　　أبعد اليوم تحتقر اليقينا
لسوف نذيق مولاك المنايا　　وانا نغنم النصر المبينا
فلست بأول الأسرى لدينا　　فكم قدنا الفوارس صاغرينا
«فلو ارسلت رمحي مع جبانٍ　　تخر له الجبابر ساجدينا»(١)

---

(١) هذا البيت على صورته هنا مركّب من شطرين، كل منهما لشاعر. الشطر الأول لعنترة بن شدّاد العبسي (٥٢٥ــ ٦١٥م). وهو صدر بيته:

ولو أرسلت رمحي مع جبان　　لكان بهيبتي يلقى السباعا

والثاني لعمرو بن مكتوم التغلبي المتوفي نحو ٥٨٤م. من معلقته الشهيرة وهو عجز بيته:

اذا بلغ الفطام لنا صبي　　تخر له الجبابر ساجدينا.

وقد شاهدت اذ جربت عزمي ألم تنظر به الداء الدفينا
فحدث في الجحيم اليوم عني لترتعد الأبالس خائفينا

كلثوم :

سل المهند عنا ان جهلت فني حد المهند تلقى اصدق الخبر
أنّا اسود الوغى تردي صوارمنا الاعدا ولو عصمتهم جبهة القمر

صخر :

هلا سألت الخيل في المضمار عن كل أمرد فارس مغوار
ظن الأمير بأننا نخشى الوغى جزعاً ونرهب صولة البتار
فأتيت مبتغياً تفرق شملنا يا بدر لست تفوز بالأوطار
ان الخناجر قد غدت معقودة فالموت اما اخذنا بالثار
ولقد شهدت الأسد في ثوراتها فحذار من فتك الأسود حذار

جهاد :

ان مشت فرساننا ارتجت لها راسيات الأرض والكون ارتعد
نحن من قد وطئت اقدامنا قمة الجوزاء والبدر شهد (٢)
نحن من طنّب فوق المشتري وعلى العيوق قد دق الوتد (٣)

بدر :

لا تظنوا أن رأسي ينحني لكم ذلاً أرى الذل حرام

(٢) الجوزاء : برج من الأبراج في قبة الفلك.

(٣) طنّب : بنى البيت وشدّه بأطنابه والأطناب الحبال ، وهنا بمعنى قطن وأقام.
المشتري : كوكب من الكواكب السيّارة.
العيّوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها. والمعنى في هذا القول : المفاخرة بعلو الهمة إذ أشار إلى أنهم يبنون منازلهم على سطح المشتري ويدقون أوتاد خيامهم على سطح العيّوق.

قـد أسرتم اسداً يا طالما أرجف الكون ويخشاه الأنام

الظافر : ومن يفاخر رجلاً تجسم الموت أمام عينيه وقطع حبل الأمل من هذه الحياة؟

كلثوم : فلنعجل بقتله قبل أن يستبطيء الأمير عوده فيأتي بجيشه لانقاذه من بين أيدينا.

الظافر : لقد أصبت.

صخر : فلنمته اشنع ميتة لنلقي الرعب في قلوب رجال الأمير وبذلك تنكسر شوكة اقدامهم وحدتهم.

بدر : رأي جليل.

الظافر : فما رأيك يا كلثوم؟

كلثوم : لنجعلن صدره المملوء خيانة للوطن والحرية هدفاً لسهامنا فيرشقه كل منا بما يشاء من السهام ليصح به قول الشاعر:

«فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال»[1]

الظافر : لي غير رأي كلثوم وهو ان نلوي هاتين الشجرتين ونشد اليهما ساقيه ونتركهما تعودان الى ما كانتا عليه فيصبح شطرين ويعتبر بمرآه كل من حدثته نفسه بمقاتلة أبطال الحرية.

صخر : رأي جميل.

بدر : (يتبرم) ولا أجمل من هذا الرأي.

الظافر : وما رأيك يا جهاد؟

جهاد : اشنقوه بحمائل سيفه واتركوه جنب قبر الأمير عبرة لمن اعتبر.

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدته التي قالها يرثي أخت سيف الدولة والتي مطلعها:

نـعـد المشرفـيـة والـعـوالي وتـقـتـلـنـا المنون بلا قـتـال

بدر : وما رأيك أنت يا رئيس العصابة؟

الظافر (إلى كلثوم) حلّوا وثاقه.

كلثوم : (يحل قيوده فيقف).

الظافر : (يتقدم منه ويضغطه قائلاً: «لا تحرك ساكناً يا بدر واسمع بهدوء ما ألقيه عليك. أنت لست برجل سيف ولا سفاك ولا جاسوس ما أنت الا نذل سافل).

بدر : أنت النذل.

كلثوم : (يهجم عليه) ويحك.

الظافر : (إلى كلثوم) الى الوراء أبعد. اخرجوا جميعاً من هنا.

الجميع : (يخرجون).

المشهد السابع

الظافر — بدر

الظافر : (إلى بدر) لو لم تكن نذلاً لما كنت دفعت الى طعان مبلغاً كبيراً من المال لقاء قتلي. لو كنت بطلاً لكنت جئتني بنفسك وقاتلتني. ان البطل يطعن في الصدور لا في الظهور ولهذا قلت لك انك نذل. أنسيت ذلك؟ ألم تدفع له كيس الذهب ولم يقبله منك لأنه لم يشأ تدنيس سيفه بدم الأحرار. أنت نذل وإذا لم تكن نذلاً فهذا الخنجر (يرميه اليه) فامسكه وتقدّم إليَّ.

بدر : (يمسك الخنجر ثم يرميه).

الظافر : أنا أعرف فيك هذا الجبن.

بدر : انك تكذب.

الظافر : لقد جبنت لأنك خفت أن يمد أحد رجالي يده اليك.

بدر : يا للشيطان ! .

الظافر : والخلاصة يا بدر أُريد أن أختم مقالي لك بقولي : انك نذل بل تجسمت النذالة بك ولهذا أعاملك معاملة الانذال الأدنياء أي أن أبقي على حياتك ولا أجرد في وجهك حساماً . أخرج فقد عفوت عنك .

بدر : سنرى .

الظافر : انك لا تفعل شيئاً لأنك نذل . اخرج . أخرج . انج . (الى كلثوم) ادخلوا .

بدر : (يرتجف) .

كلثوم : (يدخل ورفاقه) .

الظافر : دعوا هذا الانسان ينطلق بسلام . لا تمسوه ولا تنظروا اليه شزراً فهو جبان نذل . دعوه يخرج من هنا حياً فقد عفوت عنه .

بدر : (يخرج مخجولاً) .

الظافر : (إلى رجاله) لا تعجبوا فبهذا تقضي المروءة وكذا يعفو ذو المقدرة ءان ساعته لم تأت بعد .

المشهد الثامن

الظافر — رسول

رسول : «يدخل» مولاي ! هذه رسالة بعثني بها اليك طرفة .

الظافر : (يقرأها ويقول لرجاله) أيها الاخوان ان ساعة النصر قد دنت سوف تأخذون بثأر أميركم الناصر وتقوضون عرش الفاتك والله أعلم بما يحل به . إن لنا بين رجاله عضداً قوياً وهو الذي ساعدنا ومهد لنا الطريق حتى انقذنا الحارس من ظلمات السجون .

الجميع : الحارس ؟!

الظافر : نعم الحارس نجا من السجن وهو قادم الآن وسينشر اميركم الناصر من قبره في ذلك اليوم العصيب.

كلثوم : ما هذا الوهم؟

الظافر : حقيقة لا وهم. فالناصر لا يزال حياً لقد أكدوا لي ذلك وسنرى ما يكون.

المشهد التاسع

طرفة — الحارس — المذكورون

طرفة : (يدخل مقنعاً ومعه الحارس) هذا أميركم أيها الشجعان فاذكروني يوم فوزكم وظفركم. (يخرج).

الظافر : هذا هو الطائر الصغير الذي أفلت من قفصه. هذا هو الحارس.

الجميع : فليحيَ الحارس.

الظافر : لا يليق بنا أن ننشغل في هذا المقام بابداء العواطف فإلى الحرب إلى الحرب. حرب الحياة والحرية.

الجميع : (ينشدون).

هيوا ابطال الوطنيهْ	فالموت سبيل الحريهْ
سلوا الأسياف الهنديهْ	فعليها قد كتب النصر
أحفاد القوم الشجعانِ	موتوا بسبيل الأوطان
يا ابنا «مردة» لبنان	لجدودكم الذكر العطرُ

لا تخشوا أهوال الحرب   سودوا بالطعن مع الضرب
فأنتم أحفاد العرب   من دان لبأسهم الدهر
سيروا لننال استقلالا   ونحطم هذي الأغلالا
إن نفشل، متنا أبطالا   فالفاتك شيمته الغدر

(يرخي الستار)

الفصل الرابع
في قصر الأمير

المشهد الأول

طرفة (وحده)

ملأت الأرض بأساً وافتخارا	وصرت بكل مكر لا أجارى
وفي حل المصاعب لي دهاء	يفلُّ المشرفية[1] والشفارا
يروم الفاتك الظلام قتلي	ونار الحقد تستعر استعارا
يروم بأن يصيرني دفيناً	ليصلي شعبه المسكين نارا
أنا أدري سرائره واني	لسوف أزيح عن ذاك الستارا
وأظهر بغيه في كل فجٍ[2]	فيلقى في الورى خزياً وعارا
لقد أنقذت من ظلموه حتى	رأيت العدل ينتصر انتصارا
الا يا أيها الباغي انتقاماً	فصبراً لا تملَّ الانتظارا
لسوف تذوق كأس الموت مني	وعينك لا ترى أبداً نهارا

(١) المشرفية : السيوف، وهي نسبة الى «مشارف الشام» وهي قرى اشتهرت بصناعة السيوف المتينة الماضية.

(٢) الفج : الطريق بين جبلين، وهو أوسع من الشِعْب. والجمع فِجاج.

بحد مهندي وسنان رمحي ادمّرُ عرشك العالي دمارا
وان تك جاهلاً قدري وبأسي فسل عني المجاهل والقفارا

لقد أنقذت الناصر من الموت لأحارب به هذا الأمير الذي مات ضميره وخنقت جرائمه وجدانه. يكيد لي ليقتلني لأنه لم يعد واثقاً بي بعدما علم أن الناصر لا يزال حياً. يسعى ليميتني لتموت مخاوفه ويدفن معي في الضريح جرائمه الهائلة. لقد أنقذت الحارس من السجن بدهائي وها هو اليوم حرٌّ طليق منضمٌّ الى الثائرين أجل أيها الفاتك سينتصر عليك طرفة كاتب سرك ويذيقك علقم الظلم. أنت تنتظر أن الأمير خالداً يشد ازرك اذا تمرد عليك شعبك ولم يخطر ببالك قط أن طرفة لم يقابل أميراً ولم يحدث بشأنك وزيراً بل زوَّر لك هذا الكتاب لتطمئن ويسكن ثائر خوفك. أمرتني بتنظيم جيش يقاوم الخوارج وها قد نظمته وهيأته للانضمام الى صفوفهم عند مسيس الحاجة. ظننت طرفة ضعيفاً فنصبت له الفخاخ فدونك فخاخاً تسقط فيها لا محالة.

المشهد الثاني

طرفة ــ جابر

جابر : (يدخل بعجلة) تحية وسلاماً.

طرفة : ما بالك؟

جابر : جئت لأطلعك على دسيسة هائلة.

طرفة : وما هي تلك الدسيسة؟

جابر : لقد تأكد الأمير أن الناصر لا يزال حياً وأننا انقذناه.

طرفة : وغير ذلك؟

جابر : أنت تدري انه سيميتنا شرّ ميتة. فكن عَلى حذر.

طرفة : لا تخف يا جابر فهو يعجز عن أن يلحق بنا أدنى أذى. لقد دنت ساعة الانتقام من ذلك العاتي.

جابر : قربها الله.

طرفة : ولكنك قبل تلك الساعة ستجرد من ثوب الجندية ويقضي عليك بالموت.

جابر : بالموت؟ ويلاه!.

طرفة : لا تخف فسأنقذك من براثن الموت كما أنقذت سواك فالوداع الآن.

جابر : كلمة يا طرفة.

طرفة : قل ما تريد.

جابر : ولماذا يقضون عليّ بالموت؟

طرفة : لتأكدهم انقاذك للناصر.

جابر : اذاً اهرب.

طرفة : وإلى أين؟ كن شجاعاً فالهرب عار على الشجاع (يخرج).

المشهد الثالث

طرفة (وحده)

أقل عثراتي جابر العثرات ونجّ من الباغي الظلوم حياتي
عليك اتكالي يا قدير فقوّني وردّ أيا قيوم كيد عداتي[3]

(٣) القيّوم: من اسماء الله الحسنى، ومعناه الذي لا ندّ له ولا مثيل.

المشهد الرابع

جابر — الفاتك ومعيته

الفاتك : (يدخل ومعه معيته) ما تفعل هنا يا جابر اتدبر مكيدة ثانية لمولاك؟ الحق بفرقتك.

جابر : أأنا أكيد لمولاي (يركع) عفواً سيدي فحياتي وقف عليك.

فاتك : لسانك يتكلم وقلبك مملوء خبثاً وشراً. اخرج يا ناكر الجميل وانتظر الساعة التي يسحقك بها العدل يا خائن العرش والوطن.

صالح : انه أمين يا مولاي.

فاتك : لا أيها الوزير فأنت لم تعرف شيئاً من أسراره. اخرج أيها اللئيم مخافة أن أدنس سيفي بدمك.

جابر : (يخرج).

فاتك : لقد سئمت نفسي متاعب السلطة وكرهت نفسي الحياة المملوءة عذاباً وحذراً. فاعدائي يتهددونني والخطر محدق بعرشي وفي هذا الموقف لم أجد لي مساعداً ونصيراً. ماذا علمتم عن البطل المجهول، عن قيامة الناصر من بين الأموات، عن السجين الفار؟ آه من الخونة.

عارف : لم نفهم شيئاً جديداً غير أنه مجهول حتى من أقوامه الذين يحارب معهم ويدفعهم الى الثورة والهياج.

فاتك : ألم يكف شعبنا حتى يأتي الغرباء ويساعدوهم علينا. لو أتاني أحد برأس هذا الرجل لأعطيته نصف ملكي.

صالح : ليس ذلك بالسهل فحوله عصابة من الرجال الأشداء. علينا يا مولاي أن نهتم بقضية الناصر فالشائع أنه حيٌّ ومع الثائرين يحارب.

حلزة : مولاي لا تثق بكل ما يقال فبمثل هذه الظروف يكثر القيل والقال.

فاتك : ان وجود البطل المجهول حقيقة واضحة. والناصر لم يمت. لقد نبشت قبره فلم أجد فيه رفاتاً.

حلزة : إذا صح وجود البطل المجهول فهو الأمير الناصر.

فاتك : لا يبعد أن يكون. الويل للخونة. ماذا نصنع؟

صالح : الرأي رأيك يا مولاي.

فاتك : لقد أكد لي بعض الجنود أن جابراً لم يقتل الناصر ولطرفة كاتب سري يد في المسألة.

عارف : لا أظنه يقدم على هذه الخيانة.

فاتك : بلى فصداقته القديمة للناصر حملته عليها. وقد فهمت أن جماعة الناصر تتأهب لثورة هائلة.

صالح : فلنهتم بما نقاومهم به.

فاتك : بماذا أقاوم وليس لدي رجل أثق به غير القائد بدر. فجابر رجل خائن وطرفة أشد خيانة منه.

عارف : لا تقنط يا مولاي فحولك شعب طويل عريض فجند منه من تشاء.

المشهد الخامس

المذكورون — بدر

بدر : (يدخل ويحيي الأمير).

فاتك : وماذا عرفت عن الثائرين؟

بدر : لا شيء جديد.

فاتك : هات الجند الى هذا المكان والموسيقى أيضاً وجيء بجابر وجرّده من ثوبه العسكري على مرأى من الشعب فقد حكمت بموته.

بدر : أمرك سيدي (يخرج).

المشهد السادس

المذكورون — طرفة

عارف : لقد أصبت مولاي.

فاتك : نعم وهذا أقل عقاب يناله جابر الخائن.

طرفة : (يسترق الحديث من بين جدران الملعب).

فاتك : وما رأيكم بطرفة الخائن الأعظم. أريد أن أمحو آثاره من الوجود ولكن ذلك يهيج الشعب عليّ ويحملهم على النفور مني.

حلزة : يستطيع مولاي قتله دون أن يعلم الشعب بذلك.

طرفة : (يهز رأسه).

صالح : وكيف ذلك؟

حلزة : نغري أحد الجنود فيقتله ثم تحكمون بقتل الجندي القاتل.

صالح : ان هذا الظلم فظيع.

فاتك : دعونا من هذا فالساعة لم تأت بعد. ما رأيكم اتزداد نار الثورة اضطراماً؟

حلزة : ما زالت الحال على هذا المنوال فنار الثورة لا تخمد.

فاتك : آه. ثورة.. قلاقل.. بلابل.. ما أشقى الفاتك.

المشهد السابع

المذكورون — بدر والجنود وجابر

بدر : (تعزف الموسيقى ويدخل الجند بخطى عسكرية ثم يقف بدر في الوسط ويدعو جابراً قائلاً): تعالَ الى هنا يا خائناً مولاه بعد أن حلف.

جابر : (يقف في الوسط) مولاي الأمير! اسمح لي أن ادافع عن نفسي ثم اقتلني.

فاتك : صه يا لئيم! قبح الله وجهك.

جابر : أنا بريء يا مولاي.

بدر : (يقترب منه) باسم مولانا وأميرنا الفاتك انزع منك سيفك وشارات الجندية. (إلى جنديين) قيداه بالسلاسل. واهتفوا جميعكم فليسقط الخائن فليحي الأمير.

الجميع : فليسقط الخائن. فليحيَ الأمير.

فاتك : سيروا بهذا الخائن ليشنق غداً.

الجنود : (تعزف الموسيقى ويخرج الجنود بخطى عسكرية ثم يهتفون) فليحيَ الأمير.

حلزة : الأعمال بالكمال يا سيدي.

فاتك : وما تعني أيها النديم؟

حلزة : يجب أن تفتك بكاتب سرك طرفة منبع الويل والبلاء.

فاتك : سامطرن ذلك العقوق صواعق غضبي فالموت أقل عقاب يستحقهُ أما الآن فاخرجا أيها الوزيران وجهزا من القوات ما يدفع عنا طوارق الحدثان. وأنت أيها النديم اخرج معهما وعد اليّ بالعوّاد ليغني لي قليلاً قبل الرقاد لعل في نغماته ما يقتل شجوني واحزاني (يخرج الجميع).

المشهد الثامن

الفاتك (وحده)

ما أصعب سياسة الناس فمنذ تقلدي الحكم وأنا طريد الهموم والهواجس. أخاف من خيالي ولا أثق بأحد من رجالي أمرت اليوم بقتل

جابر وسألحق به طرفة كاتب سري . اني أرى قتل هذا الخائن يريح ضميري فهو وحده عالم بكل أسراري وفي يده أوراق هامة إذا ابرزها للأمير الأعظم أوردني كأس الحتوف.

المشهد التاسع

الفاتك — حلزة — العواد

حلزة : (يدخل) أي نغم تريد يا مولاي.

فاتك : يا غزالي كيف عني ابعدوك.

يا فؤادي آه ما هذا العذاب أفأقضي كل عيشي في اضطراب
وأنا ملقى على فرش العقاب أكذا في أرضنا تحيا الملوك
مضني السهد وجافاني الرقاد وقضيت العمر في أشقى جهاد
خانني جسمي وعاداني العباد قبح الدهر فقد أشقى الملوك

حلزة : (يطل) لقد رقد. فلنذهب.

المشهد العاشر

(الفاتك — الأشباح)

فاتك : (في الحلم) اليكم عني.. أنا أفعل ما تريدون.. خذوا العرش حياتي. ابقوا على حياتي.. ابعد عني.

أشباح : (يظهر له ثلاثة أشباح).

فاتك : (يشير الى جهة الاشباح) لا تقتلوني.. خذوا التاج والملك.. الى الوزراء تبددوا أيها الناس.. اين سيفي (يمد يده) اين خنجري (ينهض

ويمسكه فيقع من يده ويسقط على الأرض فيستفيق من نومه مذعوراً قائلاً) : ما هذا الحلم الرهيب؟ ما هذه الأشباح لقد راعني منظرها حتى في الحلم.

المشهد الحادي عشر

الفاتك — الأعمى

الأعمى : (يدخل مارا في الملعب).

فاتك : ويلاه. هذا هو... إن نمت تخيفني الأشباح وان استفقت راعتني الحقائق فمتى ينتهي عذاب الضمير؟

الأعمى : الانتقام... الانتقام.. اين أنت يا رب؟..

فاتك : انه يربعني.. انه يخيفني... رباه.

الأعمى : نامت عيونك والمظلوم منتبه...

الثوار : (من الخارج).

أسود البطش والحرب دنا يوم الوغى هبي

الأعمى : (يرتجف ويخرج مهرولاً).

فاتك : حلزة أين أنت؟

المشهد الثاني عشر

الفاتك — حلزة — الثائرون

حلزة : (يدخل) هنا يا مولاي.

الثائرون : (من الخارج) :

لقد كدنا أعادينا وافتهم مواضينا

وما خابت مساعينا بيوم الطعن والضرب

الفاتك : (صامت يكلم حلزة بالإشارة).

الثائرون : بثأر أميرنا الناصر سيأخذ ليثنا الظافر

بهذا يشهد الباتر مع الخطّية القضب[1]

فاتك : ما هذه الأناشيد أهم جنودنا يا ترى؟

الوزيران : (يدخلان ومعهما الحاجبان) حيا الله الأمير.

فاتك : أهلاً بالمخلصين الأمناء.

عارف : ما بال مولانا مضطرب البال؟

فاتك : الخوف ملء الفؤاد يا عارف.

صالح : وممن تخاف؟

فاتك : ممن أخاف. أخاف من نصير المظلومين من عدو البغاة. ماذا عرفتم عن الثورة؟

عارف : لقد اتقدت نيرانها وانضم الشعب الى الثوار فوجهت الجيش والقواد اليهم.

فاتك : أنا خائف من الفشل فقد رأيت حلماً مزعجاً.

صالح : أأنت تصدق الأحلام؟

فاتك : ما هي الاّ صوت النفس التي تشعر بما سيحف بها من الحوادث.

المشهد الثالث عشر

المذكورون — جندي — حسان

جندي : (يدخل قائلاً) مولاي أمّني!

(١) الخطّية: الرماح، وهي نسبة الى الخَط بلدة تجلب إليها الرماح وتقوّم بها. القضب: السيوف القاطعة. والمفرد قاضب وتجمع على فواعل: قواضب.

فاتك : تكلم.

جندي : أطال الله بقاء مولاي. لقد قتل القائد بدر في عراك مع الثائرين. ولم ينج منا إلّا طويل العمر.

فاتك : والهف نفسي عليك يا بدر. ان عرشي مائل الى السقوط. اخرجوا جميعاً وجندوا من أصدقائي الأمناء جيشاً يفني هؤلاء الخوارج. وأنت أيها الجندي اذهب الى طرفة وادعه عاجلاً.

الجميع : (يخرجون).

الفاتك : حسان. ابق هنا.

لهف نفسي نجم سعدي قد افل وسيغدو قصر آبائي طلل

خانني دهري ترى ماذا العمل ان قلبي بلظى الخوف اشتعل

وفؤادي في اضطراب وخبَل

أيها الناس ارحموني فأنا تاعسٌ ليل شقائي قد دنا

خانني البُشر وعاداني الهنا جعل اليوم قصوري موطنا

وبلاني الدهر في أشقى العلل

ان كفي سفكت أذكى الدما واستباحت في الورى ما حُرّما

وحسامي قد غدا يشكو الظما ان اثامي اشتكى منها الحمى

وانحنى من ثقلها راسي القُلَل[1]

ان كأس الظلم يردي من ظلم ليتني لم أظلم الشعب ولم

ساعديني يا سما زلّ القدم وندمنا حين لا يجدي الندم

أنا غرقان ولا أخشى البلل

---

(١) الرامي: اسم الفاعل من رسا، الثابت الراسخ.
القُلَل: الجبال، المفرد قلّة.

(ينتفض) لسنا في مقام يفيدنا به الندم... حسان!

حسان : نعم.

فاتك : سر في هذه الطريق فلا بد أن يكون طرفة قد صار عَلَى مقربة من القصر ومتى التقيت به بشّ له وحدثه بلطف. ثم خذه على غرّة واطعنه بهذا الخنجر المسموم (يدفعه اليه) طعنة نجلاء.

حسان : (يتناول الخنجر بهيئة مريعة ويخرج).

فاتك : ان قتل طرفة ينقذ عرشي فهو يدير الثائرين وينفخ نار الثورة ويوهمنا انه معنا.

المشهد الرابع عشر

فاتك ـ طرفة

طرفة : (يدخل) السلام يا مولاي.

فاتك : (على حدة) لقد نجا الخائن (الى طرفة) ألم تلتق بحسان في الطريق؟

طرفة : لا لم ارَ أحداً.

فاتك : ألم تر الحاجب الذي أرسلته يدعوك؟

طرفة : لا لم أرَ أحداً ألم تفهم؟

فاتك : اذاً ماذا تريد؟

طرفة : أريد مناقشتك الحساب ومطالبتك بمواعيدك الكاذبة.

فاتك : ما هذه اللهجة؟ أكذا تخاطب مولاك؟

طرفة : لقد مضى الزمن الذي كنت به مولاي. اما الآن فأنا مولى نفسي وقد أتيت أسألك الوفاء بوعدك.

فاتك : أي وعدٍ؟

طرفة : ألم تعدني بعشرة الاف دينار؟

فاتك : ومن أين لك هذا المبلغ في ذمتي؟

طرفة : ثمن لساني ولقاء اخفاء الأوراق التي ارسلتها لما كنت في ديوان سليمان باشا وبها تقول لي دس له السم في الشراب فأكون أنا مقامه وتكون أنت مقامي.

فاتك : رحماك ربي.

طرفة : لا تدع الإله فهو ناقم عليك أيها المسخ الجهنمي.

فاتك : تذكر يا طرفة أني ولي نعمتك.

طرفة : اذكر ذلك. بيد أن الباشا يجعلني مكانك متى اطلعته على خيانتك.

فاتك : قل ما تريد ثمن تلك الأوراق؟

طرفة : لا أسلمك اياها ولو اعطيتني ملكك!

فاتك : (يركع) اسمع رجاء مولاك.

طرفة : لم تدع للرحمة مجالاً.

فاتك : قل ما تشاء يا طرفة. واعف عني الآن.

طرفة : اعفو ولكن...

فاتك : قل. قل. فأنا راض بكل ما يرضيك.

طرفة : اذن امض هذه الأوراق.

فاتك : وما فيها؟

طرفة : تدفع لي عشرين ألف دينار. وتجعلني والياً مؤبداً على الولايات الغربية والشمالية. وتعفو عن جابر.

فاتك : والياً مؤبداً. عشرين ألف دينار. اعفو عن جابر. وما أبقيت لي؟

طرفة : ما بقي يكفيك. امض هذه الصكوك.

فاتك : (على حدة) أين رجالي الآن. (الى طرفة) هاتها لأمضيها. (يمد يده لجيبه) ان خاتمي ليس معي فلندع الحاجب ليأتي به.

طرفة : كأنك تريد الإيقاع بي؟ امض عليها بيدك وكفى.

فاتك : وأين هي الأوراق التي تعيدها لي؟

طرفة : (يخرجها من جيبه) هذه هي.

فاتك : (يتناولها فجأة ويضعها في فمه).

طرفة : (يضع مسدسه عَلَى صدغ الفاتك صارخاً به) : امض يا خائن والا قتلتك.

فاتك : (يوقّع مرتجفاً ويأخذ طرفة الأوراق).

المشهد الخامس عشر

المذكورون — الظافر

الظافر : (يهجم على الفاتك شاهراً خنجره).

فاتك : (يرتمي على مقعده صارخاً) : ويلاه.

طرفة : (يعترض الظافر صارخاً) : ابعد فساعته لم تأت بعد.

(يرخى الستار)

الفصل الخامس
في قصر الأمير

المشهد الأول

الفاتك (وحده)

نجم سعدي هوى وحان سقوطي   وعليّ الزمان صال وجارا
آه من صولة الزمان فان الد   هـر خصم يـذلـل القـهـارا

لقد حفت بي مواكب النحس وقلبي يحدثني بأن هذا اليوم هو مغيب شمس مجدي. لم يعد لي أمل بالانتصار. أريد أن اجرع السم لأموت بيدي. (يأخذ زجاجة السم ويضعها على فمه ثم يرميها قائلاً) : عار على البطل أن يقطع حبل حياته بيده فلنجاهد فإما حياة وإما موتاً. ومن قضى حياته غالباً منصوراً؟

الوزراء : (يدخل الوزراء وجميع رجال الأمير).

المشهد الثاني

الفاتك — الوزراء — وجميع رجال الأمير

الفاتك : اجلسوا أيها الوزراء (يجلسون) يجب أن نتنبه لكل طارىء فالموقف حرج.

عارف : لا تخف يا سيدي فحولك ليوث حرب.

فاتك : الشعب الشعب. وويل للملك ثار شعبه عليه. فالشعب منتصر لا محالة. ولكن ذلك لا يدفعني الى القنوط.

صالح : ان بأسك مشهور. ولكن تولية طرفة على الولايات الغربية والشمالية لم تكن في محلها فقد ثار أهالي تلك الولايات بعد ما أراهم طرفة أمر توليته عليهم.

فاتك : أنا لا أجهل أنني أخطأت ولكن الحياة عزيزة.

عارف : الى الجمهور : ان في الأمر لسراً. (الى الفاتك) ان الرجل خائن يا مولاي.

فاتك : انا لا أجهل ذلك فإن قيض لنا النصر اذقناه طعم الخيانة.

حلزة : لقد صرت ضعيف الأمل بالفوز.

صالح : وكلنا كذلك. فالتسليم أولى.

فاتك : لا تقولوا ذلك على مسمع من الجنود.

حلزة : انهم شاعرون بذلك.

الثوار : (من الخارج) الدماء الدماء.

عارف : اسمع صياحهم يا مولاي.

فاتك : سمعت بأذني رنة السهم في قلبي. كونوا على حذر.

الثوار : الى الأمام. الى الأمام.

صالح : لقد دنت الساعة.

عارف : وقرب الموت.

فاتك : لا خوف عليكم فإنهم يكتفون بقتلي.

حلزة : كلنا فداء الأمير.

المشهد الثالث

المذكورون — رسول

رسول : يدخل لقد استولى الثوار على أهم الحصون وهم زاحفون عليكم يقودهم البطل المجهول فالهرب الهرب.

فاتك : ويحك يا رسول الشؤم ألمثلي يقال هذا الكلام؟

فالموت في ساحة الهيجاء مطّلبي وعندي الموت مثل اللهو واللعب

وفي المعارك ذللت العدى فغدا اليهم الموت عدو الذئب في الطلب

مهندي ساعة الهيجاء قد قربت فكن نصيري بها يا أقطع القضب

وأنتم هاجموا الاعدا بلا جزع فالخوف عار على أسيادنا النجب

حسان : ها هم قد اقتربوا (يسل سيفه) الى الوراء أيها اللئام.

المشهد الرابع

المذكورون — الظافر ورجاله

الظافر : (وهو داخل) ويلك (يضربه بسيفه فيخر صريعاً) جنودي ادخلوا (يهجم على الوزراء فيفرون ويبقى الأمير وحده جالساً على عرشه).

الظافر : لقد دنت ساعة الانتقام يا باغي.

فاتك : خذوا ما تريدون. فقط حياتي. أنا خاضع. أنا مسلّـم. أتخلى لكم عن عرشي وكل مالي.

الحارس : ستتخلى عنه رغم انفك يا ظالم.

جهاد : والتخلي لا يدفع مقدوراً.

الظافر : لقد تماديت في جورك وظلمك. هرقت الدما. وذللت شعباً طويلاً عريضاً ثم تطمع بالحياة؟

فاتك : قلت لكم خذوا ما تريدون فأنا خاضع.

الظافر : لم يعد ينفعك الخضوع فدم الأبرياء يصيح من أعماق القبور أقتلوه! اقتلوه!.

فاتك : فليكن ما تشاؤن فقط حياتي.

الحارس : هيهات أن يكون ذلك فاستعد للموت. غيبتني في السجن عشر سنوات وسأغيبك في ظلمة القبر الى الأبد.

فاتك : رحمة. رحمة.

الظافر : لقد بُعثت الأموات من القبور لتناقشك الحساب. أنا هو الناصر أنا هو أميركم أيها الشجعان (يخلع رداءه فيظهر ثوبه القديم).

الحارس : (يهجم ويعانقه صارخاً) اخي حبيبي.

فاتك : لقد صدق ظني فهو هو بعينه.

كلثوم : ما أعظمه رجلاً لقد حاربنا بقيادته ولم نعرفه.

الجميع : فليحيَ الناصر. فليحيَ الناصر.

(من الخارج ضوضاء ووقع أقدام. ينتبه الجميع فيدخل الأعمى يقوده طرفة).

المشهد الخامس

المذكورون — طرفة — الأعمى

طرفة : (إلى الأعمى وهو ماسك بذراعه) من هنا يا مولاي الأمير من هنا.

فاتك : والأعمى أيضاً.

الناصر : والحارس : (يهرعان اليه صارخين) ابي أبي.

الأعمى : ولدي (يتصافحون) استنيري ايتها العينان أضيئي أيتها الباصرة لأرى لحظة واحدة اعزّ الناس اليّ. ولكن العمى خير من البصر فأبقي مظلمة الى الأبد لئلا تري أخاً ظالماً بربرياً.

الناصر : كيف تريد أن نقتله؟

كلثوم : (يدخل كانوناً من النار وعليه قضبان حديد).

فاتك : هوذا الجلاد. الوداع أيها النور. الوداع ايتها الحياة.

الناصر : (يأخذ أباه الى قرب الفاتك ويقول له) : هوذا الرجل الذي سمل عينيك يا أبي.

الأعمى : الرجل الذي أعماني؟

الناصر : هذا هو الذي قبض عليّ وأمر بقتلي وسجن أخي.

الأعمى : الفاتك.

الناصر : الذي شدك الى هذا العرش كما هو مشدود الآن.

الأعمى : الفاتك.

الناصر : الذي قضى عليك أن تعيش في ظلمة أبدية.

الأعمى : الفاتك.

فاتك : يحني رأسه.

الناصر : ان ذلك الرجل في قبضة يدك فقل كيف تريد أن تقتله.

الأعمى : «واقف بين ولديه يضع يديه عليهما ويقول» : بعد أن لمست اعزّ شيء لدي وهو أنتما دعني يا ناصر امتع نفسي بلمس أقذر البشر.

الناصر : يقرّب والده ويجعل يده على رأس الفاتك؟

الأعمى : يا فاتك! أحقيقة أنك مشدود على العرش الذي اختلسته؟

فاتك : (بكبرياء وسكون) : نعم مشدود كما شددتك بالأمس.

الناصر : (بحنق) والدي أصدر حكمك.

الجميع : فلتفقأ عيناه.. فليقتل.

فاتك : انتظر ذلك بنفس مطمئنة.

الحارس : والدي تكلم.

الأعمى : (يشد بيده على رأس الفاتك ويقول بصوت مهيب) يا فاتك اني عفوت عنك. اذهب وعش ان استعطت الحياة رغماً عن تبكيت الضمير. قاين. قاين. ان هابيل يعفو يا رب فاقبل عفوه ان شئت. اني عفوت وهذا منتهى اربي العفو عند اقتدار شيمة العرب

فاتك : (يحني رأسه ويخونه جلده).

الناصر : اخرجوا النار من هنا فقد اخمدتها دمعة الحلم. فك قيوده يا جابر وأخرجه. أما أنت يا طرفة يا نصير الأحرار فلك وحدك يعقد علم الفوز في جهاد المظلومين.

فاتك : الخائن الخائن (وهو خارج).

طرفة : هذا مصير الظالمين يا فاتك.

الناصر : (الى أبيه) انك لعظيم بين العظماء. تعلمنا أن أشد أنواع الانتقام هو العفو عند الاقتدار وان تبكيت الضمير هو العذاب الأبدي.

الأعمى : لا أريد تخضيب مشيبي بالدم. فلتباركما السماء ان حكمتما بالعدل بين الرعية فالعدل أسس الملك.

(ينشد الجميع)

يا حبذا النصر المبين   فيه سرور العالمين
والنصر يدركه الأُلى   طلبوا العلى مستبسلين
نلنا الأماني والأمل   والظلم ولّى وارتحل
والفاتك اليوم انخذل   واندكّ حصن الظالمين
الشعب قد حاز الظفر   والظالم الباغي اندحر
ان الفلاح لمن صبر   فتصبروا يا قانطين

انتهت

(يرخى الستار)

تقريظ

أنشده جناب الشاعر المجيد الأستاذ سليم أفندي أبو شقرا في حفلة التمثيل

ألا تزالين في ظلمي وتنكيدي ... يكفي الذي ذقت من ذلي وتسهيدي

أكان ذا الظلم طبعاً فيك أجهله ... أم قد تعلمت من «أشباح عبُّود»

دُفنتَ يا زمن الارهاق واشتملت ... على رجالك أصلاب الجلاميد

كــان الأمير إلهاً والملا همَلاً ... شتان ما بين عُبادٍ ومعبود

يقضي بهم أمره تمليه فطرته ... فعيشهم بين تنغيص وتنكيد

لا يصلح الفرد للأحكام يبرمها ... والخير في الحكم مربوطاً بتقييد

ان كان يُردي امير الظلم اخوتَه ... فكيف ترجو بقاءً للأباعيد

لا يأمنُ الكهل سيف الموت منصلتاً ... وتيئس الأم من أحياء مولود

كم قابل خنقت أطفال والدة ... كيلا يخاف أمير شبح تهديد

وكم عيون كواها الجور فانسملت ... وعاش صاحبها في زي مفقود

لكن اذا سوّدَ «الفتّاكُ» صفحته ... ماذا نلاقيه عند (اللص) من جود

ما كان تهويل ذا العاتي ليردعه ... عن فكره لا ولا حر المواعيد

ذاك الاباءُ... وهذا فضل مبدعه ... حيوا البلاغة في آيات «عبود»

نفثت في الفنِّ روحاً ليس يعرفه ... فالفضل فضلك في ختم وتمهيد

* * *

أكرم (بجامعة) الآداب قاطبة ... دار العلوم ومهوى الفتية الصيد

ثمارها اينعت في كرم حارسها ... «شبل» المعالي فتى الاقدام ما نودي

تواودسيوس قيصر

مأساة تاريخية تمثيلية ذات ثلاثة فصول

بقلم

مارون بك عبود

١٩٢٥

مطابع قوزما : بيروت و دمشق

تيودوسيوس قيصر

مأساة تاريخية تمثيلية ذات ثلاثة فصول

بقلم

مارون بك عبود

١٩٢٥

اسماء الممثلين

توادوسيوس	قيصر
وزير أول	
وزير ثان	
المستشار	
الحاجب	
امبروسيوس	اسقف ميلان
حاكم سلانيك	
كاتب سره	
قائد	
مكدونيس	ناسك مشهور
حبيسان	
ضابط	
غراسيان	الوالد
ولداه	
جندي ورجل	

الفصل الأول
في القصر

المشهد الأول

(توادوسيوس[1] وحده)

ملكت الرقاب وسدت البشر   وذكري بين الأنام اشتهر
وفوق السماك[2] علت همتي   وخيّمتُ فوق النجوم الزهر
اذا سلّ في الغرب سيفي الصقيل   يروع في الشرق صلد الحجر

---

(١) توادوسيوس قيصر: ثيودوسيوس الكبير (٣٤٧ — ٣٩٥) آخر الأباطرة الرومان الذين حكموا الامبراطورية الرومانية الموحّدة قبل انقسامها الى امبراطوريتين شرقية وغربية. شهرته لم تكن نتيجة انتصاراته العسكرية وقد كانت كبيرة وعظيمة، إنما كانت نتيجة انتصاراته على الوثنية بعد معارك ضارية انتهت باقفال معابدهم والقضاء عليهم نهائياً ٣٩٤م. وباعلان المسيحية ديناً رسمياً للامبراطورية. وقد لاقى الدعم في سياسته، والتوجيه في عمله الديني والسياسي من امبروسيوس اسقف ميلانو الذي كان بمثابة أب روحي له. وعندما ثار عليه أهل تسالونيكي عاقبهم بالذبح فغضب عليه الأسقف وأوقع به عقاباً صارماً قبله الامبراطور تكفيراً عن ذنبه ذاك. ولكنه لم يستطع تسيير السياسة والدين بتوافق وتناغم الأمر الذي أدى الى انقسام الامبراطورية بعد وفاته في ميلانو ٣٩٥م. الى امبراطورية شرقية عاصمتها بيزنطية يحكمها ابنه اركاديوس وغربية عاصمتها روما يحكمها ابنه الثاني أونوريوس.

(٢) السماك: واحد السماكين، وهما كوكبان نيّران، احدهما السماك الرامح لأن امامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه. والثاني السماك الأعزل لأن ليس أمامه شيء.

وفوق الدنى خفقت رايتي ترفرف بين السهى والقمر
ودين ابن مريم عززته بملكي حتى ازدهى وانتشر
ومن عبد الجهل من امتي نهضت الى زجره فازدجر
فهدمت هيكل اوثانهم وحطمت اصنامها والصور
هياكل سربيس[1] مع كاتب هدمت فلم يبقَ منها أثر
وهيكل مرناس[2] قوضته بغزّة والدين فيها ازدهر
وفي الشام للرب قد حولت هياكل شتى. وفيها استقر[3]
وفي بعلبك لقد صيرت يدي هيكل الشمس لابن البشر[4]
وقد هدمت هيكل المشتري[5] بعيد عناء وعقبى ضجر
ودست المصاعب فاستسلمَتْ ولم اخشَ خصماً بيوم الحذر
فدرعي الصليب اذا اقبلت جموع العداة وفيه الظفر
انال به كل ما ارتجي وابلغ بالله اقصى الوطر
فيا نفسُ سيري ولا تجزعي على طرق الدين حتى المقر.

نعم سيظل هكذا توادوسيوس الى الأبد متمسكاً بعرى الدين المسيحي، رافعاً اعلام العدل برًّا برعيته، شفوقاً على شعبه، وبهذا يأمر ديننا الرعاة فالراعي الغيور من يبذل نفسه عن خرافه، ويقابل ذئاب الفساد بعصا من حديد.

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤): إشارة الى انتصارات ثيودوسيوس على الوثنية وتهدم هياكلها وتحويل معابدها عن العبادات الوثنية إلى عبادة إله واحد.

(٥) المشتري: معبود الرومان الوثنيين وهو جوبيتر أبو الآلهة وسيدها وربّ السماوات الرامي بالصواعق. والإشارة هنا الى تهديم معبده في بعلبك.

المشهد الثاني

(الملك ، الوزراء ، المستشار)

الوزراء : (يدخلون ويحيون باحناء الرؤوس).

توا : لقد استبطأت قدومكم ايها الوزراء، مع اني في انتظاركم.

وزير ١ : ان اشغال المملكة يا سيدي الملك، قضت علينا بالتأخر هنيهة عن الاجتماع بجلالتك.

توا : يسرني ان اراكم معشر الوزراء، منكبين على العمل مهتمين بشؤون الرعية. فالعمال الصادقون ركن المملكة ومصدر الخير، فكم من ملك دهوره[1] في دركات الهوان تهاون عماله فالدول بعمالها والأمم برجالها.

وزير ٢ : اذا كان الرأس حكيماً استخدم الاعضاء في الاعمال النافعة للأمة والوطن. ولما كنت ذلك الرأس فما نحن الا متممو مشيئتك.

توا : مهلاً ايها الوزير ان بين الملك وشعبه حاجزين حصينين هما التاج والعرش. فالعرش يطلب أساساً من الحكمة والعمل والتاج يطلب رأساً رصيناً ليستقر عليه ولا يسقط. فلهذا نرى الملوك عاجزين عن دخول الاكواخ، ومخالطة الفقراء ليعلموا ما ينزل بهم من المظالم وما قف بينهم وبين حقوقهم من الحواجز. فاستحلفكم بالله العلي العظيم الا تبهر انوار عظمة الوزارة ابصاركم فلا تكترثون للبؤساء، وتأنفون من مقابلة ذوي الاطمار الرثة ولا تهشون الا لذي الثياب المزركشة. فاعلموا وتحققوا أنه قد يوجد تحت تلك الاطمار البالية نفوس أبية وبين طيات تلك الحلل الحريرية نفوس نهمة لا تشبع، ومطامع جهنمية تلتهم اليابس والأخضر.

---

(١) دهوره: دهور الشيء جمعه وقذفه في مهواة.

المستشار : مولاي ! لقد وقفنا نفوسنا على خدمة الرعية بايصال ظلاماتها اليك وعلى خدمتك بكل ما يدور على الألسن من الثناء على اعمالك المنطبقة على روح الشريعة والدين.

توا. : لا يكفيني ذلك.

الجميع : مرْ تُطَعْ.

توا. : اسألكم بل آمركم باسم السلطة ولا سلطة الا من الله، ان تتنكروا من حين الى آخر وتجالسوا الشعب في المنتديات، وتسترسلوا في الحديث عن الملك فلعل بين ابناء رعيتنا من ظلمناه عن غير قصد فننصفه. ولا تكونوا مدلسين لملككم فانه يسألكم الصدق. ألا ان آفة الملك المدلّسون.

رجل : (من الخارج) أين الملك؟

وزير ١ : ليس بين رعيتك الا ألسنة ناطقة بحمدك وافواه تذيع آثار مجدك في الشرق والغرب.

رجل : (من الخارج) أُريد الملك.

توا. : من هذا الصائح؟

المشهد الثالث

(المذكورون ، الحاجب)

الحاجب : (يدخل).

توا. : قل ما وراءك...

الحاجب : رجل يا مولاي يطلب الدخول عليك فأبيت ذلك عليه فملأ الرواق صياحاً.

توا. : ولماذا لم تستأذن له؟

الحاجب : لأنك في اجتماع مع الوزراء.

توا. : ان اجتماعي بوزرائي لا يمنعني من مقابلة مظلوم من ابناء رعيتي فما نحن الا خدم الرعية. عد وقل له يدخل.

وزير ٢ : يا له درساً مفيداً للملوك الذين يترفعون عن مقابلة شعبهم.

توا. : هذا اصغر واجب ايها الوزير. يجب ان نحمل الشعب على حبنا لا على الخوف منا. فالسلطة القائمة على اساس الرهبة يجرفها تيار الظلم. اما محبة الشعب للملك فموطدة عرشه حيًّا ومستمطرة غيوث الرحمة عليه ميتاً ومن «أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ»[١].

المشهد الرابع

(المذكورون. رجل)

رجل : (يدخل ويركع ساجداً) سيدي الملك!!

توا. : انهض أيها الرجل انهض. ان السجود لله وحده.

الرجل : (انهض).

توا. : قل ما حاجتك؟

الرجل : مولاي! طلب مني احد الاغنياء قطعة أرض لي مجاورة لملكه فأبيت اعطاءه اياها فأخذها عنوة.

توا. : ألم ترفع دعواك الى المحكمة لتنصفك من خصمك؟

الرجل : غني هو وأنا فقير. رفعت شكواي فكان الحق في جانبه ادعى انه اشتراها مني ودفع لي ثمنها.

---

(١) قول انجيلي خاطب به المسيح بطرس الرسول عندما حاول استخدام القوة لانقاذ المسيح من قبضة اليهود. متى: ٢٦، ٥٢.

توا. : اجاء بالبينة؟؟
الرجل : بينته الدينار وثيابه المزركشة فلو كنت عَلَى غير ما تراني لكان الحق بجانبي. فارحمني ايها الملك ارحمني واشفق على صبيتي فمن تلك البقعة نعيش ونحصل على ضروريات الحياة.
توا. : لا تتوسل ولا تتذلل فصاحب الحق سلطان.
الرجل : ابقاك الله سيدي.
توا. : رافق ايها المستشار هذا الرجل الى المحكمة وخاطب القاضي بلسان داود الملك قائلاً له : اعدلوا يا قضاة الأرض. وان لم يعدل فليعتزل. فعار على توادوسيوس أن يكون الضعفاء في عهده فرائس الأقوياء والفقراء مأكلاً للأغنياء.
المستشار : فليكن ما أمرت.
توا. : بل فليكن العدل فما نحن الا له منفذون.
وزير ١ : ما أعظم هذا الملك!
وزير ٢ : بل ما اعدله!
الحاجب : مولاي! على الباب رسول يحمل اليك كتاباً.
توا. : هاته منه. وما ترى ولدت لنا الليالي من العجائب في مملكتنا المتراخية الاطراف الفسيحة الارجاء.
الحاجب : (يدخل ويناول الملك الرسالة).
توا. : (يفضها ويدفعها الى الوزير الأول) اقرأها على مسامعنا.
وزير ١ : (يقرأ) لأعتاب مولاي صاحب الجلالة توادوسيوس قيصر ملك الشرق والغرب.

اسأل الله تأييد سرير ملككم وانحني امام اعتاب سدتكم بالاجلال. وبعد: كان البارحة موعد سباق العجلات فأتى إليّ جماعة من الأهالي يطلبون الافراج عن دانتوس السائق الشهير المسجون في القلعة فأبيت ذلك فتألبوا أمام دار الحكومة وتجمهروا من كل صوب فقتلوا ثلاثة من

مأموري الحكومة ورجموا القلعة بالحجارة، فأصابني منها الحظ الأوفر. ولم يكفهم كل ذلك بل كسروا تماثالك وحطموا أبواب السجن وأخرجوا السائق مندفعين كالسيل الجارف حتى عجزت الجنود عن ردهم. ولما كنت عاجزاً عن التنكيل بهم رفعت عريضتي هذه لأعتاب مولاي القيصر الأكبر.

تيوا. : حاكم سلانيك والتتيان

قد ضاق صدري والحسام ينادي قد حان يوم الفتك بالأوغاد
يا أهل سالونيك لم اعهد بكم هذي الجسارة فهي شر عناد
اعــليّ قمتم ثــائــرين وانني ملك الورى والدهر من اجنادي
فلاضرمنّ الـيـوم نـار جـهـنـم بين الضـلـوع تشب والاكـبـاد
من ذا يـعـاندني بتنكيلي بهم والأرض أرضي والبلاد بلادي

يا أيها الوزراء!

الوزراء : مرنا

توا. : جندوا جـيـشـاً يـدك رواسي الاطـواد
فـدمـار سالونيك[1] امسى مطلبي كـي تـرتـوي بـدمـائهـا احقادي

وزير ١ :
أنت ابن من حكموا البلاد ببطشهم وورثـتـه عـن ابسـل الاجـداد

---

(١) سلانيك: مدينة في مكدونيا — اليونان — كان اسمها تسالونيكي وقد وجه القديس بولس الى أهلها رسالتين. قام سكانها بثورة على الامبراطور ثيودوسيوس الكبير، فأعمل السيوف في رقابهم إخماداً لثورتهم وانتقاماً منهم.

ولعرشك العالي انحنت سمر القنا[1] يا سيد الدنيا وخير عماد
نحن الألى نذروا الجسوم ضحية لك والنفوس لما أمرت صوادي[2]

وزير ٢ :

جحد الأنام مليكهم يا ويلهم يوم الردى
فلسوف يمحي ذكرهم متبدداً مثل الصدى
ان اللئيم اذا رأى عفو الكريم تمردا
مولاي صوتك ان علا فالمشرفي له صدى

وزير ١ :

غرهم حلم مليك عادل ونسوا ما قال من قبل المثل
(جانب السلطان واحذر بطشه لا تعاند من اذا قال فعل)

توا. : هذه ارادتي ايها الوزير (يريه الامر الذي كتبه) فاخرج بها الى وزير الحربية وقل له يزحف الى تلك المدينة المتمردة بجيش كالبحر الزاخر فيقوّض اركانها ويقتل سكانها، فقد أبت نفسي الحلم وكرهت العفو الذي جرّ الثورة والعصيان.

وزير ١ : (يخرج).

توا. : ان هذا التاج الذي يفتن بريق دراريه ابصار البشر لهو اثقل من الجبال على رؤوس الملوك. والجلوس على هذا العرش المصفح بالذهب لأمرُّ من الرقاد على فراش من قتاد[3] . إذا التجأنا الى الحلم لا نكبح جماح جهلة الشعب وإذا اعملنا السيف في الرقاب سلقتنا الناس بألسنة

---

(١) سمر القنا : الرماح.

(٢) صوادي : عِطاش والمفرد صادية : عطشى. ويقال لي نفس صادية الى اللقاء : أي عطشى إليه.

(٣) القتاد : الشوك.

حداد. فما أصعب سياسة الرعية (يقف) أنا ذاهب لاستريح قليلاً فإذا جد امر هام فلا تتأخر عن قرع بابي (يخرج).

المشهد الخامس

(الوزير ٢ ، المستشار)

المستشار : (يدخل).

وزير ٢ : اعلمت بما جرى.

المستشار : عرفت كل شيء فكن رجلاً فالفرصة سانحة.

وزير ٢ : ما اسرع غضب هذا الملك واقربه للرضا.

المستشار : ما همنا فليكن كما يريد.

وزير ٢ : ان غضبه اليوم لنارٌ آكلة وضربة قاضية على اعدائنا في سلانيك فلنغتنم هذه الفرصة فهي احبولة نصطاد بها من عجزنا عن التنكيل بهم منذ زمان.

مستشار : ومن تعني؟

وزير ٢ : عنيت غراسيان وعصابته الجهنمية التي لم تنفك عن تسويد صحيفتنا عند الملك ليفصلنا عن هذه المناصب السامية ويجعلهم في مناصبنا آمرين ناهين.

المستشار : يا له رأياً سديداً فما علينا إلّا أن نجتمع بالوزير ونبدي له هذا الرأي ولا أخاله الا موافقاً عليه فسر بنا اليه.

وزير ٢ : هيا بنا اليه (ينهضان ويخطوان قليلاً).

المشهد السادس

(المذكوران والوزير الأول)

وزير ١ : (يدخل).

وزير ٢ : لقد كنّا ذاهبين اليك.

وزير ١ : اين الملك؟

المستشار : وماذا تريد منه؟

وزير ١ : لأخبره ان الجنود على أهبة الزحف وقد أقبل القائد ليتزود التعليمات الخصوصية.

مستشار : أهو صديق مخلص لك؟

وزير ١ : ولماذا؟

وزير ٢ : لنزوده تعليمات خصوصية يخدم بها اصحابه قبل الملك.

وزير ١ : وما تلك التعليمات؟

وزير ٢ : ان ينكل بخصمنا غراسيان ويورده حتفه ولا يشفق على أحد من اسرته حتى على ولديه الصغيرين.

وزير ١ : يا للقساوة.

المستشار : تدارك الفخ قبل الوقوع فيه فغراسيان يسحقنا في الساعة التي ينوي علينا بها.

وزير ٢ : انظر فهذه تقاريره يلصق بها التهمات بنا ويسمينا اعداء الوطن والملك. ألم تسمع حديث الملك لنا قبل وصول خبر الثورة؟

وزير ١ : صدقتما ومن الحزم ان نصنع كما قلتما.

وزير ٢ : عد اليه وزوده هذه التعليمات وكفى.

وزير ١ : (يخرج).

وزير ٢ : افلحنا وسيكلل عملنا بالنجاح ان شاء الله.

المشهد السابع

(المذكوران ، امبروسيوس)

امبرو. : (يدخل ويحيي بغير الكلام؟

الاثنان : (بكل احترام) سلاماً ايها السيد الجليل امبروسيوس.

امبرو. : فلتبارككما السماء. اين الملك؟

المستشار : في غرفته.

امبرو. : قل له غير مأمور ان امبروسيوس يريد مقابلتك.

المستشار : (يخرج).

وزير ٢ : تفضل اجلس يا أبت ريثما يأتي الملك.

امبرو. : لقد أبت نفسي الجلوس وكرهت الراحة. فأية راحة لي والشعب مهدد بالخطر والرعية تساق الى الموت سوق النعاج الى المجزر.

وزير ٢ : لقد احتدم الملك غيظاً واضطرمت نار الغضب في فؤاده لما اتصلت به فعلة السالونيكيين الشنعاء فقد رجموا دار الحكومة بالحجارة وقتلوا الموظفين وحطموا تمثاله.

امبرو. : أتجهل أيها الوزير ان الذين اقترفوا تلك الفظائع ما هم ملائكة إن هم الا بشر مثلنا انقادوا بأزمة الهوس والجنون ممن تسلطت عليهم عوامل الجهل.

وزير٢ : فيجب ان تسكن الرهبة حركاتهم ليقفوا عند حد.

امبرو. : ليس الذنب ذنب الملك وحده في تلك المجزرة فأنتم تدانون أيضاً في اليوم الأخير. أنتم يا من تدعمون مناصبكم المتداعية بجماجم البشر، وجثث الناس فالويل لكم يا من تستحمون بدماء اخوانكم.

المشهد الثامن

(المذكورون، الملك)

مستشار : هوذا الملك مقبل.

امبرو. : واحرّ شوقي الى لقياه العاجل.

توا. : (يدخل).

امبرو. : سلاماً يا جلالة الملك.

توا. : (يجلس على عرشه) واذكى التحيات يا أبت تفضل اجلس.

امبرو. : (لا يجيب وهو مطرق الرأس).

توا. : مالك لا تجيب. طلبت مقابلتي فما حاجتك؟

امبرو. : لا أخالك تجهلها يا جلالة الملك.

توا. : أهي العفو عن سالونيك؟ لا يا أبت! ان هذا ضرب من المحال قد عفوت عن انطاكية[1] بالأمس فجنيت من ثمر العفو عوسج العصيان وقتاد الثورة. أفي عاصمتي يثور شعبي عليّ ولا يحسبون لسلطتي حساباً فوالله لأنكلن بهم اشد تنكيل ليكونوا عبرة لسواهم. عززت مدينتهم وروجت تجارتهم ونشرت العلوم بينهم ولم استطع عملاً مفيداً الا فعلته

(١) انطاكية: مدينة من مدن لواء الاسكندرون اليوم بناها سلوقس الأول ٣٠٠ ق. م. عاصمة له. فأصبحت ثالثة مدن الامبراطورية الرومانية بعد روما والاسكندرية. فيها ألقى يوحنا الذهبي الفم أشهر مواعظه. وهي مركز بطريركية انطاكية ثانية البطريركيات بعد أورشليم.

لهم . لكنهم كفروا بي وغمطوا[1] نعمتي فقتلوا ممثلي ولم يكفهم حتى حطموا تمثالي . وها أنا اعاقبهم على تمردهم وعصيانهم فلا تلتمس لهم عفواً ايها السيد الجليل .

امبرو . : مولاي ! لا أجهل انعطافك الى السالونيكيين ومدينتهم المحبوبة وما يزيدني حزناً أن يكونوا اساءوا الى من احسن اليهم . فاضرب ، اقتل ، احرق ، افعل ما شئت بهم ، فذاك أقل عقاب يستحقونه . فالاثم الذي اقترفوه افظع من الموت وامر من الحياة ولو دمر البرابرة بلدهم لكان المصاب اخف من اسخاطهم جلالتك لأن جودك يجدد وطنهم ويرد عليهم ما خسروه . اما الآن وقد اسخطوا أحلَم مولى واحنَّ أب فأي ملجأ بقي لهم . ان خجلهم عظيم حتى انهم لا يجسرون ان ينظروا الى نور الشمس . قد حطم بعض الجهلة تمثالك فيسير لنا أن نقيم لك تماثيل أثمن منه في قلوب رعاياك وقلب كل من عاش من البشر على وجه البسيطة فكل من عرف حلمك اعجب بك واحبك .

رشق بعضهم تمثال قسطنطين[2] بالحجارة فاغراه البعض للإنتقام منه قائلين له : لقد شجوا رأسك فوضع يده على رأسه وقال متبسماً : لا تخافوا فلا خدش في رأسي . فنسي الناس انتصارات هذا الملك وما برحت هذه الكلمة تدور على افواه البشر يتناقلها الأحفاد عن الآباء والأجداد .

مالي اذكرك بمثل الآخرين فأنت قلت في امرك الذي عفوت به في عيد الفصح عن المجرمين انك تتمنى لو كان لك سلطان على اقامة الموتى فتبعثهم . الا يسهل عليك صنع هذه الآية . فما سالونيك الا مدفن وما

(١) غمط : غمط الناس استحقرهم وازدرى بهم . وغمط النعمة لم يشكرها .

(٢) قسطنطين الأول الكبير (٢٧٤ — ٣٣٧) امبراطور روما ، أعلن سرية الدين المسيحي في قرار ميلانو (٣١٣) نقل عاصمة الامبراطورية من روما الى بيزنطية فسميت القسطنطينية .

أهلها الا جثث فيها. فقد ماتوا قبل ان ينزل بهم العقاب الذي استحقوه فكلمة واحدة من فيك تحييهم.

لا تصغ يا مولاي الى من يقولون ان الصفح عن هؤلاء يزيد غيرهم جسارة فإنما هذا يصدق اذا صفحت عن عجز وها هم اموات لجزعهم ويتوقعون الموت في كل ساعة ولو قطعت رؤوسهم لكان عذابهم اخف ولا ازيدك علماً ان بعضهم افترستهم الضواري وهم تائهون في الغابات والمغاور وهم رجال واحداث ونساء شريفات مخدرات وقد بدأ عمالك يذيقونهم العذاب.

إن تنكيل الملوك بعبيدهم المجرمين لسهل ولكن صفح الملوك عن الإهانات وهم قادرون على العقاب فمن اندر الفضائل فدونك الآن فرصة تستطيع ان تبدي بها مثالاً يقتدي به الدهور والأجيال. وكم يكون لك من الفخار اذا قيل ان مدينة كبرى اسخطت ملكها فارتاع سكانها ولم يجسر ولاتها ولا قضاتها ولا شعبها أن يفوهوا ببنت شفة الا شيخاً موسوماً بكهنوت الله امتثل امام الملك واستعطف حنانه ورأفته فكفاه للعفو عن أهلها انتصابه امامه والقاؤه على مسمعه خطبة بسيطة.

فلم يوفدني قومي اليك الا لِيقينهم انك تجل كهنة الله وان حقيرين مثلي على أنني ما أتيتك من قبل الشعب وحده بل من قبل رب الملائكة وسلطان السلاطين لأقول لضميرك النقي: إذا تركت للناس زلاتهم ترك لك ابوك السماوي زلاتك. فإذا كان لك زلة ترغب في ان تكفر عنها فكلمة واحدة من فيك كافية لمحوها من اسفار الله.

غيري من الوفود يأتيك بذهب وفضة وتقدمات اما أنا فلا أقدم لك الا صليب المسيح وسنته المقدسة محرضاً اياك أن تقتدي به... فلا تخيب املي ولا تجعلني اخلف وعدي لشعبك. فان عفوت عن المدينة عدت الى أهلها شاكراً حاملاً اليهم امر العفو مطرئاً احسانك والا فلا أرين ارضها ما حييت واتبرأ منها الى الأبد.

توا. : (يتأثر ويذرف الدموع) أي عجب في آن نغفر للناس ونحن بشر مثلهم. فالمسيح صار عبداً لأجلنا ونحن اليه آثمون. وصلبه من غمرهم باحسانه وهو يصلي لأبيه من أجلهم.

(الى امبروسيوس) عد يا أبي مسرعاً الى شعبك وأمّن المدينة فقد عفوت عنها.

أكتب أمر العفو حالاً.

وزير ٢ : (على حدة) سيقطعون رأسه في الثورة الثانية ان شاء الله.

امبرو. : كذا فلتكن الملوك فبلسان الانسانية جمعاء اشكر لك حلمك ومسيحيتك الصادقين وادعو لجلالتك بالنصر الى الأبد.

المستشار : (يدفع امر العفو الى الملك).

توا. : هذا هو أمر العفو فاحمله الى شعبك أيها الراعي الصالح فليس احق منك ببشارة العفو والسلام.

امبرو. : اسأل رب الارباب وملك الملوك ان يباركك من سماه ويجعل رايتك متوجة باكليل الظفر ما حييت.

(يهم بالخروج).

توا. : (ينهض عن عرشه متأهباً للذهاب)

(يرخى الستار)

الفصل الثاني
في دار حكومة سلانيك

المشهد الأول

(الحاكم * كاتب سره)

كا.سر. : وما تلد الأيام بعد هذا الأمر الذي تقطر سطوره دماءً.

الحاكم : لا شيء فالملك نمرٌ شرس لا يخشى ليث الثورة اذا زأر. لقد امر بتمزيق الثائرين ودك اسوار المدينة واشعالها كالهشيم.

كا. : انها لقساوة تذيب القلوب وتستبكي اعين التاريخ على شهداء ابرياء من هذه الثورة براءة الذئب من دم ابن يعقوب[1]. اتهدم الهياكل البشرية اخذاً بثأر تمثال من نحاس. انه لبغي تتبرأ منه الإنسانية.

الحاكم : لقد كان السلام مخيماً فوق الرعايا عندما كان السن بالسن والعين بالعين ولم تنفجر براكين الفوضى قبل شريعة الرحمة في التأديب حياة لأولي الألباب والقتل انفى للقتل.

كا. : ان عفو الملوك اعظم عندي من انتقامهم ولو كنت ملكاً لما هدرت نقطة دم بشري فخير لي ان يقال ذهب شهيد جهل شعبه من قولهم كان ذئباً ضارياً فتك بنعاج هو راعيها.

(١) ابن يعقوب: يوسف الذي رماه أخوته في غيابة الجب وزعموا لأبيهم ان ذئباً اختطفه.

الشعب : (من الخارج) ارحمونا. ارحمونا. (صراخ وعويل).

الحاكم : ستبتدي المجزرة وينفذون امر الملك بأولئك الطغاة.

ويح الألى خرجوا على سلطانهم عفواً فنكل فيهم تنكيلا
هم يطلبون العفو بعد جرائمٍ ولكم أباحوا في البلاد قتيلا

الشعب : العفو! العفو!

الحاكم :

لا عفو عنكم يا ذئاب فشركم ترك البلاد خرائباً وطلولا

المشهد الثاني

(المذكوران ، القائد)

القائد : أُف من هذه المهمة التي اثقلت عاتقي. الصراخ من كل جانب ولم أكد أظهر ما بين الشعب حتى تصاعد العويل ،كلهم يطلبون العفو والرحمة.

الشعب : عفواً! رحمةً!

القائد : انهم لا يزالون يصرخون ألم تسمعا؟

الحاكم : كلا لا اسمع. ان أذني صماء وقلبي مصفح بحديد القسوة وهكذا يجب أن يكون الحكام ليطحنوا برحى التأديب رؤوس الأشرار ويريحوا الانسانية من مآثمهم.

كاتب : (على حدة) ويح القساة!

القائد :

فلأطحنن كبيرهم وصغيرهم ولأحصدنَّ رؤوسهم بحسامي

هجموا على قصر المليك وما دروا — اني ادافع عنه كالضرغام[1]
كم غمرة فيها المنية شمرت — عن ساقها والنقع[2] فيها دام
صافحت فيها خدّ كل مهندٍ — والموت لاح على الشفار امامي
أفيرتجون اليوم مني رحمة — والصخر قلبي لم يلن لكلام

الحاكم :

حييت من بطل يفوق شجاعة — أبطال رومة آية الاقدام
فلبكنا امسى عليك معولاً — فاقطع رؤوس عداه بالصمصام[3]
واهجم على تلك الجموع ولا تخف — ودع الدما هدراً كبحر طام
سر للطغاة معجلاً نفذ بهم — أمر المليك العدل بالاعدام

الشعب : ارحمونا يا آباءنا ارحمونا (ضجيج وصراخ)

كاتب : ما هذا الضجيج؟ من القادم؟

القائد : ان كان رب العرش لست أطيعه

الحاكم : سر لا تخف يا واحد الأيام

المشهد الثالث

(المذكورون ، الحبساء)

حبيس ١ : مهلاً إيا رب المهند إننا — جئنا نريد الرفق بالإنسان

حبيس ٢ : فالثائرون هم هم إخواننا

---

(١) الضرغام : الأسد المفترس.
(٢) النقع : غبار المعارك.
(٣) الصمصام : السيف القاطع.

حبيس ٣ : ومسيحنا يقضي بكل حنانِ

لا تسخطوه فانه لا يرتضي

القائد : (يقاطعه) سأنفذن الأمر دون توانِ

حبيس ١ : رفقاً فهذا لا يكون واخوتي

القائد : ان شئتم أو لم تشوا سيان

حبيس ٢ : اننا ندافع عن الشعب حتى الموت.

حبيس ٣ : ولن تخرج الى ساحة الاعدام الا على جسومنا.

القائد : (يحاول الخروج فيقفون في طريقه).

المشهد الرابع

(المذكورون ، مكدونيس)

مكدو. : (يدخل) قف ايها القائد وخل عنك الغضب.

الحبساء : (يخضعون له)

مكدو. : باسم المسيح أقول لك قف..

القائد : من هو هذا الشيخ الخرف (يحاول دفعه).

الحاكم : هذا مكدونيس ناسك الشرق العظيم.

القائد : عفواً يا أبت واعذرني اذا اصررت على تنفيذ أمر مولاي.

مكدو. : قل ايها القائد للعاهل أنت لست ملكاً فقط بل أنت انسان ايضاً وتملك على من يساوونك طبعاً. والطبع البشري خلق على صورة الله ومثاله. فلا تقتل صورة الله فمن اتلف المصنوع اسخط الصانع. أنتم ساخطون لاهانة وقعت على تمثال من نحاس أو ليس التمثال الحي المتنفس العاقل اعظم من تمثال من نحاس. انه ليسهل ان نقدم لجلالة

الملك مكان التمثال عشرين تمثالاً !!! إذا اعدم واحداً فيستحيل عليه ان يحيى شعرة واحدة من رأسه.

القائد : لقد خرق كلامك صميم قلبي ويا ليتني كنت ملكاً لأعمل بما تقول فأنت تنطق بلسان الله يا رجل الله.

مكدو. : لا نكن آلة ايها البطل تهدم كل ما حولت اليه. فأنت ذو عقل وادراك فامهل قليلاً. فلعل الملك يفيق من غفلته ويعفو عن هذا الشعب ولا يؤخذ البري بجريرة المجرم.

المشهد الخامس

(المذكورون + ضابط)

ضابط : (يدخل محيياً ويسلم امر الملك للحاكم).

الحاكم : (يفضه ويقرأه ويدفعه للقائد).

القائد : (يقرأه ثم يقول لمكدونيس[1]) ابشر يا محترم فهذا أمر جلالة الملك وقد عفا عن الشعب.

مكدو. : (والحبساء) فليعش الملك (ثلاث مرات).

القائد : فلنخرج نبلغ الشعب هذه البشرى (يخرجون).

---

(١) مقدونيس: بطريرك القسطنطينية (٣٥١ــ ٣٦٠) تعصب للأريوسيين فعزله قسطنطين الملك. أنكر لاهوت الروح القدس فرذل بدعته المجمع القسطنطيني (٣٨١).

المشهد السادس

(الحاكم وحده)

قبحك الله يا توادوسيوس. يا أبا براقش[1] أفي كل دقيقة لون. لعن الله الساعة التي جاء بها هذا الشيخ الخرف.

الشعب : (من الخارج) فليعش الملك. فليحيَ القائد.

الحاكم : لقد ظفرتم ايها الانذال فافعلوا ما تشاؤون.

الشعب : فليحيَ امبروسيوس وليعش مكدونيس.

القاضي : آه من هذا الملك والف آه من مكدونيس وامبروسيوس[2] واثناثيوس وباخوميوس وجميع الحبساء والرهبان والاساقفة وكل ذي ثوب اسود.

نشيد (من الخارج)

اليوم قد زال العنا والشعب قد نال المنى
يا قوم سروا وافرحوا ولّى العنا وافى الهنا

* * *

حيوا المليك الاعدلا مَنْ عفوه عمّ الملا

---

(١) ابو براقش : طائر متعدد ألوان الريش ، تتغيّر ألوانه بتغير الوسط الذي يحيط به. ضرب به المثل بالتقلّب والتلوّن.

(٢) أمبروسيوس (٣٣٩ — ٣٩٧) رئيس اساقفة ميلانو. فرض توبة صارمة على الامبراطور تيودوسيوس.
اثناثيوس (الاسكندري) (٢٩٥ — ٣٧٣) بطريرك الاسكندرية ، حارب الآريوسيّة بعد مجمع نيقيا ، نفي خمس مرّات لصلابة رأيه.
باخوميوس : (نحو ٣٤٦) مؤسس الحياة النسكية المشتركة. أسس عدة أديار في مصر ووضع لها القوانين الرهبانية الأولى.

فـادعـوا الى رب الـعلا   يـا ربـنـا احـفـظ مـلـكـنـا

الحاكم : ليتها صلاة الأموات والاحتفال بدفنكم أيها الأشقياء وأراني الله ايديكم مخضبة بدم توادوسيوس الاحمق ليذوق طعم عاقبة العفو. فهو كالغراب يبجلونه ويعلقونه فينتفض كالديك الحبشي. لا بد أن ارى هذا الديك يشوى على النار. نار الثورة والعصيان.

المشهد السابع

(القائد، الحاكم)

القائد : (يدخل) لقد ارسلنا نقول لجلالة الملك ان الشعب يريد أن يراه ليشكر له حلمه وعفوه (يجلس) ما بالك يا سعادة الحاكم؟

الحاكم : اذا كنت لم أزل حياً فبعد اجراءاتكم الدالة على ضعفكم سيثورون ويقتلونني ولكنني فتى لم يحبل بمثله الدهر اذا كشرت الأيام عن أنيابها اقابلها بسواعد من حديد تحطمها تحطيماً.

فامطري نقمة جبال سلانيك   وسحي آبـار رومـة تبرا

انا ان عشت لست اعدم قوتا   واذا مت لست احرم قبرا

همتي همة الملوك ونـفـسي   نفس حرٍ يرى المذلة قهرا

القائد : ان العفو عن الضعفاء بعدما يعرفون انهم اصبحوا في اشداق الردى لهو أشد تأديباً لهم من التنكيل بهم.

الحاكم : لا أيها القائد الباسل فأنا بانتظار الملك حتى إذا جاء ابديت له رأيي بوجوب العقاب فان فعل وطّد عرشه والا فإنني اطرح حبل ناقة الوظائف علَى غاربها واعيش ناعم البال.

القائد : لا تكن حقوداً واصفح عن الجاهل فالصفح خير تأديب.

الحاكم : لا تعظني. كأنك تعلّمت من مكدونيس وامبروسيوس. أنا واثق من نوال امنيتي من الملك والانتقام من اعدائي. فإذا طلبت ذلك من الملك فلا تعارضني ودعني واياه في عراك الجدال ترَ الغلبة لمن تكون.

القائد : إذا رأيت الملك اذعن لك اخذت بناصرك والا فالصمت أولى.

الحاكم : لا أطلب منك غير هذا.

القائد : هو لك.

المشهد الثامن

(المذكوران * المستشار)

المستشار : (يدخل) هوذا جلالة الملك مقبل.

القائد : كن في جانب الحاكم وأيد رأيه.

المستشار : (يظهر الحيرة).

القائد : ستسمع.

المشهد التاسع

(المذكورون * الملك * والوزيران والحجاب)

الجميع : (ينهضون) السلام على جلالة الملك.

توا. : (الى القائد) انجزت مهمتك؟

القائد : إن حلمك مولاي قد أراح السيوف في الأغماد وعفوك حقن دماء العباد.

الحاكم : نعم لقد حقن دماء الأنام ولكنه شهيد دماء الحكام.

توا. : وكيف ذلك؟

الحاكم : اذا كانوا لم يقتلوا ممثليك هذه المرة عن بكرة أبيهم في الكرة الثانية لا يحجمون. ان هذا الحلم مولاي سيهدم اركان السلطة والانقياد الى رؤساء الدين يجر الى الهاوية ويقوض اركان العروش. فإذا حسن لديك فاعتقني من اسر الوظيفة وأنا لك من الشاكرين. أنا لا آمن على نفسي بين شعب كالذئب الضاري.

توا. : نحن قادمون لاقتبال شكر شعب احييناه من الموت.

الحاكم : وانا اذا مت فمن يحييني. اعتقني يا مولاي اعتقني.

توا. : لم أرَ مثل هذا العناد.

الحاكم : ولم أر مثل هذا الضعف الملقب بالحلم.

توا. : ما رأيكم أيها الوزراء؟

وزير ١ : ان كلامك لا يخلو من الصواب.

الحاكم : لم اعد أدري يا مولاي. أأنا عبد امبروسيوس أم حاكم سلانيك باسم الامبراطور توادوسيوس. فما زال الأسقف يدير دفة سياسة الامبراطورية فأنا لا أقبل وظائفها. ان امبروسيوس هو الامبراطور لا جلالتك.

وزير ٢ : نعم مولاي ان ضرب الشعب تأديباً له لأسّ سلطتنا والا انقلب علينا واذاقنا علقم العصيان.

الجميع : العقاب.

توا. : لقد اصبتم. فلنهدمن سلانيك ونتركها عبرة في عين التاريخ الى الأبد.

فهل اعفو وبعض العفو عجز ... وان يك جاء في شرعي وديني
واني قد عفوت الأمس عنهم ... فزادوا بلة في شر طين
لقد طمعوا فقم يا عدل واضرب ... رقاب اسافل قد اسخطوني

«واني لو تخالفني شمالي   بأمر ما وصلت به يميني»[1]

لقد اذقتهم شهد حلمي فسكروا وبطروا فمن الرأي ان نعاقبهم علهم يرتدعون. سر أيها القائد ونكل بأهالي سلانيك. أما أنا فذاهب الى ظاهر المدينة لكيلا أرى أحداً وأقبل رجاء أحد. اتبعوني ايها الوزراء.

تنبيه : (يخرج الملك ووزيراه وحجابه من جهة والقائد يدعو جنوده فيمرون بخطى عسكرية في المسرح ولما ينتهوا يخرج وراءهم مجرداً سيفه ويبقى الحاكم وحده).

المشهد العاشر

(الحاكم وحده)

قد نلت ما حنت له احشائي   ولسوف اسكر من دما اعدائي

ولأطحنن جسومهم طحن الرحى
ولأمطرنّ صواعق البلواء

ولأتركنّ البوم ناعقة على   اطلالهم في الليلة الظلماء

فأنا الذي تخشى الأبالس سطوتي   والأرض ترهب صولتي ودهائي

ودرايتي تدع الملوك مهابة   تنقاد خاضعة الى آرائي

---

(١) هذا البيت محرّف، وهو للشاعر الجاهلي عائذ بن محصّن بن ثعلبة العبْدي الملقّب بالمثقِّب العبدي. من قصيدة له يعاتب بها محبوبته التي كانت تعده وتخلف مواعيدها. مطلعها:

أفاطمَ قبل بينك متّعيني   ومَنْعُكِ ما سألتُ كأن تبيني

ومنها:

فلا تعِدي مواعد كاذبات   تمرُّ بها رياح الصيف دوني

فإنّي لو تخالفني شمالي   خلافَك ما وصلتُ بها يميني

غمز الزعانف[1] لي قناة ما التوت الا وشجّت هامة الاعداء
وتحرشوا بالنار يا ويلاً لهم من جمرة تشوي فؤاد الماء

من الخارج: صراخ وعويل.

نوحوا فنوحكم ألذّ لدي من نغم الطيور بروضة غناء
ذوقوا ثمار تمردٍ وقباحة يا اقبح الانذال والجهلاء
أثعالب البيداء اين تحيلٌ فقتم به أثعالب البيداء

من الخارج: (صراخ وصليل سيوف):

هذا عقاب الخائنين اميرهم فابكوا على ايامنا البيضاء
وتعلموا أن تخضعوا ابداً إلى حكامكم يا معشر الجهلاء

لقد بلغت نهاية الأرب وسترهبني الأرض بعد الآن ويخشاني الدهر وترتعد الشعوب من سطوتي فهكذا يجب أن يكون الحاكم لتلين له ملامس السلطة والسيادة.

من الخارج: (شهيق ونحيب)

ما هذا؟ اسمع انيناً وعويلاً. (يتنصت) اسمع وقع اقدام هذا هو القائد. من معه؟

---

(١) الزعانف: أراذل الناس، والمفرد زعنفة: أي القصير الحقير الذي ليس له أصل، أو المغموز في نسبه.

المشهد الحادي عشر

(القائد ، غراسيان ، ولداه)

القائد :

جزت الصفوف وفرقت الألوف وأر … غمت الأنوف وجيش الموت يصطدم
وعدت والنصر يزهيني برونقه … تبكي الخوارج من فعلي فابتسم
يرون نصري بعين نارها حزنٌ … ومهجة نالها من حزنها ألم
لقد تركت جنودي يجهزون على الـ … ـباقين منهم وكل الدور تنهدم
وقد اتيت بهذا مع بنيه لكي … ترى به رأيك الأعلى ابا علم

الحاكم :

شكراً لبأسك يا ليث الحروب فقل … ما شئت فخراً ففيك الفخر ملتئم
فأنت من تشهد الهيجا لسطوته … والسيف والرمح والبيداء والعلم

ولكن يا أخا الروم كيف ابقيت هذا الوغد حياً مع أنه نافخ نار الثورة في البلاد فلا تقر عيني ما لم أر دمه الفاسد يجري على الثرى .

غراسيان : اشكرك . . .

القائد : صه يا رجل فلي كلام مع سعادة الحاكم .. مولاي اردنا الفتك بهذا الرجل فبكى الينا وتوسل وانحنى على أرجلنا يغسلها بدموعه فرق قلبنا له واشفقنا على ولديه .

الحاكم : لا شفقة ولا رحمة أيها القائد فهذا عدونا الألد. ان شاء العفو عنه فلا بأس أما الصفح عن ولديه فمحال .

غراسيان :

اقضوا علي وارحموا ولديا … فالموت أشهى يا كرام اليَّا
ولديّ في شرخ الصبا فترأفوا … بي وارحموا يا سادتي ابنيا

فإذا تفيد حياة شيخ مرة   هيا اقتلوني واتركوا ولديّا
ولدان قد شجبا لأبي والدٌ   لهما فيا رب اشفقن عليّا

ولد ١ : مهلاً أبي وامسح دموعك اننا   نحيا بقربك وأُمّنا تأتينا
والدهر بسام لنا عن ثغره   والرب خير معونة يولينا

الحاكم : هيهات اني حاكم لا انثني   وارى بقتلها نوال مرامي
لا تطمعا بلذيذ عيش فالهنا   ولّى وعمركما مضى بسلام
يا أيها المغوار هيا خذهما   واترك أباً لهما على الآلام

القائد : أنـا فـاعـل مـا شئت...

غراسيان : مهلاً انني   افديهما بدمي من الاعدام
يا أيها المولى اشفقن ولا تكن   صلب الفؤاد عليّ كالصمصام

الحاكم : لا اغفرن ولست ارحم خائناً   للعرش والملك العظيم السامي

الوالد : أنا خائن فاضرب بسيفك هامتي (يقدم رأسه)

الولدان : أبي لا تموت...

غراسيان : بلى فذاك مرامي.

قل أيها الحاكم كلمة وارحني من هذا العذاب. فإذا كنت لا تنثني عن قتل ولدي فاقتلني قبلهما لكيلا أرى ملكين بريئين يقتلان أمام عيني. انت والد مثلي أيها الحاكم. أفلا تشعر مثلي بمحبة الأبناء.

ولد ٢ : أبي ما بالك باكياً؟؟

الحاكم : بلى أيها الرجل ولذلك اترك لك ولداً منهما فاختر لنا من نقتله.

غراسيان : ويلاه من هذا القضا ويلاه   ويلاه من ذا الحكم ما أقساه
من ذا الذي اختاره لي منهما   من ذا الذي أرضى يذوق رداه
رباه من هذي القساوة تجنى   فبكم رجا المظلوم يا رباه

الحاكم : عجل واختر واحداً لك منهما.

غراسيان : ويلي اعني اليوم يا الله

أأسلم هذا فهو كأخيه ظرفاً ولطفاً. أأعطيهم ذاك فهو كأخيه جمالاً وذكاء. رباه ما هذا الموقف الذي تتفتت به الصخور وقلوب البشر لا تلين.

الحاكم : عجل عجل خذ منهما من تشاء واعطنا واحداً نقتله.

غراسيان : انك تكلفني المحال ايها الحاكم.

الحاكم : (الى القائد) خذوهما إذاً الى القتل.

الجنود : (يمسكون الولدين).

الولدان : الوداع يا أبي. الوداع.

غراسيان : لا تودعاني. فأنا سائر معكما الى الموت والله على الظالمين

(يرخى الستار)

الفصل الثالث

في القصر

المشهد الأول

(توادوسيوس ه الوزيران الحجاب)

توا. : (الى الوزيرين) لم ترد الينا التفاصيل المسهبة عن اعمال القائد وما جرى له مع الثوار فماذا تضمر لنا الأيام.

وزير ١ : لا شيء يا مولاي فهي اطوع من بنانك.

وزير ٢ : كيف لا وأنت رب البلاد ومليك العباد.

توا. : دعونا من هذه التمليقات، فهذه صفحة سوداء من تاريخي لا استطيع محوها مهما فعلت، وسيرددها التاريخ وتتناقلها الاعصار ولكن ما كتب قد كتب وجلّ من لا يغلط.

وزير ١ : لا تحزن يا مولاي فحياة رعيتك لا تساوي دقيقة واحدة من الحزن لقلبك الشريف ولا سيما انهم هم البادئون بالشر ولو لم تؤدبهم لكانوا وصلوا الى ما هو اعظم من هذا واضطررت الى أشد من هذا العقاب.

توا. : انكم تجتهدون في تبرئتي فأنا عارف انني ارتكبت اثماً عظيماً.

المشهد الثاني

(المذكورون ، القائد)

القائد : (يدخل) عم مساء مولاي.

توا. : تكلم ايها القائد وهات ما وراءك من الأخبار.

القائد : عملاً بارادتك السامية قد نكلنا بأهالي سلانيك واذقناهم ثمرة العصيان فاسكرت سيفي من دمائهم.

توا. : اشكر لك بسالتك وان على عمل لا يستحق الشكر. وبعد المذبحة ماذا جرى؟

الحاجب : (يخرج).

القائد : هدوء يملأ البلاد وسكون سائد على المدينة فكأنها مدينة الأموات.

توا. : (يتنهد).

الحاجب : (يدخل قائلاً) هذا كتاب يا مولاي دفعه إليّ رسولٌ يقول انه قادم من عند الأسقف امبروسيوس.

توا. : (يفض الكتاب ثم يلتفت الى الوزراء قائلاً) اسألكم الخلوة أيها الوزراء.

الجميع : (يخرجون بعد التحية).

توا. : (يلتفت بالحاجب فيخرج).

المشهد الثالث

(توادوسيوس وحده)

توا. : هذا كتاب من الأسقف امبروسيوس فلنقرأه.

أيها الأمبراطور !

ان ضميري يبكتني متذكراً قول النبي داوود إذا لم ينصح الكاهن الأثيم فيموت باثمه ويأثم الكاهن لتقاعده عن النصح فلا انكر ايها الملك ما لك من الغيرة على الإيمان وما بقلبك من خوف الله على أنك ذو طبع متحفز للغضب اذا حلمك احد عدت إلى الحلم سريعاً فاسأل الله الا يكون لك من يهيجك اذا لم يكن من يحملك على الحلم.

انك لم ترَ بأم العين فظائع مقتلة سلانيك فكم من شيخ اثقلت ظهره السنون قطعوه شطرين بسيوفهم ولم يحترموا شعره الأبيض وشيخوخته التي احترمها الموت فلم يدن منها. وكم من خدر دخلوه فاستباحوا به الاعراض وهتكوا حرمة الشرف وكم من أم قتلوها ولم يبقوا على رضيعها. وكم من شاب اذاقوه الردى ولم يأسفوا على شباب علقت عليه آمال الوطن وقد ساءني بل احزنني جداً مقتل الولدين وأبيهما فقد استنجد الوالد بالأرض والسماء ووعد الظالمين القساة بل البرابرة بكل ما يملكه ليصفحوا عن ولديه فلم يسمع له دعاء بل قتلوا ولديه والحقوه بهما...

لقد أبكاني وأبكى الأساقفة جميعاً هذا الحزن ولا ريب أنه بلغ مسامع الرب ولهذا تراني أوبخك وأؤنبك على جرمك الفظيع لأن اشتراكي معك لا يبرئك من الإثم بل يثقلني بخطيئتك ولا يبقى لك ناصح لتتوب الى الله ليتوب الله عليك.

أنت انسان عرضت لك تجربة فانتصر عليها فالإثم لا يمحى الا بالدموع والرب لا يغفر الا لمن تاب ولا يستطيع ملك أو رئيس ملائكة أن يغفر الخطايا الا بالتوبة. فأشير عليك واتضرع اليك أن تتوب فلا اجسر أن اقدم الذبيحة اذا رغبت في أن تشهدها فإن ذلك محظور على من اراق دم بريء واحد فما ترى فيمن أراق دماء ابرياء كثيرين. فأنا أحبك

وأجلك وأصلي من اجلك فإن وثقت من ذلك فارعَو بالتوبة الى الله وإن لم تثق بصدق كلامي فاعذرني إذا فضلت الله عليك».

امبروسيوس
اسقف ميلان

(يطوي الكتاب ويضعه في جيبه ثم يفكر قليلاً وينهض قائلاً):

ويلي! أرى وجه البسيطة اظلما — والأرض غاضبة عليّ مع السما
اطلقت للنفس العنان وليتني — لم اترك الاهواء تفعل مثلما...
يا خجلتي وصحائفي قد سودت — بجرائم منهــا الــوجود تــألما
يا خجلتي في موقف الديان اذ — تبدو سلانيكٌ كبحر من دما
وأرى الشيوخ على الثرى صرعى وقد
ذرفت عليها الأرض دمعاً عندما
وأرى نساء في الخدور تجندلت — ظلماً فويلي من عذاب جهنما
وأرى أطيفالاً بهم قد اعملوا — الرمح المثقف والحسام اللهذما (1)
تــبــاً لــتــاوادوسيوس راعياً — جعل الرعية للأسنة مطعما
يا ليتني في القبر ميتاً مدرجاً — فجرائمي قد اغضبت رب السما
اني اليك أبا البرية تائبٌ — عما فعلت فجد بعفوك وانعما
ان كنت ذا الذنب العظيم فتوبتي — ستكون يا رب البرية اعظما
انا نادمٌ أنا نادمٌ أنا نادمٌ — ولتوبتي طوفان دمعي قد طما

آه ما أفظع ذنباً اقترفته فقد ارتاعت له البشرية وأنّت الإنسانية من جور هذا الحكم وضميري يبكتني على فظائعي.

(تظهر له اشباح)

---

(1) اللهذم: الحادّ القاطع من السيوف والأسنّة والحراب.

ماذا أرى خناجر حمراء. سيوفاً ملطخة بالدم. رجالاً صرعى. ما هذه الأشباح انها تحاول الانتقام مني. اليك عني ايتها الخيالات! ابعدي ابعدي. انك ترهبيني رباه كيف الخلاص. (تختفي الأشباح).
واخجلتي منك يا امبروسيوس. لقد نهيتني عن هذا الإثم الفظيع فانتهيت. ولكن ذوي المآرب جعلوا لي العدول عن الفتك بالشعب عجزاً وجبناً ففعلت. رباه عفوك.

المشهد الرابع

(توادوسيوس ، الحاجب)

الحاجب : مولاي! ان امبروسيوس قد قدم وسألني ان استأذن له بالدخول عليك فماذا تأمر؟

توا. : (يفتكر هنيهة) عد ايها الحاجب اليه وقل له ان مولاي راقد في غرفته ثم ادعه الى هذه القاعة ومتى استقر به المقام ادع الوزراء لمقابلته وافهمهم ان يتلطفوا معه في الحديث واذا سألك بعدئذٍ ان تدعوني فلا تتأخر.

الحاجب : سمعاً وطاعة (يخرج).

توا. : يا للفظاعة! كيف لا اخجل من مقابلتك يا امبروسيوس. لقد نهيتني عن افظع الآثام فما انتهيت. رباه ماذا أصنع لأكفر عن آثامي. (يقرع جرساً فيدخل جندي).

المشهد الخامس

(توا . جندي)

توا . : انتظر في هذا المكان قدوم السيد امبروسيوس ومتى دخل تخلّ له عن هذا المقام اذا لم تكن له حاجة بك.

جندي : امرك مولاي.

توا . : (يخرج).

جندي : ما هذه الكآبة المستولية على جلالته. لقد كنت أظن أننا جماعة المأمورين وحدنا عرضة للهموم. اما الآن فقد ظهر لي ان الجميع لدى الهموم سواء وربما كانت الهموم على قدر الهمم فأنا الجندي الصغير لا يهمني الا املاء جوفي وتنفيذ أوامر ضباطي فقط. تعال تعال. رح رح. فما أسهل هذه الحياة فلو اعطوني هذا العرش مع الهموم والشقاء لرفضته بلا أسف. لنجرب الجلوس عليه. (يجلس على الرفاص ثم ينهض كالمرتعد). ان مقعدي الخشبي لأنعم منه وألين والجلوس عليه أشهى وألذ. مجانين هم الملوك يحملون احمالاً ثقيلة اما أنا فلا يهمني شيء في العالم فمن المأمورية الى الغناء والترنيم. اسمع وقع اقدام. من هذا؟ شيخ جليل. أهذا امبروسيوس؟

المشهد السادس

(الجندي . امبروسيوس)

امبرو. : يدخل.

جندي : صباح الخير يا سيدنا. تفضل اجلس. هل لك بي حاجة. مر فأنا اطوع لك من بنانك.

امبرو. : اشكرك يا ابني ولا حاجة لي بك.
جندي : اذاً اسمح لي بالخروج
امبرو. : رافقك الله.

المشهد السابع

(امبروسيوس وحده)

أبكي ولكن هل يفيد بكائي — من بعد ذا التنكيل من ابنائي
ذهبوا جميعهم ضحية ساسة — قد نفذوا في الخير شرّ قضاء
يا ليت في عيني بحر مدامع — لأنوح في الأنوار والظلماء
أبكي على شعب يساق لذبحه — سوق النعاج فيا لطول رثائي
ألأجل تمثال تباد رعية — وتشب فيها نار كل بلاء
رباه ما هذي القساوة لم يرد — هذا عن الأجداد والآباء
رؤساء هذا الشعب شركم طما — يا ويلكم من سيد الرؤساء
اسخطتموه بظلمكم وصنيعكم — وهو الرؤوف البر بالأبناء
رباه عفواً وامنحن ندامة — من اخطأوا واقبل حميم ندائي

نعم اسألك يا الله ان تضرم في قلب الامبراطور نار التوبة وتمطر عليه سحائب النعمة فيمحو بدموعه أوزاره وآثامه. لقد قتل بأوامره الأبرياء فيا دمهم الطاهر اسأل الله الصفح عن سافكك فإذا تمرغ الملوك في حمأة الآثام والمظالم فيا ويل شعبهم ما أمرَّ عذابه.

المشهد الثامن

(امبروسيوس ، الحاجب ، الوزيران)

الحاجب : سيدي ان الوزراء قد اقبلوا !

امبرو. : آه من الوزراء فهم هم قد اهرقوا الدماء.

الوزيران : (يدخلان) السلام عليك أيها السيد الجليل.

امبرو. : وعليكم السلام يا ولاة الأمور.

وزير ١ : يسرنا أن نرى سيادتك من حين الى آخر لنستقي من مناهل ارشادك وينابيع حكمتك.

امبرو. : وما تنفع مياه الإرشاد. فارض القلوب من فولاذ.

وزير ٢ : وما تعني سيدي؟

امبرو. : أعني ان كلامي ذهب ادراج الرياح ولم تؤثر بكم عظاتي فأنا أرثي لكم واشفق على امبراطور عظيم هو بين ايديكم كريشة في مهب الريح. أما وعدني بالعفو عن الشعب. أما أمر بحقن الدماء وسلمني ارادته السنية. ولكنكم عدتم فحولتم افكاره عن مجاريها.

وزير ١ : لا يا سيدي فنحن براء من هذا ولكن حاكم المدينة اغتاظ مما جرى وقدم استعفاءه مع الهيئة الحاكمة كلها فاضطر الملك الى مجاراته وأصدر أمراً ثانياً وهكذا كان.

امبرو. : آه من تلك الأوامر الجائرة وويل للقساة الظالمين يوم الدين.

المشهد التاسع

(المذكورون ، المستشار)

المستشار : (يدخل) سيدي امبروسيوس. ان جلالة الامبراطور أوفدني اليك لأخبرك بقدومه لمقابلتك وقد تلقى رسالتك فأثرت به ايما تأثير.

امبرو : وأنا لهذه الغاية اتيت. جئت لأرى جلالته وأخاطبه كما خاطب الأنبياء قبلي الملوك قبله.

المشهد العاشر

(المذكورون ، توادوسيوس)

توا. : (يدخل).

الوزيران . حياك الله يا جلالة الامبراطور.

توا. : لقد اتيتك ايها السيد الجليل خاضعاً تائباً الى الله واليك والتمس منك الغفران والسماح لي بحضور الذبيحة المقدسة.

امبرو. : انني بالجرأة المسيحية التي تدرع بها الرسل قبلي ارد طلبك وأرفض قبولك بين المؤمنين الأبرار. فإن آثامك هائلة وجرائمك فظيعة أيها الامبراطور. فقد سفكت دماء اخوانك بلا عدل ولا شفقة فخضبت وجه الأرض بدمائهم انتقاماً لحاكم ظالم بربري.

توا. : لئن اخطأت الى الله فكم من ملوك اخطأوا قبلي. ولهذا اتجاسر وأقول لك انني اريد أن أكون غداً بين المؤمنين واقترب من مائدة الخلاص.

امبرو. : كيف نرفع الى الله يدين ما زالتا تقطران دماً ارقته جوراً بل كيف تقبل على هاتين اليدين جسد الرب المقدس وتتناول دمه الكريم أنت يا من بسورة غضبك سفكت دماء الأبرياء فاعتزل من هنا ولا تزد اثماً على

اثمك الفظيع. اخرج ولا تخالط البشر فأنت محروم من شركة المؤمنين فلا تخالطهم لئلّا تلصق بهم عار جرائمك.

توا. : (يخرج كئيباً ويتبعه المستشار والحاجب).

وزير ٢ : ما أقوى سلطة الدين.

وزير ٢ : فلها تخضع الملوك (يخرجان).

المشهد الحادي عشر

(امبروسيوس وحده)

أأخاف صولة الملوك وأنا ممثل رب الأرباب. ألم يقل رسول الأمم وبخ وأنب ولا يهننك احد. بلى هكذا يجب أن اصنع وان عاد إليّ ثانية بحلته الملوكية وتاجه الذهبي فلأطردنه ولن اعفو عنه حتى تبدو توبته لكل ناظر.

المشهد الثاني عشر

(امبروسيوس * مكدونيس)

مكدو. : (يدخل) السلام عليك أيها السيد الجليل (يركع ويقبل يده).

امبرو. : فليباركك الله أيها الناسك المحترم.

مكدو. : لقد عرفت بقدومك السعيد الى هذا المقام فأتيت ملتمساً ان أكون خادمك في الذبيحة التي تقدمها في الغد في مطلع الصوم المبارك فهل تسمح لي؟

امبرو. : وهل يسوغ لنا أن نحرمك عملاً تقوياً أيها الورع فبكل شكر اقبلك ولا حرمت الكنيسة من خدمة صادقين.

(نشيد من الخارج)

يا نفس توبي وارجعي   بتحسر وتوجّع

* * *

لا تبتغي الآثاما   وتجنبي الظلاما
فإلامَ انت الاما   في غمرة لم تقشع

* * *

سعداً لمن قد تابا   والى المهيمن آبا
سيرى المسيء عقابا   يوم الحساب المزمع

* * *

انا تائب انا نادم   بمساءتي انا عالم
رباه انت الراحم   فانظر ورق لأدمعي

مكدو. : لقد اثرت بي هذه التسابيح.

امبرو. : أظن هذا جوق الملك يرنم نشيد التوبة.

المشهد الثالث عشر

(المذكوران . الملك وحاشيته)

توا. : (يدخل ومعه حاشيته وهو لابس المسح[1] ثم يقول لامبروسيوس) لقد اتيتك ايها الراعي الصالح لابساً المسح خالعاً الحلل الملوكية طارحاً

(١) المسح : ثوب بسيط من صوف خام أو من شَعْر كان النسّاك والزهاد يلبسونه قهراً للجسد.

التاج عن رأسي وقلبي منسحق نادم فحلني من آثامي ولا تحرمني من ثمار موسم الصوم المبارك.

امبرو. : ان التوبة باللسان أيها الامبراطور لا تقبل عند الله فإن لم تمارس العقوبة الكنسية المفروضة على الخطأة لا أجرؤ على قبولك في هيكل الله.

توا. : ان نفسي حزينة حتى الموت وقد سحقت الندامة قلبي أيها الراعي الصالح فلا ترذلني. لا تعاملني بحسب آثامي فلهذا أنا جاثٍ امام الله وامامك هاتفاً بلسان النبي داود: «قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد في احشائي»[٢] فحلني يا سيدي من وثاقي ولا توصد في وجهي باباً مفتوحاً لكل تائب.

امبرو. : أية توبة صنعت بعد اثمك الفظيع وبأي رداء عالجت جراح نفسك الثخينة.

توا. : اعلمني بما يقتضي فاصنعه فقد اثقلت آثامي عاتقي وكرهت ثوب المعاصي القذر الذي البستنيه جرائمي.

امبرو. : علمت ان سرعت احتدامك حملتك على هذه المعصية الكبرى فعليك أن تروض ميلك الى الغضب وان تعدني الآن امام الله والناسك بأنك لا تنفذ الاحكام بالقتل وضبط الاملاك الا بعد شهر من صدورها.

توا. : (الى المستشار) اعطني قلماً وورقة.

امبرو. : انهض واكتب.

توا. : بل أريد أن أكتبها جاثياً كفارة عن آثامي.

المستشار : تفضل سيدي.

توا. : نحن توادوسيوس قيصر امبراطور الرومان قد عاهدنا الله الا تنفذ أحكام

---

(٢) قول للنبي داود جاء في المزمور الخمسين مستغفراً الله على ما جنت يداه.

القتل وضبط الاملاك الا بعد شهر ونأمر أن تضاف هذه المادة الى قانون المملكة الأساسي توادوسيوس

(إلى امبروسيوس)

هاك ما أمرت سيدي.

امبرو. : انهض أيها الامبراطور.

توا. : قد لصقت نفسي بالتراب فاحيني يا رب حسب كلمتك.

امبرو. : سر بنا الى منبر التوبة ويغفر لك الله آثامك فقد علمت بتوبتك الأجيال الآتية وربك تواب رحيم.

توا. : (ينهض).

لقد تبت عن اثمي ونفسي حزينةٌ فيا ربي اقبلها ويا رسله اشهدوا

ولي بالنبي داود خير تشبه فللرب طول الدهر نفسي تسجد

(يرخى الستار)

(انتهت)

الأخرس المتكلم

رواية تمثيلية ذات ثلاثة فصول

بقلم

مارون بك عبود

١٩٣٥

مطابع قوزما : بيروت و دمشق

الأخرس المتكلم

رواية تمثيلية ذات ثلاثة فصول

بقلم

مارون بك عبود

١٩٢٥

أسماء الممثلين

فرنان	سيد القصر
اميل	ولده
ارمان	رئيس العصابة واللص المزور
لويس	قهرمان القصر
اندره	صاحب الفندق
جان	ولده
شارل	القائد شقيق فرنان
سيريل	من رجال القائد
فارس	من رجال القائد
راع	
لصوص	

فصل
في حركات الخطيب

توطئة

للخطيب إشارات وحركات يجب على من يزاول هذه المهنة السامية تتبعها ومزاولتها. لأنها تزيد كلامه قيمة، ويؤثر في نفوس سامعيه تأثيراً شديداً لن يناله الخطيب الذي لا يحسن الاشارات والحركات، وان كان كلامه أغزر معنى وأجمل سبكاً وأرق ديباجة، لأن الاشارات لغة الجسم كما حددها إمام الخطباء شيشرون. لقد وجدت الاشارات قبل اللغة لأن الإنسان في بدء عهده، قبل ان نطق، كان يعبر بالإشارات عما في نفسه من الاغراض واسطع دليل على ما نقول، ما نراه من الأطفال. فانهم قبل أن يفوهوا ببنت شفة يدلون على مقاصدهم بالإيماء الى الاشياء التي يجهلون اسماءها.

لقد أصبح للخطابة اعظم شأن في عصرنا الحاضر. ففيها يثبت رجال الدين القضايا التي يحاولون غرسها في الأذهان، وفي الخطابة أيضاً يدافع النواب في مجالسهم عن حقوق أوطانهم، ورجال السياسة عن خططهم ومواقفهم. وفيها يدافع المحامون عمّن كلفوهم الدفاع عنهم وبها يستميل الزعماء الرأي العام اليهم وبها يدفع القواد جيوشهم الى ورود حياض الموت والتفاني في سبيل الدفاع عن حوزة الوطن.

وقصارى الكلام ان الخطابة أقرب الوسائل الى استمالة القلوب وعليها المعوّل في قضاء امور شتى لا محل لذكرها هنا.

ولهذا رأيت ان ألحق هذه الرواية بهذا الفصل عن حركات الخطيب لاتفاقها مع حركات الممثل. ومن شاء اتقان الحركات والإشارات فليراقب اشارات عامة الناس في احاديثهم وخصوصاً الشيوخ والاطفال لأنهم أقرب البشر الى السذاجة التي هي أصدق دليل.

وقفة الخطيب

فلتكن المسافة بين رجليه نحو عشر سنتمترات. وليكن وضعها بحيث انه اذا أخّر الرجل المتقدمة على الخط الذي هي ممتدة فيه يلتقي الكعبان ويكوّنان زاوية انفراجها ٤٥ درجة. اما ثقل الجسم فليكن على القدم المتقدمة كلها أي على كعبها وأصابعها معاً.

فليوجه نظرة الى الحاضرين امامه جميعاً ولا يجمّد رأسه أو كتفيه أو جذعه لئلّا يظهر متكبراً متصنعاً فالناس يكرهون كل معتد بنفسه.

بعدما يقف في مكانه فليمر بنظره على الحضور ثم فليوجهه الى أبعد فريق منهم وليستعد للانحناء اذا كان لذلك داعٍ.

الانحناء

اذا كان لا بدّ من انحناء الخطيب احتراماً لسامعيه أو لشخصٍ له علاقة بالاحتفال، فلينحن بتأن وليشترك بالانحناء رأسه وعنقه وجذعه وليبرز كتفيه لتتجه عيناه الى الحضور لا الى الأرض ولا يهزّ يديه ولا يرخها.

يستحسن بروز الذقن الى الأمام عندما يريد الخطيب ان يسترعي انتباه سامعيه

لمسألة ذات شأن وتلك ميزة أشهر الخطباء السياسيين كـ «لويد جورج»[١] و«روزفلت»[٢] و«ويلسن»[٣] و«ميرابو»[٤] و«زغلول»[٥].

حركات الرأس

عند اظهار الخجل والحزن والتذلل والتواضع اخفض رأسك وفي الكبر والخيلاء ارفعه واملـه قليلاً الى احد الجانبين.

يدل على الايجاب والمصادقة باحناء الرأس الى الأمام. ويدل على الرفض والانكار برفع الرأس الى خلف.

التعب والتوقف وعدم الجرأة يدل عليها بامالة الرأس الى أحد الجانبين وفي

---

(١) لويد جورج (١٨٦٣ — ١٩٤٥) رئيس وزراء بريطانيا بين ١٩١٦ و١٩٢٢، كان خطيباً مفوهاً ساهم في تطوير المجتمع البريطاني كما أثر في السياسة البريطانية.

(٢) اثنان من رؤساء الجمهورية في الولايات المتحدة الاميركية ينتميان الى عائلة روزفلت. الأول تيودور روزفلت (١٨٥٨ — ١٩١٩) وهو الرئيس السادس والعشرين بين (١٩٠١ — ١٩٠٩). والثاني فرانكلين ديلانو روزفلت (١٨٨٢ — ١٩٤٥)، وهو الرئيس الثاني والثلاثين بين ١٩٣٣ — ١٩٤٥. ولعلّ المقصود الثاني لأن خطبه التي القاها في حملته الانتخابية الأولى كان لها أكبر الأثر في ايصاله الى الرئاسة، كما كان لخطبه التي القاها أثناء الحرب العالمية الثانية اثرها كذلك في صمود الشعب الاميركي والحلفاء.

(٣) توماس ولسن (١٨٥٦ — ١٩٢٤) الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الامريكية (١٩١٣ — ١٩٢١) قاد الولايات المتحدة اثناء الحرب العالمية الأولى، وشارك في مؤتمر السلام في باريس ١٩١٩، وقد لقبه الأوروبيون منقذ الجنس البشري وأمل المستقبل.

(٤) ميرابو (١٧٤٩ — ١٧٩١) قائد فرنسي ثوري وخطيب من خطباء فرنسا الكبار، رفعت خطبه الحماسية من مكانته وزادت في التفاف الانصار حوله، فانتخب رئيساً للجمعية الوطنية في ٢٩ كانون الثاني ١٧٩١. وتوفي في الثاني من آذار العام نفسه.

(٥) سعد زغلول (١٨٦٠ — ١٩٢٦) من زعماء مصر الكبار الذين جاهدوا في سبيل استقلال مصر. ترأس الوزارة المصرية مراراً كما ترأس مجلس النواب، وهو مؤسس الحزب «السعدي» أو حزب الوفد. وهو من خطباء مصر المفوهين.

التأمل والملاحظة يمال الرأس الى الأمام. وعند الاستماع والانتباه تحول الاذن الى الأمام وتوضع اليد خلفها.

حركات العينين

تستطيع العينان اجمل الاشارات واقواها. والخطيب الذي لا يستخدم عينيه في الخطابة لا يستطيع بث تلك القوة المغناطيسية التي تؤثّر في قلوب السامعين.

تبكي العينان في موقف الحزن وترتفعان في الابتهال وتبرقان وتلمعان عند الغضب ويحولان عن الشيء المستهزأ به. وفي اظهار التوجع والحزن والعار تنظر العينان الى الأرض أو تتحولان الى جانب أو تستران باليد.

وفي الشك والخوف تحوّلان الى جهات مختلفة. أما في التمعّن والافتكار والتبصر فتنظران الى الفضاء.

اشارات اليد والذراع

على الخطيب أن يستعد للإشارة قبل ابدائها ببضع ثوان وذلك بتحريك اليد من مكانها الطبيعي على هيئة قوس. وكلما كان الفكر عظيماً وخطيراً وجب أن تكون القوس واسعة كبيرة.

يشير الخطيب باصبعه عندما يريد العد أو تحليل المسائل أو انتخاب الأشياء وعليه فالإشارة تكون الى ما يراه ويعرفه لا الى ما يريده أو يشعر به ويشار بالاصبع أيضاً عندما يراد توجيه الانتباه الى الأشخاص والأشياء الموصوفة والبراهين المسرودة.

يشار بالكف مطبقة في موقف الحجر والمنع والاغتصاب أو عندما يقصد الخطيب حث السامعين واكراههم على اتمام بعض الأمور.

وضع الكف في الكف على شكل صليب يدل على أن الأمر المراد تقريره والبحث فيه سهل البرهان وبسيط على العقل.

في الألم والتأسف توضع اليد على الرأس أو يضغط بها. وفي الحزن العظيم والألم الشديد تشبك الأصابع وتفرك الكفان. وفي اظهار المحبة أو عرضها توضع اليد على القلب.

في التحبب والتودد والتشوق تمد الذراعان ويبسط الكفان كأنه يراد استقبال صديق أو حبيب.

لتتحرك اليد وتتماوج عند الفرح وتأتي باشارات وحركات غير قياسية من النفور والاشمئزاز والكراهة.

ان الإشارات المستعملة دلالة على عواطف النفس وانفعالاتها الشديدة كالغضب والخوف والتأسف والحزن تسرع اليد في رسمها فتكون على هيئة زوايا وخطوط مستقيمة لا على هيئة اقواس وخطوط منحنية. وبعد تتميم الحركة المقصودة تبقى اليد برهة وجيزة على وضعها ثم تعاد الى مكانها الطبيعي بلا تصنع فلا تلامس الثياب على الصدر ولا على الفخذ.

وليس من الضرورة أن يبدأ بكل حركة أو اشارة واليد على هذا الموضع لأنه متى كان الكلام شديداً مؤثراً وجب على الخطيب ابداء الاشارات المرتبة أي أن ينتقل من اشارة الى أخرى حالاً وأن يستعمل كلتا يديه في مثل هذه الأحوال. وليحذر ابداء الاشارات كلها بيد واحدة بل يجعل يديه تتناوبان الاشارة اذا لم يكن ثمة داع لاستعمالها كليهما.

حركات الجذع والجسم

يدل على العزيمة والشجاعة بانتصاب الجسم وعلى الكبر والخيلاء بميل الجذع والرأس الى الوراء وعلى الاتضاع والاحترام والاكرام بميل الى الأمام.

حركات الرجلين

يدل على الجرأة والعناد بتثبيت القدمين وانتصاب الساقين. وعلى الرغبة

والشجاعة بإمالة الرجلين قليلاً الى الأمام وليكن مركز ثقل الجسم في هذه الحالة ما بين القدمين.

في الخوف والاشمئزاز تؤخر الرجلان متعثرة الواحدة بالأخرى. وفي الرعب الشديد تتهيّآن للهرب والركض. وفي الأمر الشديد والالزام والاكراه تضرب الأرض بالقدم شديداً.

تنبيهات

١ — على الخطيب أن يغيّر وقفته في اثناء الكلام كلما تغير المعنى وابتدأ بموضوع جديد وذلك بأن يؤخر الرجل المتقدمة أو القدم المتأخرة ولا يحوّل نظره عن السامعين واذا كان في الموضوع تغير ظاهر وجب السكوت بضع ثوان بعد تغير مركزه ثم يستأنف الكلام.

٢ — الاشارة في الابتداء مع أول كلمة غير محمودة وكذلك رفع الصوت وعلى الخطيب أن يأتي بإشارة أو حركة في كلامه ان لم يكن هناك داعٍ يدعو اليها كتأكيد كلمة أو عبارة أو اشارة وغير ذلك مما ورد ذكره ، ولا يظن أن كثرة الحركات والإشارات تزيد الكلام تأثيراً بل بالعكس.

٣ — ان المتكلم الذي لا يحرك سامعيه ويجتذب اصغاءهم وانتباههم اليه بتكييف صوته لا يعد خطيباً ولذاك يحسن بالمبتدىء أن يتمرن على القاء خطبه بالاشارات بعض الأحيان باذلاً جهده في تكييف صوته كما يقتضي المعنى.

هذه خلاصة ما نشر وعرّب الحقتها بروايتي هذه ليطالعه بامعان وتبصر كل راغب في فني الخطابة والتمثيل.

الفصل الأول

في القصر

المشهد الأول

(فرنان وحده)

ويلاه من حكم القضاء فسهمه	أصمى الفؤاد ومزّق الاحشاء
لم يبق لي عضداً يفرج كربتي	ويذود عني الضر والبلواء
يا ليتني ذقت المنون ولم أصب	فيما يذيب الصخرة الصماء

لقد صرفت ستين عاماً عاملاً مجتهداً فجمعت ثروة وافرة وشيدت هذا القصر الشاهق ولم اتنعم به بضع سنين حتى فجعني الدهر بفقد ولديّ الحبيبين ولم أكد أهم بخلع ثوب الحداد حتى اعادت الأيام الكرّة فأصابت سهامها من امها مقتلاً !

لقد غرقا في ريعان الشباب وشرخ الصبا ولحقت بهما امها تاركة لي صغيراً لا أدري ما يكون حظه من الدهر فيا لله ما اتعس حظي . ! .

المشهد الثاني

(فرنان ، اميل)

اميل : (يدخل) أبي ما بالك تبكي وما هذه الدموع؟ أكلما غبت عنك يعلو نواحك ونحيبك؟

فرنان : أبكي يا ولدي اخويك الحبيبين فتذكارهما يجرح قلبي. في مثل هذا اليوم غرقا ثم لحقت بهما والدتك فما أمر فراقها! وسعداً لك لأنك لم تعرفهم .لتذوب مثلي حزناً وحسرة.

اميل : ان بكاءك يا أبي يؤثّر بي .فاعدل عنه اذا كنت تحبني.

فرنان : ان عواطف الآباء كالمرجل[1] لا يهمدها اذا جاشت غير قطرات الدموع فدعني في نحبي فهو من الحياة نصيبي. (يتأوه).

اميل : أبي بحقك لا تجرح فؤادي.

فرنان : أنت عزائي في بلائي يا من أبقته لي الأيام (يقبّلهُ). أحمدك اللهم لأنك أبقيت لي هذا الحمل الوديع فأكلأْه يا ربي بعين رحمتك واشفق على أب مسكين في هذه الدنيا وحيداً... أين غبت يا ولدي في هذا الصباح فقد أطلتَ عليّ غيابك وأنا عاجز لا أستطيع النزول والصعود على سلم القصر العالي لأذهب مفتشاً عنك فلا تطلْ غيابك فيما بعد فبعدك يوحشني.

اميل : كنت في الحديقة اسقي ازهاري وقد اهدى اليّ رفيق لي وردة وبنفسجة فغرستهما.

فرنان : ان الورد رمز حبي لك والبنفسج رمز حشمتك فاعتن بهما ينميا ويزهرا.

---

(١) المرجل: القِدْر من الخزف أو النحاس، وقيل كل قدر ضخمة يطبخ فيها.

أرمان : (يطأ الأرض ليسمع وقع اقدام).

اميل : اسمع وقع اقدام.

فرنان : انظر يا حبيبي من القادم.

اميل : (يطل من النافذة).

فرنان : امصيبة جديدة يا الله فلتكن مشيئتك.

اميل : رجل غريب يا أبي هالني منظره!

المشهد الثالث

(المذكوران ، ارمان)

ارمان : (يدخل).

اميل : (يقف وراء كرسي أبيه)

ارمان : أأنت الكونت فرنان؟

فرنان : نعم أنا هو فما تريد؟

ارمان : أتيت لأريك سنداً بيدي عَلَى ولدك الأكبر يوسف الذي قضى غرقاً (يريه السند).

فرنان : (ينظر إلى السند ويظهر الحيرة والارتباك قائلاً) : خمسمائة ليرة؟؟ لقد وفيت كلّ ديون ولدي. وتتبعت قيود دفاترهما الخصوصية فرأيتها منطبقة أتم الانطباق على كل ما طلبه الناس مني ولم أعثر عَلَى ذكر هذا المبلغ في أوراقها فما هذا الطلب الجديد؟؟

ارمان : نحن يا حضرة الكونت لا نطلب الّا ما لنا فإذا كنت من رجال المروءة دفعت لنا القيمة وكنا لك من الشاكرين.

فرنان : يعلم الله أنني لم اهضم حق احد. والناس أجمع يعلمون انني رجل غير متمسك بحطام الدنيا واعلم علم اليقين ان من يأكل اموال الناس

يغضب الله. ويعز عليّ كثيراً أن ارجع اليك سندك وارفض دفع قيمته لأنني لا اعتقد صحته.

ارمان : أأنا مزور أيها الشيخ الخرف. نعم أنا مذنب لأنني لم ادع ولديك يموتان جوعاً في غربتهما. لقد دفعت لهما ما طلباه مني لاعتقادي انك رجل فاضل تقابل الجميل بالعرفان فيا خيبة الأمل.

فرنان : لا تجرحني بكلامك القارص.

أرمان : ادفع لي إذاً قيمة السند فانصرف حامداً لك شاكراً همتك.

فرنان : لو اعتقدت بصحة دعواك دفعت لك بدون تعليل.

ارمان : انا اصدق منك وفي غنى عن الاحتيال فادفع مالي وانت الرابح.

فرنان : (إلى اميل) اذهب يا ابني الى الحديقة واعتن بازهارك ولا تعد حتى ادعوك.

اميل : (يخرج).

فرنان : هذا محال فتوقيع السند مزوَّر ولم يُكتب بيد ابني.

ارمان : يا لك شيخاً وقحاً. اتظن ان هذا الادعاء الكاذب يقنعني. ادفع لي القيمة الآن وإلّا...

فرنان : والا... ماذا تصنع؟ افعل ما بدا لك فأنا لا أخاف بروقك ورعودك.

ارمان : نعم ان من كان لئيماً مثلك يعدُّ الاهانة امراً هيناً.

فرنان : ان اللؤم مجسّم في كلامك البذيء ومن لا يحترم الشيخ العاجز لهو اللئيم الساقط.

ارمان : لعن الله مشيباً لا يفوه الا بالسفالة. ادفع لي المبلغ فقد سئمت مجادلتك. ادفع وإلّا قتلتك...

المشهد الرابع

(المذكوران ، القهرمان)

لويس : (يدخل) ما هذا الصياح؟ وماذا تريد يا رجل؟

ارمان : اتيت اتقاضى مولاك ديناً لي عَلَى ولده يوسف فأبى دفعه لي وهذا هو السند.

لويس : (يراه).

فرنان : انه مزور يا لويس. ألم ترَ كذلك؟

لويس : نعم مولاي نعم.

ارمان : وانت تزعم ايضاً زعم مولاك قبحكما الله!

لويس : ويحك يا وغد أفي بيتنا تمس كرامتنا بلواسع كلامك. اخرج يا نذل (يصفعه ويخرجه بالقوة).

فرنان : (يرفع يده الى السماء) شكراً لك يا الله يا من لا تترك عبدك في احرج الأزم.

لويس : لقد طردته طرد الكلاب وهذا عقاب السفلة الرعاع.

فرنان : آه يا لويس كم لك من الأيادي البيضاء!

لويس : لقد استرحنا من ثقالته.

فرنان : هل لنا شيء جديد في صندوق بريد اليوم؟

لويس : نعم بدي لك رسالة اشغلني عن تقديمها لك ما جرى لنا فتفضل.

فرنان : (يفض الكتاب ويقرأه ثم يصرخ) ويلاه ما هذا المصاب الجديد لقد مات أخي. أخي القائد الباسل قضى في الحرب.

فيا عين سحي الدمع وابكي على فتى فقدت بفقداني له السيد السند

قضى فقضت امالنا اليوم بعده فيا موت زرني فالفراق الى الأبد

لويس : مولاي تصبّر وتجلّد واشفق على ولدك الصغير فهو يذوب حزناً اذا رآك باكياً.

فرنان : اذهب يا لويس وعد به إليّ علّ لي به بعض العزاء.

لويس : (يخرج).

المشهد الخامس

فرنان (وحده)

ويح الزمان فقد اطلت جفاكا	وقضى ترجّينا ليوم لقاكا
يا أوحد القواد غير مدافع	من ذا يدافع عن أخيك سواكا
في خدمة الأوطان أجر مجاهد	قد حزت واحترم العدوُّ لواكا
يا ليت هذا الدهر كان محققاً	املي وكنت أخي الحبيب فداكا
ابقى لتعذيبي على شيخوختي	دهري وفجّعني بفقد صباكا
ويلاه من هذا الزمان وجوره	اتراه يسعفني بحمل جفاكا
أأخي ويا أسفي على فقدي أخي	نصب المنون لصيده الاشراكا
اني انوح عليك عمري باكياً	وتلذ لي في خلوتي ذكراكا
لا زالت الرحمات فوقك هتناً	ومدامعي ابداً تبل ثراكا

المشهد السادس

(فرنان ، لويس)

لويس : (يدخل) ما هذه المصيبة الجلى فأميل غير موجود ومسقاته[1] ملقاة على جانب النهر وقد فتشت عنه في الحديقة فلم اجده.

---

(١) المسقاة: اسم الآلة من سقى. وهي الوعاء الذي يسقّى به الزرع، أو النبات.

فرنان : رباه رحمتك ! عد يا لويس وفتش عنه. عجل وعد إلي ببشرى تفرج كربتي.

لويس : (يهم بالخروج فيلتقي بأحد الفتيان داخلاً فيرجع).

المشهد السابع

(المذكوران. الراعي)

الراعي : مولاي الكونت ! قد وجدت هذه القبعة طافية على مياه النهر فالتقطتها وقد عرفتها انها قبعة سيدي اميل.

فرنان : رباه ! لقد مات... (يغمى عليه).

(يرخى الستار)

*

الفصل الثاني

في الفندق

المشهد الأول

(اندره وحده)

ما هذه العيشة وما أمرّ الحياة. فظائع وآثام سلسلة حياتنا في هذا المكان المنفرد بل المجزر الهائل لكل من تسوقه اليه يد الاقدار فيلاقي حتفه من حيث لا يدري. أجل اننا نكسب مالاً كثيراً ونأكل أشهى أكل ولا نخشى صولة غادر لأننا نقوى على من يدور في خلده أن يزورنا ... ولكن آه من عذاب الضمير وتبكيته. فكأنني أسمع كل ليلة صوتاً يقول لي لحاك الله[1] يا من ضحك شيب لحيته على سكر ذمته ... لقد سكرت من دماء الضحايا. ومن سكر لا يعود يعد الاقداح. فمت أيها الضمير موتاً ابدياً. وهلمي إليّ ايتها الجرائم فلم يعد لي من أمل بالسماء.

ما تراها تسوق الينا الاقدار من الغنائم في هذا المساء؟ الباب يقرع ... عسى ضيفنا أن يكون غنياً. (يتقدم ويقول) من الطارق؟.

شارل : (من الخارج) ابناء سبيل ضلّا الطريق.

اندره : أأنتما اثنان فقط؟

---

(١) لحاك الله: دعاء بالشر. بمعنى قبّحك الله ولعنك.

سيريل : ومعنا جوادانا.

اندره : اذاً انتم أربعة. (على حدة) ما اتعس الساعة التي شرفا بها!

شارل : نطلب أن تفسح لنا غرفة نبيت فيها ليلتنا.

اندره : (على حدة) لقد وقعا في الفخ. (الى شارل) أهلاً ومرحباً ادخلا يا سيدي.

المشهد الثاني

(اندره، شارل)

شارل : (يدخل) كيف حال مولانا الكريم؟

اندره : كما اشتهي لك من الصحة والعافية.

شارل : اشكر لك تلطفك سيدي.

اندره : واين رفيقك الكريم؟

شارل : انه يربط الجوادين في الاسطبل.

اندره : (على حدة) لقد هدأ روعي. (الى شارل) ماذا تريدون من المرطبات؟ فكل انواعها موجودة.

شارل : لا شيء يا سيدي. نحن في حاجة الى الطعام.

اندره : سيكون لك ما تريد واعذرني يا سيدي اذا لم أقم بحق ضيافتك كما يجب لأنك من رجال المجد والشرف وعلى ما يظهر انك قائد عظيم. ان ما أصبت به من العرج لا يمكنني من الخفة اللازمة فها أنا ذاهب لأعد لك طعاماً شهياً.

شارل : ذلك أفضل ما تصنع. فلا حاجة لنا بالخدمة فمعنا غليوننا والتبغ وافر وورق اللعب في جيبنا فقدم لنا طاولة اذا شئت وزجاجة خمر وكأسين.

اندره : سأرسل ولدي الصغير يقدّم لك ما ترغب.

شارل : ألك ولد صغير وأنت في هذا العمر؟!

اندره : نعم فهو في الخامسة عشرة من سنيه ولكنه يا للأسف اخرس.

شارل : اذاً تخاطبه بالحركات والاشارات؟

اندره : كلا فهو يسمع ويفهم كل شيء وعن قريب يصل ولدي الكبير من الصيد فنحتفي بك الاحتفاء اللّائق بالامراء فاعذرني الآن (يهم بالخروج).

شارل : اشكر لطفك يا سيدي. عجّل بالطعام.

اندره : ستكون مسروراً. (يخرج).

المشهد الثالث

(شارل ، سيريل)

شارل : اشكرك يا رباه لأنك مننت علي بالنجاة والخلاص وهديتني الى هذا المكان الذي طبع صاحبه على اللطف والايناس فكأنني حالٌ في منزلي.

سيريل : (يدخل) لقد هيأت للجوادين مرقداً ليناً وقدمت لهما العلف الكافي ليقطعا مسافة النهار بطوله ولا يجوعان.

شارل : جزاك الله خيراً أيها الرفيق الأمين خذ كيس التبغ واحش غليونك واستعد للعب الورق.

(يحشوان الغليونين).

سيريل : ما ألذ الراحة بعد العناء!

شارل : وما أطيب الأمل بعد قطع الرجاء!

(يدخنان).

المشهد الرابع

(المذكوران ، اميل)

اميل : (يدخل وبيده زجاجة خمر وكأسان).

سيريل : اهلاً بالفتى الكريم.

شارل : بل مرحباً بالكأس والمدام فالولد اخرس لا يتكلم.

اميل : (يضع الطاولة في الوسط وعليها الزجاجة والكأسان ويلتفت بالاثنين مستفهماً عما يريدان).

شارل : (يدق له على ظهره) عافاك الله ايها الفتى فلك اتمنى لساناً فصيحاً (يشربان) على صحتك يا فصيح.

سيريل : لقد أثر بي منظره.

شارل : هي مشيئة الله. فلنلعب الآن.
(يلعبان ويتحدثان بلغة لاعبي الورق المعهودة).

المشهد الخامس

(اندره ، اميل ، سيريل ، شارل)

اميل : (يدخل وبيده أواني المائدة فيضعها على الطاولة).

اندره : (يدخل) هذا ما استطعت تجهيزه الآن فاعذراني. كُلا مريئاً واشربا هنيئاً فأنتما في بيتكما. (يخرج).

سيريل : لله در هذا الشيخ ما ألطفه!

شارل : يظهر أن صاحب الدار رجل كريم الأخلاق وإن دلّت هيئته على البلادة فليتمجد الله الذي أرسلنا الى هذا المكان لنستريح ونرقد بسلام وهناء.

اميل : (ينظر اليه نظرة فاهم ويظهر الكدر).

شارل : ان امر هذا الغلام يريبني يا سيريل اذ لا يصدق ان رجلاً يسمع ويفهم ولا يتكلم.

اندره : (يطل من الكوليس ليرى ما يبديه الغلام).

اميل : (يدخل ويضع صحناً فوقه رغيف خبز وإلى جانبه يضع ورقة).

شارل : (يرى الورقة فيندهش).

اميل : (يبدي علامة السكوت ويشير الى موضع اندره ويخرج).

اندره : يختفي عندما يخرج اميل.

شارل : (ينظر الى جهة اندره فلا يراه) لقد ذهب. ما هذه الورقة يا سيريل. اسمع ما بها. (يقرأ).

(انكما في ايدي لصوص قتلة). وستقتلان الليلة كغيركما فاحذرا. اسأل الله ان ينقذنا جميعاً).

سر غريب. حذار يا سيريل واظهر رباطة جأش وإيّاك أن يبدو منك أدنى علامة تدل على معرفتنا السر.

سيريل : ان ساعدي من حديد فلا تخف.

شارل : فلنأكل بسرعة ثم نعود الى تخطيط طريق النجاة (يأكلان).

اميل : (يدخل فينهض الفارسان فيرفع اميل المائدة).

شارل : اذهب يا سيريل وتفقد الدار لعلنا نقف على شيء يصدق لنا قول الفتى وفتش عن منفذ نفر منه اذا اضطررنا الى الهرب.

سيريل : كن واثقاً وسأعود اليك بما ترغب. (يخرج).

المشهد السادس

(شارل وحده)

شارل : ما هذا المصاب أمن الدب الى الجب؟ ليتني مت على أثر تلك الطعنة في الحرب ولا أهلك في كمين اللصوص. رباه نجني من هذه الليلة.

المشهد السابع

(اندره ، شارل)

اندره : (يدخل) اتأمر بشيء مولاي؟

شارل : ألف شكر لك أيها الكريم فقد طوقتني بجميلك وغمرتني بفضلك فأسأل الله أن يجزيك عني خيراً.

اندره : متى أردت امراً فادعني ترني مستعداً لقضائه.

شارل : حياك الله ودمت بخير.

اندره : (يخرج).

شارل : يا لك ذئباً بثوب الحمل! اتظن انك تتغلب على شارل الشجاع؟ سنرى الغلبة لمن تكون.

المشهد الثامن

(سيريل وشارل)

سيريل : (يدخل) لقد صدق الغلام فهذا فخ يصطاد فيه اللصوص عابري السبيل!

شارل : قل ماذا رأيت؟

سيريل : دخلت مخدعاً صغيراً فنظرت في حائطه مدخلاً ولجت منه الى شبه مغارة وهناك رأيت ثياباً متراكمة فوق بعضها وهي من الجوخ الثمين والحرير الغالي مضرجة بالدماء فخرجت لأرى اذا كان لنا منفذ نخرج منه فلم اجد. فالأبواب محكمة الاقفال والاسوار عالية جداً ولا نستطيع تسلقها فلنستعد للموت والدفاع.

شارل : لا تخف يا سيريل فأنا لا اخاف عددهم مهما كثر ولكنني آنف من اهراق الدماء اذا نجونا بدونه وعليه أرى ان خير وسيلة هي ان ادعو الشيخ واجبره على فتح الباب فنخرج بدون قتال وطعان ونمتطي جوادينا ونأمن شر هؤلاء اللصوص.

سيريل : اذا تم ذلك فلا بأس.

شارل : (يقرع الجرس ثم يقول لسيريل): تجلد ولا تخف.

المشهد التاسع

(اندره . شارل . سيريل)

اندره : مر سيدي.

شارل : ارجو منك...

(يقرع الباب من الخارج).

اندره : اسمح لي ان افتح الباب لابني فهو قادم ثم اعود لخدمتك.

شارل : يا خيبة الأمل! فلنر من يكون مع ابنه.

سيريل : حذار ان يفهما شيئاً من حركاتنا.

شارل : (يطل قليلاً ثم يقول) لقد اطمأن بالي فهو قادم وحده.

المشهد العاشر

(اندره، ولده، المذكوران)

اندره : هذا هو القائد ضيفنا الكريم.

جان : أذكى السلام عليك أيها القائد البطل.

شارل : ومرحباً بالبطل الهمام لقد حللنا ضيفين على أبيك.

جان : انتما صاحبا المنزل. وكم حلّ عندنا مثلكما من عظماء الرجال وكنا سعداء لأننا تشرفنا بتنازلهم للمبيت عندنا فألف شكر للصدفة التي ساقتكما الينا.

سيريل : (على حدة) انه مسرور بقتلنا. (الى جان) انت مثال اللطف ومن يشابه ابه فما ظلم[1].

جان : (الى شارل) لا شك في انك تعبت في مهمتك الحربية.

شارل : لقد ذقت الأمرّين ولكنني احمد الله على سلامتي.

جان : حمده تعالى واجب.

سيريل : (يتثآب).

جان : (مازحاً) ما بالك يا صاح تريد ابتلاعي.

سيريل : لقد أصبت ولكي تنجو من ذلك اهدني الى غرفتي لأن مشاق السفر انهكتني.

جان : اذهب معه يا والدي.

سيريل : ارجو منكما سيدي ان توقظاني صباحاً لأنهض واعتني بجوادي الاعتناء اللآزم.

اندره : فليكن ما أمرت.

---

(١) مثل سائر يضرب للولد إذا كان على شاكلة أبيه خَلْقاً أو خُلُقاً.

سيريل : اعلما انني اغط في نومي الثقيل كالتمساح فأرجو منك أن تطرق الباب طرقات عنيفة لأن نومي ثقيل كجسمي الغليظ.

اندره : سر بنا ونم مطمئناً. (يخرجان).

جان : ومتى تريد أن تنام يا سيدي القائد؟ (يحدق الى المسدس).

شارل : انا أسهر قليلاً. ما بالك تحدق النظر الى مسدسي كأنه اعجبك.

جان : نعم ولكن لا داع الى ازعاج نفسك بحمله فأنت في مأمن من كل خطر فمر بأن اضعه في هذا الدرج.

شارل : لقد تعودت ايها الفتى ان ارقد وسلاحي بجانبي فأصبحت لا يغمض لي جفن ما لم يكن بقربي فاعذرني إذا رددت طلبك وأنا واثق بأنني في بيتي.

جان : ان ثقتك لأكيدة (يتمشى ذهاباً واياباً).

شارل : (يحدق اليه).

جان : اظن ان والدي نسي أن يقدم اليك من خمرتنا الجيدة (ينادي اباه) ابي ! أبي ! هات كأساً من الخمرة الجيدة لجناب القائد ان الذين يتقدمون في السن ينسون أكثر الواجبات. (يسمع ضجة) ماذا جرى ؟ (يخرج).

شارل : انه يريد أن يسكرني ليسهل عليه اغتيالي ولكنني لا أقع في شراكه.

جان : (يعود مذعوراً) بعيشك سيدي. ان والدي سقط في قبو الخمر فأرجو منك أن تتنازل وتساعدني على انهاضه. اسرع يا سيدي هلم وانظر...

شارل : (يطل) مسكين هذا الشيخ لقد انزل به الأذى وجودنا عندكم.

جان : أعنّي يا سيدي على انقاذه.

شارل : بما أنني اجهل المكان فانحدر أمامي.

اندره : (يئن ويصرخ) انجدوني خلصوني.

جان : هلم بنا. (يتقدم) من هنا. من هنا...

شارل : ويحك يا غادر اتريد أن تأخذني بهذه الحيلة فالحق بوالدك يا ابن اللؤم والخداع (يرفسه).

جان : (يقع في قبو الخمر).

شارل : فلنقفل الباب على الاثنين (يقفل الباب) لقد ظفرت الآن ونجوت فألف شكر لله (ينادي) سيريل! يا سيريل! يا سيريل (يطلق رصاصة) اين أنت؟

المشهد الحادي عشر

(سيريل ، شارل)

سيريل : هنا يا سيدي. هنا (يدخل وبيده خنجر وفي الأخرى مسدس).

شارل : لا تخف شراً فقد سجنت الوالد وابنه بقبو النبيذ ولا يخرجان منه الا الى السجن.

سيريل : لله درك بطلاً!

شارل : اذهب وفتش عن الاخرس.

سيريل : (يخرج مسرعاً فيلتقي به في الكوليس فيعود به) هذا هو هذا هو.

المشهد الثاني عشر

(المذكوران ، اميل)

شارل : (إلى اميل) لقد سجنا الوالد وابنه فكن مطمئناً يا غلام.

اميل : شكراً لك يا رب.

شارل : أأنت تتكلم؟

اميل : نعم سيدي وما أخرسني الا جور صاحب الدار وابنه لكيلا ابوح بسر فظائعهما. هل ذبحتهما؟

شارل : انهما سجينان فاجلس وقص علينا خبرك.

اميل : لقد حان موعد مجيء زمرة اللصوص فكونوا عَلى حذر.

شارل : ومن أين يدخلون؟

اميل : من هذا الباب.

شارل : سيريل كن على حذر (يرصدان خلف الباب).

المشهد الثالث عشر

(المذكورون ، اللصوص)

(يقرع الباب فيفتح اميل فيدخل لصان فيقبض عليهما سيريل وشارل ويقيّدانهما).

شارل : (الى اللصين) وهل يشرفنا غيركما؟ قولا الصحيح.

ارمان : لا يا سيدي.

(يسمع من الخارج صياح وعويل).

شارل : اظنهم قدموا جميعاً. حذار يا سيريل.

سيريل : الحذر الحذر.

المشهد الرابع عشر

(المذكورون ، فارس)

فارس : (يدخل) أأنت هنا يا سيدي والفرقة تبحث عنك؟

شارل : لقد صرنا في مأمن تباركت يا رب. اذهب معه يا سيريل وقل لهم يكونوا في انتظاري فقد عوّلت على الذهاب الآن وسآخذ اللصوص معي لأذيقهم عقاب ما جنت يداهم. قل للفرقة تدخل الاقبية وتشرب الخمور المعتقة وتأكل ما طاب لها أكله بعد أن تقيّد الفتى وأباه لنأخذهما مع هذين اللصين.

سيريل : امرك مطاع. (يخرج).

شارل : (يناديه) سيريل ، عد.

سيريل : (يرجع).

شارل : اخرج هذين اللصين من هنا.

سيريل : (يخرجهما هو والفارس).

شارل : تعال ايها الفتى واخبرنا قصتك الآن فقد امنا شر الاعداء.

اميل : ان قصتي غريبة يا سيدي. فبينما كنت ذات يوم مع والدي دخل بيتنا رجل وهو أحد اللصين الغليظ الجثة يطلب من والدي ديناً وأخذ يهينه بكلام بذيء فأبى والدي أن اسمع كلامه فأمرني بالخروج الى البستان وما كدت اخرج حتى التفّ حولي ثلاثة رجال يتهددوني بالقتل اذا فهت ببنت شفة وربطوا على عيني عصابة لم ينزعوها الا في هذه الدار ولما وبختهم ذات ليلة على فظائعهم امروني الّا اتكلم أبداً فقضيت عندهم ثلاث سنوات صامتاً ولا ادري ما حلّ بوالدي الشيخ.

شارل : وابن من أنت؟

اميل : انا اميل ابن فرنان دي كارني.

شارل : اميل فرنان دي كارني؟ أنت ابن أخي!!

اميل : عماه (يتعانقان)!

المشهد الخامس عشر

(المذكوران، سيريل)

سيريل : (يدخل) ماذا أرى؟

شارل : (إلى اميل) كأنّ الله أرسلك الى هذا المكان لتنقذني فأنت ملكي الحارس!

اميل : وانت منقذي ومخلصي.

سيريل : ما هذا؟

شارل : هذا ابن أخي اميل يا سيريل سباه اللصوص واسروه هنا. ألم أقل لك انني اشعر بميل اليه؟

سيريل : ما أعظم رحمة الله!

شارل : عد وقل للجنود ان يستعدوا للسفر وسر بنا يا اميل الى غرفتك لنستعد للذهاب لنسر ونفرح بلقيا والدك المسكين فالله لا يترك عبده.

(يرخى الستار)

الفصل الثالث

في القصر

المشهد الأول

(لويس وحده)

لويس : الله من مصائب الدهر وما أقوى شوكة الأيام فهي تقلب للبشر ظهر المجن. فقد كان سيد هذا القصر رجلاً عظيماً مهاباً تخشى صولته البشر اما اليوم فقد أصبح صريع نبال الأيام ملقى على فراش الأوجاع تهيج شجونه ذكرى أولاده الثلاثة الذين ماتوا غرقاً ويحزنه فقد أخيه الذي كان يعلق على حياته أملاً كبيراً اما الآن وقد قضي الأمر فالله أسأل أن يصبّرك يا فرنان.

المشهد الثاني

(شارل ، لويس)

شارل : (يدخل) السلام عليك.

لويس : وألف تحية يا حضرة القائد. ما أحب رؤياك فمنذ زمن طويل لم نرَ حملة

السيوف في هذا القصر فصاحبه شيخ عاجز يئن في فراشه وأنا أذوب حزناً عليه.

شارل : اليس هذا قصر الكونت دي كارني؟

لويس : بلى سيدي وانا قهرمانه[1].

شارل : أهو مريض؟

لويس : ولا يكاد يسير الا ببطء، وهو دائماً يبكي وينوح!

شارل : وعلى ما ينوح؟

لويس : لا تسل سيدي فالحديث شجون لقد فقد اولاده الثلاثة وفجع بأخيه القائد شارل.

شارل : وماذا يحل به اذا عرف ان اخاه شارل حيٌّ يرزق؟

لويس : أصحيح ما تقول. لا ريب انه يهبك مالاً جزيلاً مكافأة على هذه البشرى.

شارل : أنا هو شارل انسيتني يا لويس؟

لويس : مولاي!!

شارل : صديقي (يتعانقان) وازيدك فرحاً بأن أقول لك ان اميل ولده لم يزل في قيد الحياة وعن قريب يصل.

لويس : رباه اتكذبن آذاني؟!

شارل : كن واثقاً بما أقوله لك يا لويس.

(١) قهرمان: وكيل القصر، أو وكيل الدَخْل والانفاق فيه، أو مدبّره.

المشهد الثالث

(المذكوران ـ اميل ـ سيريل)

اميل : (يدخل ومعه سيريل) لويس مهذبي !

لويس : سيدي حبيبي !

سيريل : ما أحلى هذا الاجتماع !

شارل : انه ثمرة اجتهادك واخلاصك.

سيريل : عفواً سيدي.

فرنان : (من الخارج) يا لويس ! تعال إليّ يا لويس ! فقد سئمت الاقامة بين هذه الجدران تعال وانهضني يا لويس.

لويس : أنا آت يا مولاي.

اميل : هذا صوت أبي (يهم بالخروج).

شارل : مهلاً يا اميل فلا يحسن أن يعرف بنا فجأة فيموت من الفرح. اذهب يا لويس واخرجه الى هنا وحدثه معزياً له على بلواه وافهمه اننا لم نزل احياء.

لويس : (يخرج).

فرنان : تعال يا لويس.

شارل : اخرج يا سيريل مع اميل الى الخارج وحافظ على اللص الذي زوّر السند واهان أخي عندما اختطفوا اميل (يخرجان).

شارل : هذا أخي فرنان. مسكين عاجز. قبّح الله الدهر !

المشهد الرابع

(شارل ، فرنان ، لويس)

فرنان : (يدخل) ماذا تفيد الحياة يا لويس وانا شيخ هرم. جزاك الله خيراً على حسن اعتنائك بي أيها الصديق الحميم.

لويس : لا تيأس يا مولاي فالصبر مفتاح الفرج.

فرنان : وأي أمل لي بالفرج بعد انقراض اسرتي فقد اصبحت اطلب الموت وهو ينفر مني. تعال ايها الموت تعال.

لويس : اتصدق يا سيدي اذا قلت لك ان اخاك شارل لم يزل حياً وان خبر وفاته كان كاذباً؟

فرنان : هيهات يا صاح ليت ذلك صحيح! فليس عند الله امر عسير ولكن...

لويس : نعم سيدي وقد رأيته اليوم.

فرنان : بربك احقاً ما تقول؟!

لويس : نعم سيدي.

فرنان : آه ما أقسى قلبه. وكيف لم يأت اليّ؟ هيهات أنت صديق مخلص تريد أن تخفف ويلاتي بتذكار أخي وتعللني بالآمال.

شارل : (يظهر) لا يا أخي فأنا حيّ.

فرنان : هذا صوت شارل. ماذا أسمع؟! أين هو؟!

شارل : (يسرع اليه ويعانقه قائلاً) أخي فرنان!

فرنان : أخي حبيبي.

شارل : لم أكن أظن يا أخي انك صرت هكذا!

فرنان : هي المصائب يا أخي تقوّض الجبال فقد فقدت أولادي الثلاثة ولكنني وجدت بلقاك كل العزاء واحس ان شبابي تجدد.

شارل : لا تقنط يا أخي من رحمة الله فهو قادر ان يرد ابنك اليك.
فرنان : ما هذه الأحلام؟
شارل : لا أقول لك الا الصدق.
فرنان : رباه ماذا أسمع اتكذبني آذاني؟
شارل : سيريل هات اميل (يدخلان).

المشهد الخامس

(المذكورون ، اميل ، سيريل)

اميل : أبي أبي.
فرنان : يا روحي يا حـ...(يغمى عليه).
شارل : (ينشقه المنبهات) هذا ما كنت اتوقعه.
فرنان : آه. اميل شارل أخي ابني آه...
(ينشقونه المنعشات).
فرنان : (يستفيق ويصافح ولده واخاه فيغمى عليه ثانية).
فرنان : (يستفيق بعد قليل قائلاً) لقد قرب الأجل. سأموت قرير العين.
شارل : تجلد يا أخي لأقص عليك خبرنا.
فرنان : ان مرآكما ألذ وأشهى الأخبار يا عزيزي.
شارل : لقد جئنا بالرجل الذي جاءك اذا كنت تذكر بالسند المزور فهو وعصابته اختطفوا اميل فهل تحب ان ترى ذلك اللئيم؟!
فرنان : لقد فرحت بمرآكما فلا تكدر صفو آخر ساعة من حياتي برؤية من اهانني.
شارل : اذاً تأمر بقتله؟

فرنان : لا يا أخي فالله يأمر بالمسامحة والغفران أنني اعفو عنه وكفاني ان عاد إليّ ولدي ورأيت أخي .

لك الحمد يا رباه والشكر والثنا   لأنك بعد الصبر بالرغد تنعم
اردت امتحاني بالمصائب والبلا   وهذي حياتي اليوم بالبشر تختم

(تمت)

●

مارون عبود

مغاور الجن

١٩٢٧

هذه واحدة من مجموعة مسرحيات كتبها مارون عبود في الحقبة الأولى من حياته الأدبية بعضها مترجم ، وبعضها مقتبس ، وبعضها موضوع . والتي تمتد بين ١٩١٠ و١٩٢٨ ، وكانت النيّة عندما أصدرت « دار مارون عبود » مؤلفات مارون عبود كاملة أن تكتفي من نتاج تلك الحقبة المبكرة بعرض نماذج متخيّرة تنشرها لا أن تعرضها كاملة . وذلك لرغبة كان مارون عبود نفسه قد أبداها ، عندما أعاد النظر في بواكير عطائه . وقد سبقت الإشارة الى ذلك في مقدمة المجموعة . وقد وقع الاختيار على « مغاور الجنّ » هذه ، لتكون النموذج الذي يمثل عمل مارون عبود المسرحي . لذلك نشرت مع « مقتطفات من زوابع » و« كتاب الشعب » و« مجموعة مقالات في النقد الأدبي » و« مجموعة خطب » ، في المجلد الحادي عشر من المجموعة . أما وقد عادت الدار الى إتمام المجموعة ، بإصدار نتاج تلك الحقبة كاملاً لأسباب بيّنتها الدار في مقدمة القسم الثاني من المجموعة فقد آثرنا الإبقاء عليها في المجلد الحادي عشر كما هي حرصاً منا على ترتيب آثرناه ... وحفاظاً على نسق اتبعناه في الفهارس التي ألحقناها بتلك المجلدات تسهّل الرجوع إليها . وإنا إذ نشير الى هذا نأمل ألّا يأخذنا القارئ بجريرة ما اقتضته علينا الأمانة وألّا ينسبه إلى التكرار وإلى ما فيه من الخطأ . كما نأمل أن تكون « مغاور الجن » ومثيلاتها ، وقد ضمّها مجلّد واحد ، مسعفة القراء والدارسين على تبيّن عمل مارون عبود المسرحي ، والمنحى الذي سلكه مارون عبود في تلك الحقبة المبكرة من حياته الأدبية .

اسماء الممثلين

جان غلياس	الدوق
كاترين	الدوقة زوجته.
بريفارا	صديق كاترين
لاب	ابنته
كميل	ابن كارلوس ويسكونتي شقيق الدوق.
فرجيني	ابنة الدوق وحبيبة كميل
مينرفا	حبيبة روبر.
روبر وورودريك	صديقا كميل.
لويجي	مربي كميل.
مرتينلي ودلبانو	من رجال الدوق وبريفارا
رنارو	مدير السجن
طومازو	سجان
بطرس	خادم كارلوس
هوراس	سجان واحد اصدقاء كارلوس
راع وولد	

ضابط ، جنود ، حجاب ، خدم.

الفصل الأول

(الجزء الأول)

المشهد الأول

(في قصر جان غلياس)

(بريفارا وحده)

سعيت الى العلى ابغي الفخارا	وما خفتُ الأسنّةَ والشفارا
ودوخت البسيطة في دهائي	وقد اضرمتُ في القطرين نارا
وبجدي نلته بيدي طريفاً	فصرت السيد الحامي الذمارا
بريفارا انا والكل يخشى	بريفاراً اذا قدح الشرارا
وقد غدت الأبالس من جنودي	وفي ما شئت تأتمر أئتمارا
فقولوا للذي يبغي عنادي	لقد عاندت ليثاً لا يبارى

نعم لقد ربيت في مهد الفواحش وشببت على هوى نفسي وألّفت العصابات فدوخت بها ميلان وفلورنسا فصرت ذا مالٍ كثيرٍ وتزوجت بالأميرات واصبح الدوق

بيدي كالخاتم في الخنصر وتوصلت بدهائي الى استملاك قلب الدوقة كاترين وهي الآن طوع يدي فلله درك يا بريفارا ما أشد دهاءك. لقد قتلت الدوق كارلوس ولا بدّ من أن الحق بهِ ابنه كميل وأتبع بهما الدوق أمير البلاد فأزوّج ابنه جان ماريّا بابنتي لاب وأزفّ فرجيني حبيبة كميل الى ولدي فرنسوا فتصبح السلطة بيدي سلسلة لا يعرف طرفاها وما أحلى تلك الدقيقة وأشهى الوصول إليها. ولكن لا وصول اليها قبل قتل كميل وقتله هين على هذه الرجيم. وما عليّ إلا أن اجتمع بالدوقة لتنصب الفخ لذلك الثعلب (يهم بالخروج).

المشهد الثاني

(كاترين بريفارا)

بريفارا : أهلاً بسيدتي الدوقة، وكيف حال الدوق؟

كاترين : دعني من الدوق، فهو لم يزل عازماً على ارسال جان لمحاربة الفلورانسيين.

بريفارا : أوَلَمْ تحوليه عن هذا العزم؟

كاترين : لا، فهو عنيد مستبد برأيه.

بريفارا : يا لخيبة الأمل! ان بقاء كميل لعقبة في سبيل مساعينا، فالدوق يحبه، ووجوده في ميلان يغل ايدينا عن كل عمل، وإذا لم نقتله فلا فلاح ولا نجاح.

كاترين : آه من هذا الفتى فهو شرّ علينا من أبيه.

بريفارا : ان من قتل الوالد لا يصعب عليه قتل الولد.

كاترين : وكيف ذلك؟

بريفارا : الأمر سهل. نقنع الدوق بإرساله الى فلورانسا، وهنالك يلقى حتفه.

كاترين : وإذا لم يقنع؟

بريفارا : لو كنت امرأته لكنت أريك كيف اقنعه.

كاترين : فهمت. فهمت. فقد أوشك الدوق أن يحضر.

بريفارا : اذن: أرينا دهاءك يا حواء الجديدة.

(يدخل الدوق ومعه حاجبان).

* * *

المشهد الثالث

(كاترين ـ الدوق ـ بريفارا)

الاثنان : سلام على سيدي الدوق.

الدوق : (يجلس) لقد انبثّت العصابات في أطراف المملكة، وطغى الفلورانسيون وتجبروا ولم يحسبوا لي حساباً فلأنكلنَّ بهم أعظم تنكيل ولأسحقنَّهم سحقاً... غداً يكون في طليعة الجيش الميلاني ولدي جان، فيبلي البلاء الحسن ويقول الناس ان هذا الشبل من ذاك الأسد، ومتى دوّخ تلك البلاد وبسط أجنحة سلطانه عليها أجلسته على هذا العرش.

كاترين : هل تعتقد ان جان كفوء لهذه الحرب الطاحنة وهو لم يشهد معركة بعد؟

الدوق : ان هذه الحرب ستكون خير درس وبها يستميل الجيش اليه فتكون مقدمة لخير نتيجة.

كاترين : انني اخاف عليه يا سيدي، ولا تقوى نفسي على فراقه.

الدوق : آه من قلوب الأمهات، ان معارضتك له ستحول بينه وبين العرش.

كاترين : أمن الضرورة أن يخوض أولياء العرش غمار الحروب؟

بريفارا : اما أنا فلا أرى ذلك، ففي المملكة ابطال يقومون مقامه.

الدوق : اذن، من يخمد جذوة هذه الثورة الهائلة؟

كاترين : لو كنت تعيرني اذناً صاغية لفضّلت ارسال كميل فهو شجاع مدرب.

الدوق : انه لكذلك، ولكن ولدنا يخسر مجداً تاريخياً عظيماً.

كاترين : خسارة المجد ولا خسارته.

الدوق : لا تطمعي بالمحال فلا بد من إرساله.

كاترين : إذاً ألحق بهِ اين سار.

الدوق : ما هذا الجنون يا كاترين؟

كاترين : دعني وشأني، فالذهاب معه أو الانتحار.

الدوق : الانتحار!؟ ويا لها من كلمة الانتحار! لا يكون ذلك. ان سلطان الحب يقضي باجابة سؤالها.

بريفارا : يا لدهاء النساء، ما أقوى سطوتهن.

الدوق : اذهبا أيها الحاجبان، وادعيا كميل لمقابلتي.

بريفارا : (على حدة) وقع في الشرك.

الدوق : أرَاقكِ ذلك؟

كاترين : شكراً لك سيدي (تهم بالخروج).

الدوق : والى أين؟

كاترين : إلى غرفتي، فقد شعرت بنوبة عصبية (تخرج) اتبعني يا بريفارا.

الدوق : ما أتعب السياسة، لا يعرف الحكم إلّا من يكابدهُ. إن فكر الدوقة في محله. فجان ليس بفارس هذا المضمار، اما كميل فلا يشق له غبار[1].

---

(١) لا يشق له غبار: لا يجارَى ولا يُلاحق. وهذا التعبير موروث عن البيئة البدوية التي ولدت فيها العربية ونشأت. فالفارس الذي لا يستطيع لاحقه أن يدخل في الغبار الذي تثيره حوافر جواده هو الفارس السابق (المجلّي) الذي بينه وبين التالي بعده (المصلّي) مسافة شاسعة، إذ يتبدد غبار جواد المجلّي قبل أن يصل اليه المصلّي. فقيل لكل سبّاق في كل مجال، «لا يشق له غبار».

المشهد الرابع

(الدوق ـ كميل)

كميل : (يدخل) السلام على سيدي العم. (يقبل يده).

الحاجب : (يخرج).

الدوق : وعليك السلام يا عزيزي. اجلس من عن يميني، واسمع: لقد اتصل بك ما أضرم من نار الفتنة في أنحاء المملكة وعرفت تمرد الفلورانسيين الطغام، فقد تجاوزوا حدّهم حتى بلغ السيل الزبى[1] وحملونا ما لا نطيق احماله فنحن قوم لا نقعد على الضيم.

كميل : نعم وستحقق لك الأيام ذلك.

الدوق : لقد رأيت أن تتولى قيادة جيش يجب أن يخضد[2] شوكتهم ويكبح جماحهم، فاجمع رفاقك الباتريسيين الشجعان والفوارس البسل وحقق آمالي فيك بتدويخ أولئك الطغاة.

كميل : لك عليّ امرة مطاعة، فحياتي أقل ما تروم.

الدوق : ثق يا ولدي ان انتصارك سيعود عليك بالسعادة، فقد عزمت على توليتك مقاطعة لمبارديا بعد ان أزف اليك فرجيني.

كميل : شكراً لك يا مولاي.

دعوت فتى يلقى الأسنّة باسماً   فنفسي ظمأى والمهند حاد
فيا نفس كوني في الجهاد ضحية   فأنت فدى عمي ومجد بلادي.

(الستار)

---

(١) بلغ السيل الزُبى: مثل يضرب عندما يتجاوز الأمر حدوده المعقولة. والزُبى جمع الزُبية وهي الرابية لا يعلوها ماء. أو الحفرة في موضع عالٍ يصاد بها الذئب والأسد.

(٢) خضد: كسرَ من غير إبانة للكسر، أو لوى من غير كسر.

الفصل الأول

(الجزء الثاني)

المشهد الأول

(فرجيني وحدها)

أين عيناك أيها الحبيب تنظران إليَّ في هذا المكان حزينة كئيبة لبعدك؟ ، فكيف يواصل طرفي المنام أم كيف تكتحل مقلتي الدامية بطيف الكرى أم كيف يطيق هذا القلب ان يصبر على البلاء وأن يتحمل غصص الفراق ؟.. آه رباه... كيف الصبر وماذا العمل؟.. آه يا ربي... ألم يكفني ما أنا به من الهم والمصاب حتى يرسل أخي جان ماريًّا يكلفني ان أدس السم الى حبيبي كميل؟! آه يا للحماقة أأدس السم الى حبيب احبه أكثر من نفسي... لا غرو ان جان ماريًّا احمق غبيّ. الا يدري ان قتل نفسي اسهل عندي من تحاملي عَلى حبيبي كميل بسوء... يتّهددني ويتوعدني ان لم اقتله ، ثم يريد اكراهي على الرضا بابن بربفارا.. لا ، لا ، لا أحول عن حب كميل ، فإليه مال قلبي وصَبا.

المشهد الثاني

(تدخل مينرفا)

مينرفا : فرجيني! مولاتي فرجيني! (تدخل) (وتقبلها قائلة) ما بالك مولاتي باكية؟ أبهذه الدموع والحزن تستقبلين طلعة كميل الوضاحة؟

فرجيني : (تنظر الى الطريق) ما أراها الا خالية. أعَدَل عن وداعي؟ اما قطعه أحد عني؟

مينرفا : مهلاً سيدتي فلم نحن الساعة بعد.

فرجيني : وأين تركتِ أباك؟

مينرفا : في غرفته يستعد لاستقباله، وأنا هيأت له الزهور التي يحبها، وأنت لا تزالين باكية!

فرجيني : آه مينرفا. الأيام تعاندني وما من يرثي لحالتي، فغداً يذهب حبيبي الى الحرب وهيهات اللقاء. فلو كان له أم لما رأيته يلقي بنفسه في المهالك، ولكنني لست أماً بل حبيبته، وقُدّر للمحبين العذاب.

مينرفا : أتلومين كميل وقد دفعه أبوك الى هذه الحرب؟

فرجيني : أفي كل يوم طعان وقتال ووداع وفراق.

فيا ليتنا دمنا صغيرين عمرنا   ويا ليت لم نكبر ولم نعرف البعدا

مينرفا : كأنك تأنفين من لقاه غداً مظفراً وعلى رأسه اكليل الغار.

فرجيني : ويلاه ومن يضمن لي وله العود والبقاء (تبكي).

خادم : وفد الأمير، وفد الأمير! (تخرج فرجيني ومينرفا).

* * *

المشهد الثالث

(كميل ولويجي)

لويجي : (يدخل من جانب وكميل من جانب آخر).

كميل : لا تعن نفسك يا مؤدبي، فالشباب خفيف الحركة ولا يجمل به ازعاج جلال المشيب.

لويجي : (يقبله بكل لهفة) آه يا ولدي، لا القاك مرة الا ويخيل لي أنني أرى والدك سيدي الأمير كارلوس، فأنت كثير الشبه اليه.

كميل : وأنا أيضاً لم احرم منك انعطاف ذلك الأب وحنوّه، فقد كنت لي أكرم مؤدب وخير صديق، ولهذا أتيتك اليوم استعين برأيك ونصيحتك على أمر نفسي.

لويجي : تكلم يا بني ولا تُخف عني شيئاً، فإني ما خلوت بك الا لأفشي اليك سراً كتمته عنك زمناً طويلاً.

كميل : هل علمت يا لويجي ان عمي الدوق اشهر الحرب على فلورنسا وفوّض اليّ قيادة الحملة وأمرة الجند.

لويجي : (يهز رأسه) نعم أعلم ذلك... وهل أصر عمك على هذا العزم.

كميل : نعم. وقد خلا بي واثنى على اماني، واعرب عن تفضيله اياي على ولده جان ووعدني انه يزف إليّ فرجيني بعد عودتي وأن...

لويجي : وبمَ وعدك أيضاً؟

كميل : (يتبسم ولا يتكلم).

لويجي : تكلم يا بني فقد يكون الذي يضحكك يبكيني.

كميل : وعدني انه يعهد إليّ بشطر من المملكة استقل بحكمه إذ ليس في بنيه من يستطيع حمل اعباء الملك.

لويجي : ألم يكن في القاعة التي خلا بك فيها من يسمع حديثكما؟

كميل : كلا لست أظن ذلك.

لويجي : أو لم يحادثك بأمر المبارزة التي دعاك اليها بريفارا؟

كميل : لا لم يكلمني بها لعلمه أنني كنت شديد الرغبة فيها ولو لم يتهددني ويتوعد بريفارا بالنفي لبارزته وخطفت روحه.

لويجي : وهل سألت الدوقة عن سبب ايصالها خبر المبارزة الى عمك الدوق، وهل كان ذلك اشفاقاً منها عليك أم مخافة على حياة حبيبها بريفارا؟

كميل : لا أظن انها هي التي اخبرت الدوق بذلك.

لويجي : بل هي بعينها وليست المبارزة لأجل فرجيني كما توهمت، وانه...

كميل : ولأي أمر اذاً؟

لويجي : لتحقيق امانيه وأماني كاترين في الملك. فأنتَ تزاحمها عليه وقد ادركا أن عمك سيزف فرجيني اليك ويوليك، فخافا أن ينتهي امر الملك اليك بعد وفاة الدوق عوضاً عن كاترين، فدعاك بريفارا الى المبارزة. ولكن كاترين لخوفها من أن تقتله صدّته عن عزمه ووعدته ان تمنع اقترانك بفرجيني وان تحتال في ارسالك الى فلورنسا. وهكذا كان ولا يزال بريفارا يوغر صدر جان ماريًا عليك ويأتمران بقتلك كما تآمر بريفارا وكاترين على قتل أبيك من قبل.

كميل : (ينتصب) أهما قتلا أبي؟

لويجي : لقد حان يا بني أن أفشي لك هذا السر الهائل.

كميل : تكلم، فقد عيل صبري، وقل من قتله؟.

لويجي : انني أكاد أفقد رشدي كلما ذكرت والدك ويخونني دمعي في جريانه فقد احتالوا عليه وقتلوه مسموماً وفجعوني به (ينتحب).

كميل : (ينتحب ويمسح دموعه بمنديل).

لويجي : اعلم يا بني انه بعدما دوّخ أبوك الممالك المجاورة فعنت لسلطان عمك وخضعت له والتمس منه ولاية بافي لتكون له ولك من بعده فأجاب عمك ملتمسه ولما درى بذلك بريفارا وكاترين ساءهما الأمر وأكبراه لأن الدوقة كانت تطمع بنيل الملك بعد عمك وبريفارا كان يتهالك عَلَى تحقيق اطماعها ليستولي معها على البلاد ووجدا أن تملك أبيك ولاية بافي مقوضاً ابراج امانيهما وخافا أن يغتصب بعد وفاة عمك الملك لنفسه فسعيا في هلاكه فتسنى لهما ذلك عفواً.

كميل : ويل لكاترين وبريفارا فانهما سيلاقيان عذاباً أليماً.

لويجي : استفد يا بني من هذه الحوادث فتعلم كيف تجتنب اعداءك واحذر من مكائدهم.

كميل : ولكني كنت أعلم ان بين أبي وبريفارا صداقة ومودة ايرما حبلها أيام كانا يسيران معاً الى الحروب والغزوات.

لويجي : ان البلية لا تكون في الغالب الا من الصديق ، وان اباك لو لم ينخدع بمودة بريفارا لما استطاع ذلك الفاجر أن يغدر به.

كميل : وكيف احتال لقتله؟

لويجي : كل ما عرفته ان بريفارا اعدّ لأبيك وليمة ودس له السم في كأس الشراب وفي الغد وُجد أبوك ميتاً قبالة قصره.

كميل : (بحدة وغضب) الويل لأولئك اللئام الذين قتلوا أبي ظلماً وعدواناً ، بحق تربة اجدادي ورب السماء لست بعائش ما لم اجرع بريفارا اللئيم وكاترين الظالمة كأس السم التي تجرعها أبي ولا يطيب لي عيش اذا لم أرهما يجودان بأنفاسها الخبيثة أيموت أبي وأنام قبل أن أنكل بقاتله تنكيلاً ، لا ورب السماء.

لويجي : سكّن جأشك يا بني فليس هذا وقت التأثر واعلم أن جان ماريّا كتب الى فيرجيني يطلب منها أن تدس لك السم حين تقدم عليها وتوعّدها ان هي خالفت.

كميل : ايحاول ذلك الغر الأحمق إلحاقي بأبي قبل الأخذ بالثأر. ثق يا مؤدبي أنني سأموت كمداً ان لم أظفر بقتل كاترين وبريفارا ولاب وجان ، ولو لم أعد عمي بمباشرة الحرب لعدلت عنها واشتغلت بهلاك هؤلاء.

لويجي : مهلاً يا بني فأنت لم تذق من الحياة الا حلوها.

كميل : هل عرفت يا لويجي في أي يوم مات أبي وفي أي مكان؟

لويجي : عرفت ان تلك الحادثة جرت في السادس عشر من أيار سنة ١٣٩٢ اما

المكان فلا يعرفه غير خادم أبيك بطرس تولومي الذي كان يصحبه في تلك الليلة المشؤومة.

كميل : وما الذي يقعدنا عن البحث عنه، فهلمَّ نفتش عنه.

لويجي : لا تتعب يا بني، فقد فتشت عنه في كل مكان، وجل ما توصلت اليه ان أباك كتب على التراب في المكان الذي وجد فيه ميتاً هذه الكلمات: ان كاترين وبريفارا وجان ماريّا والأميرة لاب دسوا لي سماً فقتلت، ولكن هذه الكتابة بعثرها رجل كان يتبعه من المكان الذي سُمَّ فيه، والظاهر أن والدك قطّعه الألم فحال دون وصوله الى المنزل، فخط على التراب هذه الكلمات التي عاجله الموت قبل اتمامها.

كميل : آه، والهفاه عليك يا أبي!

لويجي : لا تحزن يا بني، فإن الحكيم يستخرج من كل مضرّة نفعاً، واعلم بأن الضر الذي تعمداه لك قد انقلب نفعاً عليك.

كميل : وكيف ذلك؟

لويجي : ان كاترين وبريفارا قد تعمدا هلاكك في ترحيلك الى الحرب، حرب فلورانسا لتستريح الأولى مما يريبها وينال الثاني فرجيني. ولكن يستحيل عليه ذلك وأنت تعلم حب فرجيني لك وعدم احتمال اكراهها، سيما لما سمع ما كلمك به عمك في تلك الخلوة التي دعاك اليها ووعدك بشطر من المملكة فندم أشد الندم على ما فعل.

كميل : وهل سمعا ما كلمني به عمي؟

لويجي : كما أنت سامع الآن ما أقوله لك، ولو لم أرَ ذلك لما تركتك تذهب الى فلورانسا.

كميل : كان وقع بنفسي ان اتخلف عن المسير اليها ولو ساء ذلك عمي حتى ابلغ اعدائي ما يرومون مني.

لويجي : لا يا بني، فإنك بذلك تغيظ عمك وتوغر صدره عليك فيشمت بك

اعداؤك الذين ، لولا خوفهم منه ، لما ابقوا عليك ساعة . فسر الى هذه الحرب وابل البلاء الحسن ، فإن بصحبتك جميع الرجال والأبطال الذين يحققون لك النصر . ومتى عدت ظافراً منصوراً يُرَد كيد اعدائك في نحورهم وتستطيع أن تأخذ بثأر أبيك وتبر في اليمين الذي اقسمته وتصبح فرجيني عروساً لك . أما تسلق عرش ميلان أو الاستقلال بمملكة من ممالك لمبارديا فلا تطمع به يا بني ، فانه يورثك الهم ولا تنال منه الا الشقاء كسباً .

كميل : اني اسمع منك كلاماً يدلني على أنك تريد لي الذل والخمول وترمي الى اخماد همتي بما تقول مع أني لا أكتم عنك بأني راغب في المعالي الخطيرة وطامع في الملك ومقاتل في سبيله جهدي فكيف تردعني عنه؟

لويجي : ان هذا الأمر الذي ترجوه يجعل لأعدائك على نفسك سبيلاً ولا يعقبه الا العناء والجهد.

كميل : ان الباتريسيين من اشياعي وانصاري وهم الكفة الراجحة ، والنصر معقود بشفرات سيوفهم.

لويجي : لا تعلل نفسك بالمحال يا بني ، واعلم بأن ظن الشيخ خير من يقين الغلام ، فأنا أكبر منك سناً وقد دربتني الحوادث وراضني الزمان حتى عرفت من احواله ما ساغ وغص وصحبت الملوك والملكات ولزمت اباك عمراً فادركت أن رأس الملوك والعظماء مستودع الجزع والهم وان حياتهم العوبة بايدي الحوادث كريشة في مهب الرياح . ولكن كفى الآن ، تعالَ أقبلك . انتظر قليلاً لأبعث فرجيني الى مقابلتك وكن ثابت الجأش في موقف الوداع (يخرج لويجي).

* * *

المشهد الرابع

كميل :

آهاً من الأيام فهي خؤونةٌ لا ترحمنَّ متيماً ولهانا
قد مزَّقت قلبي بأسهم غدرها فغدوت اندب والدأ قد بانا
قتلوه ظلماً. يا لئام تنبهوا ها انّ وقت الثأر منكم حانا

* * *

المشهد الخامس

كميل . فرجيني

فرجيني : (تدخل).

كميل : أهلاً بحبيبة القلب (يصافحها) عذراً فرجيني ، فقد أخرني عنك شأن خطير انيطت به سعادة المستقبل.

فرجيني : ما عهدتك قاسي القلب تطيق عني هذا الصبر وأنا أترقب قدومك..

كميل :

حبيبة القلب انت اليوم مالكتي ولا برحت بأمر الحب تأتيني
حبيبة القلب رقي وارحمي دنفاً فإن حبك يا ذات السنا ديني
ان تقبليني كعبد في الهوى فأنا أرى التذلل للمحبوب يرضيني

نعم ايتها الحبيبة قد جئتك طائعاً لغرامي.

فرجيني : أفبعد هذا البعد تأتيني مودعاً؟! (تبكي).

كميل : ما هذه الدموع يا عزيزتي ، فأنا لا أطيق أن أراك باكية.

فرجيني : كيف لا أبكي؟ بل كيف لا أندب سوء حظي اذا كنت سائراً غداً إلى ساح المنايا حيث تباع الأرواح بيع السماح.

كميل : سوف أعود ظافراً وأقتبل من يدك اكليل الغار. فكفكفي الدمع ودعيني اسير الى فلورانسا قرير العين ناعم البال.

فرجيني : اذاً لا بد من الفراق. واسوء حظي أنا التاعسة! فلا اتجاوز عقبة من البلاء حتى أعاني أشد منها فإلى مَ أصبر قلبي على ما لا يطيق؟

كميل : لا تضجي يا فرجيني، فعقبى الحرب ملك واستقلال واجتماع شمل لا ينصدع، وسحق رؤوس اعداء شر من الأفاعي.

فرجيني : بل هي مفرقة بيني وبينك، فتباً للدهر ان لم أمت حزناً متُّ جزعاً.

كميل : ان خوفي ليس من الحرب، بل من بريفارا أن يغتصبك لأبنه فرنسوى.

فرجيني : تباً له من احمق مغرور.

كميل : انني اخاف من خالتك كاترين وأخيك جان ان يحققا آمالها فأكون أنا في فلورانسا أصارع الموت وتكونين أنت رافلة في الحرير ولاهية بالحبيب الجديد، متشاغلة بأفراح العرس.

فرجيني : أهذا وداعك لي أم ذا دلال على قلبي، أظننتِ القلوب تشرى وتباع لمن يزيد الثمن؟ فالخنجر أقرب الى قلبي من يدي ونفسي لن اعطيها الى سواك طوعاً أم كرهاً.

كميل : صدقت يا حبيبتي فإن كاترين وجان وبريفارا لا يستطيعون صرفك عني ما دمت حياً. ولكن سيسعون في هلاكي. يتوهمون انك توافقينهم الى ما أرادوا، وهم الذين سعوا برحيلي الى فلورانسا.

فرجيني : انهم يرومون مراماً بعيداً فإن عاندتني فيك الأيام أو عاجلك القضاء حيث أنت ذاهب جعلت القبر لي عرساً وسبقتك اليه لأزين لك مدخله. (تبكي).

كميل : امسحي هذه الدموع فإنها جمرات تحرق قلبي.

فرجيني : دعني يا كميل، فإنني أشعر بويل خفي يتهددنا واسمع صوتاً خفياً يقول لي ان لا لقاء بعد هذا الاجتماع.

كميل : انه خوف وجزع.

فرجيني : ومن يلومني على جزعي، وقد علمت أن اعداءك يأتمرون عليك، وجان ماريّا الجاهل الذي لا أريد أن ادعوه أخي يطلب مني، بتحرير أرسله لي، أن أدس لك السم حين قدومك عليّ.

كميل : يا له من مجنون، انني التمس منك الكتاب.

فرجيني : لا أبخل به عليك. (تهمّ بالخروج... تتوقف).

كميل : ما بالك فرجيني؟

فرجيني : كميل كميل لا تسربلني العار فإني عرفت ما أنت عازم عليه.

كميل : أي امر رابك من التماس الكتاب؟

فرجيني : انك تروم أن تدفعه الى أبي لينتقم لك من جان شر انتقام فإن أنا أجبتك كنت الساعية الى حتفه لأن عمل جان غلياس يحمله على قتل ابنه وهذا فعل يطوقني بالعار.

كميل : أي عار عليك في ذلك؟

فرجيني ان عزّة نفسي تكره أن يموت أخي أو أموت ويبقى من الناس من يقول ان فرجيني قد أعمى بصيرتها العشق، فغلب على عقلها، حتى جعلت دم أخيها ضحية حب حبيبها. وعهدي بك أنك تمنعني عنه.

كميل : لله درُّك يا حبيبتي ما أشد مروءتك ونخوتك فقد رأيت رأيك واعاهدك قسماً بحبك أن لا أتخذ الكتاب سبباً لضرره.

فرجيني : انا على ثقة منك (تخرج الكتاب وتوقعه قائلة) ها قد دفعت لك عدوك فاحرص عليه.

كميل : (يأخذه ولا يجيب ثم يتمشيان في الحديقة ساكتين).

فرجيني : هلم نجلس يا كميل حيث كنا نجلس صغيرين. ما كنت أظن أننا سنبلغ الى يوم يجرّحنا فيه الغرام ويعز بعده اللقاء.

كميل : هذه اطوار الحياة يا فرجيني هلمي نجلس (يجلسان ساكتين هنيهة وتترقرق الدموع من عيونهما.

ضابط : (يدخل) سيدي نحن في انتظار اوامرك.

كميل : عد الى القواد وقل لهم انني على قدم الرحيل فليمروا بالجيش من هنا.

ضابط : (يخرج بعد التحية العسكرية).

كميل : لقد دنت ساعة الفراق يا فرجيني، فتجلدي وكفكفي دموعك وعبراتك.

فرجيني : هيهات يا كميل أن نلتقي بعد.

ذكر المساء يروعني اذ ينثني فيه الحبيب فليته لم يخلقِ

لو أن كل الدهر ليل مقمر لمضى الزمان ونحن لم نتفرقِ

كميل : آهاً من الفراق!

فرجيني : وما أمرّ الوداع يا كميل!!

(نفير جيش) والجنود من الخارج يهتفون: فليعش الدوق وليحي كميل. يدخل الجنود (غناء وراء الستار — ثم دقة مارش العسكر).

كميل : (يخطب في الجيش):

أيها الشجعان،

انتم زاحفون اليوم الى بلاد متمردة، فاخمدوا بوابل نبالكم وسيوفكم براكين احقادهم الثائرة. واعلموا أن وطنكم ينتظركم ويده اليسرى على قلبه وفي الأخرى أكاليل الغار فحققوا ما علق عليكم من الآمال والبسوا اكاليل المجد الخالدة.

نحن ايها الاخوان سائرون لاقتبال الموت فإن غلبناه كنا من ابناء المجد فهلموا بنا الى المعركة التي تجعلنا من ابناء الخلود.

انتم تحاربون اليوم لأجل حرية وطنكم وما قُهِرَ شعب استبسل واستمات في سبيل الدفاع عن استقلاله بالأمر الهيّن ، فإلى الكفاح الى الجلاد . فإما الموت واما الحياة .

فتقدموا نحو العراك كأمةٍ — تبدي الجهود لتدرك استقلالها
ان الشعوب بجندها ورجالها — تحيا فكونوا في النزال رجالها
ان لم تفوزوا في الوغى استُعبدتُم — فإلى الوغى واستحقروا اهوالها
صونوا بلادكم بحد سيوفكم — واستبسلوا كي تصلحوا احوالها
ان التفاني اليوم في انقاذها — خير لنا من ندبنا اطلالها
انا لنبغي النصر وهو لنا. اذن — خوضوا الحروب وقطعوا أوصالها
قولوا الحياة لنا وابطال الورى — من حققت افعالها اقوالها
فإلى الأمام الى الأمام. وناضلوا — كي تظفروا ان كنتم ابطالها
حتى يردد كل ليث منكم — فلتحيَ أوطاني لكي احيا لها

يردد الجيش ثلاث مرّات : فلتحيَ أوطاني لكي احيا لها

(الستار)

* * *

الفصل الثاني

المشهد الأول

(في قصر ميلان)

(بريفارا جالس على متكأ من حرير مقطب الجبين ولاب جالسة امامه بغنج وعظمة).

بريفارا : أتؤثرين إذاً يا لاب الذل والخمول على الملك والسلطان؟!

لاب : وما الذي ترجوه مني يا سيدي بريفارا؟

بريفارا : آواه امحضها النصح، واهديها أسهل سبل عرش الملكات، وتتجاهل سائلة عما أروم، فيا للحماقة!

لاب : كفاني ما أقاسيه من عذاب الضمير، أو لم تكن تلك الضحية التي ضحيتها بيدي كافية لسلبي صفو العيش حتى جئت تسألني القيام بضحية جديدة افظع منها!

بريفارا : يا لها من غرّة ترفض النعمة وتستخف بالرأي السديد لمجرّد تذكار مضى.

لاب : يا سيدي بريفارا.

بريفارا : لا تدعيني سيدك، فلست ممن تغرهم الألقاب. أتعجزين عن اغراء اسيرك جان ماريّا ليدسّ السمّ لأبيه الدوق فينصرف الملك اليه

وتصبحين ملكة هذه البلاد فليلة واحدة من صدودك تنيلك ما ترومين.
ويجدر بك أن تخوفيه من كميل الذي سيغتصب الملك لنفسه وهذا أمر سينطلي عليه لما يعهده من ميل الدوق اليه وارتياحه الى اقترانه بفرجيني.

لاب : نعم، نعم، سينطلي عليه ذلك (تتنهد مطرقة).

بريفارا : ألم يزل حب هذا الأحمق يهزُّ فؤادك يا شقية؟

لاب : (تتنهد) واهاً يا بريفارا اني اسعى لقتل كميل ومن فرط حبي له قتلت أباه بيدي ظلماً اجابةً لسؤالك وسؤال كاترين ولو لم يقابل حبي له بالجفاء والبغض لضحّيت لأجله الدوق وجان ماريا وروحي اذا شاء الّا ان بغضه حوَّل حبي انتقاماً ومع ذلك لا يزال حباً فلا تلمني اذا هزّني وجدي به ومع محاولتي هلاكه.

بريفارا : آه النساء! النساء! ويلاه من أهواء النساء! وويلاً لهذا الحب والحبيب الذي سيطالبك بدم أبيه. فإن لم يكن في قتله سوى راحتك من مطالبته بالثار لكفى. فأوغري إذاً صدر حبيبك جان ماريا عليه ثم حببي اليه الملك وعزة السلطان وهوّني عليه قتل أبيه الدوق وافهميه أن أباه قد سبقه الى قتل عمه حتى تربَّع في دست الملك.

لاب : يا له مشروعاً هائلاً وخيم العاقبة.

بريفارا : أيرهبك أمر يسمو بك الى المكارم وقد باشرت قبله اموراً ترتاع لها الأفئدة لا فائدة لك منها ولا نفع؟!.

لاب : لقد كنتُ واثقة من نجاح تلك ولكن من يضمن لي نجاح هذه؟

بريفارا : جمالك ودهاؤك يا لاب اتجهلين مقامك بين ربات الجمال فأنت شهابهنَّ الساطع وبدرهنَّ الطالع.

لاب : (معجبة) ان محاسني تتكفل باغرائه ولكن أنّى له النجاح وهو أطيش من فراشة؟ فلربما أخذ في الفخ وانكشف السر فكيف اتنصل من غائلة الأمر.

بريفارا : لا أسهل من نكران ما يعزى اليك.

لاب : ولكن كشف السرّ يؤدي بجان الى الهلاك.

بريفارا : انك تتيتمين ايها المسكينة اذا مات فلا تجدين بعده عاشقاً. قه قه قه.. وينصرع فؤادك يا مخلصة الود. أوه أوه. وتترملين يا باروتتي العزيزة. فما دامت لحاظك تتكفل بأسر ألوف من القلوب فإن عاش أو مات عَلى حدّ سواء.

لاب : هذه ضحية أشد هولاً من تلك.

بريفارا : ان الوصول الى العرش يتطلب ركوب الاخطار فتاجري بحياة جان ماريا والقِ الدلو بين الدلاء فإن ربحت الصفقة نلت السعادة وان خسرت فلا أسف على حياة فتى لا أتوسم فيه غير الشر في الحركة بركة.

لاب : (تفتكر).

بريفارا : (على حدة) ان جان ماريا «يصيد وأنا آكل السمكة»[1] وحدي فإن قتل اباه حولتُ الملك الى كاترين وان مات كان ذلك غايةً ما أتمنّى فقد حاولت لأبعث به الى حرب فلورنسا فأبت، فليحارب إذن أباه (ينظر الى لاب) لم تزل غائصة في بحر الأفكار (يقرّب من لاب ويلمسها) أوطنت النفس على ابرام الأمر ليتوّج حبكما بتاج من ذهب؟

لاب : نعم وطنتُ النفس ومن الغد اسعى الى تحقيق هذا الأمر.

بريفارا : بورك فيك يا حبيبتي لاب فجمال وجهك والحاظك الفتانة تدفع المرء الى

---

(١) قولٌ مستلٌّ من بيت شعري جاء في حكايات ألف ليلة وليلة الشعبية، حكاية «الصياد والمارد» يعزّي به الصيّاد نفسه بعد فشله، مبدياً تسليمه المطلق بالقَدَر وبالحظوظ المقسومة!! والبيت:

سُبحان ربّي يُعطي ذا ويحرُمُ ذا ... هذا يصيد، وهذا يأكل السمكة!

ارتشاف السم حباً بك ،أفلا يجرعه لغيره ليصبح واياك ملكاً ولنا فائدة أخرى وهي زفاف فرجيني الى ولدي فرنسوى بالرغم عن كل مكابر.

لاب : لمَ لا تطلب من جان انجاز وعدهِ.

بريفارا : لا احمله ما لا يطيق فبعد هلاك كميل وقتل الدوق يتسنى لنا كل شيء فالفوز منوط بنجاح سعيك.

لاب : طب نفساً أيها البارون فإنه يهمني ابعاد كميل عن فرجيني بمقدار ما يطيب لك زفافها الى فرنسوى فأنت تعالج داء ولذلك وأنا أداوي داء غيرتي فكلانا في الهوى سوا.

الحاجب : (ينادي) قد أقبل مولاي الدوق جان ماريا.

لاب : (تهم لاستقباله).

بريفارا : (يمسكها قائلاً) حذار يا لاب ان يعلم الدوق ان لي يداً في المؤامرة.

* * *

المشهد الثاني

(جان ، لاب ، بريفارا)

جان : (يدخل ولاب يداً بيد) (الى بريفارا) لقد غادرتُ أمي الدوقة تسأل عنك في البلاط أيها البارون ولم اعلم انك سبقتني الى زيارة حبيبتي لاب.

بريفارا : اقبلت لا ألوي على شيء لأحمل لها البشرى وأخبرها ان نعمة مولاي الدوق قد عدل عن ان يبعثك الى حرب فلورنسا فوجدتها باكية لعلمها أنك ستغادرها الى ساحات القتال ولم أزل اسلي جأشها حتى طابت نفسها . (يغمزها).

لاب : آه يا سيدي الدوق لقد أثّر بي هذا الخبر حتى شعرت بأن نار الحرب مشبوبة في قلبي.

جان : لو درى ابي أن بين قلبي وبين عينيك كل يوم حرباً عواناً لما عنّ له أن يبعثني الى حرب فلورنسا.

لاب : الحمد لله الذي لم يحرمني من طلعتك وأرسل كميل بهذه الحملة. آمل أن لا يفلت هذا العصفور من الشرك.

جان : وهل يزاحم العصفور بازيا؟

بريفارا : هب أنه أفلت فالذي سحق رأس الأفعى لا يعسر عليه قطع الذنب. (يخرج).

جان : اقتربي مني يا حبيبتي.

لاب : (تعرض عنه).

جان : ما هذا النفور؟

لاب : كيف لا انفر وأنت قاعد عن أمورك لا تنظر الى اكتساب المنزلة الرفيعة فإنك تفضل البقاء محكوماً لا حاكماً !فعلام لا تلقي عن منكبيك نير أبيك؟

جان : وكيف الوصول الى ذلك؟

لاب : اذا قلبت صفحات التاريخ تجد ان الملك لم ينقد لأحد عفواً فمن سعى رعى.

جان : صرّحي لم أفهم شيئاً.

لاب : ان أباك يؤثر كميل عليك وقد وعده بالملك ان عاد منصوراً فتصبح اذ ذاك عرضة لانتقامه ليثأر لأبيه.

جان : بحقك يا لاب دعينا من تلك التذكارات وقولي ماذا أصنع؟

لاب : ان أباك سجن عمّه حتى قبض على ناصية الملك.

جان : أأسجن أبي! ان دون ذلك أهوالاً.

لاب : عش ذليلاً وتنعّم بالخمول.

جان : ويلاه ما العمل؟!

لاب : ان لم تتمكن من سجنه فاقتله.

جان : يا للفظاعة!!!

لاب : يا للجبانة ويا للذلّ! عجّل ودسّ له السُمّ فإذا مات مسموماً فلا يؤاخذك احد بقتله ولا يظن بك سوءاً فإن مثل هذه الحوادث كثيرة الوقوع في ميلان فتدارك امرك لأني ذائبة شوقاً الى أن أراك جالساً على العرش فتقرُّ بك عيناي وتصبح حاكماً وحاكمَ قلبي معاً وان ابطأت قتلت ذاتي بهذا الخنجر.

جان : لعينيك افعل ما ترومين.

بريفارا : (يظهر بين الكواليس ويقول) : لقد وقع في الفخ وصار الدوق على فراش الموت يكتب وصيته فهنيئاً لك يا بريفارا.

• • •

المشهد الثالث

(بريفارا والمذكورون)

بريفارا : سيدي ان والدك قد أصيب باعراض الطاعون الذي تفشّى في هذه البلاد وافنى العباد.

جان : (بفرح ملتفتاً الى لاب).

بريفارا : ان الدوقة كاترين اخبرتني بذلك اما الطبيب فقال لي انه عارض وسينقضي.

جان : ولعلَّ ذلك ناشيء عن شدة فرحه بانتصار كميل فظفره فشل وانتصاره شؤم علينا.

بريفارا : ستجني انت ثمر انتصاره ويصح المثل : هذا يصيد وهذا يأكل السمكة فلا ادعه يتجاوز سور ميلان.

جان : تلطف في الحيلة لئلا يداخل والدي سوء ظن بنا.

بريفارا : ان البلاد قد ملئت باللصوص فليتّهم الدوق من اراد منهم وهب انه ارتاب بنا فهل يؤاخذ الفيل بمقتل الحوت والسمكة بمقتل جرذ البرية والكل يعلم ان الهر قاتله.

جان : لقد ولّيتك امر قتله فشأنك وما تريد واحذر الفشل.

بريفارا : لقد هيأت العدة وسأستعين عليه بلويس دلبانو الذي اعده بابنتي مينرفا اذا عاد منصوراً ظافراً ولا أطلب مكافأة غير انجاز وعدك لولدي فرنسوى بزفاف فرجيني اليه.

جان : قسماً بلاب سأنجز وعدي ولتكن شاهدة عليّ.

لاب : طب نفساً فالدوق لا يخلف وعداً.

* * *

المشهد الرابع

(مرتينلي + المذكورون)

مرتينلي : ادرك أباك يا سيدي فهو في نزاع أليم.

جان : (بعيد الصوت) في نزاع أليم!؟

مرتينلي : آواه يا سيدي... نازلة. فاجعة. الدوق مسموم.

جان : (مدهوشاً) ويلك يا مرتينلي خلّ عنك الجزع وقل ما أصاب أبي.

مرتينلي : قد عرض له عارض فجائي فأعيا الطبيب امره فأسرع يا سيدي لعلك تدركه حياً.

(صراخ عويل وضجة ثم يعقب ذلك سكوت).

أصوات : (من الخارج) مات الدوق!.. مات مسموماً!

جان : (يحاول الخروج فلا يهتدي الى الباب فتقترب منه لاب وتهمس في أذنه بعض كلمات تبرق لها أسرة جبينه ويخرج ويتبعه بريفارا).

بريفارا : لقد تمّ الفوز.

لاب : ويحك أيها الخائن.

* * *

المشهد الخامس

(لاب وحدها)

أواه من الدهر وويلاه من مستقبلي المظلم كيف حولت نظري لا أرى الا حيات واشباحاً تهددني... يبكتني ضميري على جريمتي الهائلة على قتل الدوق كارلوس. امثل جان ماريا يتقلد أزمة الاحكام... آهاً منك يا بريفارا يا رجل اللؤم والخداع... انني أحبك يا كميل وأنت تقابل حبي بالاعراض والجفاء فذق اذاً طعم انتقامي فلأتجرعن كأس الجرائم حتى الثمالة.

* * *

المشهد السادس

(لاب ومينرفا)

مينرفا : (مدهوشة) ما هذه الفاجعة؟! لقد مات الدوق!

لاب : اعاضنا الله عنه بطول بقائك.

مينرفا : مسكين الدوق يقال انه مات مسموماً.

لاب : بل أظنه مات مطعوناً.

مينرفا : كيف كان الأمر فهو قد مات ولكن الى من ينتهي العرش.

لاب : الى كاترين وجان ماريًا.

مينرفا : (على حدة) آه سينتقمون من روبير وكميل (الى لاب) شكراً إذاً يا مليكتي العتيدة.

لاب : اسمع وطء اقدام.

مينرفا : اظن أبي مقبلاً (تخرج بعجلة).

* * *

المشهد السابع

(بريفارا . كاترين . جان . لاب (يدخلون)).

لاب : (تستقبلهم باضطراب).

جان : (ينظر اليها نظرة خفية تعرب عن فرح داخلي).

كاترين : تجلس وتتنفس ثم تقول:
قد مات الدوق يا بريفارا ومن مات هيهات ان يعود فلنتفرغ لشأننا ونتدارك الحوادث قبل وقوعها.

بريفارا : تكلمي يا سيدتي فما من احد يسمعنا.

كاترين : لقد شاع خبر الدوق واخاف ان يبلغ كميل فيزحف علينا بجنوده و يوقعنا في شر وورطة فهات رأيك في هلاكه. اما قلت لي بالأمس انك واجد حيلة تهلكه بها؟

مينرفا : ــمن بين الستائرــ آه من هؤلاء الأفاعي.

بريفارا : (يفتكر ثم يجيب) نعم. دلبانو يقتله.

جان : انه وحده خليق ان يصرعه فالحيلة اعظم من القوة فسوف يتقدمه من فلورنسا ويقتله مع اصحابه وهم على الطريق.

مينرفا : يا للأشرار!

كاترين : ان كان ذلك رأيك فعجل.

بريفارا : انعمي بالاً يا سيدتي فسألحقه بعمه كيلا يشق عليه فراقه.

«يجلس على مكتب ويكتب وجان وكاترين يحيطان به ليطلعا على ما يكتب اما هو فيقرأ:)

يا ولدي الحبيب.

إذا وصل كتابي اليك فعجل بالقدوم ومن معك من أصحابك فإن في ذلك مصلحة المملكة واعهد بأمرة الحرب الى رو بر ورودريك. عد بأسرع ما استطعت فيلان ستتأهب لاستقبالك كما استقبلت من قبلك اباك واجدادك المنتصرين.

جان غلياس

بريفارا : امهريه بطابع المملكة.

كاترين : ــتمهره قائلةــ: لقد عهدت اليك بهذه المهمة الخطيرة فحقق ظني فيك. (تخرج).

بريفارا : (يدق جرساً).

دلبانو : (يدخل).

مينرفا	: ... الشيطان.

بريفارا	: لقد انتخبتك لأمر لم اجد له كفؤاً سواك فحقق ظني بك لأتباهى بك أمام الدوقة كاترين.

دلبانو	: مرني بقتل نفسي افعل.

بريفارا	: لا حاجة لي بنفسك انما حاجتي ان تورد اعداءنا موارد الهلكة.

دلبانو	: اني فاعل ما امرتني به فلو كلفتني الفتك بابليس وجنوده لفعلت.

بريفارا	: أنا لا أكلفك قتال الأبالسة والجنود ولكن قتل كميل واصحابه.

مينرفا	: خسئتم يا كلاب السوق.

دلبانو	: اليسوا في فلورنسا جميعاً.

بريفارا	: اجل ولكن الثعالب لها أنصار بين المنازل والقصور خذ واقرأ بأية حيلة عن ... استقدامهم (يدفع اليه التحرير).

دلبانو	: (يقرأ ثم يصيح) فهمت فهمت فالنعاج لا تخطفها الذئاب من الحظيرة بل من المراعي على غفلة من الرعاة والكلاب.

بريفارا	: أسرع إذن وارسل الكتاب بصحبة رجل ماهر في الدهاء وليلبس ثوب حاجب واذا سأله كميل عن عمه الدوق فليقل له انه في انتظاره على أحرّ من الجمر ومتى اقبلوا الى ميلان فاجئهم عند البرج المسحور ونكل بهم أشد تنكيل وافنهم عن آخرهم.

مينرفا	: يا للفظاعة البربرية هلك روبر.

دلبانو	: فليكن كما أمرت.

بريفارا	: واعلم ايها العزيز دلبانو انني عاهدت نفسي ان اعقد لك على مينرفا فتتزوجها اذا عدت ظافراً.

مينرفا	: الموت والقبر ولا الاجتماع بك يا سافك دم الابرياء.

دلبانو	: قد رضيت بهذا العقد وستأتيك الاخبار.

بريفارا	: حقق الله الأمل فلنسرع. (يخرجان).

المشهد الثامن

(مينرفا وحدها)

مينرفا : آه من الطغاة انهم يسعون في قتل كميل وأصحابه. قبح الله وجهك يا بريفارا. أفي كل يوم تركب مركباً خشناً، أفي كل يوم دم ذكي يهرق. ويلي سيقتل روبر ويذهب ضحية الغادرين، ضحية دلبانو ذلك الوحش الضاري وسيقضي على كميل ذلك الأمير الشريف. والوعتاه على مجده وشبابه! والهفي عليك يا فرجيني! رباه ماذا أصنع فلأنتصرنّ للفضيلة واحبط مساعي والدي القاسي الذي نصب الشرك لكميل وروبر وبذلك اخدم الفضيلة والمجد ويعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون. فلأسرعنّ الآن وابعث رسولاً الى روبر واخبره بالمؤامرة ليتدارك الخطر قبل الوقوع به (يقرع الجرس حزناً) آه لقد ذاب فؤادي واقشعرّ بدني، آه من صولة الموت، رحمك الله أيها الدوق لقد مت مسموماً، أحبط الله مساعي الخائنين فعلى الباغي تدور الدوائر.

* * *

الفصل الثالث

في مغاور الجن

المشهد الأول

(رنارو ، طومازو)

في السجن

رنارو : آه ما أصعب الحكم يا طومازو وما أتعب العيشة في مغاور الجن. نعم انا والملك شبيهان كلانا تحت امرته جند واعوان فالناس يلقبونني بصاحب الدولة والشوكة.

طومازو : وأنا بكل احترام واعتبار أدعوك يا صاحب (الجلال).

رنارو : ولكن الأشغال قد أضعفت جسمي ولم تبق غير اللحم والعظم.

طومازو : حتى صرت مثل الخنزير المعلوف.

رنارو : ماذا تقول؟ (يهجم عليه).

طومازو : قلت يا صاحب الجلال يلزم نعمتكم خنزير معلوف ليعيد اليك قواك.

رنارو : صدقت. هل احضرت الطعام للمسجونين ودفتر المصارفات.

طومازو : نعم مولاي.

رنارو : أضف عليه اذن ٣٠ غرشاً على المسجونين و٦٠ على الحراس و١٠ على الطبيب فكم يكون المجموع في هذا الاسبوع.

طومازو : ٣٠ و٦٠ و١٠— ١٠٠ غرش يا مولاي.

رنارو : مائة غرش فقط ٣٠ و٦٠ و١٠ + ٣٠ و٦٠ و٣٠ و٤٠ غرشاً يا ذكي.

طومازو : مولاي!

رنارو : اسكت واكتب ما قلت لك هات الدفتر واذهب وآتني بكاس من الخمر.

طومازو : (يخرج).

رنارو : ما أصعب الحساب وخصوصاً مسك الدفاتر أي حساب الدوبيا (يشتغل بالكتابة).

طومازو : (وهو داخل وبيده الكأس) حساب الدواب (يلطمه برأسه قائلاً) خذ واشرب.

رنارو : أهكذا تخاطب ولي نعمتك (ويصفعه فتسقط الكأس ويسقط طومازو وفوقه رنارو).

طومازو : قتلتني قتلتني.

رنارو : انني اعلمك الآداب (ينهض) اين الكأس؟

طومازو : لا يعرف غير الشرب والضرب، الكاس على الأرض يا صاحب الجلال.

رنارو : من سعى على رجله رعى، خذ الطعام الى السجين وأنا أتولى بنفسي امر بطني.

طومازو : عجل فالبرميل في انتظارك. «شبيه الشيء منجذب إليه».

* * *

المشهد الثاني

(كميل وحده)

كميل : طالع النحس صادفني، والخير والهناء رحلا عني. رباه. رباه رحمتك وعدلك أي ذنب فعلت ضد ذلك المولى الذي لم يدعني اسرح الطرف في نعيم هذه الدنيا حتى طرحني في بحر زاخر من الهموم لم أرَ له شاطئاً. الهي ارحمني وانقذني من مغاور الجنّ المفزعة.

* * *

المشهد الثالث

(يدخل طومازو بيده الطعام يقدمه لكميل)

طومازو : عفواً أيها الضيف الكريم اذا لم نقم بواجب نعمتك فهذا أفضل طعام عندنا.

كميل : (لا يجيب).

طومازو : (يهز كتفيه قائلاً) اتلطف له في الحديث فلا يرد عليّ جواباً! ولكن سوف يأتي يوم وهو قريب يكلمني بأمره فلا أجيبه ليعلم هذا الغبي انه في مغاور الجنّ لا في قصره حتى لا يتنازل الى الكلام مع فقير مثلي (يهم بالخروج).

كميل : (يمسكه) ناشدتك الله يا طومازو.

طومازو : ان طعامنا لم يحز من ذوق الأمير قبولاً، ولا عجب فقد تعوّد ان يأكل أشهى الطعام.

كميل : بربك يا طومازو.

طومازو : (يهم بالخروج).

كميل : (يمسكه بلطف قائلاً) بعيشك أين سجنت رفيقي رودريك.

طومازو : بربّك في مغارة مثل هذه لأننا قوم نحب المساواة والإخاء اما إذا أساء المسجون الينا أو مسه طيف نهبط به الى الهل.

كميل : الهل؟!.

طومازو : نعم الهل وما أدراك ما الهل مغارة في اعماق الأرض لا يقيم فيها المرء يومين حتى يذوق حتفُه فأسأل الله أن لا يريكها أما رفيقك فلا بدّ من أن يزورها لأنه لم يزل هائجاً ولسوف يختلّ عقله.

كميل : آه وهل جُنَّ رودريك؟

طومازو : ليس الجنون بعيداً عنه ولا بد أن نهبط به الى الهل.

كميل : أحكم علينا أن نسجن في هذه القبور الى ما شاء الله من الزمان؟

طومازو : نعم نعم انك ستبقى عندنا بقية العمر فليس احد يسجن في مغاور الجن ويعود فيرى ضوء النهار فانصح لك أن تتناول ما آتيك به من الطعام لئلا تموت جوعاً.

كميل : وهل عرفت بأمر من سجنت مع رفيقي رودريك.

طومازو : بأمر الدوقة كاترين وجان ماريا حاكم البلاد.

كميل : (بحيرة) جان ماريا حاكم البلاد انك لا تدري ما تقول ايها السجان انك تجهل ان الدوق جان غلياس هو حاكم البلاد وسلطانها.

طومازو : ان الدوق العظيم مات من أربعة أيام وخلفه في الملكَ ابنه سيدي جان ماريا وأمه كاترين وصيّة عليه.

كميل : (ينهض مذعوراً) والدوق جان غلياس قد مات؟

طومازو : لقد أصيب بالطاعون فمات فجأة.

كميل : (يتظاهر بالجنون).

طومازو : يا مسكين ولعله جنَّ أيضاً فلأذهب وانظر ما حلَّ بضيفنا الثاني. (يخرج).

* * *

المشهد الرابع

(طومازو ، رودريك)

طومازو : (يفتح غرفة رودريك فيراه جالساً في زاوية كالمجنون).

طومازو : هل عهدتني ميلان طبيباً للمجانين.

رودريك : (يثب عليه ويقبض بعنف على ذراعيه).

طومازو : (يصرخ من الألم).

رودريك : مهلاً أيها الشقي وقل لي أين وضعت الأمير؟

طومازو : في مغارة نظير هذه وماذا تريد؟

رودريك : اريد اطلاق نفسي لأنجو من هذا المكان.

طومازو : هذا لا يعنيني فدعني وشأني.

رودريك : لا أدعك تذهب حتى تقول لي متى تطلقني من سجني.

طومازو : انك تكون ضيفنا الى ما شاء الله.

رودريك : انكم تطلقون سبلي فإن لي حبيبةً ترقب عودي اليها.

طومازو : (يهرب) ستجتمع بها في عالم الأموات أيها الأحمق (بنفسه) يا له من جنون فاضح انه يريد الاجتماع بالأحباب بعد ولوجه مغاور الجن.

رودريك : ويلٌ ثم ويل لي فلو علمت أنني سأنفصل عن الأمير كميل وانقطع عن حبيبتي نيانزا لما رضيت بهذه الحياة. (يرقد)

* * *

المشهد الخامس

(كميل وحده)

كميل : (يستفيق من غيبوبته) ويل لي انا الشقي فإني سأُقيم في هذا القبر المظلم عمري كله. مات عمي الدوق وصرت ذليلاً قد كنت احدث نفسي بأخذ الثأر من كاترين وبريفارا وجان ماريا والأميرة لاب ولكنهم شعروا فغدروا بي بعد أن فصلوني عن الجيش مخافة أن أزحف عليهم وقتلوا أصحابي الذين كنت أذخرهم لخير الشدائد لأصبح فريداً وحيداً لا عون ولا نصير لي، وأنت يا فرجيني يا بهجة الحياة هيهات أن ترى وجه محبك كميل بعد فأبكيه حياً وميتاً لأنه قد حكم عليّ أن أسجن في مغارة تكتنفها الظلمة لا يبصر منها النور ولا يستنشق فيها الهواء. يا كميل لقد تخرمتك بوائق الدهر ونزلت بك المحن فما أنت فاعل بعدَ هذا؟

قيدٌ أكابده وسجنٌ ضيقٌ ... رباه شاب من الهموم المفرقُ
ان لم يكن فرجٌ فموت عاجلٌ ... ان الحمام من البلية اخلق

* * *

المشهد السادس

(كميل ، رنارو)

رنارو : (يدخل) سيدي هل لك أن تعهد إليّ بسرك وتبلغني وصيتك قبل أن تفارق الدنيا.

كميل : ناشدتك الله مظلوم أنا يا رنارو ان كاترين وبريفارا وجان ماريا هم :

رنارو : يقاطعه صه واحذر ان تذكر أحداً من الأسرة المالكة أو تفشو سراً من اسرارهم فكلمة واحدة ترديك. ورب صيحة تذبح الديك! فأسكت

وارفق بنفسك واصرف ساعاتك الباقية في الهدو لأن التقرير أنجز فلا تكلفني ان أزيد عليه حرفاً.

كميل : انك تراني الآن ذليلاً معفَّر الخد واهي القوى كعصفورة في يد طفل يهينها، ولكنك اذا أطلقت لي جناحيَّ تراني رجلاً تخضع لمبارديا لقدرته ويوليك امرها.

رنارو : (بتهكم) انك من أجل هذا سجنت يا مُملكي على لمبارديا ومُجلّسي على عرشها.

كميل : أتسخر بي يا رنارو.

رنارو : أنت تسخر بنفسك على ما أرى.

كميل : هل لك أن تطلق سبيلي؟

رنارو : انك مجنون وهل تريد أن أنزل الى قبري قبل الأوان. لا فإني احب الحياة كثيراً لآكل كثيراً وأشرب خمراً كثيراً.

كميل : لي حاجة التمسها منك فاسعفني بها.

رنارو : لا تلتمس مني شيئاً ودعني منك.

كميل : مهلاً يا رنارو

رنارو : لا أريد أن أفهم ولا أسمع ولا أجيب ولا أتكلم.

كميل : ان كنت لا تجود باطلاق اسري اتبخل عليّ بسراج فلا أحب أن أموت دون أن أزود عيني من النور وأنا قد هيأت لك هذه الجا...

رنارو : (يقاطعه) لا أسمح بشيء أبداً أبداً.

كميل : قد هيأت لك هذه الجائزة (يخرج خاتماً ويريه لرنارو).

رنارو : (ينظر الى الخاتم مدهوشاً) أنت يا مولاي أمير كريم من الأسرة المالكة والنظام يجيز لي أن أخصك بما تريد وكل شيء تطلبه ليس الا واجبات مقدسة.

كميل : هذا تذكار وخاتم ثمين ورثته من أمي فخذه يا رنارو وتذكر كميل في مستقبل الأيام (يدفعه اليه).

رنارو : (يلتقطه بلهفة) لا أريد أن أحرمك من تذكار حفظته من والدتك ولكني احفظه لك عندي.

كميل : (ينتفض من الحمى ويرتمي في غيبوبة) النار! آه فرجيني قد غرقت في لجة النار!

رنارو : مالي ولكل هذا. الخاتم أحسن لي من الجميع فلأغتنم هذه الفرصة واذهب. (يخرج).

* * *

المشهد السابع

(كميل ، والصوت)

كميل : (ينهض من اغمائه) ما أمر الحياة حياة السجن والذل! ماذا أصنع لأتخلّص من هذه الحياة الثقيلة؟ فالانتحار خير وسيلة فلأمت ولألحق بأمي وأبي وأصحابي وتلحق بي فرجيني فنجتمع هناك.

الا موتٌ يباع فاشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه!

الصوت : وبعد الموت ماذا يحل بك أيها المنتحر؟

كميل : يقف مذعوراً ويلتفت فلا يرى أحداً — ويلاه ان الجن تخاطبني فلأنتحرنَّ واتخلص منها.

الصوت : ان الانتحار اهانة للأرض والسماء.

كميل : (يرتعد ويغطي وجهه ثم يصيح من الجزع) من المتكلم؟

الصوت : من المنتحر؟

كميل : (لا يجيب ويظهر عليه الخوف الشديد).

الصوت : قل قل ولا تخف.

كميل : مسجون.

الصوت : أنا أعلم انك مسجون فمن أنت؟

كميل : أنا كميل بن كارلوس ويسكونتي.

الصوت : أنت كميل بن كارلوس. اواه (تنهدات عميقة وسكون).

كميل : هيهات لا صوت ولكن هو الوهم هو الوهم.

الصوت : أنت ابن كارلوس سيدي.

كميل : انت من أنت أيها الرجل اجبني؟

الصوت : أنا بطرس صاحب أبيك.

كميل : يا للغدر. أنت بطرس الذي صحب أبي ليلة غدرت به كاترين وبريفارا في قصر لاب.

الصوت : نعم. نعم. وسجنوني كي لا أبوح بأثمهم الفظيع.

كميل : ماذا أصنع لأراك.

الصوت : هيهات فذلك محال (وقع اقدام).

كميل : اسكت فإني اسمع وقع اقدام (ينقطع الصوت) (يدخل طومازو).

طومازو : سلام يا سيدي الأمير.

كميل : ان في زيارتك الخارقة العادة لسراً.

طومازو : هو ما تقول يا سيدي فما وراء هذه الزيارة الا الراحة والهناء.

كميل : الراحة والنجاة اني لم اسمع منك هذه البشرى.

طومازو : بل السعادة التي يحن ويتوق اليها من كان مثلك ان اجبتني الى ما أريد.

كميل : إلى طاعتي موكولة سعادتي؟.

طومازو : هي اجلب للخيرات اليك وبها قوام امرك وصلاح شأنك.

كميل : ان سعادة السجين اطلاق سراحه فهل ستخلي سبيلي.

طومازو : نعم فلهذه الغاية أتيتك الآن.

كميل : لقد افعمت قلبي سروراً يا طومازو فأفصح عن مرامك.

طومازو : لا أطيل عليك مدة الحيرة ولا ألبس عليك الأمر فإن من الحنظل نجني العسل.

كميل : اظهر ما عندك من الحقيقة وبين لي الأمر.

طومازو : لا أكتمك انه قد ورد بالأمس على الرئيس رينارو أمرٌ من مولاي الدوق جان ماريا بقتلك.

كميل : قتلي أنا؟!.

طومازو : لا تجزع أيها الأمير ودعني اتمم حديثي. لأن رينارو قد ساءه هذا الحكم وتبين ظلم اعدائك فاخذته الشفقة عليك فحاول أن يرفع عنك الشر والأذى وبعد شحذ الرأي اتفقنا ان نحمل اليك عوضاً عن السم عصيراً مغيباً اذا شربته غبت عن الوجود وأصبحت كالميت لا حراك بك فأتولى حملك لأدفنك على مرأى من الجماعة ومتى أصبحت خارج الحصن عمدت الى ايقاظك من غيبوبتك بدواء آخر هيأته لك وأطلقت لك السبيل.

كميل : أصحيح ما تقول يا طومازو؟.

طومازو : لا شيء يلجئني الى أن أسوق اليك هذا الحديث الطويل لو لم يكن لرئيس الحراس رغبة في انقاذك وأنت تعلم أن لا شيء يؤخرني عن الايقاع بك.

كميل : اذا قرنت قولك بالفعل يا طومازو فإني اعطيك مالاً جزيلاً واصلك بما عندي من أصناف الكنوز والذخائر الكريمة.

طومازو : تعاهدني متى نجوت من محبسك تهيء لنا من الأموال ما نصبح فيه في سعة وغنى عن الخدمة والبقاء في هذا المكان.

كميل : انك ستضع معروفك موضعه وتراني أوفى الناس ذمة واشكرهم للمعروف وأقوم بما وعدتك به فهات الاناء الذي فيه ذلك الشراب العجيب (يعطيه السم. يأخذ الكأس ويضعه على فمه فيسمع ضرب مطارق قوية فيجمد).

طومازو : أرى ان الوهم قد غلب عليك فتشجع واعلم ان في فوات الفرصة فساد الأمر وسوء التدبير فاشرب سريعاً.

كميل : (يرفع الزجاجة ليضعها على شفتيه ويهم أن يشرب فيسمع طرق مطارق اشد من الأول) (ثم يقول لطومازو) اعطني شربة ماء (يخرج طومازو).

الصوت : مولاي مهلاً ولا تشرب ما في القارورة التي اعطاك اياها السجان فإن فيها سماً زعافاً.

كميل : انا مائت لا محالة فإذا تمنعت عن الشرب يقتلني دون شك فإن كان سماً خفف عني وطأة الموت وان كان كما قال السجان نجوت بلا ريب.

الصوت : حذار حذار يا مولاي وارحم صباك واشفق على نفسك.

كميل : ليس لي حاجة في نفسي والموت عندي خير من الحياة فإنه جامعي بأبي وأمي واخواني الذين قضوا نحبهم قبلي... استودعك الله أيها الرجل الأمين الوفيّ فقد كنت تبكي أباً وعمّاً قليل ستبكي ولداً مات ساخطاً قانطاً كأبيه استودعك الله أيها الوطن العزيز استودعك الله يا فرجيني يا حبيبة القلب (يضع كأس الشراب على فمه فيفتح باب مغارته فجأة ويظهر روبر ووراءه رودريك) يا طيف حبيبي روبر هل جئت تصحب - الى مقرك روحي؟

روبر : مهلاً مهلاً علي (روبر يأخذ الكأس من يد كميل) مهلاً أنا روبر ما -

برحت حياً أرزق. النجاة يا كميل فالأخطار محيطة بنا (كميل باندهال وحيرة).

كميل : ماذا أرى؟ روبر حي في مغاور الجن ورودريك حرٌّ طليق. أين أنا وأين طومازو وما عساه جرى.

رودريك : انجُ يا مولاي قبل ان يدركنا الحراس ولا تسأل عما جرى (يخرجون).

الصوت : مولاي! يا سيدي الأمير! قد نسيتني مولاي كميل انقذني.

كميل : انقذوا الشيخ صاحب أبي الأمين بطرس.

روبر : اليك عن سواك وانج بنفسك.

كميل : استحلفكما انتشلا الرجل الذي يناديني من بطن الأرض.

رودريك : اننا نجهل عدد ابواب مغارته.

الصوت : سبعة. سبعة.

روبر : (يفتش فيرى المفتاح ويفتح باب الهل ويمد له يده فيخرج الشيخ بطرس).

جميعهم هيوا بنا. الفرار الفرار (يخرجون مهرولين فيلتقون بطومازو فيعترضهم فيرفسه روبر فيقع على الأرض مغمى عليه).

* * *

المشهد السابع

(رنارو وحده)

رنارو : ما هذه الضوضاء؟ (يسرع الى غرفة كميل) آه لا أراه. طومازو! طومازو!

طومازو : (يئن أنيناً جارحاً).

رنارو : ما هذا الأنين (يتقدم الى غرفة رودريك) ما هذا؟ طومازو! ويحك ماذا جرى؟.

طومازو : (بصوت متلعثم) فروا نجوا الأمير نجوا كلهم (يدخل الجنود).

رنارو : سلاحكم أيها الجنود! الحقوا الفارين.

الجنود : السلاح السلاح (يخرجون بضجيج).

رنارو : ويلاه بئس المصير.

تنبيه : (يجب أن يكون السجن مؤلفاً من غرفتين تفتحان على المسرح في احداهما روبر ورودريك وفي الثانية كميل وبطرس في الهل وهو غرفة في قعر المسرح. ورنارو وطومازو واتباعهما يروحون ويجيئون على المسرح أمام السجن).

(الستار)

* *

الفصل الرابع

المنظر الأول

في سجن كاترين

المشهد الأول

(هوراس وحده)

هوراس : اواه من الدهر كيف يذلل العظام ويقوض اركان العروش. كاترين دوقة ميلان الحاكمة بأمرها أصبحت اليوم في أعماق هذا السجن رهن البلاء والشقاء. نعم نعم فمن فعل سيئة فلا يجزى الا بمثلها والغادر مأخوذ بغدره فأي جرم لم تقترفه هذه الدوقة الشقية. أما قتلت كميل وجميع مريديه ألم تشوِ رعيتها على النار.

كاترين : (من الداخل) آه. آه.

هوراس : هذا قليل: هذا قليل يا فاجرة: آه من الظلم وويل للبغاة.

* * *

المشهد الثاني

(كميل وهوراس)

كميل : (يدخل) سلامٌ يا سيدي القائد (يدفع اليه الكتاب).

هوراس : (يأخذه ويتلوه ــ ثم يقول) من الرجل؟

كميل : من حجاب سيدي الدوق جان ماريا ــ حملت هذا الكتاب اليك لأتولى قتل الدوقة كاترين بنفسي.

هوراس : أوليس عندنا من يقوم بهذا العمل حتى تكلف نفسك به؟

كميل : لم آتِ اليك يا سيدي الا لألتمس منك هذه الحاجة وأمضي بهذه الظالمة أمر مولاي الدوق لأثأر بدم أبي.

هوراس : أو هي التي قتلت أباك أيها الحاجب؟

كميل : أجل هي بعينها احتالت عليه وسقته السم وقتلت الكثيرين من اصحابي فلا تمنع عني ما اتوسل به اليك.

هوراس : لقد توسمت في وجهك أيها الحاجب ملامح قريبة الشبه من أكرم أصحابي فمن هو أبوك؟

كميل : ان أبي كان رأس حجاب الدوقة وقد قتلته لذنب لا يستحق العقاب فآليت ان اثأر منها بدمه، فما برحت اجس الاخبار حتى عرفت ان ابنها يأتمر بقتلها فأغريت راس الحجاب بالمال حتى سمح لي بحمل هذه الرسالة اليك، وأنا مستبشر بقضاء حاجتي وقد حملت منيتها في جيبي. (يريه قارورة السم).

هوراس : أمن ميلان آت أنت؟

كميل : لا يا سيدي ولكنني مررت بمغاور الجن أولا وحملت الى رنارو أمراً من جان ماريا بقتل الأمير كميل ويسكونتي.

هوراس : الأمير كميل؟ ويسكونتي؟ انك تخلط السواد بالبياض فالأمير كميل ويسكونتي قد مات عندما كان عائداً من فلورانسا.

كميل : لا يا سيدي فهو سجين بمغاور الجن والشائع انه قد قُتل.

هوراس : (تغرورق عيناهُ بالدموع) آه لو عرفت قبل اليوم بسجنه لكنت سعيت جهدي في سبيل نجاته ولو هلكت فهو ابن اعز أصدقائي فقد صحبت

اباه في الحروب والغزوات ولا تعجب اذا أطلت النظر فيك فإنك تحاكيه صورة.

كميل : لا عجب فربما يريكه الله بمعجزة.

هوراس : هيهات لقد هلك لا محالة.

كميل : ليس عند الله امر عسير فزدني نظراً تعلم ان كنت أنا ابن صديقك كارلوس.

هوراس : كميل : كميل : (يعانقه) ما أحلى هذا اللقاء ولكن كيف اتصل بك هذا الأمر وكيف جئت الى هذا المكان.

كميل : اما النجاة فسأحدثك عنها بعد مقتل كاترين لأن شرحها طويل وأما الكتاب فقد اختلسه روبر من رسول الدوق جان الى رنارو رأس حجاب مغاور الجن وبسعي هذين الصديقين قد نجوت اما الآن فلنعجل بقتل كاترين.

هوراس : ادخل (يفتح له سجن كاترين) تنشقي الهواء يا سيدتي (يذهب).

* * *

المشهد الثالث

(كميل . كاترين)

(كاترين جالسة مسدولة الشعر).

كاترين : آه من جان ولدي العقوق، وآه من بريفارا اللئيم الغادر.

كميل : (يقف في الباب صامتاً مندهشاً).

كاترين : من أنت؟ وما حاجتك يا رجل؟

كميل : أنا حاجب مولاي الدوق جان ماريا.

كاترين : قبّح الله مولاك.

كميل : بعثني بأمر أنت المراد به.
كاترين : هل من بشرى عذبة تطيب بها نفسي؟
كميل : بالعكس.
كاترين : اذن ماذا؟
كميل : لم يرسلني الا مأموراً بقتلك وقد جئتك نذيراً ولو شق عليك ذلك.
كاترين : (ترتجف) قتلي؟
كميل : نعم قتلك فإذا كان لك وصية ترومين أن تكلفيني بها فاجعليني مستودع سرك قبل تنفيذ الحكم.
كاترين : (تنهض بغضب) ألم يكفه سجني! ألم يقنع بالملك الذي استخلفه من بعدي حتى ضن عليّ بالحياة فلتلعنه السماء والأرض وليمت قتيلاً من يد اعدائه (تسقط مغشياً عليها وتمزق ثوبها).
كميل : هذا مصير الظالمين اتعظي يا نفس بمرأى هذه الدوقة الطاغية فلنسقها السم على غفلة منها (يصبُّ السم في كأس ويجرعها اياه ويتراجع مرتجفاً).
كاترين : (تنتبه وتجلس ناظرة الى كميل) اني أراك أيها الفتى كريماً فاشفق عليّ.
كميل : هذا كلام لا يفيد.
كاترين : لي حاجة إن اسعفتني بها اعطيك كل مالي.
كميل : (باستخفاف) وأي حاجة لك؟
كاترين : ان تعود بكتاب مني لولدي جان.
كميل : لقد امر بقتلك ولن يعود عما أمر: كاترين: كاترين: لم يعد في الحياة مطمع فاستغفري الله عن آثامك وتوبي اليه انه تواب رحيم.
كاترين : اتجرؤ مع صغر شأنك ان تستقبلني بهذا الكلام؟ فاخرج ودعني.
كميل : لا خلاص لك ولا رجاء فاندمي على خطاياك.

كاترين : اني احب الحياة ولا أريد أن أموت.

كميل : انت مائتة ما لك لا تفهمين.

كاترين : سوف استرد ملكي وانتقم من اعدائي فاذبحهم وأصلبهم مع نسائهم واطفالهم واتلذذ إذ أرى أبدانهم تشوى على النار : ولكن آه انني اشعر بألم ويلاه تمزقت امعائي جرعتني السم ايها الشيطان.

كميل : كاترين : كاترين تذكري كارلوس ويسكونتي.

كاترين : (ترتجف).

كميل : كاترين : اما سقيته السم في قصر البارونة لاب؟وابنه كميل اما سجنته في مغاور الجن؟

كاترين : انطردي ايتها الأرواح الشريرة (تصيح) ويلي لقد قتلت.

كميل : كاترين : كاترين : ان أوجاعك ليست بأشد مما توجع كارلوس وليس قنوطك شيئاً مذكوراً لو فكرت بقنوط كميل وعذابه في مغاور الجن والاجسام التي شويتها على النار والأرجل التي داست مسلوخه على الحصى والأنوف التي جدعتها والأيدي التي قطعتها والدماء التي اهرقتها كلها تشتفي من ميتتك الآن.

كاترين : (تغطي وجهها) ويلاه!

كميل : (يخلع ثوب الحاجب ويتقدم نحو سريرها) تفرسي بي ملياً تعلمي من يد من شربتِ السم.

كاترين : (تنظر اليه وتصرخ) كميل : كميل لقد انتقمت (تفيض روحها).

كميل : موتي فالغادر مأخوذ بغدره.

*

المشهد الرابع

(هوراس ، روبر ، مرتينو ، راهب)

كميل : (إلى هوراس) لقد قمنا بمهمتنا خير قيام وذهبت نفس الشقية.

هوراس : الى حيث القت رحلها أم قشعم[1].

راهب : (يدخل ومعه روبر ومرتينو).

كميل : (الى روبر ومرتينو) بكل سرور ابشركم بالتقائي بأعز اصدقاء أبي. القائد هوراس نصيرنا العظيم.

الجميع : هوراس كيف ابقتك الأقدار حيًّا؟!.

هوراس : ابقتني لأمد لكم يد المساعدة في مثل هذه الظروف.

الراهب : اسمحوا لي واصغوا ، فلي كلمة اقولها باختصار — إلى كميل — يا سيدي الأمير ان الوقت ثمين فعجل بالسفر الى فرنسا لأن فرجيني قد سبقتك الى هنالك وقد اخبرت رفيقك بما جرى بعد اختفائك. عجل عجل لأن فرارك من مغاور الجن قد شاع وبث عليك جان ماريا العيون ووضع [illegible] رأسك الذهب والجوهر فالعجلة العجلة!.

كميل : لا ابرح مكاني حتى ابيدهم عن آخرهم قتلت كاترين وسألحق بها ابنها جان.

الجميع : الوداع الوداع يا هوراس. (الستار)

---

(۱) الى حيث ألقت رحلها أم قشعم : مثل سائر يضرب للذاهب المكروه يُدْعى عليه بالسوء كناية عن ذهابه الى النار.
الرَحْل : ما يوضع على الناقة لتُركب ، وهو كالسرج للفرس
قشعم : المسنّ من الرجال ، والنسور ، والأسد.
أم قشعم : الحرب ، والداهية ، والضبع ، والمنيّة.
وقصة المثل : زعموا أن ناقة كانت تكنّى (أم قشعم) نفرت ، فرّت على نار عظيمة فأجفلت فألقت رحلها في النار ومضت في عَدْوها. فضرب ذلك مثلاً.

المنظر الثاني

(في قصر البارونة لاب)

المشهد الأول

لاب :

لو المحبوب لم يهجر محباً ... لما ازداد المحب به هياما

فان الشيء حين يعز يعلو ... وطالبه يزيد به غراما

آه يا بريفارا ان سفهي وجهلي حملاني على مطاوعتك حتى أحببت من أكره وأبغضت من أهوى فسئمت الأول وفقدت الثاني وما كان اغناني عن ذلك. ان حب الرفعة دخل مني مدخلاً غلب عقلي حتى بذلت جمالي إلى جان ماريا الغليظ. جاهرت بعداوة كميل الذي لم ترعيني مثله حسناً وجمالاً وحلماً وكمالاً فويلٌ لي أنا الجاهلة. آه يا كميل أين أنت الآن ولكن إلامَ اتعلل بالمحال فان عاد فلا يزداد الا تباعداً عني وان اجتمعت به فما عذري له وقد قتلت أباه بيدي وحاولت ايصال الاذية اليه والى فرجيني حبيبته. اواه مالي الا السم (تتناول القارورة). كميل كميل سأنتقم لك من نفسي واثأر لأبيك عنك وفي قلبي لقربك حسرة — تدنيها من فيها —.

المشهد الثاني

(كميل يدخل فجأة)

لاب : ماذا أرى أخيال كميل؟!.. تكلم ان كنت أنت كميل.

كميل : ألم تعرفيني.

لاب : (ترتعش وتسقط القارورة من يدها) كميل أتراني أراك حقيقة بعدما قطعت الرجاء من لقائك.

كميل : ما أقرب ما نسيتني يا لاب!.

لاب : وهل تنساك من تحاول قتل نفسها من جفاك ولكن رأيت في ملامحك نفوراً.

كميل : ان ذاك مما جلبته عليّ مغاور الجن.

لاب : لقد كتموا علي سجنك وبقاؤك في قيد الحياة ولم أعرف انك في مغاور الجن الا بعد فرارك منها.

كميل : اتنكرين امراً لك فيه اليد الطولى؟!.

لاب : أنا بريئة من ذلك أيها الأمير.

كميل : اراك تبرئين نفسك؟

لاب : اذا أنا لم التمس لنفسي العذر فلمن التمسه؟

كميل : اقصري عن هذا الكلام فما جئتك معاتباً ومعنفاً لأن ذكر ذلك يحدث في قلبينا تغيراً ونفوراً.

لاب : أوجئتني لغير ذلك.

كميل : جئتك مستعيناً على أمر لي ولكن منه غبطة وصلاح.

لاب : ها أنا سامعة منك وموافقة لك فقل ولا تحتشم فأنا رهن اشارتك.

كميل : لقد قتلت كاثرين وأضرمت الثورة على جان ماريا ووجدت في البلاد انصاراً وأعواناً لم يستطع جان مقاومتهم فحاصروه ولا يزال منحبساً بالدير وسأتغلب عليه باذن الله وقد قدمت عليك مستعيناً بعلمك وعملك لعهدي أنه باق لي في فؤادك بقية من الحب.

لاب : قل فأنا أحب أن أراك سلطاناً وسلطان قلبي معاً فلو كنت تأخرت دقيقة لكنت وجدتني جثة هامدة وذهبت قتيلة هواك وشهيدة جفاك واما الآن وقد انقادت لي الأمور ووثقت من لقاك فسأبذل حياتي ودمي في

قضاء الأمر الذي احتجت اليّ فيه وسوف يكون مصرع جان ماريا هائلاً.

كميل : هذا أمر لا يرجى فيه غيرك يا لاب فكيف نصل اليه وهو لا يقابل احداً غير استور وبريفارا؟

لاب : ويوجد أيضاً ثالث يقابله.

كميل : ومن هو؟

لاب : من يحمل اليه خاتمي.

كميل : هاتيه ان كنت صادقة الود فإنه ينفعني.

لاب : حباً وكرامة (تناوله اياه) وماذا عولت أن تفعل به أيها الأمير؟

كميل : انني أريد الدخول به على جان ماريا وقتله شر قتلة.

لاب : اليك عن هذا الأمر. لا تغرر بنفسك. أخاف عليك غدره..

كميل : هذا أمر لا بد منه.

لاب : دعني احتل عليه بنفسي واتولى قتله بيدي.

كميل : انك تتولين أمراً أعظم من هذا أيتها البارونة فان أقدمت عليه أوليتني معروفاً عظيماً.

لاب : قل ما هو ذلك الأمر؟

كميل : تذكري يا لاب قتل أبي في هذا القصر مسموماً بحيلة بريفارا ومكره...

لاب : اتذكر شيئاً من ذلك.

كميل : حاشاك أن تنسي ما فعلت بالأمس فإن كأس السم قد شربها أبي من يدك اللطيفة.

لاب : هذا كذب بلغك عني.

كميل : اذا نسيت الليلة السادسة عشرة من أيار أو تناسيتها فانظري الى ميدان قصرك تريها مرسومة بأحرف نارية.

لاب : لقد خدعوك أيها الأمير... ويلاه ما هذه التهمة؟!.

كميل : والأغرب منها يا لاب انه وجد صاحب أبي بطرس الذي كان يصحبه في تلك الليلة حياً.

لاب : انني لم آت الى أبيك ذنباً.

كميل : (يصفر صفرة خفية).

* * *

المشهد الثالث

بطرس : (يدخل) (يرتعد عندما يرى لاب).

كميل : ان لاب تنكر علي قتل مولاك كارلوس؟

بطرس : (يحملق بها ويستل خنجره ويصيح) ها هي الخائنة. ها هي قاتلة مولاي كارلوس. آه... هي السامة الساحرة دعني اقتلها. اقتلها فإني أرى الكأس في يدها.

لاب : (خائرة القوى) رحماك يا كميل اقتلني اقتلني أو ابعد عني هذا الرجل الذي ذكرني بالذنب العظيم لقد سقيت اباك السم فاثأر له مني.

كميل : (يشير الى بطرس بالخروج) انني لم آت اليك لأنتقم منك لأنني أعلم أنه لا ذنب عليك ان بريفارا هذا الذي استغواك فأريد أن يموت كما مات ابي.

لاب : مسموماً؟

كميل : وان يشرب السم هذه الليلة على مائدتك ومن يدك أنت لابسة ثوبك الأزرق.

لاب : لا أفعل هذا أبداً فهذا أمر عظيم.

كميل : أولم يكن قتل أبي عظيماً فإن بريفارا قد قضى بذلك فن العدل الانتقام منه تعويضاً وتكفيراً.

لاب : كميل انك ترجو أمراً مستحيلاً.

كميل : إذا لم تفعلي الجأتني الى قتلك.

لاب : اتحدثني بمثل هذا وأنت في منزلي لقد تجاوزت حدك.

كميل : قد أصبحت في قبضتي فإما قتل بريفارا أو قتلكما معاً.

لاب : (تقرع جرساً) يدخل رودريك. مرتينلو. روبر. بطرس.

* * *

المشهد الرابع

لاب : (تسقط على المقعد) ويلاه قد هلكت!.

كميل : دعي عنك المكابرة فلا نجاة لك الا بقتل بريفارا فإن خدمك وجميع من في قصرك عندنا أسرى. فخذي طرساً واكتبي اليه أن يدانيك لتناول العشاء على مائدتك وان تأخرت لحظة خرقت بهذا المسدس صدرك. (يصوبه نحوها).

لاب : (تأخذ طرساً وتكتب).

كميل : (يملي عليها).

سيدي البارون.

ان لي كلاماً أقوله لك وهو من الأهمية بمكان فوافني لتقاسمني الطعام فأقصه عليك وان تأخرت تلقني في الغد جثة هامدة.

لاب

كميل : (يدفعه الى مارتينو) خذ هذا الكتاب وعجل بايصاله له (مرتينو يخرج مسرعاً) (الى لاب) اذهبي حالاً وتردي بثوبك الأزرق الذي البسك

اياه بريفارا ليلة قتل أبي وهو حاضر الآن فحذار ان تمتنعي عن دسّ السم واياك أن تكاشفيه بأمري وأمر أصحابي لأنهم سيتزيّون بزي الخدم ويتولون تقديم الطعام فإن خنتني قتلتك معه اشنع قتلة.

لاب : (تذهب تغير ثيابها).

* * *

المشهد الخامس

(كميل ، روبر)

كميل : آهاً منكم أيها الخونة اللئام الذين قتلوا أبي ظلماً وعدواناً فلقد حانت ساعة الانتقام واليوم سأمتع نظري بمصرعكم وأشفي غليل قلبي منكم تباً لكم من أسافل... ظنوا الدهر سيبقى معهم... ولكن خابت آمالهم واخفق سعيهم وسوف يعلم الظالمون أيّ منقلب ينقلبون.

وما من يد إلّا يد الله فوقها   وما ظالم إلّا ويبلى بأظلم

روبر : سكن عنك يا مولاي وسوف تحقق أمانيك ولا بد من أن يحضر بريفارا الآن ويتجرع كأس السم من يد لاب كما تجرعها أبوك من قبل وبعد ذلك نعمل على هلاك اعدائنا جميعاً ونمزقهم تمزيقاً.

(يخرجون)

* * *

المشهد السادس

(تدخل لاب)

لاب : ما أدري أي الأمرين اعظم أهلاكي وهلاك بريفارا معاً أم قتله وبقائي في الحياة بقرب كميل ونيلي حظوة عنده.. ان في قتل بريفارا خلاصي وليس في موته مضرة ولا خسران فليمت.

* * *

المشهد السابع

(يدخل بريفارا)

بريفارا : ها قد اتيتك يا لاب فما لي أراك ترتدين الأثواب الزرقاء التي أكرهها؟

لاب : نعم اني لبستها ليلة قتل الأمير كارلوس اما اليوم فقد قابلت ابنه كميل.

بريفارا . : كميل.

لاب : نعم قد جاءني في هذا الليل زائراً.

بريفارا : كميل في ميلان وهذا يسرك.

لاب : سيدركك العجب مما أقص عليك فلنشرب أول الاقداح (يجلسان على مائدة).

بريفارا : اخبرني يا لاب عما عرفته من كميل.

لاب : عرفت ان نار الحرب لم تضرم الا للانتقام منا.

بريفارا : وما غاية كميل من قدومه اليك؟

لاب : ليستعين بي على قتل جان ماريا.

بريفارا : وما وعدته؟

لاب : وعدته بقتله فانصرف شاكراً.

بريفارا : لله درك ما أشد دهاءك يا لاب.

لاب : تدس له السم في الكأس دون أن يدري وكميل واصحابه ينظرون من بين الكوليس).

بريفارا : فلنشرب على نخب البارونة لاب (يشربان).

لاب : (ترتعش).

بريفارا : ما بالك مرتعدة الفرائص؟ فما نزل بك واصابك.

لاب : تذكرت حلماً هائلاً ازعجني.

بريفارا : وما هو؟

لاب : رأيت ان كميل قد قدم إليّ وسألني ان أدس لك السم فأبيت فتهددني بالقتل ان لم أفعل فوعدته بذلك وكتبت اليك ادعوك لمناولة الطعام في قصري فأتيت وبينما نحن نتداول الكؤوس دسست لك السم في الشراب واعين اصحاب كميل تحدق بنا من وراء هذه النافذة.

بريفارا : آه أحس بألم في احشائي.

لاب : فتناولت أنت كأس الشراب وحاولت أن أمنعك فسبق السيف العذل فصحت صيحة عظيمة واستيقظت من رقادي مذعورة.

بريفارا : (ينهض ويقبض على احشائه صارخاً) ويلك يا لاب هل سقيتني سماً فقد تمزقت احشائي.

لاب : (بخوف) نعم لا ذنب عليّ وقد نجيت نفسي.

بريفارا : آه انك غدرت بي وقتلتني ولم تخلفي ظني بك يا ابنة الخنا فقد قتلت أباك يا خائنة.

لاب : ويلاه هل أنت أبي؟

بريفارا : انك من دم بريفارا وقد برهنت بغدرك ان هذا الدم سار في عروقك ايتها الغادرة.

لاب : وابلوتاه لقد قتلت والدي.

بريفارا : (يصيح صياحاً مزعجاً ويمزق ثيابه).

لاب : (تقف مذعورة كمن فقد الصواب وتتقدم من أبيها تتفقده).

بريفارا : (يثب عليها ويقبض على عنقها وشعرها قائلاً)
لا عشت بعدي ولا رأت عيناك بعد اليوم كميل فوتي على مرأى من أحببته أشنع الميتات.

لاب : (تصيح وتستعين بكميل) كميل كميل.

كميل : (يدخل واعوانه وخنجره ملطخاً بالدم).

بريفارا : أواه لقد ثأرت مني يا كميل.

كميل : تذكر ما فعلت بأبي أيها الغادر وما صنعت بي أيها اللئيم فها دم جان ماريا يسيل على حدّ خنجري. نعم قد دخلت عليه بواسطة خاتمك يا لاب وقتلته شر قتلة وثأرت منكم جميعاً وكفيت البشرية شرّكم. فموتي يا خائنة فعلى الباغي تدور الدوائر.

بريفارا أو لاب : يلفظان آخر نفس.

كميل : (الى رفاقه) أيها الاخوان! لقد ادركنا ثأرنا وكلل سعينا المجيد بالنجاح وناديناً باستور حاكماً على البلاد بعد جان ماريا الذي لاقى حتفه بحد هذا الخنجر. اما الآن فأنا عازم على الذهاب الى فرنسا للاجتماع بفرجيني فاتبعاني يا روبر ومرتينو فقد انتصر الحق وزهق الباطل.

كميل : ورفاقه ينشدون:

قطعنا البحر والبرا فافزعنا الورى طرّا
وقد خافت اعادينا سيوفاً تدرك النصرا

* * *

وهذا الدهر صافانا ويوم الفوز وافانا
قد ابيضت ليالينا لنا البشرى لنا البشرى

(يهمون بالخروج) (الستار)

الفصل الخامس

الجزء الأول

في برية

المشهد الأول

الراعي : جالس على صخرة قباله قطيعه وفي يده شبابته يعزف عليها قليلاً. يضع امامه جرابه ثم يخرج الزاد ويبدأ بالأكل.

المشهد الثاني

كميل * روبير * مرتينو

كميل : السلام عليك يا عم.

الراعي : أهلاً بالشباب تفضلوا شاركونا.

كميل : عشت يا كريم.

الراعي : اراكم غرباء والغريب خليق بالكرامة وأظن أنكم لم تتغذوا بعد فهيوا نتناول الطعام.

كميل : الف شكر لك وظنك لم يخطىء فنحن غرباء هذا الديار و...

الراعي : (يقاطع كميل) اجلسوا اجلسوا. (ينهض وينادي بأعلى صوته) يا مرقس يا مرقس يا مرقس.

مرقس : (يجيب من الخارج) نعم. نعم.

الراعي : عندي ضيوف هات الخبز واحلب العنزة السكاء واسرع الينا.

روبر : ما هذه الأريحية.

كميل : ان السذاجة لمؤثرة.

مرتينو : سنأكل مريئاً ان شاء الله.

الراعي : (يجلس) غضوا الطرف يا اخوان فحياة الرعاة كما ترون: أكل عزف غناء (ينهض) ويتناول حجراً في يده ويصيح ملحا. ملحا. طق. طق.

كميل : ورفيقاه يتناولان الطعام مع الراعي.

* * *

المشهد الثالث

(المذكورون، ومرقس)

مرقس : يدخل وفي يده سطل الحليب ومعه الطاس ويقدمها الى أبيه.

الراعي : (يصب حليباً ويقول): كلوا أيها الكرام فعلى الرحب والسعة أنتم ضيوفي مجازا وفي الحقيقة فإنكم ضيوف مولاي لويجي.

كميل : ومن هو مولاك لويجي؟

الراعي : مولاي لويجي أطال الله عمره.

كميل : ومن هو هذا السيد العظيم؟

الراعي : هو مولاي لويجي الله يحفظه.

روبر : يظهر انك لا تفهم كثيراً ايها الراعي.

الراعي : اعهدت الراعي فيلسوفاً فلو كنت فيلسوفاً لما كنت أرعى الغنم في هذا الجبل.

كميل : قل لي بربك من أين مولاك لويجي فلي صديق يدعى لويجي أهو الرجل الذي نقصده.

الراعي : ان مولاي لويجي لا يريد أن يعكر صفاء وحدته أحد ولذلك لا أهديك الى مكانه فلا تتعب.

كميل : قلت لك أيها العم انني اقصد رجلاً يدعى لويجي وهو ايطالي الأصل يسكن في فرنسا اليوم وقد جئت من بلاد بعيدة لأراه وهو صديقي الصدوق.

الراعي : انه الرجل الكريم صديق الجميع. وشهرة معلمي لويجي تدفعك الى زيارته وكثيرون يقصدونه مثلك فلن أرشدك إلى مكانه.

كميل : لكي تعلم ايها الراعي انني لست ممن يطمعون بشيء من هذا فها أنا أقص عليك قصة مولاك: ان لمولاك ابنتين احداهما تدعى فرجيني والثانية مينرفا وهو قد رباني صغيراً ولهذا تراني أود الاجتماع به.

الراعي : فهمت. فهمت. يظهر انك طالب عروس.

كميل : لا يا عم فسوف تعلم أمري وتكون قد قمت نحوي بخدمة جلى اكافئك عليها ان شاء الله.

الراعي : كثيرون الذين يعدوننا هذه المواعيد وحتى الآن لم نفز بشيء (الى ابنه) يا مرقس اجمع القطيع وسر أمامه إلى المزرعة فأنا ذاهب مع هذا السيد الكريم الى قصر مولاي لويجي.

مرقس : (يضع السطل في كتفه ويعزف على الشبابة ويخرج).

الراعي : (الى كميل) اتريد ان اغنيك بعض الألحان الشجية لتذهب اشجانك فإنني اراك كئيباً.

كميل : لست بالكئيب. حدثني اذا شئت عن مولاك.

الراعي : قل الحقيقة يا فتى اتريد ان احدثك عن مولاي الشيخ أم عن الصبيتين؟

كميل : (يبتسم).

الراعي : (على حدة) لم يخطىء ظني انه طالب عروس. (الى كميل) مولاي عنده فتاتان. احداهما ندابة نواحة تبكي دائماً حبيباً لها مات. وأما الثانية فبين بين فإذا كنت ترغب في الأولى فارجع من هنا لأنها لا تتزوج.

كميل : وما اسمها؟

الراعي : اسمها لا (يدور على لساني) مات حبيبها وقد اقسمت انها لن تتزوج. كثيرون زاروها قبلك وعادوا خائبين. (يفتكر) ولكن سر عَلَى خيرة الله.

كميل : انك خفيف الروح ايها الراعي وكيف تصرف مولاتك النواحة أيامها؟

الراعي : عاد الى الحديث. تبكي على ضريح حبيبها كل يوم ولا شغل لها غير استقبال الفقراء الذين يزورون سيدي لويجي فيأكلون ويشربون ثم يذهبون ثم يرجعون ثم وثم. وماذا تريد بعد.

كميل : لا شيء سر بنا.

الراعي : اني سائر معك. وإذا تم لك نصيب عندنا فلا تنسَني أيها الأمير.

كميل : سوف أذكرك ولا أنساك.

الراعي : (يشبك يديه على رأسه ويصيح) يا مرقس دع القطيع، وتعالَ اعزف على شبابتك وسر أمامنا فإننا تابعوك.

(تعزف الشبابة ويغني الراعي ويسير ووراءه كميل وروبر ومرتينو).

(يرخى الستار)

*

الفصل الخامس

الجزء الثاني

في حديقة قصر لويجي والقبر فيها

المشهد الأول

فرجيني : (تضع اكليلاً على القبر وتنشد نائحة) :

على ضريح حبيبي لذَّ لي حزني   وخانني زمني والصبر والجلد
وقطع البين احشائي بصارمه   إذ حرم الحب والأحباب قد بعدوا
يا ليت ما كان لي عهد بحبهم   فالحب فيه الشقا والويل والنكد
اواه من صولة الأيام ان وثبت   فالموت أصبح لي خير الذي اجد

المشهد الثاني

(مينرفا ، وفرجيني)

مينرفا : (تدخل) سيدتي فرجيني ! لقد ارسلني ابي في طلبك لأن عنده فقراء في القصر لتهتمي بهم.

فرجيني : اواه يا مينرفا ليتك تشعرين بما في قلبي من اللوعة فلا يلذ لي ويخفف عني وطأة شجوني غير خلوتي هنيهة قرب هذا الضريح. فيا حبيبتي تولي أمر تدبيرهما عني ريثما تنشف عبرتي ويهدأ ثائر احزاني فالحق بك.

مينرفا : خلي عنك هذا النحيب فهو يذيبك وما فات هيهات أن يعود فاصبري والله مع الصابرين. اذاً أنا ذاهبة فلا تطيلي المكوث في هذا المكان (تخرج).

* * *

المشهد الثالث

(كميل، وفرجيني)

كميل : (يدخل بهدوء قائلاً بصوت خافق) هذه هي الفتاة التي وصفها الراعي انها تشبهها.

فرجيني : (تنحني على القبر قائلة) ما ينفعني العيش بعدك وأنت راقد في القبور. وأي مطمح لي في الحياة وانت في عالم الأموات. لقد خنتك في حبك ان عشت بعدك.

فرجيني : فلا ابرحن ابكيك حتى يضمني ضريحك أو تفنى عليك دموعي
في القبر يا كاميل قربك لذلي فخذني فقد حنت اليك ضلوعي.

كميل : فرجيني فرجيني.

فرجيني : (ترفع رأسها فتجفل مرتاعة اذ ترى كميل قربها وقد تبرقع وجهه باصفرار الموت).

كميل : (يضطرب ويقول بصوت متلجلج) : فرجيني حبيبتي فرجيني (ثم يقع مغشياً عليه).

فرجيني : (تقع على الضريح حائرة).

* * *

المشهد الرابع

(كميل ، فرجيني ، لويجي ، مينرفا ، الراعي (يدخلون))

لويجي : (يرى كميل ساقطاً على الأرض فيسأل فرجيني فلا تجيب).
(لويجي والراعي يحلان ازرار كميل فيرون على صدره ذخيرة نقش عليها اسم فرجيني. واذ تراها فرجيني تصيح) كميل كميل هذا هو حبيبي كميل. (ويغمى عليها).

لويجي : ولدي حبيبي هذا كميل الذي أراه حياً ونحن نبكيه ميتاً وافرحتاه (يأخذ يفرك يده وينشقه المنبهات).

مينرفا : تنشق فرجيني حتى تستفيق.
(فرجيني وكميل) ينظران الى بعضهما صامتين.

* * *

المشهد الخامس

(المذكورون ، روبر ، مرتينو (يدخلون))

روبر : أنت هنا يا سيدي كميل؟ لقد اضعتنا.

لويجي : (يضم كميل وفرجيني الى صدره) قائلاً: احمد الله الذي جمع شملكما وضم الفتكما واشكراه معي على انه اسعد ايامي الأخيرة بذلك لأنزل الى القبر مستريحاً. وأنت يا ولدي كميل لقد قلت لك إن للأيام

عليك دَيْناً ستتقاضاه منك وقد استوفت الأيام دينها ولسوف تنقلب بغيرك كما انقلبت بك.

كميل : لقد جرعتم كأس غدرهم حتى الثمالة وقضي الأمر عليهم جميعاً. وآخر من نزل به القضاء لاب لشقية فقد جرعتها كأس السم بيدها كما جرعته بريفارا وخلا لي الجو.

الجميع : فليحي البطل كميل.

فرجيني : احمدك اللهم على أنك وهبت لي حبيبي حتى قرت به عيني فاشكرك على أنك جددت لي في الحياة عهداً جديداً.

لويجي : قري عيناً يا ابنتي فالبغي مرتعه وخيم.

مينرفا : هنيئاً لك يا حبيبتي (تعانقها).

كميل : شكراً لهذين البطلين يا مؤدبي فقد كانا لي ساعداً قوياً اتقي به الاعداء.

مرتينو : اننا لم نكن الا انصار الحق.

روبر : لم نخدم الا الفضيلة والوطن.

الجميع : فليحي الوطن.

لويجي : الآن قد صفا لنا الزمان فلنعد من هذا المنفى الى الوطن المحبوب.

الراعي : وأنا يا مولاي. لقد نسيتني.

لويجي : تبيع القطيع وتسير معنا حيث نقيم بالهناء في ظلال القصور.

الراعي : لا سيدي فإذا كنت تحبني لا تقل ذلك.

لويجي : اذا ماذا نصنع بك.

الراعي : تشتري لي قطيعاً آخر وأودعك داعياً لك.

لويجي : قر عيناً سنفعل ذلك.

كميل : نترك لك هذا القصر.

الراعي : تتركون لي القصر وما حاجتي اليه؟ وأنا أدعو لك بالتوفيق.

كميل : ذلك يكفي.

لويجي : سيروا بنا الآن لنهيء معدات العرس فقد حان ان نفرح بمن قام من الرمس وانشدوا معاً نشيد الشكر فهو واجب مقدس.

الجميع : (ينهضون وينشدون) :

الحمــــــد لله قد زال العنا
وحلت القلب بشـــائـر الهنا
يا ربنا كلل بالنصر مسعانا
واحفظ من البلوى أهلاً وأوطـانـا

(الستار)

تمّت

*



تمثيلية إذاعية

أمين الريحاني (1)

المسمع الأول — في بيروت

سليم : يا أمي ، مالك مهمومة؟ لا بأس إذا اختصرت العشا . ما بقي قدامنا إلّا ساعة واحدة .

---

(١) أمين الريحاني : (١٨٧٦ — ١٩٤٠) أديب لبناني مهجري ، ولد في الفريكة ثم هاجر إلى نيويورك واشتغل بالتجارة وعمل في فرقة مسرحية . درس الحقوق ، ثم عاد إلى لبنان ليعمل في تدريس الانجليزية ، ويواصل عمله الأدبي في الترجمة والتأليف . رحل في العالم العربي رحلات عدّة وعاد منها بمشاهدات وانطباعات ضمّنها كتبه « قلب العراق » « ملوك العرب » « المغرب الأقصى » كما رحل داخل لبنان وعاد من رحلته هذه بـ « قلب لبنان » كتب فيه مارون عبّود مقالات عدة . وله فيه « أمين الريحاني » صدر في سلسلة « إقرأ » .

وهذه المسرحية الإذاعية ، ألفها مارون عبّود ، وأذيعت عام ١٩٥٤ ، ومع أنها من حيث تاريخ صدورها تأتي مع « عيد الشجرة » متأخرتين عن الحقبة الأولى التي أبدى فيها مارون عبود اهتماماً بالمسرحيات خاصاً ، والتي عنيت دار مارون عبّود بها لاحقاً تنشرها وتلحقها بمجموعة مارون عبّود لتتمّ بها مؤلفاته كاملة . فإننا آثرنا أن نضمّ هاتين المسرحيتين الى مجموعة المسرحيات السابقة لها ، مع ما بينها وبينها من مدّة زمنيّة واختلاف في الشكل والمضمون ، ليسهل على القرّاء والدّارسين الاطلاع على المسرحيات التي ألّفها مارون عبّود في حيّز واحد ، وليضمّها ضمن المجموعة مجلّد واحد .

الأم : ساعة واحدة؟ وبعد الساعة أي أمر مهم ينتظرنا؟

سليم : يظهر انك...

الأم : (تقاطعه) : خرفت. راح يا ابني عقلي... ما بقي منه شيء.

سليم : أريد أن أقول : يظهر انك نسيت حفلة جمعية شمس البر؟

الأم : جمعية شمس، ومتى يصير عندنا جمعية قمر. الناس مالها شغل. تجتمع لتتفرج على بعضها وماذا في جمعية شمس البر الليلة؟

بنتها : الليلة يا ماما، يخطب فيلسوف الفريكة، أمين الريحاني.

الأم : عال. عال. استعدوا. خذوا معكم كل واحد عصا. أنا أعرف أمين الريحاني. هذا من مزرعة الفريكة.

سليم : أمي، وعندما ظهر المسيح من الناصرة : قالوا : وهل يخرج من الناصرة شيء فيه صلاح.

الأم : هس. هس. سد بوزك. الله يخزيك يا شيطان، بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد.

البنت : هدئي بالك يا ماما، أيش صار حتى عملت كل هذا العمل.

الأم : يشبه الريحاني بسيدنا يسوع المسيح وتقول ايش صار. زمانكم يا بنتي آخر زمان. لا دين ولا مذهب.
(يسكت الولدان قليلاً).

اقعدوا حتى أخبركم. عندما كنت في النايرك كان الريحاني فيها. وفي ليلة عيد مار مارون كلفته جمعية الشباب الموارنة أن يقول خطبة.

سليم : وكيف كان.

الأم : كيف كان؟ قامت القيامة، ولولا تدخل البوليس أكلت الناس بعضها.

البنت : وماذا قال يا ماما.

الأم : بحياتك يا بنتي لا ترخي براغي بوزك... شديها (شوي) متى حكيت معي.

البنت : (تتكلم بشدة حنك) : طيب يا أمي، يا سيدتي الوالدة. الى كل هذا الحد تغضبك كلمة ماما.

الأم : نعم، نعم يا بنتي، انت صرت كبيرة. مالك تغيرت ملامحك، لا أقصد انك عجوز. لا لا أنت بنت ١٨. أقصد أن كلمة بابا وماما للأولاد الصغار.

البنت : لا أقولها فيما بعد... والآن خبرينا ماذا قال الريحاني حتى قامت القيامة.

الأم : لا أذكر كل شيء، المسألة لها حوالي عشر سنين تهجم على رجال الدين، وقال انهم أكلوا خيرات الدنيا وحرموا الناس منها. اذكر حكاية، قال أمين بن فارس الريحاني انه صعد الى السماء حياً على مركبة من نار— مثل مار الياس[1] بعيد الشبه— ورأى أربعة رجال واقفين قدام عرش الله يتخاصمون... الخلاصة نسيت ولكني أذكر أنه حرق الأخضر واليابس.

الخادمة : (تدخل وتقول) العشا حاضر.

الأم : قوموا. نكمل الحديث على الطاولة.

سليم : عجلوا، صار الوقت نأكل بسرعة، وبعد سماع خطاب الريحاني، تقابل أمي بين خطاب أمس وخطبة اليوم.

الأم : لا لا لا. لا أسمع ولا أقابل. أغناني الله عن هذا القديس وشفاعته. ما

---

(١) مار الياس : هو القديس ايلياس، أو ايليا النبي. من أنبياء العهد القديم حارب العبادات الوثنية ولما اشتدّ عليه ظلم المالكين هرب الى صيدا، ثم هرب ثانية الى سيناء. تذهب القصة الدينية الى أنه رفع الى السماء على مركبة نارية. لذلك يلقب بالحيّ— مار الياس الحي—.

نسيت بعد كتابه المحالفة الثلاثية[1]. أنتم روحوا، وأنا لا أحب أن أرى وجه أمين الريحاني..

(وفيما هم يأكلون يقول سليم): أمي متحاملة على أمين الريحاني.

الأم : إذا كنت حملتك أنت في بطني تسعة شهور، وصبرت وصبرت، أيكون أني لا أحمل أمين الريحاني، وكلامه الفج مثل وجهه. تقبرني تلك الابتسامة التي تشيل الدين من مخ الحبيس[2]. كلوا، كلوا، اعتقوني من حديثه. وبعد رجعتكم خبروني.

البنت : خاطرك يا أمي (والبنت وسليم اخوها يقولان معاً): ادعي لنا بالتسهيل.

الأم : ربنا يسهل. الله يرد عنكم.

سليم : لم تصلبي علينا كالعادة.

الام : بطلت يا ابني بطلت. أم أمين القديسة كانت تصلّب على وجه أمين بالنهار عشرين مرة، وما نفعه شي.

(يسمع وقع أقدام ثم صفقة الباب. وتسمع الموسيقى تنشد نشيد افتتاح الحفلة).

سليم : وصلنا يا أختي، تأملي الناس على الطريق مثل الرمل.

(أمين الريحاني يتوجه الى المنبر). تصفيق حاد.

---

(١) «المحالفة الثلاثية» كتاب أصدره الريحاني يهاجم فيه رجال الاكليروس، ويعلن عليهم فيه ثورةً عارمة... ولم يُعَد طبع هذا الكتاب. كما أن الطبعة الأولى منه نفدت وكان نفادها مستغرباً. وقد لاقى أمين الريحاني من جرّاء نشر كتابه هذا الكثير من العنت، مع أن أمين الريحاني في كتابه هذا يسلك مسلكاً رمزياً يُلْبِس فيه الحيوانات الجبب والطيالس. ويجعلها تتحدث مثل البشر وتتفاعل في ما بينها مثلهم. وقد نهج فيه الريحاني نهج ابن المقفع، من حيث الاستعانة بالحيوانات يتخذها رموزاً بشرية ومن حيث استتاره وراء شخصياته تلك ليقول حكمته في نقد الحكام والمتسلطين وكشف مخبآتهم. (راجع نبذة عن هذا الكتاب في «أمين الريحاني» مؤلفات مارون عبود، المجموعة الكاملة، مج/ ٩، ص ٦٢٣ — ٦٢٦.

(٢) الحبيس: الناسك المتعبِّد ينقطع عن الحياة ويحبس نفسه عن الناس.

(أناس يقولون) : هذا هو. شعره طويل مثل الفلاسفة.

(يقرع عريف الحفلة الأستاذ بولس الخولي الجرس فيسكت الجمهور مرة واحدة، ويقول بولس الخولي :

خطيبنا الليلة الكاتب العظيم والشاعر أمين الريحاني (تصفيق) الذي عرّف اميركا والغرب بصوفية الشرق وفلسفة أعمى المعرة أبي العلاء[1]، فأحلّته شاعريته مقاماً سامياً بين مشاهير الكتاب العالميين، فهو صاحب قلمين قلم عربي وقلم انكليزي.

(اسكندر العازار من تحت) : ولسانين واحد حلو وواحد مر.

الخولي : انه تلميذ استاذنا الأكبر اسكندر العازار وربيبه. (تصفيق حاد) وسوف يسمعنا خطبة اعدها خصيصاً لهذه الجمعية.

تفضل يا سيدي الخطيب فكلنا اذان.

يتنحنح أمين الريحاني. ويتقدم من الكرسي فيبدأ التصفيق. فيقول : التصفيق يكون بعد القول وأنتم تفعلون العكس فهل انقلبت الأحوال في غيبتنا. اني اخاف أن تنعسوا وتصفروا.

(ضحك).

سيداتي سادتي.

تألمت كثيراً لما رأيتني في الغربة بين شعب لا يعرف معنى السكينة ولا الراحة ولا الجمال. وجدت نفسي في بلاد فيها الحركة دائمة متواصلة. وجدت نفسي بين قوم يأكلون ماشين ويقرأون آكلين ويعدون النقود

---

(١) أعمى المعرّة : هو الشاعر العباسي أبو العلاء المعري (٣٦٣ــ ٤٤٩هـ/ ٩٧٣ــ ١٠٥٧م) من كبار الشعراء الفلاسفة، فقد بصره في الرابعة من عمره. درس في حلب وطرابلس وانطاكية، سافر الى بغداد ثم عاد الى المعرّة مسقط رأسه وعاش فيها متزهداً معتذلاً العالم حتى وفاته فيها. له «سقط الزند» و«اللزوميات» وقد ترجمها له إلى الإنجليزية أمين الريحاني.

راكضين، ويعبدون الأوثان قائمين قاعدين. بل يقدمون أرواحهم وأجسادهم ضحية لالهة ما سمعت باسمائها العصور الغابرة.

عشت زمناً بين قوم يقال انهم مسيحيون ولكنهم في الحقيقة وثنيون. وثنيون بترفهم وبطرهم وثنيون بمطامعهم واستئثارهم، وثنيون بتعدد الهتهم. فهذا صنم من القطن لاله البورص، وذاك صنم من الفحم لاله المعادن، هذا صنم من السكر لاله الحقول، وذاك صنم من الخشب لاله الغابات، وههنا هياكل من المرمر والرخام لاله التجارة، وهناك الهيكل الأكبر المشيد من حجارة الذهب والفضة لاله الالهة، اله الأمة. اله المال. (تصفيق حاد).

فخرجت من بين هؤلاء المشركين أطلب في البرية ربي مثل ابرهيم. عدت الى مسقط رأسي باحثاً عما أضعته فيه أيام الصبا، أفلت من أشراك التمدن، والحمد لله، وفررت هارباً الى الفريكة.

على كتف الوادي وبالقرب من كروم اجدادي نصبت خيمتي. فوق نهر الكلب وقبالة جبل صنين رفعت رايتي البيضاء عوضاً عن العلم الأحمر الذي وضعته في يدي احدى بنات الحرية في البلاد الأميركية. رفعت علم السلم فوق فلسفتي الاجتماعية، وكتبت على بابي: في اصلاح الفرد اصلاح الأمة، وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام.

نعم يا سادتي ان التهذيب خير من التخريب والتحزيب.

وصعدت الى الجبل ولم يدر بي أحد. فاضطجعت على العشب ورأسي في ظل وزالة زاهرة — إنّا للطبيعة وانا اليها راجعون — وشكرت الله شكراً جزيلاً.

(واحد يقول بصوت نصف مسموع): يقول الشيء وضده.

أمين : (يتابع): وأظنني أخطأت مرة فرددت بصوت عال صوت نفسي وما عرفت أن للأشجار عيوناً وللصخور آذاناً. في صباح يوم من أيام

الشتاء سمعت حديثاً دار بين شجرة كبيرة من الصنوبر وأخرى صغيرة ، أو بين أم الغابة واحدى بناتها . قالت الإبنة : من هذا الغريب الذي لا يخاف السكنى معنا في هذا الشتاء؟

الأم : ما هو بغريب يا بنتي وانما هو من نبات هذه الأرض ومن سنديان هذه الجبال هو من أبنائنا يا بنية .

(يتنحنح قس) (يقول آخر) : احم .

شبهت الانقطاع عن الناس بالانقطاع دفعة واحدة عن المسكنات التي يعتادها المريض . اننا كلنا مرضى بوجه ما . ولا أذكر الآن أي علماء الألمان قسم الناس الى ثلاثة أقسام : قسم يولد للمستشفى وقسم للمارستان وقسم للبادية

فالعزلة اما داء ، واما دواء ، واما غذاء . هي داء لمن لا يجد في نفسه ما يغنيه عن معاشرة الناس ولو زمناً قصيراً . وهي دواء لمن سئمت نفسه من ملاذ هذا المجتمع . وهي غذاء ، لمن يخرج من الهيئة الاجتماعية والنفس نافرة من محيط هي غريبة فيه .

لما كنت في نيويورك قصدت يوماً مدينة كنكرد بالقرب من بسطن لأزور فيها بيت الفيلسوف أمرسن والحرج الذي بنى فيه الشاعر طوروا مسكنه ، بل كوخه للعزلة فعاش فيه سنتين وألف كتابه النفيس في فلسفة العمران والانفراد ...

وسألت رفيقي الذي صحبني في هذه الرحلة ، وهو ممن عايش أكثر شعراء كنكرد وفلاسفتها : هل في المدينة اليوم من يعد من طبقة هؤلاء الرجال العظام .

فقال : ان الطبيعة يا صديقي لا تجود علينا بالنوابغ كل سنة وما كل من اعتصم بالعزلة يصل الى ذروة التفرد والذكاء . فمنذ سنتين جاءنا شاب انكليزي واختار بيت طوروا هذا مقراً له بعزلته . وعاش كما عاش

ستين ، ولكنه يئس بعد ذلك وهجر كنكرد ومن ذلك الحين لم نسمع عنه شيئاً .

قالت اشجار الغابة لأشجار البستان : لماذا لا نسمع لأغصانك صوتاً ولا صدى ؟

فأجابت أشجار البستان : لأنني مشغولة عن الولولة بانماء ثماري .

وسألت اشجار البستان أشجار الغابة قائلة : ولماذا نسمع لأغصانك هذا الدوي وهذه الجلبة . فأجابت اشجار الغابة : لكي يشعر الناس بوجودي . (تصفيق حاد) .

ولئن كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات وفي الهدوء نمو وسمو . فالنور يا سادتي ، ينتشر هادئاً ساكناً ، وشمس الحكمة تحتجب غالباً عند هبوب العواصف والزوابع . فمن الأنفس السامية المتفردة الهادئة ينبثق نور الحب وهو ونور الحكمة ونور الحقيقة ، وفي الأنفس السامية المتفردة الهادئة ينابيع الجمال كلها . وإلى الأنفس المتفردة السامية الهادئة تعود حسنات التمدن الحديث لتربنا فيها اسبابها . لذلك كتبت فوق بابي : في اصلاح الفرد اصلاح الأمة . وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء ، والحكام (تصفيق متواصل) .

الحولي : يقرع الجرس ويقول : شكراً لخطيب جلستنا السنوية فقد عرض علينا فلسفته في العزلة ، ونحن نرجو ألا تطول عزلته وينزل الى ساحة العمل . (ضجيج المهنئين)

واحد : أحسنت يا أستاذ ، يا شيشرون[1] العرب .

اسكندر العازار : غمزاتك ونخساتك تصلح نفوساً كثيرة ، حياك الله .

---

(١) شيشرون : (١٠٦ — ٤٣ ق . م .) من خطباء روما الكبار وهو كاتب ومفكر وسياسي . له مجموعة خطب ضد الحاكمين معروفة «بالفيليبيك» .

الريحاني : ماذا تريد يا شيخنا، سيف المراقبة مسلول، وعيون الدولة تطوف حولنا.

اسكندر العازار : سألتني ماذا أريد، أريد أن تخرج من عزلتك. أنت ما خلقت حتى تعتزل الناس، بل لتناضل من أجل الحرية.

الريحاني : المصلح في هذه الأيام هو قوة بخارية لتحريك هذه الآلات الصماء التي تُدْعَى شعباً بل رجالاً ينبغي للإنسان أن يحرر نفسه بنفسه. ان حرية الصالحين والحكماء لا تلبس القبعة الحمراء ولا تصيح من على المنابر، ولا تحفر تحت عرش السلطة لحزازات في الصدر أو فراغ في الكيس، أو خلاء في المعدة.

لا ينبغي للإنسان أن يقتل روحه ليفثا جوعه. والذين يملؤن بطونهم فقط ولا يشعرون بألم روح جائعة فلا أظنهم يستحقون الشفقة اذا عرقوا كالدواب والثيران. العرق من أجل الرغيف— ولا فرق إن أكله العامل أو سلبه اياه سيده— لا يجوز ولا يلزم ولا ينفع ولا يطاق، ولكن فلسفة السياسيين البغلية متأصلة في قلوب الغربيين، والبغل من أبطال هذا الزمان. ولا عجب ان أضافوا الى أصنامهم التي تحدثنا عنها صنماً آخر، فإن بين البعل والبغل شيئاً من الشبه والقرابة. أعوذ بالله من هذه التعاليم السياسية التي تصير الإنسان بغلاً والبغل انساناً، بل بطلاً والهاً.

اسكندر العازار : هذه خطبة ثانية يا أمين، هات يدك وامش معي الى الكلوب[1]. وهناك نتحدث (يقول هذا ويأخذ يده اليمنى).

الريحاني : ينتفض ويصرخ : آخ.

العازار : اغفر لي يا أمين، نسيت أن يدك اليمنى توجعك. هات الشمال. (يمشيان، يسمع وقع اقدام أكثر من اثنين).

---

(١) الكلوب : النادي.

المسمع الثاني — في عاليه
بعد ربع قرن

يعلن المذيع : مضى الزمان وتطور أمين بتطوره وها هو في فندق من فنادق عاليه ، يتحدث مع نفر من الأدباء بعد ربع قرن مضى على خطبة بيروت .
(صراخ الباعة والسواقين) .

سائق : بيروت ، بيروت .

آخر : بحمدون ، صوفر .

بياع : كعكات طيبين .

آخر : كازوز بارد .

آخر : بوظا بحليب .

فليكس : تغيرت كثيراً يا أمين .

الريحاني : ماذا تغير فيّ ؟

فليكس : شكلك وفكرك وهدفك . نسيت خطبة بيروت الأولى عن العزلة . نسيت صلاتك الى ربة الوادي ؟
داويني ربة الوادي داويني . ربة الوادي اشفعيني .

بياع : ترمس أحلى من اللوز . (الجميع يضحكون) .

الريحاني : سماع يا فليكس ، كيف تريد أن نسمع هذا الكذب والنفاق ونسكت .

فليكس : عجيب تطور الناس ، فمن درويش صوفي يهيم بحب الحسون والدوري وشاب نشأ في مدينة هي مستودع التجارة والصناعة والفنون والاختراعات ، إلى رحالة يجوب القفار كأنه الشنفرى[1] وتأبط شراً[2].

الريحاني : ما تأبطت الا خيراً ، حملت الى بلادي أكياساً من عملانية أوربا والعالم الجديد ، كما حملت الى الغرب اكياساً من صوفيتنا واتكاليتنا... لقد غيرتني الحرب الكبرى حين رأيت امتنا العربية لم تظفر بشيء ، سوى الألقاب والتبجيل والتعظيم... آلمني أن تظل راضية بأمجادها التاريخية تتغنى بها في كل مقام ولا تعمل جديداً.

قلت لقومي في القاهرة :

أنا الشرق ، أنا حجر الزاوية لأول هيكل من هياكل الله ، ولأول عرش من عروش الإنسان.

أنا الشرق قد جئتك يا فتى الغرب رفيقاً ، وفي جيوبي أشياء ، وفي يدي اشياء من حقول النفس ومن جبالها ، وأشياء من أغوار الحياة. أشياء ترضي الله وترضي الانسان ، وأشياء لا ترضي لا الانسان ولا الله. منها ما أود نبذه لو استطعت دون أن أضر بسيدي صاحب الجنود والمدرعات.

أنا الشرق. أنا شبح يا فتى الغرب الباسل. شبح في موكب الزمان في موكب الحياة الدنيا. ولكن للشبح صوتاً بل أصواتاً تسمع شيئاً منها اليوم ، وستسمعها ملياً غداً.

---

(١) الشنفرى : ثابت بن أوس الأزدي من الشعراء الصعاليك في الجاهلية ، من آثاره قصيدة مشهورة بلامية العرب ومطلعها :

أقيموا بني أمّي صدور مطيّكم فإني الى قوم سواكم لأميَلُ

(٢) تأبط شراً : ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي من الشعراء الصعاليك في الجاهلية ، أخذ سيفاً تحت ابطه وخرج من بيته فجاء من سأل أمّه عنه فقالت تأبط شراً وخرج. وهو من العدّائين كان يسابق الخيل في عدوه.

أنا الشرق. عندي فلسفات وعندي أديان فمن يبيعني بها طيارات

فليكس : الله، الله، ما هذي فلسفة. هذي نبوة. معك حق يا أمين.

خليل مطران : (يقول وهو يجلس فتسمع حرتقة كرسيه) : السلام عليكم. معه كل الحق. لقد كنت حاضراً تلك الخطبة في تلك الساعة، وسمعت تذمر المحافظين وثورة المفكرين، وقرأت ما كتبت صحف مصر وغيرها من تعليقات مرة على هذه الكلمة.

لا تواخذني يا أمين، قاطعتك تفضل كمّل.

الريحاني : أهلاً وسهلاً بخليل، هذي عادتك وقد تعودناها. ثم يتم كلامه : ليست الأديان والفلسفات ما تظنها، وليست يا فتى الغرب ما تظن أني أظنها. فلا للحراثة هي، ولا للتجارة ولا للسياسة ولا للتقشف. انما الأديان والفلسفات كمصافي الماء هي مصافي الحياة، تصفيها في الاقل من بعض الحشرات والجراثيم.

خليل مطران : أنسيت ما قلت لمصر في خطبة سفح الأهرام، قلت كلمة كانت لهم حافزاً قوياً بعدك، وذكروك بها عند كل وثبة.

الريحاني : أية فقرة تعني.

المطران : الفقرة التي خاطبت فيها فرعون في ختام الخطبة، الا تذكرها؟

الريحاني : وكيف؟ كيف قلت يا ربي، يضرب على صلعته ويقول : آه. الآن تذكرت. اسمعوا.

(ينهق حمار مار على الطريق، فيضحكون).

الريحاني : لا يليق بي أن أقاطعه كما قاطعني شاعر القطرين. فلنمهل حتى ينهي خطبته. (يضرب كفاً على كف ويهتف : هات قهوة يا ولد).

الولد : واحد قهوة.

الريحاني : لقد انتهى بطلنا في المحالفة الثلاثية من خطبته. قلت يا خليل، وشكراً لهذا الفاصل الحماري الذي جلا صدا الذاكرة :

جالستني مصر يا فرعون، وهي تذكرك وتقول: هل كان في من شيّدوا الأهرام رجل واحد حر؟

فليكس : (يصفق ويهتف): طيب عظيم.

الريحاني : (يكمل): بسمت لي مصر يا فرعون وهي تذكرك وتقول: هل في مصر اليوم رجل واحد يطيق العبودية.
ان سحرك يا مصر ليبعث الحياة في سكان اهرامك، ان فضلك لَيُنطق حتى أبي الهول.

فليكس : (يخاطب خليل مطران) عجيب والله، عرفت أمين عام ١٩٠٨ يخاطب (غصن ورد) غارقاً في بحار الخيال، وإذا به بعد حين يجول ويصول في ميدان الواقع، ويخاطب الأمة العربية بل الشرق كله.

المطران : والعجيب ان كل ما رآه حصل. اما حاول توحيد العرب حين زار ملوكها واحداً واحداً؟ اما تنبأ أن عبد العزيز ابن سعود سيكون سيد الجزيرة: أما حاول انشاء الجامعة العربية قبل تأليفها بثلث قرن؟

الريحاني : آسف اني تناولت الثمرة وهي فجة مزة، ولكني كنت واثقاً كل الثقة بأن الحجر الذي وضعته سيبنى عليه حصن العروبة المنيع، ولا حياة للعروبة الا باتحاد ملوكها وامرائها.

المطران : اتذكر شيئاً من تلك المعاهدة التي وضعتها أساساً لوحدتهم؟

الريحاني : نعم، وكيف أنسى جزءاً من روحي. ها أنا أقرأ لكم المادة الأولى فقط لتدركوا الغاية الكبرى. يا صبي، على الطاولة في غرفتي كتاب هاته.
إلى خليل وفليكس: يا اخوان، كل منا يتمنى أن تكون امته قوية عزيزة ليكون هو عزيز الجانب. وكل أديب شاعراً كان أو كاتباً يجب أن يكون بوقاً صارخاً يوقظ النيام. فقد طال رقود هذه الأمة..

الولد : تفضل يا سيدي أهذا هو.

الريحاني : نعم. شكراً يا عزيزي. في أية صفحة تكون؟(يقلب أوراق الكتاب وأخيراً يقول) هذه هي.

المادة الأولى: البلاد العربية أقصاها وأدناها بلاد سامية لا تقبل التفرقة والتجزئة وانفكاك بعضها عن بعض من حيث الجامعة الدينية والقومية والوطنية واتحاد اللسان. وليس المراد من عدم قبولها التفرقة تغيير أشكال اماراتها وتحويل امرائها وحكامها المشهورين المعلومين الذين يتولون ادارة شؤونها وأعمالها وسياسة داخليتها. وانما المطلوب اجتماع الكلمة القومية وتوحيد السياسة على وجه يرضي الله وتصلح به أحوال البلاد من غير مداخلة أجنبية تخل باستقلال البلاد العربية).

هذي هي روح المعاهدة وقد كنت مغتبطاً جداً بها. واني واثق ان ما عجز عن تأليفه الريحاني سيؤلفه الزمان. كونوا واثقين ان الساعة آتية. ان آفة امتنا هي المداجاة وقد قلت في (بذور للمزارعين) عن المتعصبين.

المتعصب على رؤوس الأشهاد وان كان من طبقة واطية من الحيوانات الناطقة هو خير من متعصب يتظاهر بالتساهل. المتعصبون فصيلة غريبة من الحيوانات ذوات الاثنين، ومثل سائر الفصائل الحيوانية فيها أنواع وأشكال. وأهم ما هو معروف منها اليوم هو ما كان كالثعلب أو كالذئب أو كالبزاقة أو كالعقاب.

فالأول، أي الثعلب، جبان يتعصب في ظلام الليل ويخاف في ضياء القمر من خيال ذنبه.

والثاني، أي الذئب، يفترسك ويفترسني لوكان بامكانه، إن كنا لا نرى ما يراه. ولا نصلي وراه.

والثالث، أي البزاقة، لا يهمه من العالم سوى صدفته ونقطة المطر التي يبل فيها قرنه، وما سوى ذلك فهو لا يدرك شيئاً من وجوده، أو مما

فوق أو تحت وجوده. والرابع أي العقاب يظل في الفضاء مترفعاً مترفضاً الى أن يشتم رائحة الجثة فينقض عليها كما لو كانت من المن والسلوى.

وهناك نوع آخر قديم العهد، على أن ذاك المخلوق الشريف الجبار الذي يتعصب لحق الله ودين الله، فواأسفاه، قد انقرض نوعه من زمن طويل ولم يعد لك أن ترى منه الا العظام في (الانتكخانة)[1]. (يدق صنج الأوتيل يدعو الى الغداء).

المطران : أتظل تتحدث عن التعصب.

الريحاني : هذا هو خصمي الألد، وما قتل بلادي غيره.

فليكس : وهو سبب تأخرنا سياسياً واجتماعياً ومدنياً.

يدق الصنج الضربة الأخيرة: تفضلوا قوموا نتغدى فالآن خمر وبعدئذ أمر. أوركسترا الأوتيل تعزف.

١٣/ ٨/ ١٩٥٤

(تمت)

(١) الانتكخانة: كلمة دخيلة الى العربيّة المحكية تعني: «بيت العاديات» أي المتحف.



حفلة تكريم

تمثيلية إذاعية لمناسبة عيد الشجرة

المسمع الأول

(بينما يكون الشباب منشغلين بترتيب المقاعد والكراسي في الساحة تحت السنديانة يتنحنح شيخ ثم يسعل، فيقول أحد الشباب لرفيقه):

— يا الله يا فريد... عجل... حقيقة الدنيا أم العجائب غيرنا كرّم رجال العلم والأدب ونحن يا حسرتي، ما لقينا غير الشجرة العتيقة حتى نكرمها. ضيعتنا فقيرة بالرجال.

فريد : ضيعتنا فقيرة بالرجال وبس! (ثم يعد على أصابعه) فقيرة بالمال، فقيرة بالغلال، فقيرة بالمياه، ما هي غنية الا بالحجار واللسانات الطويلة.

خليل : انت غريب عجيب يا فريد، لسانك بسبع شناخيب وتعير بطول اللسان! صف الكراسي صف، بعد قليل يشرف الذوات.

(يسمع طقطقة كراسي وبنوك، ويرتفع صوت شيخ كهل قاعد حده قبالة المهتمين بترتيب المقاعد): هذه فكرتي يا عمي كريم، أنا عرضتها على رئيس البلدية والمختار.

(يضحك فريد ويقول له خليل): سماع. عملك

البارود. اقترح حفلة تكريم للسنديانة. (يقهقهان معاً ثم يخبط خليل بيديه على فخذيه ويصرخ): حفلة مباركة يا ست!!! صرت استاذه وفيلسوفه وشاعره... من قلة الرجال سموا الديك بو قاسم. عن معي يا خليل. (يغنيان معاً):

هيّ قهوتنا وقاعتنا منفلش تحتا بضاعتنا
بضاعة حكي بحق الناس ريتك تقبر ساعتنا

يقول الشيخ لجاره: أيش من يقولوا؟

الكهل : الشباب أيش بيقولوا يا بو فهد؟

يضحك بو فهد ويقول له: ذكرتني كلمتك الآن بسالفة عتيقة.

خليل : بدو يسولف عمنا بو فهد (يصغيان معاً ويتنحنح الشيخ ويقول): سأل ولد صغير والده عن حمارة بلعام [1]!. أيش قالت عندما حكت، فأجابه والده: حمارة وحكيت. أيش بتحكي الدابة يا ابني!! فهمهم فريد وقال: عال عال، يا عمي بو فهد. بعد كل تعبنا شبهتنا بالدابة، كثر الله خيرك!

أبو فهد : تنجل يا ابني. هذي حكاية. صفوا الكراسي، وانتبهوا للغربا المشرّفين الضيعة.

خليل : (يتهكم): دام شرفك يا عمي بو فهد. حقيقة ان فكرتك بديعه!!

فريد : دق على الخشب، الله يطول عمره حتى يخلق لنا كل سنة حفلة جديدة... اشتغل. جا ريس البلدية.

---

(١) اشارة إلى قصة وردت في التوراة ان ملك مؤاب ارسل بلعام رسولاً من قبله ليلعن بني اسرائيل. وعندما ركب بلعام حمارته، ظهر له ملاك بيده سيف فتحولت الدابة من طريقها فنطقت موبخة بلعام على قسوته فبارك بلعام بني اسرائيل ولم يلعنهم (عدد ٢٢ ـــ ٣٥).

خليل : بلا ريس بلدية بلا بلوط. أهو دافع لنا أجرة نصف الألف يتفضل يشتغل معنا.

ريس البلدية : عوافي يا شباب. سلم الله ايديكم. (يلتفت ويرى بو فهد) : الله معك يا عمي بو فهد.

خليل : (هامساً) : صبحه صبح. دبرلك ضربة كم كبيرة من صندوق البلدية...

فريد : لا تجرسنا يا خليل، الريس من حزبنا، إذا كنا نحن نحكي بحقه ماذا يعمل غيرنا.

ريس البلدية : هاتوا كراسي رفاص للصف الأول، وفي الصدر حطوا كرسي فوتيل للمحافظ.

يصرخ فريد وخليل: المحافظ! المحافظ جايي. يحرز دينك يا عمي بو فهد! يا الله يا فريد. انحشرنا وضاق الوقت. شباب هجمه على البيوت، هاتوا كل الفوتيل والسجاد...

أبو فهد : يبدأ بضحكة كبيرة تنتهي بسعال ديكي... ويغني الشباب:

صندانتنا قاعتنا منفلش تحتا بضاعتنا
بضاعة حكي بحق الناس ريتك تقبر ساعتنا

ويقدم شابان يلهثان ويطحران فيسكت الغناء ويسألها ريس البلدية: شباب، وزعتم الاعلانات في كل الضياع وسلمتم الدعوات لأصحابها؟

الشابان : نعم. نعم.

ريس البلدية : والهيئة كيف؟

الشابان : ابشر، على ذوقك يا ريسنا.

أبو فهد : للذي حده— ايش من يقولوا ؟

الكهل : الحفلة موفقة ، الناس جايين مثل النمل.

أبو فهد : الله يبشركم بالخير.

المسمع الثاني

ضجيج قادمين الى الحفلة ، والمستقبلون يرحبون بهم : أهلاً وسهلاً ، تفضلوا. تفضلوا يا ذوات. هذي كرسي يا خواجه.

مستقبل آخر : هذا مطرحك يا شيخ.

المختار : شباب خلوا عينيكم عشرة عشرة. لا تقصروا بشي.

(ضجيج وأصوات مختلفة يدبرها المخرج كما يرى)

واحد من المدعوين : أنا قعدت هنا.

مستقبل : لا يا سيدي ، أرجوك هذا مقعد محفوظ لغيرك.

المدعو : منو هذا غيري !

المستقبل : هذا مركز رجل رسمي.

المدعو : يضحك ويقول : اوه ومن قال لك اني غير رسمي.

المستقبل : طيب يا سيدي ، عرفنا بجنابك.

المدعو : أمين الريحاني.

المستقبل : أمين الريحاني !! تشرفنا ، وما هي وظيفتك؟

الريحاني : وظيفتي تحطيم الهالات.

المستقبل : ايش معنى الهالات ؟ فهمني من فضلك. نحن يا سيدي لا نهول على أحد. أهلاً وسهلاً فيك تفضل اقعد هناك ، ولكن هذا كرسي محفوظ لكاتب القائمقام.

الريحاني : ومركز البلانطون وين.

المستقبل : في الصف الثاني.

(تسمع حركة قادمين يحدون):

محلا القعدي تحت السجر والتكتكي بضو القمر

سبحان الله ما أكرمو بيخيراتو طم البشر

(يقرع عريف الحفلة الجرس فتسكت الضجة رويداً ثم يقول):

نفتتح الحفلة بنشيد الشجرة. (وبعد انتهاء النشيد يقول العريف):

سيدي المحافظ، سيداتي، انساتي، سادتي.

أهلاً وسهلاً بكم. وكل أيامكم اعياد ان شاء الله. سادتي، قد تستغربون اقامة مثل هذا المهرجان. صارت حفلات التكريم تقام لهذا وذاك. فاقترح كبيرنا العم بو فهد — تصفيق — ان تقيم حفلة تكريم لهذه الشيخة العتيقة. شجرتنا ضاع حقها! اما لها أربعماية سنة واقفة على فرد رجل حارسة الضيعة — ضحك وتصفيق — فكم صاعقة تلقتها برأسها وردتها عنا!

في الحر نقيل تحتها، وفي الشتاء نتدفأ على ما يتساقط من حطبها ويكون بلوطها نقلنا. فلا يستخف بعقولنا أحد اذا عاملنا شجرتنا معاملة أعاظم الرجال، فهي ملعبهم في الصغر ومدرستهم في الكبر. لا أفيض في هذا الموضوع بل اتركه لحضرات الخطباء. الكلمة الآن لحضرة الأديب والمؤرخ الشهير، والعالم العلامة، والبحر الفهامة الدكتور الملسان رب القلم والبيان الأستاذ جميل العيروني وموضوعه (الشجرة في التاريخ العالمي).

أحد الشباب — بو. ثم تصفيق. يظهر الخطيب على المنبر فيزداد

التصفيق، ويقرع العريف الجرس ويصيح شاب: اسمعوا يا هو.

الخطيب : سيداتي سادتي: قد يضحك الناس اذا سمعوا أن فيلسوفاً مثلي يتكلم في حفلة تكريم شجرة كهذه نخرها السوس، وأكلت الأيام عرقها المتين، ولكن متى علم الجميع أن الانسانية عبدت الشجرة زمناً طويلاً أدركوا السر. نعم كانوا يعبدونها ويهدون اليها المأكولات والمشروبات، ويقدمون لها الضحايا والقرابين، ويلتجئون اليها في المصائب والشدائد. كانوا إذا استعصى عليهم مرض قصدوها متضرعين طالبين منها الشفاء ولكن المسيحية والاسلام قاوما كثيراً هذه العبادة فقطعوا كثيراً من الأشجار المعبودة. وإذا نظرنا تاريخياً — ولي حق أن أتكلم تاريخياً، لأن عريف الحفلة عرفني بالمؤرخ الشهير — رأينا أن السنديانة التي نحتفل بتكريمها الآن إنما عبدت لأن الدبق الذي نبت عليها قبل العصر الحديدي حمل الأقدمين على تقديسها وتأليهها. وبعد السنديانة عبدت شجرة التين الهندي المقدس. سادتي ربما كان تولد عبادة الأشجار من عبادة النار الكامنة في الحطب. وإذا كانت النار، كما يعتقدون، مقدسة فثمارها هي غذاء الانسان النافع ومن هنا جاء تحريم أكل التفاح الشهي على جدنا آدم وستنا حواء ولكنهما أكلا وعصيا.

وهناك يا سيداتي شجرة مقدسة اسمها سكروبيا في اميركا الجنوبية قدسوها لأنها تولد حشرات تتغلب على النمل وتفنيه، والنمل عدو مؤذ للنبات. والغريب في هذه الشجرة أنها تولد أيضاً حُيْوَنيات تقدمها طعاماً للحشرات التي تبيد النمل جزاء لها عن دفاعها. فليت أشجار الاحراش تخلق ما يرد عنزات بو طنوس عنها (ضحك وتصفيق).

واسمحوا لي أن اتحدث قليلاً عن الشجرة الأولى أعني شجرة الخلد. جاء في تاريخ المصريين أنهم وجدوا هذا الكلام، في كتاب الأموات الذي يعتبرونه (دليل النفوس التائهة بعد الموت) وهو: (ان الميت يحمل عصاه ويذهب في الآفاق مفتشاً عن ضالته. ثم لا يلبث أن يصل الى طرف الدنيا الحقيقية فيجد نفسه تجاه جميزة ممتلئة من ثمار تين الجميز، وعليها امرأة نابتة من جذعها، وفي يدها اناء يتضمن ماء الحياة، فإذا رفض الميت أن يأخذ منه عجز عن اتمام سيره لأن هذه الشجرة هي شجرة الخلد.

أجل يا سادة كان قدماء الرومان والهنود والمصريون يرون ان العالم شجرة عظمى، الأرض جذعها والسماء أغصانها وثمرتها النار. واعتقد عامة اليونان بأن سنديانة زفس[1] نبتت من قعر البحر بعد الطوفان، والانسان الجديد نبت من تلك السنديانة الجديدة. هذا هو السبب التاريخي الذي يحملنا على محبة الشجرة وخصوصاً السنديانة، ولعل هذه الفكرة فكرة تكريم سنديانتكم قد انبعثت من عالم اللاوعي فحملتكم على اقامة هذه الحفلة الفريدة في بابها التي تشكرون عليها، أيها السادة، والسلام عليكم. (تصفيق غير حاد).

عريف الحفلة : نسمع الآن رقصة الدبكة حول الشجرة على غناء القائمين بها شباباً وبناتاً. يرافق ذلك عزف على القصب ونقر على الدف والدربكة. (حركة استحسان من الحضور) وهذه الرقصة

---

(١) زفس: سيد الآلهة عند الاغريق، وهو «جوبيتر» عند الرومان اله الصاعقة.

البلدية كثيراً ما شهدتها وسمعتها شجرتنا المحبوبة وطربت وتمايلت أغصانها راقصة مع العذارى المائسات.

واحد : ادبكوا على دلعونا. (ويغني لهم) وتعزف الجوقة:

الرده:

يا محلا الفرحا ومحلا الأغاني ورقصة الدبكي تحت السنداني

* * *

وين الصبايا تنزل عالساحا ما في بالدبكي عيب ولا وقاحه

التينه موجودي (اقطفوا) التفاحة عاشت الأرزي وتحيا السنداني

الرده : يا محلا الفرحة... الخ.

دبكة ثانية على لحن عالعميم عالعام:

الرده :

ان غنينا ما ننلام وان رقصنا ما هو حرام

* * *

عيد شجرتنا عيد كبير منفرح فيه كبير وزغير

يا ما تحسرنا تايصير عنا عيد بهالنظام

واحد من حزب ريس البلدية يقول: الفضل كلو لريس البلديي

واحد من غير الحزب — احم، احم،

الرده : ان غنينا ما ننلام..

وقافوا صف ولفوا لف ضربوا كف انقروا الدف

القلب هف وكان مشتف وبالساعة نال المرام

الرده : ان غنينا.. الخ. (تصفيق حاد طويل).

عريف الحفلة : يتكلم الآن معلم الجيل محيي امجاد لبنان بأقواله: الاستاذ جهاد الجملاني: (يتقدم الخطيب الى المنبر ويقول: أيها المحفل

الكريم) : تكلم قبلي الدكتور العيروني وذكر كيف عبد الناس الشجر ، وجاء على ذكر شجرة الجميز فذكرني بحادث تاريخي في أيام فتح محمد علي باشا لسوريا ولبنان[1] . ان هذا الحادث يدلكم على تعلق اللبناني بالشجرة الحبيبة التي ابتدعتم حفلة تكريمها.

احتاج محمد علي الى كمية من خشب الجميز ليخبط بها الرز . ولكي يرضيه عبدالله باشا[2] قطع ما كان في البلاد من هذه الأشجار ، وما صمد في وجه عبد الله باشا الا جميزة واحدة تعلق بها صاحبها وهو مسلم بيروتي وأخذ يقبلها . وعندما طلبوا منه أن يتنحى ليقطعوها أجابهم : انكم لا تستطيعون أن تقطعوها قبل أن تقطعوا رقبتي ، لقد كلفتني جميع ثروتي .

فنظروا اليه كأنهم يستفسرون فقال : عندما ذهبت الى الحج وصيت أحد اصحابي أن يسقيها في أيام القيظ ، ولما طالت غيبتي وعدت اضطررت الى بيع عقار صغير لأدفع له . عند ذلك يا سادتي عفا الضابط عن جميزته ، ولو تراخى لكانت انتقلت الى رحمته تعالى. (ضحك وهمهمة) .

سادتي ، إن مجد لبنان يرتكز على هذه السنديانة التي تكرمون بشخصها جميع بنات جنسها.

الأرز والصنوبر والعرعر والشربين والحور والدلب ، فلولا الشجرة ما كان لبنان متحف الدنيا والأزل . ولقد أحسن من

---

(١) محمد علي باشا (١٧٦٩ — ١٨٤٩) مؤسس الخديوية في مصر ، نظم الجيش ، واستقل بمصر عن السلطنة العثمانية أرسل ابنه ابراهيم باشا (١٧٨٩ — ١٨٤٨) على راس جيش الى سوريا ولبنان فاحتلها بعد انتصاره على الجيش العثماني فيها (١٨٣٢ — ١٨٣٣) ودام حكمه سوريا ولبنان حتى ١٨٤٠ .

(٢) عبد الله باشا : احد القواد الأتراك.

جعل في احشاء علم هذا الوطن شجرة ، فعلى الشجرة بنى لبنان مجده ، وحين تقلص ظلها انكمش ظل ذلك المجد.

كان جبل لبنان بأجمعه غابة واحدة في نظر المصريين ، ولم يشأ الأشوريون والبابليون أن يبقى هذا الكنز في أيدي خصومهم فتهافتوا على قطع أشجارنا ، ولما احتاج الخليفة معاوية ابن أبي سفيان الى اسطول كبير جهز سفنه وعددها (٥٠٠) مركب من خشب لبنان. (تصفيق).

اني أشكر لكم...

واحد : اشكر وعجل.

آخر : جينا نسمع القول لا الحكي ، خلصنا بقا.

الخطيب : اني اشكر لكم ، وبعجلة فائقة ، هذا اللطف الذي يدل على تهذيب رفيع.

(نزول بلا تصفيق مع استنكار).

عريف الحفلة : نسمع الآن حضرة...

الجمهور : حضرة حفلة القول (ضجة كبيرة).

عريف الحفلة : نسمع الآن حضـ...

شباب : بلا حضرة ولا جناب ولا فخاض ، نسمع حفلة القول ، غابت الشمس ونريد الرجوع الى بيوتنا على ضو.

رئيس البلدية : طيب يا استاذ ، حفلة القول. حفلة القول.

الجمهور : (تصفيق وصياح) : عاش ريس البلدية.

عريف الحفلة : ندعو القوالة وجوقتهم الى الجلوس على هذا التخت واسماع الحاضرين نظامهم.

تصفيق حاد يدوم.

حركة قوالة على المسرح : طقطقة كراسي وضجة وأخيراً الابتداء.

الردة : ...

لولا الأرزي المصوني والكرمي والزيتوني
ما تمجد ذكر لبنان في اقطار المسكوني

١ ـ أوف ، أوف :

بالأرزي نحنا علينا وعاسطح البحر مشينا
وعملنا الدني مينا وصارت النا مديوني

الرده : لولا الأرزي... الخ

٢ ـ أوف :

الحفلي هي للصنداني بتهدي غيرا التهاني
والقول فيلو مباني خدوا مني واعطوني

الرده : لولا الأرزي :

١ ـ أوف

والصندان إلو حزات لكن موش متل الأرزات
لولا منهاك الخشبات كنا بعدنا هوني

الرده : لولا الأرزي...

٢ ـ أوف

ان كنت بتعني الهجرا الزيتوني ايشو اجرا
الكرمه ما بتسقف حجرا متلا متل الطيوني

الرده : لولا الأرزي...

١ ــ أوف

زين كلامك بـالميـزان   لـولا من خشب لبنان
مـا فـتـح ابـن سفيان   سبـع اقـطـار المسكوني

٢ ــ القافية منقالي ، هات غيرا.

واحد من الجوقة ــ بتجوز

آخر ــ لأ ، ما بتجوز لا تختلفوا عليها : غيرت البيت كلو :

أوف

لـولا خشابك يا لبنان   مـا فـتـح ابـن سفيان
قبرص وبلاد الـيـونـان   والجزر المكـــــــــــونى

نقر دف ودربكة عنيف وصياح الجوقة كلها ــ ها تحيا

يقول معنى

لبناننا في الكون ما في لو مثيل   نسمة هواه الناعمي بتشفي العليل
ومـويـتـو لمسقـسقا بتروي الغليل   ولكل شجرا منفعا حديثا طويل

٢ ــ بإذنك. أوف ، أوف.

وبكل شجرا سر سبحان الحكيم   والأرض (سيدة العطايا) يا فهيم
لا تقول شجرا مولدي وشجرا عقيم   كل الشجر من نعمة الرب الجليل

عريف الحفلة : شكراً يا اخوان.

٢ ــ يقول للعريف : اسمح لي تكه. ثم يتمم قوله :

وشجـرة الـتـوت بتكسيك   وعـاقضـبـانـا بـتـدفـيك

وقشرا والجزّه بيغنيك عن العلف والموني[1]

الجمهور : ضحك وقهقهة وصياح : هه هه .

عريف الحفلة : لو سمعنا الليل كله معنّى وقرّادي ما شبعنا ، فاسمحوا لي أن أعلن عليكم الآن أمام ممثل الحكومة نظام جمعيتنا الجديدة الذي انبثق عن هذا العيد .

شاب : من فضلك أيش معنى انبثق فهّمنا ، ما فهمناش .

الجمهور : ضحك !

الشاب : أيش يكون؟

عريف الحفلة : انبثق معناها طلع .

الشاب : آ قول طلع ! ! هلق فهمنا ، تفضّل كمّل .

عريف الحفلة : بالمادة الأولى والأخيرة : قاعة الجمعية تحت السنداني ، وغايتها المحافظة على جميع الشجر والسلام عليكم .

المعاز : قبل ما تسلم علينا وتروح ، قل لي أنا وولادي ومرتي وعنزاتي منين منعيش ؟ !

عريف الحفلة : (الى المعاز) يدبّرها الله بيننا وبينك . والآن الكلمة لسعادة المحافظ هيطان بك منجول .

هيطان بك : سادتي الكرام . كان لعملكم وقع عظيم في نفس الحكومة . استحسنته جداً وشكرت لبلدتكم هذه الفكرة المفيدة . فللأشجار أكبر فضل على هذا الجبل ، ولهذا قررت الحكومة منح حضرة ريس بلديتكم الوسام الزراعي المذهب (تصفيق من

---

(١) إشارة الى أهمية شجرة التوت في حياة الفلّاح اللبناني ، فعلى أوراقها يربّى دود الحرير . فتقدم الحرير كساء وعيدانها وقوداً للتدفئة . وقشر قضبانها طعاماً للحيوانات ، والجزة : بقايا أوراق التوت وما يفعل من طعام دود القز ، يجمع ويقدم علفاً للحيوانات شتاء . وهذا ما جعل للتوتة مكانة في حياة القرية اللبنانية وازدهارها .

حزب الريس) وها أنا باسم رئيس الدولة أعلقه على صدره الكريم.

واحد : (من غير الحزب) : كان النيشان للمعاز خليل ساسين الذي يرد طرشه عن الحرش وغيره. (ضحك).

المعاز : لا يا خيّي، عبا سميكة ترد البرد والشوب أحسن لي من مية نيشان. يا بيك اطلب لي ياها من الحكومي. عندي قولي أكبر بكتير من اللي علقتها للريس.

المحافظ : سأعرض القضية للوزير وتجيك العبا ان شاء الله. بس تتوقى الأحراش (ضحك).

ريس البلدية : لما كنت لا أعرف احكي خطاب، أشكر فيه الحكومة، أخونا عراف الحفلة ينوب عني. اختصروا، عندنا حفلة تانية غير حفلتكم.

عريف الحفلة : عريف الحفلة، نشكر الحكومة على رعايتها حفلتنا ونختم الحفلة بنشيد الغاب.

المحافظ : الظاهر انكم غير حاسين بوجودنا لتغنّوا نشيدنا، أودعناكم (ضجة وحركة انصراف) والجوقة تغني نشيد الغاب:

أعطني الناي وغن   فالغنا عدل القلوب
وأنين الناي يبقى   بعد أن تفنى الذنوب
ليس في الغابات عدل   لا ولا فيها العقاب
فإذا الصفصاف ألقى   ظله فوق التراب
لا يقول السرو هذي   بدعة ضد الكتاب
ان عدل الناس ثلج   ان رأته الشمس ذاب

(تمت)

مؤسسة خليفة للطباعة
بولفار الدورة - البوشرية
تلفون: ٨٩٤٨٢٧



